جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحروب والثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين

(447–541هـ / 1056–1146م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب

عبد العزيز شاكي

إشراف

أ.د . نشيدة رافعي

السنة الجامعية

1436 هـ – 1437 هـ / 2015 م – 2016 م

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحروب والثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين (447-541هـ / 1056-1146م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

أعضاء لجنة المناقشة

أ . د . عبد الشكور نبيلة	رئيسا
أ .د . نشيدة رافعي	مشرفا ومقررا
د. بوعلام صاحي	عضوا
د . عيسى بن الذيب	عضوا
د . سيدي موسى محمد الشريف	عضوا

إعداد الطالب

عبد العزيز شاكي

إشراف

أ.د . نشيدة رافعي

السنة الجامعية

1436 هـ – 1437 هـ / 2015 م – 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))

الآيتان 162–163 سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا))

الآية 56 سورة الأحزاب

إهداء

إلى التي كانت شمعة تضيء طريقي ودائما تعرف مرادي قبل أن يفصح به لساني والتي ظلت تغدق علي بحنانها، إنها أمي.

إلى والدي العزيز فرحات الذي أعطاني كل شيء وبذل الكثير من اجلي وأهداني أشياء كثيرة رائعة أولها التربية.التي اشهد له بها عند الله.

إلى لباسي الطاهر التي ظلت دائما صبورة معي وتعينني على الخير ومتاعب الحياة إنها زوجتي العزيزة .

إلى أولادي منصف وفراس وسراج الدين.

إلى أخي الذي لم تلده أمي ورافقني أثناء فترة التدريس ثم رحل عني وترك لي ذكريات من ذهب انه أخي عبد الوهاب مقورة وكذا رفيقي في الدراسة في مرحلة الماجستير الذي رحل عنا إلى الأبد انه زميلي بن حفاف عبد الله

إلى كل الأهل والأصحاب والزملاء دون استثناء .

إلى كل طلبة العلم في كل زمان ومكان .

إلى الذي سمعته ورايته ولم التق به وأتمنى أن يحشرني الله معه يوم القيامة ،انه الدكتور عائض القرني.حفظه الله .

إلى كل صرخة حق في هذه الدنيا

إلى كل من وسعهم قلبي ونسيهم قلمي

إلى كل أولئك اهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وعرفان

مصداقا لقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم

(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) سورة إبراهيم الآية7

وبعد الحمد والشكر الجزيل للمولى العلي القدير الذي

أنار طريقي وسدد خطاي

أتقدم بكل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة علي

الدكتورة نشيدة رافعي التي كانت نعم السند والعون

والتي لم تبخل علي أثناء انجاز هذا العمل المتواضع

كما أتقدم بالشكر لكل أساتذتي الأعزاء

كما اخص بالشكر كل من مد لي يد العون أثناء انجاز

هذا البحث ولو بكلمة طيبة واخص بالذكر كل زملائي

في دفعتي وتخصصي وكذا أخي بولطيف لخضر

، كنتور رابح ، لخضر بن بوزيد ، حروز عبد الغني ،

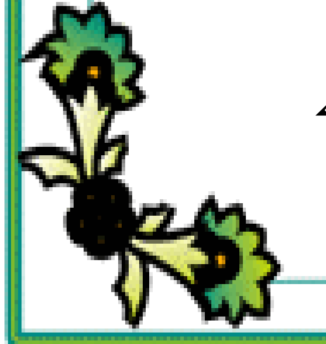
عيساوي محمد ، خير ، سليم ، محمد

، خالد ، خميسي ، الجودي ، ريمة ...

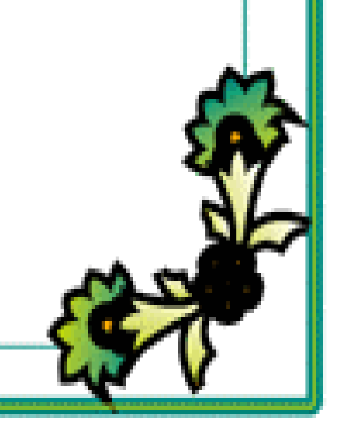
وكل الأصدقاء والزملاء

كما أتقدم بالشكرالجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة

لتواضعهم وقبولهم مناقشة هذه الأطروحة .



والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات



مُقدمة

بلاد المغرب منطقة تقاطعت فيها خطوط التاريخ والجغرافيا جعلت منها مجالا حيويا خصبا ذا أهمية ليست باليسيرة ، وهو ما جعلها محط أنظار كثير من القوى منذ القدم ، تلك الأهمية التي جعلت الفينيقيين يؤسسون مناطق تجارية على سواحل بلاد المغرب وشبه جزيرة أيبيريا (الأندلس) في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ثم تطور الاهتمام الفينيقي ليصبح تواجدا رسميا على يد القرطاجيين ، ونظرا لأهمية بلاد المغرب دخلت القوى الكبرى كالرومان في حروب معلنة بينة المصالح والأهداف مع الكيانات السياسية الأصلية (الممالك النوميدية) والدخيلة (مملكة قرطاجة) ، لتنجر عنها سطوة الرومان على بلاد المغرب ومن بعدهم الوندال فالبيزنطيون ، كل تلك الهجمات الشرسة التي تكللت باستغلال الأرض والإنسان ونهب الخيرات دلالة على أهمية موقع بلاد المغرب.

مع الفتح الإسلامي ظلت بلاد المغرب تابعة للدولة الإسلامية في المشرق ، غير أن المغاربة أُدخروا لادوار ليس من بينها الانشغال بالسياسة والقيادة وذلك في أوقات عديدة طيلة العهدين الأموي والعباسي ، وهو ما جعل نزعة الاستقلال تأخذ مسارها فظهرت كيانات سياسية مثلت تنوعا مذهبيا ، إذ شكل الخوارج دولتان الأولى اباضية بالمغرب الأوسط عُرفت بالدولة الرستمية والثانية صفرية بجنوب المغرب الأقصى عُرفت بالدولة المدرارية ، أما الشيعة فقد شكلوا دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، بينما احتفظ الأغالبة بالمغرب الأدنى مشكلين دولة سنية بإيعاز من الدولة العباسية ، ليستمر الشيعة بعدها في التربع على عرش السلطة في بلاد المغرب مشكلين دولة الفاطميين (العبيديين) ، التى وقفت ندا لأهل السنة في بلاد المغرب ، لكن هذه الأخيرة كانت تواقة إلى المشرق ، إذ رحلت إلى مصر بعد منتصف القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي ، فاسحةً المجال لأول مرة لسكان المغرب بتولي دفة القيادة ، حيث شكلت قبيلة صنهاجة دويلات مغربية سنية .

استقل الزيريون والحماديون بالمغربين الأدنى والأوسط معلنين قطيعة مع الفاطميين الروافض ، بينما شكل المرابطون الملثمون دولة مترامية الأطراف شملت أرجاء واسعة من المغرب الأقصى وبلاد شنقيط وما وراءها وأجزاءً من المغرب الأوسط، لتمتد يدها الطولى إلى الأندلس لاحقا ، كان ظهور دولة المرابطين في بلاد المغرب كدعوة فتية اكتسحت الجغرافيا يوحي بتدهور مختلف أوضاع المنطقة سيما العقدية منها ، إذ عرفت بعض مناطق المغرب خروجا صريحا عن تعاليم

الدين دونته مصادر التاريخ المتقدمة والمتأخرة منها ، وهو ما جعل فقهاء المرابطين ومن بينهم عبد الله بن ياسين يأخذ على عاتقه مهمة الإصلاح الديني لهؤلاء المنحرفين عن الدين .

لم يكن الأندلس أفضل حالاً من بلاد المغرب ، إذ عانى هو الآخر من التشتت السياسي حيث اقتسم السلطة فيه أمراء متناحرون عرفوا في الاصطلاح التاريخي بملوك الطوائف ، ذلك ما شجع نصارى الأندلس أن تكون لهم اليد الطولى على مسلمي الأندلس والتهجم عليهم والاستيلاء على مدنهم التي صارت تتهاوى الواحدة تلوى الأخرى ، كل ذلك جعل دولة المرابطين تلبى نداء المستغيثين من بلاد العدوة الأندلسية ، وتقف سدا منيعا في وجه التهديدات النصرانية وتعيد للمسلمين حرمتهم التى طالما اعتزوا بها .

الدراسات السابقة :

إن الانجازات التى قامت بها دولة المرابطين سيما في بلاد الأندلس تجعلنا نبحث عن مكنونات وخفايا هذه الدولة الفتية التي أعادت للمسلمين زمن العزة وهو ما جعلنا نعتزم الخوض في هذه التجربة البحثية ، رغم أن دولة المرابطين قد نالت بعض الحظ من الدراسة لدى باحثين واعدين ، ومن بين الدراسات المغربية التى عُنيت بقترة المرابطين مغربا وأندلساً هي دراسة الأستاذ عيسى بن الذيب الذي تناول فيها بالتدقيق والتمعن الشق الاقتصادي والاجتماعي وحاول بذلك تكوين تصور دقيق عن تلك الأوضاع ، كما شكلت دراسة الأستاذ محمد الأمين بلغيث شعلةً أخرى أبانت مختلف الجوانب الفكرية لدولة المرابطين في الجغرافيا الأندلسية ، كما تقدم الأستاذ عبد الصمد توفيق مزاري بدراسة قيمة عن الجهاد البحري لدولة المرابطين مشركا معهم في الدراسة دولة الموحدين والذي نقل لنا صورة حية عن واقع الجهاد البحري في القرنين السادس والسابع الهجريين ، ضف إلى ذلك دراسات تشفى غليل المتعطشين لتاريخ دولة الملثمين قدمها الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش،حيث عنيت هذه الدراسات في مجملها بالشق الاجتماعي،كما تقدمت انأ بدراسة حول الشق السياسي لدولة المرابطين في عهد الأمير علي بن يوسف[1] .

---

[1] كان ذلك ضمن رسالة ماجستير . عبد العزيز شاكي : التطور السياسي لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1143م) ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 – 2011 م .

من أهم الدراسات المشرقية التي شكلت حجر الزاوية لحقل التاريخ المرابطي دراسة الأستاذ حسن احمد محمود الذي قدم مقاربةً قيمةً عن دولة المرابطين لكنها ركزت فقط على الفترة المتعلقة بقيامها ، ومن الدراسات الأخرى ما قدمه الأستاذ حسين مؤنس الذي تناول في جزء منها الفترة الانتقالية بين المرابطين والموحدين ، وتناول في أخرى الثغر الأندلسي الأعلى ، كما قدم لنا نصوصا مصدرية هامة عن دولة المرابطين في دراسات أخرى ، ضف إلى ذلك مساهمته في حقل تحقيق المادة المصدرية لذات الفترة والجغرافيا ، ومن الدراسات الأخرى دراسة الأستاذ عبد الله عنان الذي قدم لنا دراسة مستفيضة عن دولة الإسلام في الأندلس ومنها ما يتعلق بدراستنا وهو القسم الخاص بالمرابطين والموحدين ، ومن بين المستشرقين الذ ين اهتموا بالتاريخ المرابطي نجد دراسة رينهرت دوزي ، لكننا لمسنا فيها بعض التعصب وسجلنا فيها بعض التطاول على العنصر العربي ، كما قدم المستشرق الألماني يوسف أشباخ دراسة معمقة عن تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين .

مبررات اختيار الموضوع :

من خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ دولة المرابطين بالمغرب والأندلس لا حظنا أن هذه الدراسات لم تكن لتمس بالتدقيق والتخصص موضوع الحروب التي خاضها المرابطون في بلاد المغرب ومن بعدها الأندلس ، وكذا الثورات والفتن والتمردات الداخلية التي زلزلت كيان هذه الدولة الفتية ، ذاك كان دافعا رئيسا لنا للبحث بالتدقيق والتمعن في هذه الجزئية الهامة من تاريخ هذه الدولة التي شكلت أنموذجا للتجارب الناجحة في الذود عن الإسلام والمسلمين .

من بين الأسباب الأخرى التي دفعتنا إلى البحث في هذا الموضوع هو محاولة معرفة الدور الإصلاحي الذي قام به عبد الله بن ياسين وما كان له من اثر واضح في إعادة نشر لشريعة الله تعالى من جديد في أرجاء واسعة من المغرب الأقصى ، فقد أطلعتنا جملة من المصادر التي كانت تحت طائلتنا عن حجم الانحرافات التي شهدتها بعض أنحاء المغرب الأقصى خاصة في منطقة برغواطة وجبال غمارة وقبائل زناتة البربرية ، فقد سجلت المصادر المعاصرة أمثال البكري (ت 487هـ/1094م) أو القريبة زمنيا أمثال صاحب كتاب الاستبصار (كان

حياً 587هـ/1191م) ، أو التي جاءت فيما بعد أمثال ابن أبي زرع الفاسي (كان حياً سنة 726هـ/ 1326م) انحرافات خطيرة شملت العقيدة حتى بلغ الحد بصاحب روض القرطاس بوصف أهل تلك المناطق بأنهم كفارا مجوسا .

كما إن الدور الجهادي المتفرد الذي أداه المرابطون في العدوة الأندلسية كان دافعا لنا لكشف خباياه ، فقد لبى المرابطون نداء المستغيثين من إخوانهم الأندلسيين وهبوا لنجدتهم والوقوف في وجه النصارى الذين صارت طموحاتهم التوسعية تهدد كيان الإسلام والمسلمين بالأندلس ، فقد تفاقمت في عهد المرابطين حروب الاسترداد التي لم تبق ولم تذر وصارت تهدد المدن الأندلسية وأهلها ، فتدخل المرابطون الذين خاضوا عدة معارك صارت صفحات مشرقة في تاريخ الإسلام وساهموا في فرملة حركة الاسترداد .

إن القُصور الذي سجلناه في تناول الثورات الداخلية والفتن والتمردات التي طالت أرجاء واسعة من أراضي دولة المرابطين كان هو الآخر دافعا لمعرفة مكنونات هذه الحركات المناوئة للسلطة المركزية في مراكش والتي اختلفت أسبابها ودوافعها ، وحتما لم تكن نتائجها على نفس المستوى ، وذلك في ظل العثور على كتب محققة كانت في عداد المخطوط ساهمت في توفير بعض المادة المصدرية الأساسية .

بناء على الدوافع سالفة الذكر والتي جعلتنا نخوض تجربة البحث في هذه الجزئية الهامة من تاريخ المرابطين والمتعلقة بأهم الحروب التي خاضوها في بلاد والمغرب ثم الأندلس وكذا معرفة أهم الثورات والفتن والتمردات في ذات الجغرافيتين فان بحثنا المتواضع كان موسوما بـ

الحروب والثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين

(447–541هـ / 1056–1146م) .

إشكالية الموضوع :

إن البحث في موضوعنا هذا يجعلنا نطرح إشكالا أساسيا ومعه تساؤلات فرعية لمناقشتها في ثنايا هذا البحث . إلى أي مدى شكلت الحروب مع القوى المناوئة والثورات والفتن الداخلية امتحانا للسلطة المرابطية وكيف ساهمت في رسم خريطة هذه الدولة الناشئة في

العدوتين المغربية والأندلسية وفي مرحلتي الدعوة والدولة ؟ إن هذه الإشكالية تجعلنا نطرح تساؤلات فرعية تتعلق بها ومنها إلى أي مدى استطاعت المؤسسة العسكرية المرابطية تثبيت دعائم هذه الدولة الفتية ؟كيف ساهمت المرابطة التي أسسَ لها الفقيه عبد الله بن ياسين في تشكيل اللحمة الأولى لهذه الدولة ،كيف استطاع هذا الفقيه إعادة بعث الإسلام في مناطق واسعة من جنوب المغرب الأقصى اعتمادا على أسلوبي الملاينة وحد السيف ؟كيف استطاع يوسف بن تاشفين بسط سلطانه في المغرب الأقصى ، وتلبية نداءات المستغيثين من مسلمي الأندلس ؟ وكيف ساهم ذلك في ضم الأندلس إلى دولة الملثمين ؟ ما هي أهم الحروب التي خاضها الأمير علي بن يوسف وابنه تاشفين وكيف ساهمت في الذود عن حمى الإسلام والمسلمين في العدوة الأندلسية ؟ إلى أي مدى استطاعت دولة المرابطين فرملة حركة الاسترداد في الأندلس ؟ إلى أي مدى شكلت ثورة الموحدين شوكة في حلق المرابطين وأقضت مضاجع أمرائهم ؟كيف حاد بعض الفقهاء عن دورهم ليشقوا عصى الطاعة ويشعلوا فتيل ثورات في العدوة الأندلسية زادت من معاناة دولة المرابطين ؟ ما حيثيات ثورة المتصوفة المريدين وكيف ساهمت في شيوع الفلتان الأمني في الأندلس ؟ ما طبيعة الفتن والتمردات التي ظهرت في أرجاء واسعة من جغرافية المرابطين ؟ هل ساهم التنوع الاثني والمذهبي في إذكاء بعضها ؟ وكيف استطاعت دولة المرابطين إخمادها أو التعامل معها ؟

خطة البحث

بناء على الإشكاليات السالفة الذكر ارتأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى بابين خصصنا الأول للحروب المرابطية في مرحلتي الدعوة والدولة وفي المغرب والأندلس ، بينما خصصنا الباب الثاني لأهم الثورات والفتن الداخلية التي شهدتها دولة المرابطين .

الباب الأول : وكان عنوانه حروب المرابطين في المغرب والأندلس حيث قسمناه إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول : وكان موسوما بحروب المرابطين الأولى وفرض سلطانهم بالمغرب ، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في الأول تعريفا مقتضبا بدولة المرابطين وذكرت مختلف تسمياتهم التى أوردتها المصادر التاريخية وذكرت مدلولات كل مصطلح وعلة ذلك ، ثم تناولت جغرافية دولة

المرابطين والخصائص الطبيعية لبيئتهم وكيف استطاعوا التعايش معها ، وتناولت أهم الروايات التاريخية التي ذكرت نسبهم وحاولت في ذلك تسجيل مواطن الاختلاف بين المصادر التاريخية متبعا في ذلك أسبقية مصادر هذه الروايات تاريخا وجغرافية ، ومن ثم حاولت الخروج بتصور سليم لنسب المرابطين ، لأُعرج في نهاية هذا المبحث على مكانة الفقيه في دولة المرابطين وما له من ادوار قيادية قام بها خاصة تلك الأدوار الدعوية ، حيث كانت مناطق عديدة من بلاد المغرب الأقصى مثل منطقة برغواطة وجبال غمارة وجزء من قبائل زناتة غارقة في انحراف ديني جعل بعض المؤرخين أمثال ابن خلدون في العبر أو ابن أبي زرع الفاسي صاحب روض القرطاس يخرجهم عن دائرة الإسلام بوصفهم كفارا مجوسا ثم تناولت اتخاذ الدولة المرابطية للمالكية مذهبا رسميا .

أما المبحث الثاني للفصل الأول فتناولت فيه حروب المرابطين الأولى على جبهة الصحراء لتثبيت تواجدهم الأولي هناك ، وقبل التطرق إلى حروبهم الأولى تناولت بشيء من التفصيل سيرة الفقيه عبد الله بن ياسين كونه الدعامة الأساسية للفعل الإصلاحي الدعوي للمرابطين ، ثم تناولت جهوده الهامة في تشكيل النواة الأولى للمرابطين عن طريق إنشاء رباط ، وتناولت حياة المرابطة والشروط التي كانت تفرض على المنضمين لهذا الرباط ، وكيف كثر الوافدون لينتقي منهم عبد الله بن ياسين الأكثر تحملا للمشاق والأكثر تدينا وهو ما يُعد بمثابة إعداد للمرحلة القادمة وهي مرحلة الجهاد . وتناولت في نهاية هذا المبحث شروع عبد الله ابن ياسين في الجهاد في المناطق الجنوبية وإخضاع مختلف القبائل لسلطانه بحد السيف ، أو أسلوب اللين أحيانا ، وقد استكمل عبد الله بن ياسين بذلك تنظيم مجتمعه الجديد الذي سيكون النواة الهامة للدولة الناشئة .

وقد ذيلت هذا الفصل بمبحث تناولت فيه حروب المرابطين في جبهة المغرب ، وتناولت بذلك أسباب فتح المرابطين لهذه المناطق محاولا استنتاج أهم الأسباب الدافعة لفتح هكذا مناطق ، وقد عرضت مختلف الروايات التاريخية التي تحدد بداية هذه العملية (أي فتح مناطق المغرب) حيث ذكرت مصادر تاريخية أمثال ابن الأثير والنويري أن عملية الفتح بدأت بعد سنة450هـ/1058 م وهو ما استبعدته بعض الدراسات الحديثة (حسن احمد محمود) بناء على المصادر المادية المتمثلة في سكة المرابطين التي ضربت في سجلماسة سنة

450هـ/1058م ، بينما حاولت مصادر أخرى القول بسنة 445هـ/ 1053م أمثال ابن خلدون ، أما المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث وهو البكري فقال بسنة 446هـ/ 1054 م ، غير أن التاريخ الذي أجمعت عليه جملة من المصادر هو 447 هـ / 1055م ومن القائلين بذلك ابن عذاري وابن أبي زرع الفاسي والسلاوي صاحب الاستقصا . لأختم هذا الفصل بأهم الفتوحات التي سجلها المرابطون حيث فتحوا مناطق كوادي درعة وسجلماسة ومناطق من بلاد المصامدة والسوس واغمات وتامسنا وبعدها سائر بلاد زناتة ومكناسة .

الفصل الثاني : وهو موسوم بحروب المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين ، حيث قسمته هو الآخر إلى ثلاثة مطالب تناولت في الأول جزءا من سيرة هذا الأمير المجاهد واهم ما أوردته كتب التاريخ والتراجم والسير ، ثم عرجت على تأسيس عاصمة المرابطين الجديدة وهي مدينة مراكش وتناولت أهم الروايات التاريخية حول تاريخ تأسيسها ، ثم تطرقت إلى تلقب يوسف بن تاشفين بالإمارة واهم الاختلافات التي سجلتها كتب التاريخ المتقدمة والمتأخرة حول تاريخ ذلك ، لأختم هذا المبحث الأول بالحروب الأولى التي شنها يوسف بن تاشفين على مناطق من المغرب الأقصى حيث استهل حروبه بضم وادي ملوية ثم توجه لضم احد اكبر حواضر المغرب الأقصى وهي مدينة فاس مسجلا مجريات هذا السجال الذي انتهى بدخول مدينة فاس تحت مظلة المرابطين ، وبعدها تناولت فتوحات يوسف بن تاشفين لمناطق أخرى في المغرب مثل مناطق من غمارة وسبتة وطنجة لأعرج في نهاية هذا المبحث لحروب يوسف في المغرب الأوسط التي أفضت بدخول أجزاء ليست بالقليلة منه تحت حكم دولة المرابطين ، وبذلك صار المغرب الأقصى وأجزاءً من المغرب الأوسط والصحراء تحت مظلة المرابطين لتكتمل الحلقة الأولى من جغرافية بلاد المرابطين وهي بلاد المغرب.

تناولت في المبحث الثاني توجه المرابطين في حروبهم نحو العدوة الأندلسية وقبل التطرق إليها رصدت بعضا من أحوال الأندلس في عهد ملوك الطوائف التي أفضت إلى شقاق كبير بين رؤسائهم وكبرائهم ، ما أعطى ممالك النصارى فرصة اكبر للتحرش بمدن أندلسية عديدة فيما اصطلح عليه لاحقا بحروب الاسترداد ، وتمكنوا من فرض ضرائب وإتاوات جائرة على أهلها ، وهو ما جعل النصارى تكون لهم اليد الطولى على مناطق واسعة من الأندلس وأهلها ، إن تلك المآسي التى عاشها الأندلسيون جعلت ساعة الخلاص باتت قريبة حيث استنجد

مسلموا الأندلس بأمير المرابطين المجاهد يوسف بن تاشفين الذي لم يجد بدا فزحف هو الأخر بجيوشه ضاربا أمثولة في أن نصرة الأخ واجبة ، وقد دونت جانبا من المراسلات التي تمت بين يوسف بن تاشفين وأمير اشبيلية المعتمد بن عباد التي كللت في الأخير تنسيقا متناهيا لحشد قوة إسلامية في وجه الفونسو السادس ، وتناولت بالتفصيل معركة الزلاقة وكيف أفضت إلى انتصار ساحق للمسلمين مستخلصا أهم نتائجها على المسلمين والنصارى على السواء .

كانت خاتمة هذا الفصل راصدة لأهم الحروب التي خاضها يوسف بن تاشفين ضد نصارى الأندلس ، حيث عاود يوسف بن تاشفين الجواز إلى العدوة الأندلسية ثلاث مرات كان عنوانها الأبرز الذود عن حمى الإسلام من التهديدات النصرانية التي استعرت من جراء الهزيمة التي حاقت بهم في وقعة الزلاقة ، وقد تكلل ذلك بدخول قوات المرابطين حرباً أو صلحاً عدة مدن أمثال جيان وقرطبة واشبيلية ومرسية ودانية وشاطبة وبلنسية وبذلك دان الأندلس إلى حكم المرابطين وانهى حكم ملوك الطوائف الذي لم يجن على الأندلس غير الفرقة والمؤامرات والخذلان .

الفصل الثالث : وكان موسوما بـ حروب المرابطين منذ سنة 500هـ/1106م إلى سقوط الدولة وقد قسمته هو الأخر إلى ثلاثة مباحث كانت فاتحتها تتناول سيرة أمير المرابطين الجديد والشاب وهو علي بن يوسف بن تاشفين المكنى بابي الحسن ورصدت أهم ما أوردته كتب التراجم والتاريخ فيه ، حيث لمسنا شخصية غيورة على الإسلام موقرة للعلماء مستشيرة لهم متواضعة للرعية ، وتناولت بعدها تلقب هذا الشاب بالإمارة ، وبعدها رصدت تحرك علي بن يوسف للجهاد في بلاد الأندلس وبدأت بحروبه مع مملكة قطلونية شرق الأندلس مسجلا أهم الحروب التي ذكرتها المصادر التاريخية ، وبعدها تناولت حروب المرابطين مع مملكة برتغال في الجهة الغربية من الأندلس مدونا أهم الصدامات العسكرية بين الفريقين التي يرجع أولاها إلى سنة 504هـ / 1110م والتي تكللت باسترجاع عدة مدن أندلسية مثل برتغال وأشبونة وشنترين وغيرها ، ثم ختمت هذا المبحث بمحاولات المرابطين فتح مدينة قلمورية التي اكتفوا بحصارها إلى أن استسلمت دون تسجيل أي توغل للقوات المرابطية إلى داخلها .

تناولت في المبحث الثاني لهذا الفصل جهاد المرابطين لمملكة قشتالة والتي كان فاتحتها خيرا على المسلمين إذ سجلت مصادر التاريخ فوزا ساحقا لقوات المرابطين في معركة أُقليش

ضد قوات القشتاليين، التي أعادت إلى المسلمين ذكريات انتصار الزلاقة ، وتناولت بعدها حصار المرابطين لمدينة طليطلة والتي أسفرت عن استرجاعهم لبعض أحوازها ، متناولا بشيء من التدقيق تفاصيل هذا الحصار ومجرياته وذكر أهم روايات كتب التاريخ حوله ، لأختم هذا المبحث بالحديث عن الجواز الثاني لأمير المرابطين علي بن يوسف نحو الأندلس وتحقيقه لعدة انتصارات واسترجاعه عدة حصون كما دانت جزر البليار إلى سلطان المرابطين سنة 509 هـ/ 1115م ، وبعدها تناولت جواز أمير المرابطين إلى الأندلس سنة 511 هـ/ 1117 م والذي من خلاله تم التوجه إلى مدينة قلمورية التي سجلنا اختلاف المؤرخين حول مصيرها ، إذ ذكر صاحب الحلل الموشية أنها فتحت فعلا ، بينما اكتفى ابن عذاري بالقول أنها حُوصرت ، وتطرقت في ذيل هذا المبحث إلى الحروب التي خاضها الأمير تاشفين بن علي أيام حكم أبيه وتمكن من خلال بعضها إلى تسجيل انتصارات مثل موقعة فحص عطية والاستيلاء على حصن السكة ، وتسجيل هزائم في البعض الآخر كتلك التي وقعت قرب اشبيلية والمعروفة بفحص البكار ، غير أن الملاحظ انه بعد وفاة علي بن يوسف مالت الكفة للنصارى وذلك لتعاظم ثورة الموحدين بالمغرب والتي شغلت المرابطين عن جبهة قشتالة النصرانية .

ذيلت هذا الفصل بمبحث تناولت فيه وقائع حروب المرابطين مع مملكة أراغون حيث رصدت معالم الصراع المرابطي الأراغوني حول مدينة سرقسطة والذي أفضى إلى افتكاك النصارى هذه المدينة من أيدي المرابطين وتوقيع معاهدة الاستسلام ، وبذلك خسروا قاعدة من اهو القواعد الأندلسية ، ثم تطرقت إلى موقعة كتندة التي سجلت هي الأخرى انتكاسة جديدة لقوات المرابطين ، وبعدها تناولت في هذا المبحث غزوة الفونسو المحارب التي اخترقت أرجاء واسعة من بلاد الأندلس غير أنها باءت بالفشل ولم تحقق الأهداف التي سطرت لها ولم ترق إلى ما عزم قادة اراغون فعله ، غير أنها كانت درسا للمسلمين حيث كشفت عن هشاشة الدفاعات الأندلسية وقصور في الفكر الحربي لقادة المرابطين ، كما أبانت عن مدى تواطؤ النصارى المعاهدين مع العدو النصراني ، وهو ما جعل الفقيه ابن رشد يفتي بضرورة نقلهم إلى خارج ارض المرابطين الإسلامية وهو اقل عقاب حاق بهم في نظر ابن رشد ، وختمت هذا المبحث من هذا الفصل بالحديث عن معركة القلاعة 523هـ/1129م التي أفضت إلى انتصار القوات الاراغونية ، ثم معركة افراغة 528هـ/1134م والتي من خلالها عاود الفونسو المحارب

التهجم على المسلمين لكن دون جدوى ، حيث انتكس هذه المرة وفر من المعركة ليتوفاه الأجل بأيام قلائل بعد الواقعة حزنا على ما رأى من انتكاسة قواته ، وبذلك كانت الغلبة للقوات المرابطية هذه المرة .

الباب الثاني : وكان عنوانه الثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين حيث قسمته هو الآخر إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : وكان بعنوان ثورة الموحدين حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في الأول شخصية المهدي بن تومرت وذكرت نسبه حسب ما أوردته المصادر التاريخية ثم تناولت سيرته بشيء من التفصيل مراعيا في ذلك مختلف آراء المؤرخين والفقهاء ، حيث بالغت بعض المصادر في ذكر فضائله بينما ذكرت بعض المصادر بعض جرائمه وتجاوزاته من اجل إقناع الناس بدعوته ، وهو ما جعلني أستعين بآراء أشهر الفقهاء القريبين من عصره أمثال ابن القيم الجوزية وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتناولت في هذا المبحث أيضا رحلته إلى المشرق لطلب العلم ولقائه ببعض المشايخ كابي حامد الغزالي ، ثم عرجت على تفاصيل عودته إلى المغرب ولقائه بخليفته عبد المؤمن بن علي ، وبعدها حلوله بمراكش ولقائه بأمير المرابطين علي بن يوسف وظهور بوادر الخلاف بينهما الذي تحول إلى دعوة ثم ثورة عصفت بملك المرابطين ، ليحل بمسقط رأسه لاحقا ويبتني رابطة للعبادة ويتكاثر أتباعه وتتم مبايعته من لدن قبائل مصمودة .

خصصت المبحث الثاني إلى الصراع المرابطي الموحدي أيام المهدي بن تومرت حيث تناولت في المطلب الأول مراحل الصراع التي سميتها مرحلة المناظرات الفقهية حيث سجلنا أولى اللقاءات بين فقهاء المرابطين من جهة وبين ابن تومرت من جهة أخرى ، وقد أبان هذا الأخير عن علم كبير وبصيرة نافذة أعجزت فقهاء المرابطين جعلت احد الفقهاء يشير على أمير المرابطين بسجنه قبل أن تتعاظم دعوته ، غير أن تواضع أمير المرابطين وتوقيره للعلماء جعله يترك ابن تومرت لحاله ، وهو ما جعل هذا الثائر يستجمع قواه ويحشدها لمقارعة دولة المرابطين ، وهو ما تم فعلا حيث تناولنا في هذا المبحث أهم الصدامات العسكرية التي دارت بين الفريقين والتي تتبعناها بالتفصيل راصدين أهم مجريات هذا الصراع وحيثياته ، لنخلص في الأخير إلى أهم حلقات هذا الصراع أيام ابن تومرت والمتمثل في حصار مراكش ، غير أن ابن تومرت لم يكن حاضرا مع جيوشه إذ أصابه مرض على رأي المؤرخين أقعده عن القتال ، لكنه حرّض

أتباعه على القتال واستخلف عبد المؤمن من بعده ، وقد كانت هذه الحملة فاشلة إذ انهزم الموحدون وعادوا أدراجهم ، دون تحقيق نصر يذكر ، ليتم بعد ذلك إعلان وفاة ابن تومرت وتدخل ثورة الموحدين مرحلة جديدة مع قائد جديد .

سلطت الضوء في آخر مباحث هذا الفصل على الصراع المرابطي الموحدي بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي ، حيث تطرقت إلى سيرة هذا الأخير ثم مبايعته من لدن أتباعه ، لأُعرج في هذا المبحث على أهم فصول الصراع بين الموحدين وبين المرابطين وذكر أهم المعارك إلى غاية وفاة أمير المرابطين علي بن يوسف ، واستكملت في نهاية هذا الفصل تفاصيل الصراع أيام أميري المرابطين تاشفين وإبراهيم والتي كانت في شكل عام تؤشر إلى تهاوي سلطان المرابطين وتعاظم حركة الموحدين التي استطاعت في الأخير أن تعصف بحكم الملثمين الذين أفل نجمهم بعد قرابة القرن . وبذلك تحولت حركة الموحدين من دعوة إلى ثورة إلى دولة تعدى حكمها جغرافية المرابطين .

الفصل الثاني : وكان موسوما بـ ثورات القضاة والمتصوفة في الأندلس حيث قسمته إلى مبحثين تناولت في الأول ثورة المريدين وفي الثاني ثورات القضاة ، أما الفصل الأول فأفردته إلى ثورة المريدين والتي عانيت أثناء رصد وتجميع معلوماتها وذلك لشح كبير في المادة المصدرية ، وهو ما جعلني استهل هذه الثورة بمطلب خصصته لذلك حيث تناولت فيه إشكالية مصادر ثورة المريدين ، ورغم تنقلنا إلى المغرب الشقيق بحثا عن مادة مصدرية تفي بالغرض ، بيد أن ما عثرنا عليه لم يكن ليشفي غليلنا ويروي ظمأنا ، ورغم ذلك حاولنا إماطة اللثام عن بعض تفاصيل هذه الثورة ، إذ تناولت أصول حركة المريدين ، متطرقا إلى التصوف والصوفية بالأندلس واهم روادها ، ثم تطرقنا إلى أولى مراحل هذه الثورة والتي كانت سرية وفيها كانت السلطات تضيق الخناق على شيوخ المريدين ، وكانت المراسلات السرية تتم بين أقطاب هذه الثورة ، كما كانت الرقابة المشددة على شيوخ هذا التيار ، وسجلنا مرة أخرى تقوى وورع وتسامح أمير المرابطين علي بن يوسف ، إذ تساهل مع هذه الحركة ، وأطلق سراح احد أقطاب هذه الحركة وهو ابن العريف الذي وصله مكبلا ، بل وزاد على ذلك أن أكرمه تقديرا لصلاحه وتقواه .

إن لين المعاملة التي حضي بها المريدون من لدن علي بن يوسف جعلتهم يدخلون فيما بعد مرحلة النشاط العلني وهو ما تناولناه في هذا المبحث ، حيث ألّب ابن قسي أتباعه

وحرضهم على الثورة ضد المرابطين وتمكنوا من الهجوم على حصون مرابطية في ظل انشغال دولة الملثمين بحروبها مع الموحدين في المغرب الذين صارت دعوتهم قاب قوسن أو ادني من تحقيق أهدافها ، بعد ذلك تناولنا تلقب ابن قسي بالإمامة ومخاطبته لأتباعه وتحريضهم على الثورة ، وهو ما جعل دعوته تتعاظم وتتسع دائرة ثورتة وأتباعه ، غير أن بعض التصدع بدا يتسرب إلى هذه الثورة إذ انشق بعض قادة ابن قسي عنه وهو ما جعله يتواصل مع الموحدين نكاية في المرابطين ، لنتطرق بعد ذلك إلى نهاية ابن قسي التي كانت موضوع خلاف بين مصادر التاريخ ، محاولين في نهاية هذا المبحث تقييم هذه الثورة واستخلاص أهم نتائجها .

أما المبحث الثاني ونظرا لكثرة ثورات القضاة فقد قسمته إلى مطلبين مراعيا في ذلك عامل الجغرافيا ، إذ تناولت في المطلب الأول ثورات القضاة في وسط وجنوب الأندلس ، وقد افتتحت هذه المبحث بثورة ابن حمدين محاولا معرفة تفاصيل هذه الثورة ، وتطرقت إلى أهم الأعمال التي قام بها ابن حمدين كرسم الخطط وإعداد الجنود وإنشاء الدواوين ، وهو ما يوحي أن هذه الثورة كانت على قدر ليس باليسير من التنظيم ، وقد راسل ابن حمدين القضاة في الأندلس طالبا منهم خلع بيعة المرابطين والانضمام إلى دعوته ، وقد استعان ابن حمدين بالنصارى القشتاليين طالبا منهم المدد ، ثم عبر إلى المغرب لملاقاة عبد المؤمن قائد الموحدين ، ثم عاد إلى الأندلس لتنتهي ثورته . كما تناولت ثورة ابن حسون في مالقة الذي خلع دعوة المرابطين ودعا لنفسه وجند الأجناد واستبد بمالقة محاصرا للمرابطين في قلعتها ، غير انه اضطر إلى الاستنجاد ببعض المرتزقة النصارى ، وهو ما دفعه إلى ضرورة توفير أموال إضافية ففرض مغارم على الناس أثقل بها كاهلهم فثاروا ضده.

تناولت في ذات المبحث ثورة ابن ضحى في غرناطة والتي شهدت تنسيقا مسبقا مع ابن حمدين في قرطبة ، وتمكن ابن ضحى من إعلان الثورة ومحاصرة قوات المرابطين المتحصنة في قصبة المدينة ، وبعد مقتل عديد الفقهاء جراء حروب متقطعة ومن بينهم ابن ضحى ، خلفه ابنه محمد الذي قتل هو الآخر في حروبه مع المرابطين فقاد الثورة أبو بكر محمد لكن مآل هذه الثورة لم يكن أحسن من نظيراتها ، إذ عادت غرناطة إلى حاضنة المرابطين ، كما عرجت في هذا المبحث على ثورة وادي آش التي قادها احمد بن ملحان الطائي فاستولى على القصبة

وحصنها لنفسه ودب الفلتان الأمني في المكان ، إلى أن آثر اللحاق فيما بعد بخدمة الموحدين في المغرب .

تناولت في المطلب الثاني ثورات القضاة في شرق الأندلس ومنها ثورة ابن عبد العزيز قاضي بلنسية الذي منذ تعيينه بدا بالتمكين لنفسه مستغلا المتغيرات الحاصلة في الدولة ، وحرض الناس على الثورة ضد المرابطين وتمت له البيعة ،كما استولى على شاطبة صلحا ثم استولى على مدينة لقنت وما جاورها ، لكن جنوده تمردوا عليه وانقلبت عنه الرعية نتيجة قصور في تسيير أمور العامة وعجز في دفع مستحقات الجند ، وبذلك دارت الدائرة على ابن عبد العزيز الذي فر متنكرا في ظلام الليل فارا بجلده والتحق بمدينة المرية إلى أن قُبض عليه ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن ثورة أبي جعفر بمرسية الذي دعا هو الآخر لابن حمدين وألّب الرعية على المرابطين ودعا لقتالهم ، ثم خلع دعوة ابن حمدين ودعا لنفسه وحاصر شاطبة دون جدوى لكنه قتل أثناء توجهه إلى غرناطة ، حيث اشتبك مع المرابطين فلقي مصرعه . وساءت أوضاع مرسية بعد شيوع خبر مقتله ، مما خلق وضع غير مستقر بالمدينة .

الفصل الثالث : كان بعنوان الفتن والتمردات الداخلية في دولة المرابطين حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث خصصت الأول إلى الفتن والتمردات الواقعة بمدينة قرطبة ، مراعيا في ذلك عامل الكرونولوجيا حيت افتتحت هذا المبحث بتمرد قرطبة الواقع سنة 500 هـ/ 1106م ، فقد تلكأ أبو عبد الله محمد بن الحاج في بيعة على بن يوسف وجاهر بالخروج عن طاعته لكن مآله كان الفشل . لكن أمير المرابطين عفا عنه ، وتطرقت بعد ذلك إلى ثورة حصلت في قرطبة سنة 514هـ/1120م محاولا معرفة أسباب هذه الثورة من خلال مختلف المقاربات التي قدمتها لنا المصادر التاريخية ، والتي أفضت في النهاية إلى صدام بين عسكر المرابطين وأهل قرطبة ، وأدخلت قرطبة نفقا مظلما كاد يعصف بأمنها في ظل التعدد الاثني بالمدينة ، وهو ما جعل أمير المرابطين يجتاز البحر بنفسه مع قواته ويحاصر قرطبة طويلا ، حتى انتقل هذا السجال إلى حقل الدبلوماسية ، وقابل أمير المرابطين أعيان قرطبة واتفقوا على فض النزاع ،كما تطرقت بعد ذلك إلى ثورة في قرطبة وقعت عامي 525-526هـ/1130-1131م والتي كانت معلوماتها شحيحة جدا ، فقد ثار سكان قرطبة ضد احد القضاة وهو ابن المناصف ، حيث استنكر الناس فرض ضريبة المعونة عليهم لإصلاح أسوار المدينة ، بل وأعلنوا عصيانا ، ثم تعدى الأمر

إلى القبض على ابن المناصف ورجمه ، لكن مصادر التاريخ أغفلت كيفية تعامل السلطات المرابطية مع هذا الاحتجاج ، كما سجلنا اضطرابات أخرى في قرطبة جراء المجاعة والوباء الذي اشتد بالناس هناك . لنعرج في هذا المبحث على انتفاضة العامة بقرطبة سنة 529هـ/1134م حيث ثارت العامة على اليهود الذين تغلغلوا في المناصب الحساسة واستحوذوا على التجارة ، وصارت الثروة بيدهم ، وهو ما جعل العامة تثور ضدهم ، وما زاد في إشعال فتيل هذا الاحتجاج هو مقتل احد المسلمين بحي يهودي مما أدى بثورة الساكنة المسلمة ضد يهود المدينة ، وختمنا هذا المبحث بثورة العامة ضد القاضي ابن رشد الذي ذكر ابن الخطيب ضعفه مما أدى إلى ثورة الناس عليه وهو ما جعل سلطات المرابطين تقرر إعفائه من منصبه .

تناولت في المبحث الثاني أهم الثورات والتمردات الحاصلة في جنوب الأندلس بغرناطة ، حيث تناولنا تمرد والي غرناطة عام 500هـ/1106م الذي ربما حاول النأي بملك له عن دولة المرابطين غير أن مآل هذا التمرد كان الفشل ، بل وتم تعيين هذا الوالي على سرقسطة وهو ما جعلنا نضع تمرد هذا الوالي التمرد على المرابطين في دائرة الشك ، وتناولنا بعد ذلك ثورة المعاهدين النصارى عام 519هـ/1125م ، الذين لم يجدوا حرجا في الاستقواء على المرابطين بالممالك النصرانية وتحديدا ابن رذمير ، غير أن المؤامرة انكشفت للعيان ولم تبلغ غايتها مما أدى بالقاضي الوليد بن رشد بإصدار فتوى تقضي بتغريبهم عن أوطانهم ، فأنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق وتفرقوا شذر مذر على حد تعبير ابن الخطيب .

ذيّلت آخر فصول دراستي هذه بالحديث عن الانتفاضات والتمردات الواقعة بباقي أرجاء دولة المرابطين ، حيث تكلمت عن تمرد والي فاس يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي أعلن القطيعة مع الأمير الجديد علي بن يوسف ، وراح يشق عصا الطاعة ويعلن عن تمرده وسانده في ذلك بعض أعيان فاس ، لكن تحرك أمير المرابطين السريع أجهض المشروع مبكرا ، حيث رابط هذا الأخير قرب مدينة فاس وأرسل كتابا يدعو الوالي المتمرد إلى التوبة ، هذا الأخير الذي لم يجد من الهرب بدا فنجا هو الآخر ببدنه متجها نحو تلمسان حيث توسط أميرها مزدلي لدى البلاط المرابطي الذي قرر أخيرا الصفح الجميل عن هذا المتمرد ، كما تطرقت إلى انتفاضة وقعت في اشبيلية عام 529هـ/1134م ، حيث أن صرامة القاضي ابن العربي كانت وراء غليان العامة ، فقد ذكرت مصادر التاريخ أن هذا القاضي كان شديد الوطأة على

الفسقة والمنحلين والجناة وهو ما جعل الساكنة تثور عليه ، كما أن الضائقة المالية للدولة اذكت هذا الاحتجاج ، الذي انتهي بتفرغ هذا القاضي الفقيه إلى نشر العلم بعيداً عن أي منصب رسمي في الدولة ، لأختم هذا المبحث والبحث بانتفاضة كانت جزيرة ميورقة مسرحا لها ، ورغم قلة المادة العلمية المصدرية إلا أننا استطعنا أن نصل إلى حقائق متعلقة بهذه الانتفاضة توحي بثورة الساكنة ضد احد الولاة الذي طالبهم ببناء مدينة جديدة ما جعل السكان في غنى عن ضرائب إضافية ، خاصة في ضل تردي الأوضاع جراء الهجمات المتكررة للنصارى البرشلونيين على الجزيرة ، وقد يكون نوعية الأسلوب العنيف في طلب هذا الوالي هو ما أثار حفيظة السكان ، الذين قتلوه على رواية ابن عذاري أو اعتقلوه على رواية ابن خلدون .

منهجية البحث :

إن الإجابة عن إشكالات الموضوع المطروح للدراسة ضمن الخطة التي اتبعناها ، اقتضى استخدام بعض المناهج التي فرضتها في الغالب طبيعة التعامل مع الموضوع ، فقد وظفت المنهج السردي لسرد مختلف الحقائق التاريخية كما وردت في مصادر التاريخ ، حيث سجلنا حضورا ليس بالقليل لهذا المنهج عند تتبعنا تراجم الشخصيات الواردة في بحثنا هذا خاصة تلك التي استرسلنا في الإحاطة بتفاصيل حياتها وانجازاتها أمثال يوسف بن تاشفين والمهدي بن تومرت وعلي بن يوسف ،كما استعملنا هذا المنهج في سرد بعض تفاصيل الحوادث التاريخية كما وردت من مناهلها الأصلية ، خاصة تلك المتعلقة بأشهر المعارك والحروب والثورات والتمردات التي تطرقنا لها ضمن فصول بحثنا هذا .

استخدمنا المنهج الوصفي في ثنايا هذا البحث خاصة ما تعلق منها بوصف أهم حواضر المغرب والأندلس بشكل خاص ، أو تلك المدن التي وردت عرضيا في دراستنا هذه ، كم استعملنا هذا المنهج في وصف معيشة ساكنة تلك الحواضر وطرائق حياتهم ، والتي قدمت لنا من خلالها كتب الجغرافيا المتقدمة والمتأخرة وصفا دقيقا أفادنا في رسم صورة شبه مكتملة عن حال تلك المدن ، كما استعملنا ذات المنهج حين نقلت لنا كتب الجغرافيا وصفا عن بعض الحروب و المعارك التي تضمنها بحثنا هذا كما هو الحال حينما قدم لنا الحميري في الروض المعطار وصفا دقيقا عن مجريات وقعة الزلاقة .

وظفنا المنهج التحليلي أحيانا محاولين تقديم تصور صحيح عن الواقعة التاريخية ، وذلك حين وجدنا اختلافا بين مصادر التاريخ حول عديد الوقائع التاريخية ، لنحاول أن نقدم مقاربة جديدة تتماشى مع ما قدمته لنا مصادر التاريخ الأساسية أو التبعية ، ولم أفوت الفرصة وانأ استخدم هذا المنهج عاكفا على تصحيح بعض ما جاء عند المستشرقين من مغالطات أو إساءات معتمدا في ذلك على الروايات الإسلامية .

وظفت المنهج المقارن بعض الأحيان وذلك عند مقارنة مختلف الروايات التاريخية محاولا ترجيح الصحيح منها ، كما هو الشأن في تقديم مقاربة صحيحة حول تواريخ بعض المعارك ، أو تواريخ بناء بعض المدن ، أو إعداد الجنود والقتلى في بعض معارك هذا البحث ، كما حاولت الخروج بتصور صحيح عن بعض الحوادث التاريخية التي تناولتها بعض المصادر المتحاملة على المرابطين لحساب الموحدين من خلال الاعتماد على مصادر أخرى بعيدة عن الموحدين تاريخاً وجغرافية ، وبالتالي كانت الكتابة التاريخية فيها نزيهة ، أو على الأقل بعيدة عن أي ضغط أو خوف أو إغراء ، لأننا نعرف أن الحوادث التاريخية دائما تحتاج إلى فترة استراحة لتتجلى حيثياتها أكثر فأكثر وتكون الكتابات اللاحقة عنها أكثر صدقيةً مادام صاحبها يتحرى الصدق .

تقييم المصادر والمراجع : استندنا في بحثنا هذا على باقة متنوعة من المصادر والمراجع العربية منها والأجنبية أفادتنا ووسعت دائرة معرفتنا أكثر ، ويمكن أن نقسمها على الشكل التالي :

1–المصادر : ويمكن تقسيمها هي الأخرى إلى :

أ–الوثائق والمراسلات : تعتبر الوثائق والرسائل من أهم مصادر بحثنا هذا كونها صادرة عن أطراف فاعلة في الدولة التي نحن بصدد دراستها ، وبالتالي هي من المصادر الأساسية ومن بينها تلك الرسائل التي نشرها الأستاذ محمود علي مكي وضمنها مراسلات هامة ، أو تلك الرسائل التي نشرها الأستاذ حسين مؤنس في كتابه الثغر الأعلى ، والتي من أهمها رسالة وجهها أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأمير أبو بكر معاتباً إياه اثر هزيمة معركة القلاعة 523هـ/1129م ، أو الرسائل التي أوردها عبد الله عنان والتي من ضمنها رسالة قاضي

سرقسطة إلى الأمير أبي الطاهر تميم عند محاصرة ابن رذمير للمدينة وقد نقلت لنا وصفا دقيقا عن معانة سكان المدينة المحاصرة ، كما تضمنت طلبا عاجلا للنجدة مذكرا أمير المرابطين بضرورة الذود عن الإسلام والذب عن حرمات المسلمين وديارهم ، أو تلك الرسائل الموحدية التي كان مهدي الموحدين يحث فيها أتباعه من القبائل على التخلي عن دعوة المرابطين ومذكرا إياهم بظلمهم وجورهم ، كما اعتمدنا على رسائل ابن العريف إلى أصحاب ثورة المريدين في الأندلس والتي تكشف حقائق عن ابن قسي مدعي المهدوية ، كما أن هناك مجموعة رسائل أخرى للأمراء المرابطين أو لقادتهم العسكريين تضمنتها كتب التاريخ كروض القرطاس ، أو الحلل الموشية أو وفيات الأعيان أو غيرها .

2-كتب التاريخ :

أ – الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي (حي سنة 726 ﻫ / 1326م) ، يعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر بحثنا هذا فهو ينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن تاريخ بلاد المغرب والأندلس على السواء ويرتب هذه الأحداث بطريقة كرونولوجية تساعد على ترتيب الحوادث التاريخية في ذهن القارئ والمؤرخ على السواء ، وقد افرد الفترتين المرابطية والموحدية بشيء من التفصيل ، فهو يتتبع أخبار المرابطين منذ ابتدائهم الدعوة إلى غاية سقوطهم عي يد الموحدين مرصعا كتابه ببعض الأشعار والرسائل والهامة .

ب – الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف أندلسي مجهول عاش في القرن الثامن الهجري (كان حياً سنة 783 ﻫ / 1381 م) ، ويعتبر هذا الكتاب ذو أهمية بالغة لأنه يسرد لنا أخبار المرابطين والموحدين بشيء من التفصيل ، وينقل لنا صورة مفصلة عن بدايات الدولة المرابطية وتأسيس مراكش ، كما يرصد لنا أخبار الصراع المرابطي الموحدي بشيء من التفصيل وهو ما جعل استفادتي منه تكون بالغة الأثر ، وما سجلناه -في رأينا- عن هذا المؤرخ هو تعامله بشيء من الحيادية فهو يتعامل مع الحدث التاريخي بصورة محايدة ، دون الوقوع في الانحياز لطرف ما ، وربما يعود ذلك لعدم معايشته عصر الدولتين .

ت– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حياً سنة 712 ﻫ / 1112م) ويعتبر من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب والأندلس ، وهو

يتشكل من خمسة أجزاء ، وكان اعتمادنا كبيرا في الجزء الرابع (قسم المرابطين) حيث ينقل لنا ابن عذراي أخبار دولة الملثمين بالتفصيل ويسرد لنا توسعاتهم في المغرب والأندلس ، كما ينقل لنا حروب المرابطين في الأندلس وجهادهم للمالك النصرانية ، كما استفدنا منه في نقل بعض وقائع الصراع المرابطي الموحدي ، أما الجزء الخامس (قسم الموحدين) فقد استفدنا منه في البدايات الأولى لدولة الموحدين المرافقة لآخر أيام دولة المرابطين ، وتكمن أهمية هذا الكتاب أيضا في اعتماده على مصادر أساسية أرخت لدولة المرابطين منها ما هو مفقود إلى اليوم كما هو الشأن بالنسبة لكتاب الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية لابن الصيرفي .

ث– نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لابن القطان (كان حياً سنة 628 هـ / 1231 م) وتكمن أهمية هذا الكتاب في معايشة صاحبه لفترة الموحدين وقربه زمنيا من فترة المرابطين ، فقد كان ابن القطان ذي شأن عند البلاط الموحدي وكان على صلة ببعض خلفاء الموحدين [1] ، ويرصد لنا هذا الكتاب المهم الأحداث التاريخية ابتداء من المائة السادسة ، ويرتب صاحب هذا الكتاب الأحداث بطريقة تسلسلية كرونولوجية (طريقة الحوليات) ، غير أننا سجلنا عليه بعض المآخذ التي وضعت كتابه غير ذي موضوعية فهو منحاز للموحدين على حساب المرابطين ويرجع ذلك – في نظرنا – إلى قربه من البلاط الموحدي الذي عصف بملك الموحـدين ، ورغم ذلك يبقى هذا الكتاب ذو أهمية بالغة لما يرصده لنا من حقائق تاريخية هامة .

ج– الاكتفاء في أخبار الخلفاء لابن الكر دبو س (القرن 6هـ/12م) يعتبر كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء من أهم المصادر المؤرخة للتاريخ المرابطي وذلك لقربه زمنيا من الأحداث ، حيث يقدم لنا صورة جلية عن حال الأندلس أيام ملوك الطوائف ويتتبع الصراع المرابطي النصراني في الأندلس منذ عهد يوسف بن تاشفين ، كما ينقل لنا صورة جلية عن هذا الصراع في عهد الأمير علي بن يوسف ، غير انه لم يتناول الصراع المرابطي الموحدي إلا بالإشارة إلى أن المهدي جاء به الله ليصلح ما افسد المرابطون الذين سماهم بالمجسمين ويعيد الدين إلى سابق عهده .

---

[1] أول الخلفاء الموحدين الذي قرب ابن القطان هو يعقوب المنصور (حكم بين سنتي 580 هـ – 595 هـ / 1184 م – 1198 م) إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه ، وبقي على نفس المكانة في عهد الخلفاء الموحدين الذين جاؤوا فيما بعد .

ح – تاريخ ابن خلدون (**العبر**) لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون (توفي سنة 808 هـ / 1405 م) إذ يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء السادس منه ، فهو يسرد لنا أخبار بلاد المغرب والأندلس ، وقد نقل لنا أخبار ساكنة جبال غمارة وبرغواطة وما آل إليه وضعهم الديني ثم ينقل لنا التاريخ المرابطي ومن بعده الموحدي بشيء من التفصيل ،كما استعنا بكتابه الآخر الموسوم بـ **المقدمة** والذي ضبطنا به بعض بعض الاصطلاحات .

خ – المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ / 1249 م) يعتبر هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة لان صاحبه عايش فترة الموحدين وكان قريبا جدا من فترة المرابطين ، وينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن جزيرة الأندلس وعن بلاد المغرب أيضا ، كما نقل لنا أخبار المرابطين الأولى بمراكش وعن جوازهم إلى الأندلس وحروبهم فيها وشخص لنا بعض أسباب اختلال أحوال المرابطين ، ضف إلى ذلك تزويدنا بأخبار ليست بالقليلة عن ثورة الموحدين ، حيث رسم لنا صورة حية عن بداية دعوة الموحدين وكذا الصراع المرابطي الموحدي في عهد المهدي بن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي ، غير انه ما يعاب على هذا المؤرخ هو تحامله على بعض أمراء المرابطين أمثال على بن يوسف بن تاشفين وتمجيده للخلفاء الموحدين كما سجلنا عليه أيضا في كتابه قوله سمعت ، نقل إلي ...الخ وهو ما يجعل كتاباته تفتقد شيئا من الدقة .

د–أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت 555 هـ / 1160 م) وتكمن أهمية هذا الكتاب في انه من المصادر الأولية والهامة لتاريخ دولة الموحدين ، خاصة فترة المهدي بن تومرت ، لأن البيذق كان كاتب المهدي بن تومرت الخاص وكان برفقته في كل مراحل حياته وهو ما جعله ينقل لنا أدق التفاصيل عنه منذ لقائه إلى وفاته ، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل المتعلق بالصراع المرابطي الموحدي ، حيث قدم لي الحقائق التاريخية بالتفصيل عن هذه الحقبة ، كما نقل لنا هذا الكتاب بعض أخبار الثائرين بالأندلس ، إلا أن ما يُعاب على البيذق انه كان منحازا إلى الموحدين ، كيف لا وهو من أبواق الدعاية لهم ، وكان مرافقا لزعيمهم المهدي بن تومرت ومن بعده لعبد المؤمن بن علي.

ذ- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630هـ/1233م) الذي يعتبر من كتب الحوليات وقد استفدت منه في أخبار المرابطين وعلة تسميتهم وأصلهم وبعض أخبار الفقيه عبد الله بن ياسين وحروبه ، كما رصد لنا تحركات المرابطين لفتحهم أقاليم المغرب الأقصى وابتداء أمر المرابطين بمراكش ، ورصد لنا تحركات المرابطين في الأندلس وبعض حروبهم مع النصارى ، كما استفدنا من هذا الكتاب في رصد أخبار مهدي الموحدين ابن تومرت حيث نقل لنا أخباره ورحلته إلى المشرق وكذا عودته إلى المغرب وابتداء أمره وحروبه مع المرابطين . ورغم موسوعية صاحب الكتاب وعدم اختصاصه بجغرافية معينة أو تاريخ معين ضف إلى ذلك بعده جغرافيا عن بلاد المغرب إلا انه زودنا بأخبار جمة ودقيقة في بحثنا هذا .

ر- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت 733هـ/1333م) نقل لنا هذا المصدر حقائق ومعلومات جمة عن دولة المرابطين ، حيث اعتمدنا عليه في ضبط اصطلاح الرباط والمرابطة ورصد لنا بعضا من أخبار الفقيه عبد الله بن ياسين ، وكذا تحركات المرابطين لفتح بلاد المغرب وبناؤهم لمدينة مراكش ، وفتوحات المرابطين في بلاد الأندلس ومجريات وقعة الزلاقة التي استرسل في ذكر وقائعها ، كما نقل لنا بعض أخبار أميري المرابطين يوسف بن تاشفين وابنه علي وحروبهم ضد نصارى الأندلس .

3 – كتب الرحلات والجغرافيا :

أ – كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري (ت 487 هـ / 1094 م) ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر المؤرخة لبدايات دولة المرابطين إذ يرصد لنا الأخبار بالتفصيل عن بدايات المرابطين وعن حركة ابن ياسين ، كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن بلاد المغرب والسودان الغربي إلى غاية تأسيس مراكش عاصمة المرابطين ، وينقل لنا أوصاف معايشهم وأسلحة جيوشهم ، ورغم ما قيل عن البكري بأنه لم يأت إلى المغرب بل دون أحداث كتابه بناء على ما سمعه ووصله من أخبار ، أو ربما كانت له مصادر أخرى للمعلومة ، غير أن كتابه هذا يبقى ذي أهمية ليت باليسيرة في تدوين بدايات التاريخ المرابطي.

ب – المغرب وارض السودان ومصر والأندلس للإدريسي (ت 560 هـ / 1165 م) ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة كونه قدم لنا وصفا دقيقا عن عديد الحواضر الأندلسية

والمغربية وحواضر أخرى ، وما يزيد في أهميته هو قربه زمنيا من دولة المرابطين وبدايات دولة الموحدين ، وهذا الكتاب سهل التناول من حيث ترتيب المدن .

ت – الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤرخ مجهول عاش في القرن السادس الهجري (كان حياً سنة 587 هـ / 1191 م) وهذا الكتاب بدوره ذو قيمة كبيرة لقربه زمنيا من أحداث هذا البحث وربما معايشته لبعضها ، فقد نقل لنا أخبارا عن المدن المغربية وما جرى بها من حوادث خاصة مدينة مراكش التي زودنا بأحداث هامة عنها ، وعن بنائها ثم بناء سورها فيما بعد وتتبع أخبارها إلى عهد الموحدين ، كما يقدم لنا وصفا مفصلا عن مدن السودان الغربي .

ث – الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ / 1327 م) ، رصد لنا هذا الكتاب معلومات قيمة عن مدن المغرب والأندلس أو مدن أخرى تناولتها دراستنا عرضيا ، حيث ينقل لنا أخبار هذه الحواضر وبدايات بناء بعضها وطرائق معيشة ساكنتها ، كما ينقل لنا أحيانا معلوما تاريخيه هامة خدمتنا في البحث كتلك المتعلقة بوقعتي الزلاقة و افراغة في الأندلس .

ج– استندت في دراستي هذه إلى كتب رحلات وجغرافيه أخرى على غرار **رحلة بنيامين التيطلي** (رحلته بين سنتي 561 – 569 هـ / 1165 – 1173 م) ، وكتاب **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف** لابن الخطيب ، و الرحلة الحجازية – المسماة **نسبة الإخبار وتذكرة الأخيار** – لابن الصباح الأندلسي ، **والرحلة المغربية** للعبدري (ت 720 هـ/ 1320 م) وكذا **كتاب الجغرافيا** لابن سعيد المغربي ، **ومعجم البلدان** لياقوت حموي ، وكتاب **المسالك والممالك** لابن خرداذبة ، حيث نقلت لنا صورا حية عن المدن المغربية والأندلسية .

4 – كتب التراجم والسير :

أ–الحلة السيراء لابن الآبار الأندلسي (ت 658 هـ 1260 م) اعتمدنا في بحثنا هذا على هذا المؤلف لرصد أخبار عن شخصيات وأعلام متعلقة ببحثنا هذا غير أن أهم خدمة قدما لنا ابن الآبار هي حديثه عن ثورة المريدين إذ انفرد بالحديث عنها رفقة مؤرخين قلائل أمثال ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام ، وتتبع مسيرة ابن قسي حتى وفاته ، كما قدم لنا معلومات

بالغة الأهمية عن ثورات القضاة بالأندلس ومجرياتها وبعض أخبار زعمائها ، كما اعتمدنا على مؤلفات أخرى لذات المؤرخ مثل كتاب المعجم وكتاب التكملة لكتاب الصلة وكتاب المقتضب من تحفة القادم وكتاب درر السمط في خبر السبط .

ب-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت 681 هـ/ 1282) وهذا الكتاب من أهم كتب التراجم والسير فقد استفدت منه في رصد سير بعض الشخصيات التي وردت في بحثنا هذا ، غير أن الأهمية البالغة في هذا الكتاب هو تقديمه لمعلومات قيمة جدا عن ثورة المريدين التي سبق أن اشرنا إلى الإشكالية التي وجدناها وهي شح المادة المصدرية ، فقد رصد لنا معلومات ذات قيمة عن ثورة المتصوفة المريدين في سياق حديثه عن حياة بعض الأطراف الفاعلة فيها .

ت-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (ت 544 هـ / 1149 م) : وقد قدم لنا هذا المؤرخ خدمة جليلة بنقله أخبار قيمة جدا عن الفقيه ابن ياسين وعن خضوع القبائل لسلطانه وعن حركته الجهادية في الجنوب أغفلتها بعض كتب التاريخ الأخرى ، كما اعتمدت على كتاب آخر له اسمه الغنية خاصة عند التطرق إلى سيرة القاضي الوليد بن رشد .

ث-مؤلفات الذهبي (ت 748 هـ/1348م) : اعتمدنا في دراستنا هذه على كتب الذهبي وهي سير أعلام النبلاء وكتاب العبر في خبر من غبر وكتاب دول الإسلام وكتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ورغم اتسام هذا المؤرخ بالموسوعية إلا انه قدم لنا معلومات قيمة تعلقت ببعض أعلام هذا البحث .

كما اعتمدت على كتب هامة أخرى مثل كتاب **الصلة** لابن بشكوال أو **التشوف إلى رجال التصوف** للتادلي أو **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** للتنبكتي أو **النجوم الزاهرة** لابن تغري بردي وغيرها .

5-كتب الفقه والنوازل والفرق: رغم أن كتب الفقه والنوازل لم تكن لتقدم إلي الكثير من المادة المصدرية بشكل مباشر وذلك لطبيعة الموضوع إلا أنني نهلت منها أحيانا معلومات افادتني فقد اعتمدت على كتاب **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** لابن القيم الجوزية الذي قدم لنا تفصيلا عن حقيقة عقيدة المهدي بن تومرت وكشف بعض تجاوزاته في الدين ونعته

بأوصاف تدحض بعض ادعاءات كتب التاريخ التي نزهته عن كثير مما قيل فيه ، كما دفعتني الحاجة إلى التنقيب في **الفتاوى** لشيخ الإسلام ابن تيمية فوجدت نفس ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية وقال بابتداعه أنواعا من المخاريق واستحل أرواح الناس وأموالهم ، كما اعتمدت على نوازل الونشريسي المعروفة **بالمعيار المعرب** حينما عثرت عرضيا على مقاربة أخرى لأسباب ثورة قرطبة عام 514هـ/ 1120م . كما اعتمت على كتب أخرى ككتاب **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني** للالوسي والذي استندت إليه في تفسير القرآن وعند الحديث عن الرباط ، كما اعتمدت على بعض كتب الفرق لتبيان أصلها وفكرها مثل كتاب **الفرق بين الفرق** للبغدادي أو **الملل والنحل** للشهرستاني أو **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الأندلسي مراعيا التنوع العقدي باعتمادي على كتب محسوبة على الشيعة مثل **فرق الشيعة** للنوبختي .

6- كتب الأدب ومعاجم اللغة :استندنا في بحثنا هذا إلى بعض معاجم اللغة لضبط معاني المصطلحات التي وردت في مصادر التاريخ إذ وجب علينا تبسيطها للقارئ ، ومن تلك المعاجم **لسان العرب** لابن منظور الذي هو من اشمل معاجم اللغة وأكبرها حيث جمعت مادته اعتمادا على خمس مصادر أساسية هي تهذيب اللغة للأزهري والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيدة وتاج اللغة للجوهري وحواشي ابن بري على صحاح الجوهري والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، كما اعتمدت على معجم آخر مهم وهو **مقاييس اللغة** لابن زكريا والذي بدوره اعتمد في مادته على خمسة مصادر أساسية أخرى ، واعتمدت على معاجم أخرى لضبط المصطلحات مثل كتاب **الصحاح** للجوهري أو كتاب **جمهرة اللغة** لابن خفاجة ، واعتمدت على بعض كتب الأدب مثل **ديوان ابن خفاجة** و **أمثال العوام في الأندلس** للزجالي .

2 – المراجع الحديثة :

أ–المراجع العربية : لم يكن لي أن أنجز بحثي هذا دون الاعتماد على باقة متنوعة من المراجع الحديثة ، منها ما هو عربي ومنها ما هو مُعرب ومنها الأجنبي ، ومن أهم المراجع العربية كتاب **دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين)** للأستاذ عبد الله عنان ، حيث

قدم لي هامشا معرفيا كبيرا وممنهجا عن التاريخ المرابطي وبدايات التاريخ الموحدي ، كما اعتمدت على مؤلفات الأستاذ حسين مؤنس التي خدمتني كثيرا في مواطن عديدة في بحثنا هذا ومن هذه المؤلفات **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين** الذي تناول جانبا من الصراع المرابطي النصراني في الأندلس معتمدا على مادة مصدرية قيمة ، وكذلك **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين** ، وكتاب **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس** ، وكتاب **شيوخ العصر في الأندلس** ، كما استندت في دراستي هذه إلى مؤلفات الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، مثل كتاب : **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، وكذلك كتاب : **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، ورغم أن الفرصة لم تتح لي أن التقي مع هذا الأستاذ المتخصص في الفترة المرابطية ، إلا أنني تواصلت معه من خلال كتبه ، كما قدم لي كتاب الأستاذ محمد العمراني بعنوان **حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العهد المرابطي – في القرن 6 هـ / 12 م** – صورة جلية عن أهم الثورات والتمردات ببلاد الأندلس في النصف الأول من القرن السادس الهجري .إضافة إلى اعتمادي على باقة متنوعة من الأطاريح الجامعية والمقالات والموسوعات المتخصصة .

ب–المراجع المعربة : ومن أهم الكتب المترجمة إلى العربية التي اعتمدت عليها كتاب **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** للمستشرق الألماني يوسف اشباخ ، حيث أن هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة للدارسين لهذه الفترة ، فقد قدم لي معلومات هامة جدا عن أوضاع الأندلس وأحيانا المغرب في عصر المرابطين وبداية الموحدين ، غير أننا سجلنا بعض الملاحظات على هذا المؤرخ فهو يحاول أحيانا أن يقلل من قيمة انتصارات المرابطين وأحيانا أخرى يصف بعض المتآمرين مع النصارى ضد المرابطين بالأبطال ، كما هو الشأن لما وصف عماد الدولة صاحب سرقسطة بالشجاع رغم ارتمائه في أحضان النصارى ، ومن بين المستشرقين الآخرين الذين اعتمدت على كتبهم نجد رينهرت دوزي في كتابيه **المسلمون في الأندلس** وكتاب **ملوك الطوائف** ، لكننا لمسنا في دوزي بعض التعصب وسجلنا فيها بعض التطاول على العنصر العربي إضافة إلى كتاب ليفي بروفنسال بعنوان **حضارة العرب في الأندلس** أو كتاب كارل بروكلمان بعنوان **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، وكذلك كتاب للأستاذ رشيد بوروبية بعنوان

: **ابن تومرت** ، حيث قدم لي دراسة مستوفية عن المهدي بن تومرت وعن حياته ورحلته ومعاركه مع المرابطين .

ت–المراجع الأجنبيةِ في لغتها الأصلية : من أهم الكتب الأجنبية في لغتها الأصلية التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا نجد :

A. LE CHATELIER في كتابيه **les musulmans français du nord de l'afrique** وكتابه الآخر المعنون بـ **l'islam dans l'afrique occidentale**، وكتاب : تاريخ اسبانيا (**histoire d'espagne**) للمؤرخ " دون رافاييل التميرا " (DON RAFAEL ALTAMIRA) ،كما اعتمدت على نسختين من دائرة المعارف الإسلامية صادرة إحداهما باللغة الفرنسية (**ENCYCLOPÉDIE DE L´ISLAM**) والأخرى باللغة الانجليزية (**the encyclopaedia of Islam**) واللتان قدمتا لي معلومات هامة متعلقة بالبحث ، إضافة إلى اعتمادي على مجموعة مقالات وملتقيات صادرة باللغة الفرنسية .

صعوبات البحث :

إن دراسة مواضيع بهذا تعمق لم تكن لتمر دون مواجهة عديد الصعوبات ، وقد كانت أول هذه الصعوبات عند الشروع في جمع المادة العلمية ومحاولة ترتيبها كرونولوجيا وجغرافيا ، إضافة إلى قلة المادة المصدرية في عدة مواطن من هذا البحث كتلك المتعلقة بجهاد أبو بكر بن عمر في منطقة السودان والذي أغفلته المصادر أو شح في المصادر المتعلقة بثورة المريدين وثورات القضاة .

من بين الصعوبات الأخرى ذاتية المؤرخين حيث صادفت في بحثي هذا انحياز بعضهم إلى جهة بعينها ضد جهة أخرى ، خاصة تلك المصادر التي راحت تمجد الموحدين على حساب المرابطين ، وأثناء تصفحي لهذه المصادر وجدت عبارات بينة الانحياز لدولة الموحدين على حساب دولة المرابطين ، فنجد بعض المؤرخين يصفون المهدي بن تومرت أو عبد المؤمن بن علي بعبارات تصل حد التنزيه من الخطأ فما بالك إذا تعلق الأمر بسرد حقائق عن دولة كانت تشكل لهم الند ، ومن أولئك المؤرخين أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق

الذي كان كاتب المهدي بن تومرت ، و ابن القطان والذي كان مقربا من البلاط الموحدي أو ابن الكردبوس في كتابه الاكتفاء في أخبار الخلفاء وكذا أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة ،

من الصعوبات الأخرى التي واجهتنا أثناء بحثنا هذا هي أسماء بعض الأماكن باللغة الامازيغية والتي تناولتها مصادر التاريخ بلغتها الأصلية ، والتي لم نعثر لها على اثر في خريطة المغرب الأقصى ، حيث عند دراستنا للصراع المرابطي الموحدي واجهنا هذا الإشكال الذي حال دون تحديد جغرافية تلك المعارك والوقائع بدقة على جغرافية المغرب الأقصى .

من بين الصعوبات الأخرى هي افتقاد بحثنا هذا إلى مخطوطات قد تزيد من قيمة البحث ، ذلك أن المخطوطات التي سافرنا من اجل الحصول عليها إلى المغرب الأقصى وجدناها صارت في عداد المحقق ويتعلق الأمر بالمخطوطات المتواجدة في المكتبة الوطنية المغربية بالرباط ، وعند توجهنا إلى الخزانة الحسنية بذات المدينة وجدنا فيها الأشغال جارية مما صعب التواصل مع إدارة المركز ، ورغم تخطينا لهذا المشكل إلا أننا وجدنا مشكلا آخر وهو الشروط الجديدة التي فرضتها الإدارة نظير الاستفادة من مخطوطات المركز ، وهي شروط تتعلق بوثائق أخرى لم تكن حاضرة معنا رغم الترسانة التي أعددناها من الوثائق مسبقا قبل سفرنا تفاديا لهكذا مشكل ، ورغم طلبنا الملح لعمال إدارة المركز بتصوير بعض المخطوطات إلا أننا وُوجهنا بالرفض بحجة تعارض ذلك مع تعليمات المركز . رغم أننا لا ننكر التعامل اللبق للمشرفين على المركز معنا .

الشكر :

بعد الشكر لله عز وجل أولا وآخراً الذي وفقني في كل حياتي وأبحاثي وعملا بالحديث النبوي الشريف ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) لحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم نتقدم بعبارات الشكر لكل من ساعدنا في إخراج هذا العمل إلى النور – على بساطته – واخص بالذكر الأستاذة الدكتورة نشيدة رافعي ، التي طالما كانت صبورة عني وأمدتني بما ينقصني من معلومات وأرشدتني إلى بعض المصادر والمراجع ، والتي تشرفت بان أكون من خريجي مدرستها ، كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد لكي اخرج هذا العمل الجد متواضع إلى النور من بين أولئك خالد حمون بجامعة سطيف و وعمر راكة من

تلمسان وندات احمد من المدية وشعيب خنوف من برج بوعريريج وزملائي الأساتذة بجامعة المسيلة الذين هم كثر ولا يسع المقام لذكرهم ، كما لا يفوتني أن أقدم شكري الخالص إلى الأستاذين الفاضلين الدكتور محمد العمراني والدكتور الحاج ساسيوي الفيلالي من المغرب الشقيق ، واللذين لم يبخلا علي بما طلبته من مادة علمية لم تطلها يدي هنا في الجزائر ، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى المشرفين على المكتبة الوطنية المغربية بالرباط الذين سهلوا لنا عملية الحصول وطباعة المادة العلمية التي اعتمدنا عليها ، كما اخص بالشكر الجزيل العاملين في مركز آل سعود بالدار البيضاء المغربية حيث فتحوا لنا الأبواب على مصراعيها وقدموا لنا كل ما طلبناه من مادة علمية ولا أنسى تقديم شكري لكل أساتذتي الذين درسوني في الجامعة في مرحلتي ما قبل وبعد التدرج ، وكل المعلمين والأساتذة الذين تتلمذت على يدهم ، وكل من علمني ولو حرفا .كما ارفع أسمى عبارات الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الأطروحة .

الباب الاول

حروب المرابطين في العدوتين

المغربية والاندلسية

الفصل الاول : حروب المرابطين الاولى وفرض سلطانهم بالمغرب

الفصل الثاني : حروب المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين

الفصل الثالث : حروب المرابطين في الاندلس منذ 500 ه الى سقوط الدولة

الفصل الاول : حروب المرابطين الاولى وفرض سلطانهم بالمغرب

اولا : نسب المرابطين

1-المرابطون (المصطلح والجغرافيا)

2-نسب المرابطين

3-الفقيه والسلطة في دولة المرابطين

ثانيا : حروب المرابطين في الدور الصحراوي

1-عبد الله بن ياسين والنواة الاولى لدولة المرابطين

2-حياة المرابطة

3-المشروع الجهادي لعبد الله بن ياسين

ثالثا : حروب المرابطين في الدور المغربي

1-اسباب الفتح

2-حروبهم منذ 447 هـ/ 1056م الى تولي يوسف بن تاشفين الامارة

اولا : نسب المرابطين

ظلت بلاد المغرب منطقة ذات أهمية كبيرة على مر التاريخ ، جعلت منها محط أنظار الكثير من القوى على مر التاريخ، ومن أهم القوى الإسلامية التي ظهرت فيها دولة المرابطين اللمتوينين التي شكلت طاقة نافعة للدفاع عن الإسلام والمسلمين في المغرب والأندلس فيا ترى ما هو أصل المرابطين وموطنهم ؟ وكيف قامت دولتهم وتوسعت في المغرب والأندلس ؟

1- المرابطون (المصطلح والجغرافيا) :

اسم المرابطين مشتق من كلمة المرابطة ومعناها المسلمون الورعون المنقطعون للعبادة في المكان الذي يسمى الرباط ، والرباط عند ابن منظور هو الإقامة على جهاد العدو [(1)] ويرى النويري أن المرابطة في سبيل الله تنزل من الجهاد في سبيل الله منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة، لأن المرابط يقيم في وجه العدو متأهباً ومستعداً ، حتى إذا أحس من العدو أي حركة أو هجوم نهض لمقاتلته، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا فإن دخل الوقت وحضر الإمام قام للصلاة، ويضيف النويري قوله :" لا شك أن المرابطة في سبيل الله أشق من الاعتكاف، وسنة المرابطة في سبيل الله أن يعد المسلمون من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه، ذلك أن انتظار الوقعة من غير الاستعداد لها يعرض للهلاك".[(2)]

---

[1] – ويضيف ابن منظور مسترسلا في شرح الرباط حيث يقول ان الرباط من الفعل ربط الشيء وربطه ربطا ، والجمع ربط ، والرباط هو المواظبة على الامر وتعني كذلك ملازمة ثغر العدو، واصله ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ، وبعدها صار لزوم الثغر رباطا ، وربما سميت الخيل انفسها رباطا ، كما يضيف لنا ابن منظور معنى اخر للرباط بقوله انه هو المواظبة على الامر ، ومن معانيه ايضا المحافظة على مواقيت الصلاة ، وفي الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط كما تعني المرابطة الاقامة على جهاد العدو ، وربط الله على قلبه اي ألهمه الصبر . ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله على الكبير واخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، مج6، ص1561 ؛

[2] – النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق : على بوملحم ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004،ج6 ، ص ص 169 – 170 ، اما الطبرى فيرى ان الرباط هو ارتباط الخيل بالعدو ، ثم اطلقت على كل مقيم على ثغر مدافعا ثمن المسلمين ، ويزيد المعنى تاكيد وتدقيقا ابو القاسم البرزلي الذي يرى بان الرباط هو موضع الحرس في الاوقات التي يتوقع فيها العدو

أما العلامة الألوسي البغدادي في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني فقال: بأن الرباط اسم الخيل التي تربط في سبيل الله تعالى ويضيف بقوله أن الرباط لفظ مشترك بين معاني الخيل وانتظار الصلاة بعد الصلاة والإقامة على جهاد العدو بالحرب [1]، ومنه جاء المرابط أي الملازم للثغر دفاعاً عن الإسلام[2] ، حيث يقول الله عز وجل: << يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ >> [3] وقوله أيضا: << وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ >>[4]. ويحتوي الرباط على برج للمراقبة وحصن صغير، وقد أقام ولاة الثغور كثيرا من هذه الربط لحماية حدود الدولة الإسلامية، فكان في بلاد ما وراء النهر عشرة آلاف رباط، وأقيمت الربط في سواحل بلاد المغرب لصد هجمات البيزنطيين حتى أن القائد عقبة بن نافع الفهري عندما أراد بناء القيروان اقترح عليه أصحابه بناءها في الساحل للمرابطة فيها وقالوا له: << قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين >>.[5]

هذه هي علة التسمية الأولى حيث ينسبون إلى الرباط.

، فاذا كان العدو حاضرا فهو حرس ، وعموما يلخص LUCIEN GOLIVIN معنى الرباط لفظا ووظيفةً بانه عبارة عن ثكنة محصنة ثم تحول الى مكان يُقصد لتعلم فنون الحرب استعدادا للجهاد ، واوقات الفراغ فيه تخصص للعبادة ، كما ان الرباط يعني المدينة المحصنة التي يمسكنها رجال الحرب والدين . الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر– خلال القرنين 6 و 7 الهجريين ، 12 و 13 ميلاديين – ، دار الهدى للطباعة عين مليلة . 204، ص 54 ، هامش (2) ؛ ZAHIR IHADDADEN : l'histoire décolonisée du magreb – lalgerie de 1510 à 1962 - , éditions dahlab ,alger , 2013 , p 132 .

1 الألوسي :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،د.ت ، مج10 ، ص25.

2 سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والاندلس—عهد يوسف بن تاشفين–، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985، ص ص23- 24.

3 سورة ال عمران ،الاية 200 .

4 – سورة الانفال ، الاية 60.

5 سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص24 ؛ وعلى ذكر الاربطة يؤكد الاستاذ محمد الامين بلغيث ان رباط المنستير في تونس هو الوحيد الذي بقى على هيئته الاصلية ، وهو اقدم رباطات المغرب ، حيث شكل نموذجا لبقية الرباطات. محمد الامين بلغيث : فصول في التاريخ والعمران بالمغرب الاسلامي ، ط1 ، منشورات انترسيتي ، الجزائر ، 2007 ، ص39.

وهناك من يقول بأن اسمهم مشتق من الثوب البسيط (اللمت) لذلك فهم قوم رحل.[1]

كما يعرف المرابطون باسم الملثمين حسب رواية عديد المصادر التي تناولت سيرتهم وتاريخهم بهذا الإسم ومن أمثال هؤلاء المؤرخين ابن الأثير وابن عذارى وصاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية [2] ،لكن مدلول التسمية كان محل خلاف، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن اللثام أصبح زيا رسميا لدولة المرابطين حيث أن الله أكرمهم ونجاهم بفضله من عدوهم فلازموه [3] ، وذكر لنا ابن خلكان تفسيرا حول سبب ارتداء اللثام نقلا عن ابن الاثير، هو أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم وخالفهم العدو إلى بيوتهم، ولم تكن بها إلا المشايخ والنساء والولدان، فلما أدرك الشيوخ من إغارة العدو أمروا النساء بلبس ثياب الرجال وأن يتلثمن ويضيقن اللثام حتى لا يعرفن، ويلبسن السلاح ففعلن ذلك ، وتقدم الشيوخ والصبيان أمامهم واستدارت النساء بالبيوت، فلما أشرف العدو ورأى جمعا عظيما من الملثمين فظنهم رجالا وقالوا: هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت، فعلينا بجمع النعم والتقهقر، فإن تبعونا قاتلناهم بعيدا عن نسائهم، فبينما العدو منشغل بجمع النعم من المراعي أقبل الرجال فبقي العدو وسطهم (أي بين الرجال والنساء الملثمين) هجموا

---

[1] – يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 (قسم المرابطين) ، ص 67 ؛ جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الاسكندرية ،1991، ص 175.

[2] – عبد الرحمان بن خلدون : تاريخ ابن خلدون – المسمى ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر من عاصرهم من ذوي الشان الاكبر– ، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ،ج 6 ، ص 241 ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق : محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، ج 8 ، ص 327 ومابعدها ؛ ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : احسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 4 (قسم المرابطين)، ص 07 ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهل زكار وعبد القادر زمامة ، ط 1 ، دار ارشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979 ، ص 19 ؛ احمد مختار العبادي : صورة من حياة الحرب والجهاد في الاندلس ، ط 1، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 95 ؛

MAHFOUD KADDACH : l'algerie medivale ,sociéte nationale d'edition et diffusion ,Alger , 1982 , P :99.

[3] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 19 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (430 – 515 هـ / 1038 – 1121 م) ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988 ، ص 29 ؛ محمود السيد : تاريخ دولة المرابطين والموحدين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2007 ، ص 23 ؛ علي محمد الصلابي : الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، 2003 ، ص 11 .

عليه وقتلوا من العدو خلقا كثيرا، ومنذ ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه، لا يعرف الشيخ من الشاب، ولا يزيلونه ليلا أو نهارا.[1]

وذكرت روايات أخرى أن سبب ارتدائهم اللثام – الذي هو علة تسميتهم به- هو شدة الحر أو ربما للتمويه عن الأعداء، وقد كانوا شديدي التمسك بهذه العادة.[2]

ومن الأبيات الشعرية التي وردت في ارتدائهم اللثام:

قوم لهم درك العلا في حمير	وإن انتموا صنهاجه فهمُ همُ
لما حووا احراز كل فضيلة	غلب عليهم الحياء فتلثموا [3]

من الواضح أن علة ارتداء اللثام حسب هذه الأبيات التي نقلها لنا ابن خلكان هو الحياء.

ومن الأسماء المشهورة بعدائها للمرابطين هي تسمية الزراجنة حيث أطلق هذه التسمية المهدي بن تومرت ومفردها زرجان وهو طائر أبيض الريش أسود البطن حيث أنه – حسب اعتقاد ابن تومرت- المرابطين بيض الثياب سود القلوب، ويسميهم كذلك ابن تومرت بالحشم لاستخدامهم اللثام، كما تفعل نسائهم [4].

أما موطنهم (الجغرافيا) فهو الصحراء الكبرى من قارة إفريقيا من بلاد غدامس [5] شرقا إلى البحر

---

[1] ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،1994 ، ج 7 ، ص 129 ؛ ويورد لنا ابن دحية بيتين من الشعر حول اللثام وشجاعة المرابطين بقوله :

واذا لثموا بالريط خلت وجوههم	ازاهر تبدو من فتوق كمائم
وان لثموا بالسابرية اظهروا	عيون الافاعي من جلود الاراقم.

والريط هو الثوب الخفيف

ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب . تحقيق : ابراهيم الابيارى واخرون ، دار العلم ، بيروت ، د. ت ، ص91.

[2] – ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 129 ؛ علي محمد الصلابي : دولة المرابطين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007 ، ص 10 ؛ والريط يقال لكل ثوب رقيق لين . ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (د.م) ، 1979 ، ج2 ، ص 467 .

[3] –ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 130.

[4] - البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين؛ دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971 ، ص 36 ، هامش 59 .

[5] –غدامس منطقة شاسعة ماهولة بها عدد كبير من القصور والقوى الكبيرة ، تبعد الى الجنوب من البحر المتوسط بنحو مائة فرسخ ، يقتات اهلها على التمور واموال التجارة ، اكثر تجارتهم مع بلاد السودان وهي قليلة الحبوب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ص 187 ، الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط 1

المحيط (المحيط الأطلسي حاليا) غربا [1].

وتمتد جنوبا حتى بلاد السنغال مرورا ببلاد السوس [2] ووادي درعة [3] وحتى صحراء شنقيط (موريطانيا الحالية) [4].

والملاحظ أن الخصائص الطبيعية لجغرافية هذه المنطقة تتميز بالقسوة. فبلادهم قليلة الأمطار، عديمة الأنهار، لذلك أهلها رحل تعودوا على الشغل والتنقل [5] ، وصفهم صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية بقوله:<< هم ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة،

، مكتبة لبنان ، بيروت ،1975 ، ص 427 ؛ مارمول كرنجال : افريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984 ، ج 3 ، ص ص 173 – 174 ؛ عبد الحكيم عفيفي: موسوعة 1000 مدينة اسلامية ، ط 1 ، دار اوراق شرقية ، بيروت ، 200 ، ص 348.

[1] –من اسمائه المحيط الاطلنطي ، ويعرف في الجغرافيا العربية باسم البحر المحيط وكذلك البحر الاعظم وبحر الظلمات . يوسف اشباخ : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 67 ، هامش (3).

[2] – تقع جنوب المغرب الاقصى ، مدينة جليلة وحاضرة جامعة لكل خير وفضل يكثر بها السكر ، بها فواكه كثيرة ، اهلها احلاط (اي خليط). الحميري: المصدر السابق ، ص 329 ، فيها خيول واغنام كثيرة وبها منتوجات كثيرة من الحبوب والحوامض وفيها قصور منغلقة وقلاعها محصنة. ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا . تحقيق : اسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970 ، ص 123 ؛ مرمول كرنجال : المرجع السابق ، ص ص 139 – 14.

[3] – نسبة الى النهر الكبير الذي تتفجر عيونه بين جبال الاطلس متدفقة نحو الجنوب ، ويبلغ طول هذا النهر زهاء تسعين فرسخا توجد واحات خامة على طرفي هذا النهر ينتفع بها الناس ، تحدها شرقا سجلماسة وجنوبا بلاد السوس وشمالا جبال الاطلس المحاذية لمراكش . مرمول كرنجال :المرجع السابق ، ج 3 ، ص 144 وما بعدها ؛ وقال عنها ابن خرداذبة بانها آهلة بالسكان وغنية بمعدن الفضة . ابن خرداذية : المسالك والممالك ، تحقيق : دي غوية ،طبعة ليدن ،1889 ، ص 88 ؛ وينقل لنا الحميري وصفا عنها بقوله مدينة عامرة آهلة ، بها جامع واسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة ، فيها جميع الفواكه وتكثر بها الحناء حيث منها تجلب الى سائر المناطق لطيبها ، بينها وبين سجلماسة ثلاثة مراحل والى السوس اربعة ايام. الحميري : المصدر السابق ، ص ص 235 – 236 .

[4] – محمد محمود عبد الله بن بية : الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ، دار ابن حزم ، بيروت ،2000 ، ص 50 ؛ الخليل النحوي : بلاد شنقيط – المنارة والرباط – ، اصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ،1987 ، ص 19 ؛ ISMAEL HAMET : histoire du maghreb , editions ernest leroux , paris , 1923 , p 79 .

[5] – الصلابي : دولة المرابطين ، ص 10 ؛ الصلابي : فقه التمكين عند دولة المرابطين ، ط 1 ، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2006 ، ص 10 ؛ وقد وصفهم ارشيبالد لويس بانهم اكثر قبائل البربر بداوة . ارشيبالد.ر.لويس :القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط (500هـ/1100م) ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص 362 .

مراحلهم في الصحراء، ما بين بلادهم وبلاد الإسلام مسيرة شهرين... وهم على دين الإسلام واتباع السنة، يجاهدون غيرهم من طوائف السودان>>[1].

يصفهم ابن خلدون بقوله : << هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفز وراء الرمال الصحراوية بالجنوب،ابعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها >> [2]، أما السلاوي صاحب الاستقصا فيصفهم بقوله :<< وموطن هؤلاء الملثمين أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولا في أربعة عرضا، وفيهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا فاكهة، وإنما أموالهم الأنعام وعيشتهم اللحم واللبن >>[3] ، ومن خلال أوصاف المؤرخين يتبين أن معظم بلادهم جرداء قاحلة، يرتحلون باستمرار، ثم توسعت دولتهم شمالا لتقضي على ملوك الطوائف بالأندلس وتضم هذه الاخيرة [4].

ويؤكد الأستاذ محمد الأمين بلغيث إن قيام دولة المرابطين الملثمين في صحراء افريقيا كان له الدور البالغ في ربط علاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي لافريقيا، تلك العلاقة التي شكلت انموذجا للصراع على المواد الأولية والنفائس كالذهب والفضة [5].

---

[1] - مجهول : الحلل الموشية ، ص 17 .

[2] - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 241 . ويواصل ابن خلدون وصف حالهم بقوله :<<واعتاضوا منها بالبان الانعام ولحومها انتباذا عن العمران ، واستئناسا بالانفراد ، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر... واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الامم>>

[3] - السلاوي : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1994 ، ج 2 ، ص 3 ؛ ابو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، د. ت ، ص 164 ؛ محمد الطمار : المغرب الاوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص 17 .

[4] - محمد الامين بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي ، ط 1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007 ، ص 9.

[5] - محمد الامين بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2006 ، ص 36 ، وهو نفس ما ذهب اليه الاستاذ سعد زغلول الذي اكد على اهمية هذه الثروات مضيفا اليها ثروة الملح . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، مطبعة اطلس ، القاهرة ،1990 ، ج 3 ، ص 513 .

2- نسب المرابطين:

تنوعت الروايات التاريخية التي تروي نسب المرابطين [1] فقد ذكرت أنهم من قبائل صنهاجة والتي بدورها تضم أكثر من 70 قبيلة [2] بربرية من أشهرها قبيلة لمتونة. [3] ومسوفة ولمطة وجدالة، وهي القبائل التي شكلت نواة الدولة المرابطية.[4]

ويذكر أبو عبيد الله البكري أن نسبهم يرجع إلى صنهاجة حيث يؤكد ذلك بقوله : << قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم فيه مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام... وهم إلى بلاد السودان أقرب... ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا، إنما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن، ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله، إلا أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان يطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق، وهم على السنة مجاهدون>>[5].

---

[1] -ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص17 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 17 ؛ مجهول : مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط 1 ، دار ابي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص 144 .

[2] - ذكر لنا ابن حوقل كثرة القبائل المغربية معبرا عن ذلك قوله <<ولو قلت اني لم اصل الى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا ، اذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور ، والعلماء بانسابهم واخبارهم واثارهم هلكوا ، وكنت قد اخذت عن بعضهم رسوما اثبتها ، ولم ارجع منها الى غير ما قدمته من ذكر قبائلهم>>ابن حوقل : صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 ، ص 103 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 3 ؛ شوقي ابو خليل : الزلاقة – بقيادة يوسف بن تاشفين – ، دار الفكر ، دمشق ، 1993 ، ص 22 ؛السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969 ، ص 238 .

CHARLES-ANDRE JULIEN: Histoire De L'afrique Du Nord – De Laconquéte arabe a 1830- , 2 Edition imprimerie grou-radenez , Paris , 1978 , p: 77.

[3] - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 327 ومابعدها ؛ مجهول : مفاخر البربر ، ص144.

[4] - الصلابي : دولة المرابطين ، ص 09.

[5] - البكري : المصدر السابق ، ص 164. ويواصل البكري حديثه بوصف قبيلة جدالة بقوله :<< وخلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بني جدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه احد وهذه القبائل هي التي قامت بعد الاربعين واربعمائة ، بدعوى الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون بمذهب الامام مالك>>.

ويقر بعض المؤرخين أمثال ابن عذارى المراكشي بنسب المرابطين إلى قبيلة لمتونة أحد بطون صنهاجة التي ترأست بقية القبائل، لذلك اختصت لمتونة بلقب الملثمين، ثم صار هذا اللقب شعارا يطلق على كل من وقف إلى جانب لمتونة وساندها.[1]

ويؤكد ابن عذارى المراكشي أن نسب أمراء دولة المرابطين ينتمي إلى جد مشترك يدعى منصور، وافترقت أفخاذهم من الجد << ترجوت بن ورتاسن بن منصور [2] بن مصالة بن أمية بن وانمالي الصنهاجي >>[3]، وتفرق من أولاد ترجوت الثلاثة (محمد ، حميد، ابراهيم) بطون كثيرة، ويذهب ابن عذارى بالقول أن المرابطين أصلهم صنهاجيون من حمير حيث يقول: << إن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير>>[4]

أما بن خلكان فذهب في نفس التوجه بقوله أن نسبهم يرجع إلى حمير حيث يورد ذلك بقوله:<< والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ، ويسكنون الصحاري الجنوبية وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر>>[5]

أما ابن خلدون فيقول أنهم موطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ويضعهم في الطبقة الثانية من قبائل صنهاجة . ويقول بأنهم اصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتمدوا البان الأنعام ، ولحومها أساس طعامهم ، ويذهب ابن خلدون بالقول إلى أن أصل

---

[1] – ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 17 ؛ الصلابي : دولة المرابطين ،ص 9 ؛ محمد الامين بلغيث : الحياة الفكرية بالاندلس في عصر المرابطين ، اطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1423 – 1424 هـ / 2002 – 2003 م ، ص 45 ؛ LÉON GELEY :l'Espagne des goths et des arabes , leopold cerf editeur , paris , 1882 , p 108 .

[2] – يورده صاحب الحلل الموشية باسم تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي الصنهاجي ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 24.

[3] – ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 17 .

[4] – نفس المصدر ، ج4، ص 46.

[5] – إبن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 128 ؛ وقد رجح الاستاذ عيسى بن الذيب نفس النسب وهو حمير . عيسى بن الذيب : المغرب والاندلس في عصر المرابطين – دراسة اجتماعية واقتصادية 480 – 540 هـ / 1056 – 1145 م – ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م ، ص 5 .

المرابطين من ريف الحبشة وصاروا بين البربر وبلاد السودان ، واتخذوا اللثام وتميزوا بشعاره بين الأمم.[1]

أما ابن الأثير فيقول بأن ابتداء أمر المرابطين كان سنة 448هـ/1056م وقد نسب قبائلهم إلى حمير وأن مسيرهم من اليمن كان ايام الخليفة ابوبكر الصديق(رضي الله عنه) فسيرهم الى الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم دخلوا الى المغرب مع موسى بن النصير ثم توجهوا الى طنجة [2] وأحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها. [3]

يؤكد ابن أبي زرع الفاسي صاحب روض القرطاس أن المرابطين من لمتونة ويرجع أصلهم الى صنهاجة حيث أورد في كتابه قوله:"وروى أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن افريقش لما نقل البربر عن الشام ومصر الى المغرب وبنى مدينة افريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب ، ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكتامة ، وهما في البربر الى اليوم ، وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أب صنهاجة بن حمير بن سبأ جد حمير بن سبأ لصلبه" [4] ويضيف ابن أبي زرع قوله عن صنهاجة بأنها فخذ من هوارة، وهوارة فخذ من حيمر يمنيون من ولد الصوار بن وائل بن حيمر، وإنما سموها هوارة لأن أباهم المشهور لما جال في البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد افريقية قال : لقد تهورت في البلاد ،

---

1 – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 214.

2 – مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر ، أسسها الرومان عندما كانوا مستولين على الاندلس ، موقعها على شاطيء المحيط ، على بعد خمسين فرسخا من فاس الى جهة الشمال ، تحيط بها اسوار متينة محصنة بخنادق وحصون ، وهي مليئة بالمراعي الحصبة مزدانة بالبساتين لكثرة المياه. البكري: المصدر السابق ، ص 104 ؛ ابن الخطيب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص 147 ؛ مردول كربحال : المرجع السابق ، ص 208 وما بعدها ؛ ينقل لنا الحميري ابياتا شعرية عن ماء طنجة:

بطنجة عين ماء وسط رمل   لذيذ ماؤه كالسلسبيل

خفيف وزنه عذب ولكن   يطير بشاربيه الف ميل.

ويضيف قائلا ان بها رخام كثير وحجر منحوت جليل تمر عليها القوافل و الجيون نحو الاندلس. الحميري : المصدر السابق ، ص 396.

3 – ابن الاثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 208 وما بعدها .

4– ابن ابي زرع الفاسي : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 119.

فسموا هوارة[1] وفي رواية أبو فارس عبد العزيز المادودي الشاعر –رحمه الله–في ارجوزته المسماة " نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك " يتفق مع كثير من المؤرخين في نسب صنهاجة [2] الى حمير حيث يقول:

مرابطون أصلهم من حيمر قد بعدت انسابهم عن مضر

كانوا ملوكا في الزمان الاول وأمرهم وحالهم لم يُجهل

وقد رأيت في كتاب النسب قولا اعجز به أهل الادب

بأن صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلب لا العنصر

اكرم به من نسب صريح فقله لا تخف من التصريح

عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور

قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا في عزبنا وبلغوا فيه المنا.[3]

ويِؤكد ابن أبي زرع أن صنهاجة تنقسم الى سبعين قبيلة ، منهم لمتونة وكدالة ومسوفة ولمطة ومسراتة و تكلاتة ومنداسة وبني وارث وبني مسفير وبني دخير وبني زياد... وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى وهده القبائل كلها صحراوية حوز بلادهم في القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة أربعة أشهر عرضا.[4]

---

[1] – رواية ابن ابي زرع مبنية على الترجيح يتضح ذلك في قوله فسموا هوارة بذلك والله اعلم . نفس المصدر ، ص119.

[2] – يذكر لنا صاحب مفاخر البربر نقلا عن الطبرى ان صنهاجة مشتقة من صنهاج وهو اسم لرجل يدعى صنهاج بن نصيوكان بن مسيور ، ويرتقي نسبه الى يعرب بن قحطان . مجهول : مفاخر البربر ، ص144 ؛ ويذكر لنا ابن حزم الاندلس أن منهم بنو الغليظ رهط أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى الأديب، ومنهم بنو دراج ومنهم بأشونة بنو عبد الوهاب من ولد ميمون بن ابي جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد.

ابن حزم الأندلسي جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص ص 501-502.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 120.

[4] – نفسه .

أما أبو العباس أحمد بن خالد الناصري المعروف بالسلاوي صاحب الاستقصا فيقول بعكس ذلك : << والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر>>[1]

أما المؤرخ الالماني يوسف اشباخ فيقول بأن المرابطين من بني كدالة (جدالة) الذين هم أحد بطون صنهاجة حيث يقول <<أصلهم...الى قبيلة صنهاجة التي نزحت من بلاد العرب إلى المغرب وكانوا من البدو الرحل يتنقلون في صحاري افريقية من واحة إلى أخرى حتى انفصلوا في النهاية عن باقي القبائل ونزلوا في قاصية غربي افريقيا على مقربة من المحيط الاطلنطي >>[2]

وكانت صنهاجة تستقر بأعماق الصحراء بأرض موريطانيا الحالية [3] ورغم أننا أوردنا العديد من مصادر التاريخ التي تناولت أصل المرابطين ونسبهم إلا أن هناك مؤرخون في النسب ضاعت مصنفاتهم أمثال سابق بن سليم المطاطي وهاني بن مسرور الكومي ، وأيوب بن ابي زيد ، وكهلان بن ابي لو،وصالح بن عبد الحليم ، وابو المجد المغيلي ، وهاني الضريسي.[4]

[1] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 3. ويضيف بقوله في ذات الصفحة :<< وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى لاسبعين منهم لمتونة وكدالة ومسوفة ومسراتة ومداسة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زياد وبنو موسى...وغير ذلك، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوت الحصر، وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان، إحداهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين بإفريقية، ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والأخرى دولة الملثمين بالمغرب الأقصى والاوسط والأندلس>>.

[2]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص 67 ويواصل يوسف أشباخ وصف المرابطين في ذات الصفحة بقوله: << كانوا يجهلون العلوم والفنون والكتابة... وقد حرموا تذوق الرفاهية التي تخلقها حضارة الإنسان ولكن كانوا أيضا بمنجاة من الرذائل التي تترتب عادة على ارتفاع مستوى الحياة>>. يتضح من كلام المؤرخ الألماني يوسف أشباخ أن حياة المرابطين اتسمت بالبساطة والابتعاد عن التكلف والانغماس في ملذات الحياة وأبهة العيش، وهذا ما اوردته كثير من مصادر التاريخ، كما ذكرنا بعضها سالفا.

[3] – محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائرن 1984، ص 41؛ عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ– العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني–، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 292.

[4] – ابراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 8، هامش (1).

3–الفقية والسلطة :

من أولى اهتمامات دولة المرابطين هو اقامة دولة مجاهدة آمره بالمعروف ناهية عن المنكر [1] ومحاولة بذلك تغيير الاوضاع التي آلت إليها المنطقة ، فقد قامت دولة المرابطين على المذهب السني المالكي [2]وقد كان نظام الشورى واختيار الأمير من اولى اهتماماتهم [3] وذلك انقياداً لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم : << فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ >>[4] وقوله أيضا: << وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ>> .[5]

إن الدافع النبيل المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جعل دولة المرابطين تلتزم بتعاليم الشريعة الاسلامية في كل تنظيماتها العسكرية والإدارية.[6]

قبل تبلور دولة المرابطين كمشروع سياسي في المنطقة لم تكن سوى منهجا للتغيير والإصلاح الاجتماعي والديني خاصة وأن الفساد دب في وسط المنطقة وانتشر وسط المغاربة.[7]

فقد ظهرت عدة شخصيات نادت بضرورة هذا التغيير والاصلاح أمثال الأمير يحي بن ابراهيم

---

[1] – كان هذا محور لقاء الفقيهين أبو عمران الفاسي ويحي ابن ابراهيم حيث تباحثا خلال لقائهما حول الأوضاع السائدة وسبل تغييرها، واتفقا على أن بلوغ هذا الهدف لا يتأتى إلا بإقامة دولة مجاهدة يتربى أفرادها منذ الصغر على سلوكيات وتعاليم الحق والجهاد.

ابن بية : المرجع السابق، ص 55.

[2] – البكري: المصدر السابق، ص 164؛ الصلابي: دولة المرابطين، ص 129.

[3] – نفس المرجع، ص 129.

[4] – آل عمران، الآية 159.

[5] – الشورى، الآية 38.

[6] – ج.ف .ب . هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1980، ص 42 وما بعدها ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1990،ص 411.

[7] – ابن عذارى: المصدر السابق ، ج4، ص 8؛ مجهول: الحلل الموشية، ص ص 19–20.

الجدالي[1] والفقيه ابوعمران الفاسي [2] المتوفى سنة 430هـ / 1038م .[3] ويمكن القول بان هذين الاخيرين هما اللبنة الأولى لبناء دولة المرابطين ، إلا أن الدكتور عبد الله العروي يعطينا قراءة أخرى تتمثل في أن انشاء دولة المرابطين كان ضمن خطة شاملة بإيعاز من الخلافة العباسية لتطويق المد الفاطمي الشيعي في الغرب الاسلامي أما المشرق فيكون على يد السلاجقة الأتراك ،وقد اعتمدت الدعاية السنية العباسية على الاشاعرة في الشرق ولعب الدور الكبير فيها ابو بكر الباقلاني (ت464هـ/ 1071م) ، وعلى مالكية القيروان في الغرب بقيادة أبو عمران الفاسي وهو تلميذ

---

[1] – هو الأمير يحي بن عمر بن تكلالين اللمتوني أبو زكريا، مؤسس دولة المرابطين في المغرب، يورده البكري بإسم يحي بن عمر بن تلاجاجين، البكري : المصدر السابق، ص 165 ؛ أما ابن عذارى المراكشي فيورد لنا اسمه: يحي بن عمر بن بولناكين اللمتوني، ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 09 ؛ وعند القلقشندي في صبح الأعشى يورده بإسم يحي بن عمر بن واركوت، نفس المصدر، ج4، ص 09، هامش (1) ؛ أما ابن ابي زرع فيورده باسم: يحي ابن ابراهيم الكدالي وقد تولى الإمارة بعد وفاة محمد بن تارشتا اللمتوني وكان ابراهيم– حسب رواية ابن ابي زرع– هو من يقوم على رآسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم، وأثناء رحلته إلى المشرق للحج إلى بيت الله الحرام التقى بالفقيه أبو عمران الفاسي في القيروان.

أبن ابي زرع : المصدر السابق، ص 122 ؛ أما صاحب الحلل الموشية فيذكره باسم يحي بن ابراهيم ويؤكد أنه التقي بالفقيه أبو عمران الفاسي سنة 440 هـ/1048م . مجهول : الحلل الموشية، ص 19 ؛ غير أن الأستاذان سهيل زكار وعبد القادر زمامة محققا هذا الكتاب يستبعدان وقوع هذا اللقاء لأن وفاة أبي عمران الفاسي كانت سنة 430 هـ/1038م. نفس المصدر ، ص 19، هامش (20) .

[2] – هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي الفاسي نزيل القيروان، واصله من فاس، تفقه بالقيروان ثم ارتحل إلى قرطبة ثم إلى مصر ثم إلى بغداد سنة 399 هـ/1008 م، ثم عاد إلى القيروان، وقد حج حجات كثيرة ودرس عن علماء كثر، وقد علم الناس القرآن ثم درس الفقه واسمع الحديث وكان شهير بذلك، ورحلت إليه طلبة العلم من كل مكان حتى ظهرت أمامته وممن تفقه على يديه عتيق السوسي وأبو القاسم السيوري وجماعة من الفاسيين والأندلسيين وطارت فتواه في المشرق والمغرب، وكان يجلس في بيته كثيرا للمذاكرة والسماع فلا يتكلم بشيء إلا كتب عنه، إلى أن وافه الاجل، أثنى عليه العلماء كثيرا وأجمعوا على أنه كان عالما بفنون العلم منها القرآن وعلوم الحديث . أبو زيد عبد الرحمان الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ماضور ، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ج3، ص ص 159–160 ؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349 هـ ، ص 106 ؛ توفي في رمضان 430 هـ / 1038 م . محمد البركة : فقه النوازل على المذهب المالكي – فتاوى ابي عمران الفاسي – ، دار افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2010 ، ص 49 ؛ ترك مؤلفات عدة اشهرها التعليق على المدونة حيث اعتمد عليه القاضي عياض في ترتيب المدارك . عبد الله المرابط الترغي : فهارس علماء المغرب – منذ النشأة الى القرن الثاني عشر للهجرة – ، ط 1 ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، تيطوان ، 1999 ، ص 598 .

[3] – عبد الكبير الفاسي وأحمد بن قنفذ القسنطيني : تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، تحقيق: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج1، ص 299.

الباقلاني[1] وقد أكد الدباغ هذا اللقاء في حديثه عن سيرة أبو عمران الفاسي حيث يقول : << وحضر مجلس أبي بكر بن الطيب بن الباقلاني القاضي وسمع منه >> [2] أما الأستاذ ابن بية فيعتقد بان رأي عبد الله العروي مبالغ فيه حيث أنه حمل الوقائع اكثر مما تحتمل ،فرغم أن فكرة التصدي للشيعة كانت لدى العلماء السنية حيث عمل كل على مستواه لتنفيذها ، غير أن المخطط العام للقضاء على المد الشيعي ومحاصرته لم تكن موجودة أو على الأقل لم يجد من يشير اليها .[3]

كان الوضع في بلاد المغرب الأقصى عشية انطلاق دعوة المرابطين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد أخذ منحى خطيرا وذلك بالانحراف الديني الذي شهدته العامة(والمقصود هم عامة الناس محدودي الوازع الديني) خاصة في منطقة برغواطة حيث أورد لنا البكري جزءا من هذا الأنحراف بقوله : << وأما هذا الضلال الذي شرع لهم فإنهم يقدمون على الإقرار بالنبيين

(الأنبياء)، الإقرار بنبوة صالح بن طريف وبنبوة من تولى الأمر من بعده من ولده، وأن الكلام الذي ألف لهم وحيٌ من الله تعالى لا يشكون فيه، وصوم رجب وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة والتضحية في اليوم الحادي عشر من محرم، وفي الوضوء غسل الصرة والخاصرتين ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا>>[4] كما أن قبائل

---

[1] – عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ج2، ص 111 وما بعدها؛ ابراهيم علي التهامي : اهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية – من الفتح الاسلامي الى نهاية القرن 5 هـ – ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، قسم العقيدة ،كلية الدعوة واصول الدين ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1412 هـ ، ص 364 .

[2] – الدباغ : المصدر السابق، ج3 ، ص 160.

[3] – ابن بية : المرجع السابق، ص 55.

[4] – البكري : المصدر السابق، ص ص 138–139. ويواصل البكري الحديث عن الاغراف الديني في الصفحة 139 بقوله : << وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود، وبعضها على كيفية صلاة المسلمين، وهو يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر، وإحرامهم أن يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول : " أبسمن ياكش" (أي بسم الله) مقرياكوش (أي الكبيرة) ويضعون أيديهم مبسوطة في الارض طول ما يتشهدون... ويتزوج من النساء ما استطاع مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد عدد، وأن لا يتزوج من بنات عمه إلى ثلاث حدود...ويقتل السارق بالإقرار وبالبينة ويرجم في الزنا، وينفى الكاذب ويسمونه المغير...ورأس كل حيوان عليهم حرام، والحوت لا يؤكل إلا أن يذكى والبيض عندهم حرام والدجاجة مكروهة إلا أن يضطر إليها >>؛ كما ذكر صاحب روض القرطاس في سياق حديثه عن فتح المرابطين لبرغواطة انهم قد وجدوا بساحلها خلق عظيم وانهم مجوس كفار . ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ وقد بعث يوسف بعدد من الرسل

زناتة [1] وجبال غمارة [2] شهدت هي الاخرى بعض الانحرافات الدينية.

يورد لنا صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار بعض الانحرافات الدينية التي شهدتها منطقة جبال غمارة حيث يقول: << ولأهل هذا الجبل مذاهب شتى، وسير مختلفة وقد تنبأ عندهم إنسان يعرف بـ ' حاميم بن من الله' ولقب بالمفتري [3] ... وأجابه بشر كثير من غمارة، وأقروا بنبوته، ووضع لهم قرآنا بل شريعة استهواهم برخسها، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها، ويسجدون على ظهور أكفهم، ووضع لهم قرآنا بلسانهم تفسيره... وفيه : آمنت بحاميم وآمنت بأبي يخلف...وآمنت بتاليت...وكان حاميم فرض عليهم صوم يوم الخميس كله، وصوم يوم الاربعاء إلى الظهر، فمن أكل فيهما غُرم خمسة أثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم 27 يوما من رمضان، وجعل عيدهم في ثاني يوم فطرهم>>[4].

والعلماء إلى زعماء برغواطة أملا امنه في تجنب الحروب معهم ، ولكن وقع خلاف ذلك حيث جندوا لهم جيشا واجهزوا عليهم لمحاربتهم. عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب - من اقدم العصور الى اليوم- مطابع فضالة ، المحمدية ، 1987 ، مج 5 (قسم المرابطين) ، ص 09 ؛ صلاح عبد الهادي مصطفى : اسهام المرابطين في نشر الاسلام في الشمال الافريقي والسودان الغربي - خلال القرن 5 هـ/ 11 م - ، مجلة المؤرخ العربي ، 1987 ، (د.م) ، العدد 31 ، ص 205 .

1 - زناته هي من اولاد جانة. بن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سفكو بن قيدواد بن شعبا بن مادغيس بن هود بن هرسق بن كداد بن مازيغ .ابن عذارى: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 65 ،ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ص 180 - 181 ؛ وهي بفتح الزاي ويقول القلقشندي بانها تنسب الى جانا بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن رحيك بن مادغش بن بربر . القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1982 ، ص 176 ؛ ويتفق المؤرخون على ان اصل زناتة من البتر نسبة الى مادغيس الابتر الذي يشكك ابن خلدون في رجوع اصله الى البربر ، وعلى هذا يكون البربر من نسل برنس فقط ، والبتر ليسوا من البربر، لكنهم اخوة البربر ارجعوهم الى كنعان بن حام وهو بذلك (اي ابن خلدون) يختلف مع بقية المؤرخين المسلمين الذين ينسبون مادغيس الى البربر . محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984، ص ص 16-17 ؛ وعموما فان زناتة من قبائل الشاوية الرئيسة وزناتة قبائل رحل في الغالب ، وهو يرعون الابل والاغنام ويعيشون غالبا في الخيام عبر الفيافي والصحاري ، ومن اشهر فروعهم ، يمانو، بلومان، بنويفرن،مغراوة . محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية،ط2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر،1997، ص ص 1050-1051.

2 - من أخصب جبال المغرب وأشهرها سكنة قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تحصى وفي هذه الجبال بسائط كثيرة ومدن قديمة ، الشريف الإدريسي المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ، من كتاب زهة المشتاق في اختراق الأفاق طبعة لندن،1866،ص 171، مجهول:الاستبصار في عجائب الامصار ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1986،ص 190.

3 - قد يكون المقتدى حسب رواية المحقق

4 - مجهول: الاستبصار،ص 191.

بعد أن بدأ مشروع الدولة الناشئة يتبلور أحال أبو عمران الفاسي الملثمين على أحد فقهاء بلاد السوس، حيث بعث إليه كتابا مع يحي بن ابراهيم، وكان اسم هذا الفقيه واجاج بن زلوان [1] الذي كان بدار المرابطين بمدينة نفيس [2]، ومن هذا الرباط إلى حركة الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي الذي كان العماد الروحي لحركة المرابطين، حيث راح يفقه أهل الصحراء تعاليم الإسلام وأصول الشريعة، وباتحاد الفقيه عبد الله بن ياسين مع يحي بن ابراهيم قامت دولة المرابطين التي تزعمها بادئ الأمر أبو بكر بن عمر اللمتوني ثم آلت أمور الدولة إلى يوسف بن تاشفين. [3] دخل المغرب الإسلامي مرحلة سياسية فقهية متميزة عن التجارب السابقة حيث لعب الفقهاء في دولة المرابطين أكبر الأدوار. [4]

وقد أكد الإسلام عموما على أهمية الفقيه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : << إثنان لو صلحا صلح الناس كلهم، الأمراء والعلماء >>[5]، وقال أيضا : << إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا،

---

1 – يورده صاحب الحلل الموشية بإسم واكاك، وفي نسخة أخرى بإسم بوجاج فالإسم واكاك أو وجاج، أما اسم أبيه زلوان كما ورد في الروض المعطار وزلوي عند البكري. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 8، هامش (1) ؛ ابراهيم السلمي : العدوة الاندلسية – منذ عصر ملوك الطوائف الى سقوطها في ايدي الاسبان 422 – 867 هـ / 1030 – 1462 - ، رسالة مقدمة انيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1430 هـ ، ص 136 .

2 – من مدن بلاد المغرب عند اغمات تعرف بالبلد النفيس، وهي قديمة وصغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر بها من الفواكه واللحوم ما لا يكون في كثير من البلدان، بها جامع وسوق ويشقها نهر كبير. الحميري: الروض المعطار، ص578 ؛ أما ابن عذارى فيوردها بإسم ملكوس. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 8.

3 – المصدر السابق، ج4، ص8 ؛ ابراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين– المجتمع، الذهنيات، الأولياء– ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 9.

4 – لخضر بولطيف: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، منشورات المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، ص ص 33-34.

5 – أبو بكر جمال الدين الخوارزمي: في السلطان وأسرار الوزارة، تحقيق: السحاب أحمد الطحان ، ط1 ، دار الكلمة، القاهرة، 2001، ص 13.

فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا >>[1] وقال أيضا: << يذهب العلماء ثم يتخذ الناس رؤوسا جهالا، يسئلون فيفتون بغير علم، فيضلون ويضلون>>[2].

وانطلاقا من الأحاديث سالفة الذكر تتضح أهمية الفقيه كسلطة دينية لها وزنها بجانب السلطة السياسية، رغم أن الأمر يطرح إشكالا في التاريخ الإسلامي [3] لكن السلطة السياسية افترقت عن السلطة الدينية [4] بل وقع تنافس بينها وصل إلى حد الصراع والتناحر وتحول ذلك إلى امتحان لعديد الفقهاء في المغرب والأندلس.[5]

وعن دور الفقهاء في دولة المرابطين ذكر ابن عذارى في حديثه عن الفقيه ابن ياسين : << وكان أشدهم انقيادا له (أي عبد الله بن ياسين) أمير لمتونه يحي بن عمر >>[6] ، كما لقى الفقهاء مكانة عالية لدى أمراء المرابطين حيث يقول عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب عن أمير المرابطين علي بن يوسف المكنى بأبي الحسن :<< وأشد إيثارا لأهل الفقه والدين >>[7].

وقد تكرس هذا الدور الفاعل للفقهاء في الحياة السياسية لدى المرابطين منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث يقول ابن عذارى : << كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ... ويقضي على نفسه بفتياهم (أي بفتواهم) >>[8] وسار على نهجه ابنه علي حيث كان << لا

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.م، 1422 هـ، ج1، ص 31.

[2] – ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري، ط1 ، السعودية، 1994، ج2 ، ص 988.

[3] – أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تحقيق: السحاب أحمد الطحان وعبد الله المنشاوي، ط1، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1996، ج1، ص 65.

[4] – نفس المصدر، ج1، ص 65.

[5] – للإستزادة حول اهم الفتن التي تعرض لها الفقهاء أنظر : أبو العرب محمد بن أحمد التميمي: طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 09.

[7] – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 121.

[8] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 46.

يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، كما كانت أمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم>>[1]

إن الحضور الفقهي المالكي في الغرب الاسلامي لم ينفرد به المغرب فقد كانت مكانة الفقيه كبيرة أيام بنو عامر [2] في الاندلس لكن هذا الدور تراجع قليلا أيام ملوك الطوائف [3] ، وكان الفقيه يظهر أحيانا على أنه الحاكم الفعلي حيث ذكر صاحب الحلل الموشية أن <<الأمير أبو زكريا إذا تقدم بجيشه تقدم أمامه الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين ، والشيخ كان في الحقيقة الأمير وهو الذي يأمر وينهى>>[4]

---

[1] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121.

[2] هم بنو عامر حكموا الاندلس (366 هـ- 399 هـ/ 976-1008م) وكانت بدايتهم أيام هشام الثاني بن الحكم وعمره حينئذ 11 سنة، حيث كان نفر من أصحاب النفوذ ومنهم الوزير جعفر المصحفي المعروف بإبن أبي عامر وينحدر من أسرة عربية عريقة تمتلك اقطاعات قرب الجزيرة الخضراء، حيث صار صاحب نفوذ وجاه وتدعم مركزه وبذلك بدأ حكم بنو عامر في الاندلس. مونتغمري وات : في تاريخ اسبانيا الإسلامية، ترجمة : محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص ص 93 -94

[3] – ملوك الطوائف اسمهم مشتق من الطوائف الثلاثة البربرية والأندلسية والصقالبة وقد ظهرت عدة ممالك في الاندلس مثل بنو حماد في مالقة، وبنو عباد في اشبيلية ودام حكمهم من (399-484 هـ/ 1009- 1091 م). لخضر بولطيف: الفقيه والسياسة، ص 38 ؛ مونتغمري وات: المرجع السابق، ص 102 وما بعدها.

[4] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 21 ؛ للاستزادة حول دور فقهاء المالكية في المغرب أنظر: علياء المشهداني: فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب حتى منتصف القرن 6 هـ/ 12 م، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية التربية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، مجلس كلية التربية، جامعة الموصل، العراق،2003.

ثانيا : حروب المرابطين في الدور الصحراوي

1–عبد الله بن ياسن والنواة الاولى لدولة المرابطين :

مع اختيار عبد الله بن ياسين يبدأ عهد جديد في دولة الملثمين خاصة في الصحراء [1] بل في تاريخ الاسلام في بلاد السودان ،فقد استطاع بفضل ما توفر من صفات وما وهبه الله من إخلاص أن يحقق آمال يحي بن ابراهيم الجدالي وغيره من المخلصين ،حيث أنه هو من جمع كلمة المرابطين ولم شملهم وأقام حلفهم القوى، بل وأقام النواة الاولى لدولتهم المترامية الأطراف ،حيث اتحدت كثير من القبائل واجتمعت على كلمة سواء وراحت تنشر الاسلام وتعاليمه الصحيحة في بلاد الصحراء وتقارع قوى النصارى في بلاد الأندلس [2] فمن هو يا ترى عبد الله بن ياسين ؟

عبد الله بن ياسين [3] من قبيلة صنهاجة اسمه عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي ولد في قرية " تماماناوت " [4] من أهل جزولة [5] أمه اسمها تين يزامارن [6] قال عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك: << ذو الأنباء العظيمة والقصص الغريبة ،القائم بدعوة المرابطين ،المزين لدولتهم أول خروجهم ...كان موصوف بعلم وخير... وأخذ من الشدة في ذات الله تعالى ،وتغيير المناكير وانعدام صاحبه، من لم يقبل الهدى ولم يزل يستنفر تلك القبائل حتى علا عليهم وأظهروا الايمان هناك>>.[7]

---

1 – القاضي العياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك،ضبط وتصحيح: محمد سالم هشام ، ط1، دار الكتاب العلمية،بيروت،1998، ج2،ص333 .

2 –حسن احمد محمود:المرجع السابق،ص 114.

3 – لم اعثر على تاريخ ولادته.

4 – في طرف صحراء غانة .البكري: المصدر السابق ،ص 165؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق،ص 21.

5 – هي قبيلة كبيرة كان لها الدور الفعال في قيام دولة المرابيطين ، موطنها جنوب الاطلس الكبير ، اتخذت من عدة قبائل مثل لمثونة ومسوفة ولمطة ايام عبد الله بن ياسين ، وساهمت في المعارك التي اسست لدولة المرابطين .محمد سليمان الطيب : المرجع السابق ، ص 1056.

6 – البكري: المصدر السابق ، ص 165 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ،ص 21.

7 – عياض: المصدر السابق،ج 2 ، ص 333.



أما ابي زرع فقال عنه بأنه الفقيه المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام مهدي المرابطين لما وصلوا إلى بلاد جدالة فرح به قبائل لمتونة وأكرموه وعظموه وذلك لما أخبرهم يحي بن ابراهيم الجدالي عنه من علم وفضل [1]، تلقى دروسه الاولى على يد فقيه السوس وجاج بن زلوان [2] ثم رحل إلى الأندلس وأقام بها سبع سنوات أيام ملوك الطوائف ، حيث استزاد في طلب العلم وحصّل قسطا كبيرا منه [3] ثم دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحي بن ابراهيم الجدالي عام 430هـ/1038م إلى جدالة فابتهج أهلها بهذا الوافد الجديد[4] وهو عبد الله بن ياسين [5]

وسموه إمام الحق وبدأ يعلم الناس دينهم [6] وكان هذا التعليم يتم باللغة العربية لأهل العلم أما عامة الناس فكان يعلمهم باللهجة الصحراوية.[7]

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 124، وسيترسل ابن ابي زرع في نقل اخبار الفقيه ابن ياسين في ذات الصفحة بقوله:<< وكان يحيى قد انزله معه فوجد عند تسع نسوة، فسأله عنهن ، فقال: هن زوجاتي ، فقال له الفقيه : هذا شيئ لا يجوز في دين الاسلام وانما يجوز لك اربعا ففارق خمسا ، فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن ، ثم قال له ان جميع الرؤساء من كدالة(جدالة) ولمتونة على مثل حالي ، فأنذرهم وعرفهم حكم الله، فخرج الفقيه عبد الله بن ياسين ويحيى معه وجميع الرؤساء فقال لهم : بلغني انكم تتزوجون بما شئتم من النساء ، حتى ان الشخص منكم يجمع بين العشرة، وليس هذا من السنة، وانما السنة والاسلام ان يجمع الرجل بين اربع نسوة حرائر ، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين ، ثم جعل يعلمهم الدين وينير لهم شراءع السنة ويأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر>> .

2– يورده القاضي عياض باسم اوكاد بن زلوه اللمطي، حيث قال عنه كانت له دار بناها بالسوس للعلم والخير وسماها دار المرابطين . القاضي عياض : المصدر السابق،ج 2، ص 333.

3 –ابن عذاري: المصدر السابق،ج 4، ص 10 ؛ سعدون نصر الله ، المرجع السابق،ص 22.

4 – القاضي عياض: المصدر السابق،ج 2 ، ص 333 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق،ج 4، ص 10 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج 2 ،ص 7.

5 – يذكر الدكتور حسن احمد محمود ان المصادر العربية لم تكن لترصد لنا اخبار الفقيه عبد الله بن ياسين بدرجة كبيرة، حتى ان حضوره في كتب الطبقات هو معدوم عدا حضوره في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، وهناك كتاب جد هام للقاضي عياض فيه ترجمة مفصلة وهذا الكتاب يتناول تاريخ سبقه الا انه مازال مفقودا الى اليوم ولم يعثر له على اثر، ذلك ان القاضي عياض من فقهاء المالكيين في المغرب وقد اهتم بجمع الاخبار وتقفي الحقائق حول فقهاء هذا المذهب ببلاد المغرب. حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 115.

6– عياض: المصدر السابق،ج 2 ، ص 333 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق،ج 4، ص 10 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق،ج 4 ،ص 10 ؛ السلاوى المصدر السابق ، ج 2 ، ص 7 .

7 – ابن عذاري: المصدر السابق،ج 4، ص 10 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق،ص ص 21–22.

وقبل التطرق إلى مهمة عبد الله بن ياسين في ديار الملثمين لا بد من الإشارة إلى بعض العوامل التي ساعدته على إنجاح دعوته:

* تحول الطرق التجارية نحو ديار صنهاجة الجنوب، وهو ما مكّن الملثمين من جني أرباح كثيرة ساعدتهم على إنجاح مشروعهم السياسي.

* توجه أنظار العالم الاسلامي الى القوى البدوية المتواجدة في أطرافه كقوى منقذة والمتمثلة في المرابطين غربا والسلاجقة شرقا .

*اشتداد الحركة الصليبية مما استدعى ظهور قوة اسلامية مجاهدة لها.

*اكتساح المد السني للمجتمعات الاسلامية.[1]

لقي عبد الله بن ياسين كثيرا من الصعوبات في تعليم أهل المغرب وبدأ برحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وحثّ الناس على تطبيق تعاليم الاسلام وما أقرّه الله عز وجل ، فتعلق به عامة الناس ،إلا أنه صار يشكل خطرا على أمراء وأشراف تلك المناطق [2] مما دفعهم الى التفكير في إبعاده نهائيا والكيد له ، حيث أنه لما التف حوله عامة الناس وصاروا منقادين له،نقض عليه شخص منهم

---

1 – بوتشيش: المغرب و الاندلس في عصر المرابطين ، ص ص 9-10.

2 – قدم الاستاذ ابراهيم القادري بوتشيش تفسيرين لتعارض دعوة ابن ياسين مع كبراء تلك القبائل- أوافقه أنا الرأي فيه-وتتمثل في:

*أن التعاليم الصارمة التي جاء بها ابن ياسين لم تكن لتتوافق مع اعرف تلك القبائل حيث اعتادوا على عدم الانصياع لشرائع محددة تلحمهم وتكبح حريتهم .

* الارستقراطية اللمتونية وكبراء القوم رأوا في دعوة ابن ياسين انقاصا من شأنهم ومحاولة لمساواتها مع المستضعفين . نفس المرجع ، ص 10.

إضافة إلى سبب آخر أراه أنا زاد من سهولة المؤامرة التي حيكت فيما بعد ضد ابن ياسين وهو :

* ضعف الوازع الديني ومحدوديته بتعاليم الاسلام لدى تلك المناطق إذ أن الكثير منها هو حديث العهد بكثير من تعاليم الدين وهو ما قال به ابن ابي زرع أنه "قد غلب عليهم الجهل" ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص124.

اسمه الجوهر بن سحيم (حسب رواية ابن عذارى) [1] أما البكري فيورده باسم الجوهر بن سكم [2] شيئا من أحكامه وجد في تناقضها ، فاتفق مع كبراء المنطقة وعزلوا ابن ياسين وقطعوا عليه المعونة وانتهبوا (نهبوا) داره وهدّموها وأخذوا ما كان فيها ، فخرج ابن ياسين خائفا منهم.[3]

يصف لنا ابن ابي زرع ذلك بقوله: << فلما رأوه قد شدد عليهم في ترك ما هم عليه من المنكرات تبرأوا منه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم، ومع ذلك فإنه وجد أكثرهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الاسلام إلا الشهادة ، وقد غلب عليهم الجهل ، فلما رأى عبد الله بن ياسين إعراضهم واتباعهم أهواءهم أراد الرحيل عنهم الى بلاد السودان >>[4]، ونقل لنا القاضي عياض[5] أن الجوهر بن سكن كان منصرفا من الحج وأعجب بعبد الله بن ياسين لكن فيما بعد افتى عبد الله بن ياسين بقتل جوهر بن سكن فألب عليه القوم وطردوه من داره.[6]

أما السلاوي صاحب الاستقصا فينقل لنا الحادثة دون ذكر الجوهر بن سكم حيث يقول : << وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وكبحهم عن كثير من مألوفاتهم الفاسدة وشدد في ذلك ، فأطرحوه واستصعبوا علمه، وتركوا الأخذ عنه>>[7] ، فبدأت عزيمة عبد الله ياسين تتراجع، بل وفكر في التراجع عن تعليم الناس دينهم ، وحاول الأمير يحي بن ابراهيم [8] أن يقنعه بالعدول عن

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 8 ؛ ويورده عياض باسم: الجوهر بن سكن. القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص 323.

[2] – البكري : المصدر السابق، ص 165.

[3] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4،ص 9 ؛ البكري : المصدر السابق، ص 165.

[4] ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 124.

[5] – عن حياة القاضي عياض انظر مؤلف ابنه عنه . ابن عياض اليحصبي : التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق : محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية ، (د.م) ، (د.ت) ، ص ص1 – 13 . كما اورد في بقية الكتاب تفصيلا عن حياة القاضي عياض .

[6]– القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص 333.

[7] – السلاوى: المصدر السابق، ج2، ص 7.

[8] – يذكر لنا ابو عبيد الله البكري او وجاج بن زلوى عاتب قبائل صنهاجة التي اساءت الى الفقيه عبد الله بن ياسين والحقت به الاذية، واعلمهم انه ما خالف الفقيه عبد الله بن ياسين فقد فارق الجماعة وأن دمه مهدور ، وقد امر وجاج بن زلوي الفقيه ابن

رأيه ونصحه بأن يرابط في أحد الرباطات فيما يعرف اليوم بالسنغال وقال له : << ولكن يا سيدي هل لك في رأيٍ أنيرُ به عليك إن كنت تريد الآخرة؟ قال : وما هو ؟ قال : إن هاهنا جزيرة في البحر إذا حسر (أي انحسرت المياه وانخفض منسوبها) دخلنا إليها على أقدامنا وإذا ملأ (ارتفع منسوب المياه) دخلنا في الزورق، وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية وصيد البر وأصناف الطيور والوحش والحوت، فندخل إليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله تعالى حتى نموت، فقال له عبد الله بن ياسين هذا أحسن، فهلم بنا ندخلها على اسم الله، فدخلاها ودخل معهما سبعة نفر من كدالة، فإبتنيا بها رابطة>>[1]

وقع خلاف في الوجهة التي اتجهها عبد الله بن ياسين بعد أن خرج من لمتونة يطلب النجاة، حيث يئس من إصلاح حالهم، فقد ذكر البكري أنه بعد المكيدة التي دبرت للفقيه عبد الله بن ياسين خرج إلى المغرب يستنجد بفقيه السوس وجاج بن زلوان ويشكو له ما لاقاه من مكائد ومعاناة مع الملثمين[2] ، لكن ابن أبي زرع الفاسي ذكر لنا بأن يحي بن ابراهيم الجدالي هو من آزر الفقيه ابن ياسين وردّه عن قراره الاعتزال من الدعوة، ومن خلال رواية ابن أبي زرع يتبين أن الفقيه ابن ياسين لم يشأ أن يسير إلى الجنوب من تلقاء نفسه مخافة أن يلقى في المناطق الجنوبية ما لقيه في لمتونة من أعراض ومكائد دبرت له.[3]

وبهذا غادر الفقيه ابن ياسين متجهاً جنوبا إلى حوض نهر السنغال حيث أسس رباطا للعبادة وحفظِ القرآن وتفسيره [4] ولم يكن الفقيه ابن ياسين بمبتدعٍ لما أنشأ هذا الرباط للاعتزال لعبادة الله،

ياسين بالعودة وعاد فعلا واطاعته تلك القبائل ودانت له قبائل اخرى فيما بعد مثل قبيلة لمطة ودرعة ،أما الذين أساؤوا إلى عبد الله بن ياسين وحرقوا داره فقد تم قتلهم. البكري: المصدر السابق،ص 166.

[1] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص ص 124-125

[2] – البكري : المصدر السابق،ص 166

[3] – يرى الاستاذ حسن احمد محمود ان يحيى بن ابراهيم الجدالي تأكد من فشل مشروعه اذا تخلى عنه الفقيه ابن ياسين وبذلك تندثر اماله وتفشل مشاريعه ، لذلك الح عليه بأن يصحبه الى الجنوب وتوسل اليه الا يتخلى عنه. حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 123.

[4] – سعدون نصرالله : المرجع السابق، ص 26.

بل كان يسلك طريقةً سلكها قبله أهل الخير حيث يقول الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: << يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ>> [1]

ذكر السلاوي صاحب الاستقصا أن الفقيه عبد الله بن ياسين لما دخل لبناء الرباط دخل معه سبعة نفرٍ من جدالة وابتنى رابطةً هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى [2]، أما ابن خلدون فيصف لنا هذا الرباط وارتحال ابن ياسين إليه بقوله : << واطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا عمله وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف، فأعرض عنهم وترهب وتنسك معه يحي بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر، فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بها النيل [3] من جهاتها ضحضاحا [4] في المصيف وغمرا في الشتاء، فتعود جزرا منقطعة، فدخلوا في غياضها منفردين للعبادة وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا إليهم ودخلوا في دينهم>>.[5]

وعموما فإن اختيار ابن ياسين ومن معه لهذا الموقع يدل على المهمة التي أعدوا لها، فهو يقع بالقرب من مملكة غانة الوثنية، لذلك فهو مهدد دائما بالأعداء ولا بد للجماعة المقيمة فيه من الجهاد وهو في هذا الوقت غير بعيد عن ديار الملثمين فتسند إليهم في حالات الخطر، وتشكل تلك الديار موردا بشريا لا ينضب لمن يريد الانضمام إليه وهو ما يفسر تكاثر عدد الوافدين إليه.[6]

---

[1] – سورة آل عمران، الآية 200.

[2] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 8

[3] – والمقصود بها الجزيرة موضع إقامة الرباط في السنغال.

[4] – الضحضاح هو الماء القليل يكون في الغدير وغيره والضحل مثله وكذلك المضحضح وقيل هو الماء اليسير وقيل هو ما لا غرق فيه ، وقيل هو الماء الى الكعبين او الى نصف الساق ، وماء ضحضاح اي قريب القعر. ابن منظور : المصدر السابق ، ص 2557؛ وقال ابن زكرايا انه الماء الى الكعبين . ابن زكريا : المصدر السابق ، ج3 ، ص 359 . وعموما يقصد بها المياه الضحلة غير العميقة.

[5] – ابن خلدون : العبر ، ج 6، ص 243.

[6] – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 26.

هناك خلاف حول المكان الفعلي بالتدقيق لهذا الرباط الذي اختاره ابن ياسين وأتباعه لحياة المرابطة فهناك من يقول بأنه على حدود الصحراء فيما يلي تارودنت [1] إلى الجنوب وهذا الرأي قال به حسين مؤنس ، إلا أن الاستاذ حسن أحمد محمود فند هذا القول [2] ونحن بدورنا نفنده لأن تارودنت تقع في جنوب المغرب الأقصى.

وهناك من يقول بأن ابن ياسين اتجه إلى جدالة وفيها اختار جزيرة صغيرة تقع في مواجهة الشاطئ وهو ما قال به ابن أبي زرع الفاسي حيث ذكر << إن هاهنا في بلادنا جزيرة في البحر إذا انحسر البحر دخلنا إليها على أقدامنا... وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية وصيد البر وأصناف الطير... >> [3] أما ابن خلدون فيقول أن هذه الجزيرة تقع في مصب نهر السنغال الأدنى وأنها في الصيف تصبح صلتها بالبر سهلة وتتحول في الشتاء إلى جزر حيث قال: << فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضحضاحا في المصيف وغمرا في الشتاء فتعود جزرا منقطعة>>. [4]

والرأي الأقرب إلى الصواب حسب الأستاذ حسن أحمد محمود [5] هو الرأي الثاني لأن الرباط يبنى عادة في المناطق التي تتعرض للغزو، ويتطلب الأمر حشد القوى بقصد جهاد المغيرين وبالتالي اتخاذ الجزيرة الواقعة قرب ساحل المحيط أمر مستبعد لعدم وجود خطر يتهدد جدالة. [6]

---

[1] – من بلاد السوس الاقصى وهي قرية كبيرة جدا وهي اكثر بلاد الله فيه قصب السكر ومعاصر السكر ، وهي اخصب بلاد المغرب واكثرها فواكه وخيرات ومنه يجلب السكر الى جميع بلاد المغرب والاندلس وافريقية وهو المشهور بالطبرزد المذكور في كتب الطب. مجهول: الاستبصار ،ص ص 211-212.

[2] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ،ص 124. ومن بين التبريرات التي قدمها حسن احمد محمود هي قربه من ديار لمتونة حيث انه ليس من المعقول ان يقيم رباطه قرب من هجروه وأحرقوا داره.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125

[4] – ابن خلدون : العبر، ج 6 ، ص 242 .

[5] – رواية الاستاذ حسن احمد محمود مبنية على الترجيح

[6] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 125 .

2- حياة المرابطة :

بدأت المرابطة في الجزيرة عام 433هـ/1040م بعدد قليل من الناس ثم بدأ العدد يتزايد حتى بلغ الألف من أتباع ابن ياسين ويؤكد ابن أبي زرع الفاسي أنه قد كثر الواردون على ابن ياسين فبدأ يعلمهم القرآن ويرغبهم في ثواب الله جل وعلا ويحذرهم من مخالفة أوامر الشارع، ولما كثر الناس سماهم المرابطين للزومهم رابطته.[1]

ويبدوا أن ابن ياسين قد استمال قلوبهم بالترغيب الى الجنة والترهيب من النار وحبّب إليهم الجهاد فاستمعوا له وأطاعوه [2]، ولكثرة الواردين إلى الرباط وضع ابن ياسين شروطا يجب أن تتوفر في كل من أراد أن ينظم إليهم وبذلك انتقى منهم الأكثر إيمانا وصبرا وتحملا للمشاق ،وقد علم الفقيه ابن ياسين الجهاد وأحكامه للناس ثم فرضه على المرابطين وأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود الشرعية.[3]

كان المرابطون يعيشون داخل الرباط حياة جماعية تعاونية، ويتقاسمون أعباء الحياة، وكانت هناك مزارع تزود الرباط بما يحتاجه من طعام، وكان المرابطون يزرعون أرضهم بأنفسهم ويتعاونون في إعداد

---

[1] – ابن ابي زرع :المصدر السابق ، ص 125. ويواصل ابن ابي زرع في ذات الصفحة عن علة التسمية وعن مهمتهم مع المرابطين الجدد بقوله :<< فكثر الوارد عليهم والتوابون فأخذ عبد الله بن ياسين يقرؤهم القران ويسميلهم الى الاخرة ويرغبهم في ثواب الله تعالى ويحذرهم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم ، فلم تمر عليهم ايام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو الف رجل من اشراف صهناجة ، فسماهم المرابطين للزومهم رابطته ، واخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك فيما تفقهوا في ذلك وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم الاجر>> ؛ عبد الرحمان علي الحجي : التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط 2 ، دار القلم ، دمشق ، 1981 ، 420 ؛ عبد الله كنون : مشاهير رجال المغرب ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2010 ، ج 3 ، 1428 .

[2] – السلاوي: المصدر السابق ،ج 2 ، ص 8 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق ،ص 125 ؛ ابن خلدون: العبر، ج 6 ، ص 243.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 125 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 29 وما بعدها ؛ عبد العزيز سالم:المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981،ج 2 ، ص 695 ؛ توفيق مزاري عبد الصمد : الجهاد البحري في عهدي المرابطين والموحدين ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الاسلامية– تخصص تاريخ وحضارة – ، قسم اللغة والحضارة الاسلامية –كلية العلوم الاسلامية – ، جامعة الجزائر ،1428 – 1429 هـ / 2007 – 2008 م ، ص 52 .

حاجتهم من الطعام ، وكانوا في بعض الاحيان يعتصمون بالجبال يعيشون من نباتات الارض ويقتاتون من صيد البر والبحر ولم تكن حياة المرابطين في رباط السنغال تختلف عن الحياة فقد كانوا يعتمدون على ما توفره جزيرتهم من صيد البر والبحر.[1]

وعموما فقد كانت حياتهم بسيطة متواضعة لكن فيها الخشونة ، وكان مجتمعهم فاضلا حقا.فهم نفوس مخلصة تبتغي وحب الله والدار الآخرة متعاونة في سبيل الله [2]. ترضي بقلة الطعام وترتدي من الثياب اخشنها وآلوا على أنفسهم ألا يغادروا الرباط وأن يقضوا فيه العمر متنسكين متعبدين. [3]

وبدأ الوافدون على الرباط يتزايدون فمنهم من بلغته أخبار الحياة في الرباط فرغب في الالتحاق بهم حيث يقول السلاوي:<< وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاثة أشهر فتسامع الناس بهم وأنهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الواردون عليهم والثوابون لديهم . فأخذ عبد الله بن ياسين يقرؤهم القرآن ويستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم ألم العقاب حتى تمكن حبه من قلوبهم، فلم تمر عليه إلا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل وكان من أمرهم ما تسمعه عن قريب >> [4] وهو ما قال به ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس على أن الناس تسامعوا أخبار الرباط والمرابطين فيه المنقصعين للعبادة فتكاثر الوافدون حيث يقول : << فتسامع الناس بأخبارهم وأنهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الوارد عليهم والتوابون>>[5]

أما صاحب الحلل الموشية فيقول باجتماع عدد وفير من الناس حول الفقيه ابن ياسين دون تحديد العدد غير أنه أكد أنهم كانوا منقادين لحكمه [6] وهو نفس ما ذهب اليه ابن عذارى بالقول أنهم كانوا منقادين له[7] ، أما ابن خلدون فقدر الاتباع بالألف حيث يقول <<ولما كمُل معهم ألف

---

[1] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 141 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 27.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2، ص 8 .

[3] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 141 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 61.

[4] – السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 8.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125.

[6] – مجهول : الحلل الموشية ، ص ص 20-21.

[7] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 10.

من الرجالات >> لكنه وصف الوافدين إليه بالسيل حيث يقول :<<وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبه من خير، فتسايلوا إليهم ودخلوا في دينهم >>[1]

ولما كثر اتباع عبد الله بن ياسين صار الانضمام الى رباطه ليس بالميسور فقد وُضعت شروطا لذلك فالراغب في الانضمام يجب أن يُمتحن ويخضع لفترة مراقبة للتأكد من استعداده لقبول نظام الرباط حتى إذا توفر فيه الاستعداد اللازم صار عضوا من جماعة الرباط.[2]

وقد كان ابن ياسين ينتقي أطهر الملثمين نفسا وأوفرهم قوة وأقدرهم على تحمل المشاق، وكان يفرض على المنظمين الجدد إنكار ما كانوا عليه من قبل وأن يدخلوا الاسلام من جديد، وأقام عليهم الحدود ليطهرهم من الذنوب [3] وفرض عليهم قضاء ما فاتهم من صلاة، وقد رفع العلماء إلى مراتب عالية وجمع الزكاة والعشور والحقوق.[4]

ولم يكن ابن ياسين ليتهاون مع أتباعه في حد من حدود الاسلام فقد حملهم على الجادة حملا وقد نقل لنا البكري بعض هذا التشدد والجد بقوله : <<أن الرجل إذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه ، قالوا له إذا أذنبت في شبابك فيجب أن يقام عليك حدودها وتطهر من إثمها فيضرب حد الزاني مائة سوط وحد المفترى ثمانين سوط... >>[5] وبذلك صاروا يفعلون ذلك بكل من ينظم الى رباطهم ومن ضبط مجاهرا ثم تاب لا تنفعه توبته وفي هذا يقول البكري : << اوغلبوا عليه مجاهدا

---

[1] – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 243. وينقل لنا ابن خلدون في ذات الصفحة ان ابن ياسين خاطبهم لاستزاده حماسهم ودعوتهم لنشر الحق بقوله :<< قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين : ان الفا لن تغلب من قله ، وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك ...وسماهم بالمرابطين>>.

[2] – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 27 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 63.

[3] – البكري : المصدر السابق ، ص 169.

[4] – يرجح الاستاذ سعدون نصر الله التعامل الصارم لابن ياسين مع الوافدين الجدد في فشل تجربته السابقة معهم. ونرى نحن اضافة الى ذلك كثرة الوافدين لذلك كلما ضاقت دائرة الشروط ثم اختيار الافضل من اجل المشروع الدعوى الذي سينفذه ابن ياسين والله اعلم.

[5] – البكري: المصدر السابق ، ص 169.

عاصيا لا تنفعه توبته ولا تغني عنه رجعته ومن يتخلف عن مشاهدة صلاة الجماعة ضرب عشرين سوطا>> [1]

3-المشروع الجهادي لعبد الله بن ياسين :

بعد أن كثر اتباع عبد الله بن ياسين من المرابطين واستكمل قوته [2] خطب فيهم آمرا إياهم بالجهاد وقد قال ابن ابي زرع عن ذلك : <<فلما نفقهوا في ذلك وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة ... ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم : يامعشر المرابطين إنكم جمع كثر وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ،فقالوا أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين، ولو أمرتنا بقتل أبنائنا لفعلنا [3] ، فقال لهم اخرجوا على بركة الله وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وبلغوهم حجته>>[4]

أما ابن خلدون فقال أن الخارجين من الرباط مع الفقيه ابن ياسين ألف رجل حيث يقول :<<ولما كمل معهم ألف من الرجالات ، قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين إن ألف لن تغلب من

---

1 – البكري : المصدر السابق ، ص 169. ويواصل البكري في ذات الصفحة والصفحة الموالية سرد التشدد على المرابطين بقوله: << ومن فاتته ركعة ضرب خمس اسواط و ياخذون الناس بصلاة الظهر اربعا... ويقولون انك لابد قد فرطت في سالف عمرك فاقض ذلك ...ومن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا ، وزكاة الفطر ياخذونها وينفقونها على انفسهم >> وينقل لنا البكري قصة عن ابن ياسين ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فمن قول ذلك التاجر انه قال : حاش لله ان يكون ذلك بامر عبد الله بن ياسين فضربه وقال لقد قال كلاما فظيعا وقولا شنيعا يجب ان يؤدب عليه وكان رجل قيرواني شهد الوقيعة فقال لابن ياسين ماذا تنكر من مقالته والله عزوجل قال عن النسوة التي قطعن ايدهن في قصة يوسف<< حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ >> سورة يوسف ، الاية 31 . فانتهى ابن ياسين عن ضرب هذا التاجر.البكري : المصدر السابق ص ص 169 – 170 .

2 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 242 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 65.

3 – يبدو من خطاب ابن ياسين مع اتباعه انهم منصاعون تمام الانصياع لحد طاعة امره حتى ولو كان قتل ابنائهم وهنا يتضح مدى فاعلية التربية الجهادية والدينية للرباط.

4 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 243.

قله وقد يتعين علينا القيام بالحق والدعاء إليه وحمل الكافة عليه فأخرجوا بنا لذلك، فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة>>[1]

وهو ما قال به أيضا السلاوي صاحب الاستقصا: << ثم ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم يا معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل ، ولن يغلب ألف من قلة>>[2] ، لكن عبد الله بن ياسين لم يأذن للجماعة الجديدة بأن تخرج من الرباط مجاهدة قبل أن يتم تنظيمها على النحو الذي يكفل لها النجاح والتمكين ، لأن الحماس وحده لا يجدي نفعا اذا لم يقترن مع حسن التنظيم والإعداد الجيد، وقد آثر الفقيه ابن ياسين ألا يسارع للقتال حتى ينظم مجتمعه الجديد على أسس سليمة [3] ، وقد أخذ على عاتقه إيجاد موارد مالية للانفاق على الجند وشراء السلاح فكان يجمع الزكاة والعشور[4].

قبل أن يبدأ ابن ياسين عمليته العسكرية اختار أسلوب الحجة والإقناع قبل السيف فقد انتدب معه أشياخا من قبائلهم ووجهائهم وكبرائهم وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم الى التوبة ورغب

---

1 - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 243.

2 - السلاوي : المصدر السابق ، ج 2، ص 8 ، ويضيف السلاوي في ذات الصفحة والصفحة الموالية نقل اخبار خروجهم من الرباط بقوله:<< وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد اصلحكم االله تعالى وهداكم الى صراط المستقيم ، فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده فقالوا له ايها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين لك... فقال لهم : اخرجوا على بركة الله وانذروا قومكم و خوفهم عقاب الله وأبلغوهم حجته فإن تابوا فخلوا سبيلهم وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته فوعظهم وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عما هم بسبيله فلم يرفعوا بذلك رأسا>>.

3 - حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 146. وقد نقل لنا الاستاذ حسن احمد محمود في الصفحة الموالية بغض الازمات التي كادت تعصف بوحدة المرابطين ايام ابتداء خرورهم من الرباط حيث كان الجداليون من انصار الفقيه ابن ياسين انهم الاحق بالامارة لانهم اووه ونصروه واحتضنوا دعوته. لكن الفقيه ابن ياسين لم يكن لينساق وراء هذه النزاعات القبلية الضارة، انما كان يختار اصلح الناس واطهرهم نفسا واحسنهم اخلاقا واصدقهم ايمانا بالدعوة واقدرهم على الاضطلاع بالحرب. لكن جدالة شقت عصا الطاعة وارادت ان تفرض اميرا من جدالة خلفا ليحي بن ابراهيم، لكن ابن ياسين لم يضعف وعقد مجلسا من وجهاء القوم وحكموا على من حرض على الفتنة بالقتل.

4 .- ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 243 ؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج 2، ص 9.

إليهم الجنة وخوّفهم من النار ومكث ينذرهم سبعة أيام وهم في ذلك لا يلتفتون لقوله ولا يزدادون إلا فسادا [1] فلما يئس منهم قال لأصحابه قد بلغنا الحجة وأنذرنا وأعذرنا وقد وجب علينا الآن جهادهم فاغزوهم على بركة الله[2].

بدأ الفقيه ابن ياسين عمليته العسكرية بثلاثة آلاف مرابط حسب رواية ابن أبي زرع السلاوي[3] أما ابن خلدون[4] فقد ذكر ألفا فقط ، لكننا لسنا ندري هل هي الجيوش التي هاجمت كدالة أو أتباعه من المرابطين لأن ابن ابي زرع والسلاوي يذكرون أن أتباعه في الرباط كانوا زهاد الألف ثم من هاجموا قبيلة كدالة كانوا زهاد ثلاثة آلاف ، أما صاحب الحلل الموشية فوصفهم بالعدد الوافر دون أن يحدد العدد حيث قال : << واجتمع عليه منهم عدد وافر>>[5]

هاجم ابن ياسين وجنوده قبيلة جدالة التي تآمرت عليه فدخلت تحت طاعته عام 434هـ /1042 م [6] حيث ينقل لنا ابن ابي زرع مجريات ذلك بقوله : << فبدأ أولا بقبيلة كدالة(جدالة) فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقون إسلاما جديد وحسُن حالهم، وأدوا ما يلزمهم من جميع ما فرض الله عليهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة >>[7] ثم اتجه عبد الله بن ياسين بعد ذلك بقواته الى قبيلة لمتونة [8] وقد وصف ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << وتوجه إلى لمتونة فانقادوا به وأطاعوه >>[9] ، أما

---

[1] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2، ص9 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 65 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق، ص 148.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2، ص9.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2، ص8.

[4] – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 243.

[5] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 21.

[6] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 30 ؛ ابن بية المرجع السابق، ص 65.

[7] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126.

[8] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 21 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 243 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ص9 .

[9] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 21.

السلاوي صاحب الاستقصا فوصف ذلك بقوله : << ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقاتلهم حتى أظهره الله عليهم ، وأذعنوا إلى الطاعة وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة>>[1]

توجه ابن ياسين بعدها الى قبيلة مسوفة فغزاهم حتى أذعنوا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وكدالة.[2] ثم توجه ابن ياسين الى قبيلة لمطة وفتحها ويصف لنا البكري ذلك بقوله : << ثم نهضوا إلى لمطة وسألوهم ثلث أموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثان وهكذا سن عبد الله في الأموال المختلطة فأجابوهم إلى ذلك ودخلوا معهم في دعوتهم >>[3] ثم فتح جزولة [4] وفتح درعة التي وصف فتحها البكري بقوله : << وأخذوا من البلاد المخالفة لهم لدرعة ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم >>[5]

وبذلك سارعت قبائل صنهاجة إلى التوبة وأقروا للفقيه عبد الله بن ياسين بالطاعة والولاء فقبل منهم ذلك [6] وقد علق على ذلك السلاوي بقوله : << فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا إلى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة ، فكان كل من أتاه تائبا منهم يطهره بأن يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الاسلام >>[7] أما القاضي عياض فوصف خضوع القبائل للفقيه ابن ياسين قائلا :<< ولم يزل يستقر تلك القبائل حتى علا عليهم وأظهروا الايمان هنالك>>.[8]

---

1 – السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص9.

2 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص9 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 152 .

3 – البكري: المصدر السابق ، ص166.

4 – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 152.

5 – البكري: المصدر السابق ، ص166. ويسترسل البكري في الحديث عن شجاعة المرابطة في فتوحاتهم بقوله في ذات الصفحة : << وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل... واكثر قتالهم رجالة صفوفا ... ومن فر امامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئا>>.

6 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126.

7 – السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص9 .

8 – القاضي عياض : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 333 .

كان إخضاع قبائل صنهاجة نصرا كبيرا لعبد الله بن ياسين وتلاميذه المرابطين فقد صاروا هم أصحاب الكلمة العليا في الصحراء يقودون كما هائلا من الناس يوجهونهم داخل إطار وحلف جديد فقد كانت الأحلاف السابقة تقوم على أسس مادية صِرفة ، أما أسس الدولة الجديدة فقد أقيمت على أسس روحية دينية تتمثل في بسط العدل والإخاء ونشر شريعة الله.(1)

بدأت دولة المرابطين تتبلور فقد أخذ في شراء السلاح وتكوين الجيوش وأنشأ بيتا للمال. (2) حيث يقول على ذلك ابن ابي زرع: << وجعل لذلك بيت مال يجمعه فيه، وأخذ يركب منه الجيوش ويشتري السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولى على قبائلها، وجمع أسلاب المقتولين في ذلك الغزو وجعلها فيئا للمرابطين، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها، واشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب >>(3) في هذا الوقت بالذات توفي الأمير يحي بن ابراهيم الجدالي سنة 440هـ/ 1048م فتشاور الفقيه عبد الله بن ياسين مع المرابطين واختار يحي بن عمر اللمتوني.(4)

ضرب عبد الله بن ياسين باختياره ليحي بن عمر (5) أميرا للمرابطين مثلا عظيما في الزهد في المناصب والمصلحة الشخصية وبرهن لأتباعه أنه لم يكن سوى مصلحا وناشر دين وزاهد في مناصب الدنيا.(1)

---

[1] – ابن بية : المرجع السابق، ص 66 .

[2] – السلاوي : الاستقصا، ج 2 ، ص 9

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ وعن ذلك يعلق السلاوي صاحب الاستقصا بقوله<<ثم جمع اسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها فيئا للمرابطين وبعث بمال ... مما اجتمع لديه من الزكوات والاعشار والاخماس الى طلبة العلم ببلاد المصامدة فاشتهر امره في جميع بلاد الصحراء وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبلة وبلاد المصامدة>>. السلاوي: المصدر السابق ،ج 2 ، ص10 .

[4] – البكري: المصدر السابق ، ص166 ؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 243.

[5] – هو الامير يحي بن عمر بن تكلاكين اللمتوني المرابط المتدين من اهل الدين المتين والفضل والورع والزهد في الدنيا والصلاح امره بالجهاد وقد كان شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين كثير الطاعة له فيما يامره به وينهاه عنه . ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 127 ؛ اما ابن عذارى فاورد اسمه على النحو التالي : الامير ابو زكرياء يحي بن عمر اللمتوني . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 12 ؛ توفي سنة 447 هـ / 1056 م ؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص244 ؛ وذكر البكري انه كان منقادا لابن ياسين تمام الانقياد حتى انه نقل لنا قصة عن تاديب ابن ياسين ليحي بن عمر اللمتوني حيث ان الفقيه ابن ياسين خاطب يحي

انتهى عبد الله بن ياسين من تنظيم مجتمعه الجديد ليبدأ في توجيهه إلى ميادين الجهاد في المناطق المحاذية للمرابطين، ففي الجنوب تقوم مملكة غانة الوثنية القريبة من بلاد المرابطين، وأخذ ابن ياسين وأتباعه على عاتقهم ايصال الإسلام إلى هناك [2] وكانت تلك المنطقة تسمى بلاد السودان وقد غزاها المرابطون [3] ، وكان المرابطون بقيادة ابن ياسين قد غزوا أودغشت سنة 446هـ/1055م بقيادة ابن ياسين حيث يقول عن ذلك البكري: << وفي سنة ست وأربعين غزا عبد الله بن ياسين أودغشت [4] وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق ونخل كثير وأشجار الحناء وهي في المعظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل أن تدخل العرب غانة وهي متفننة المباني حسنة المنازل ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يوما، وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين وكانت لهم أموال عظيمة ورقيق كثير، كان للرجل منهم ألف خدم وأكثر، فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما أصابوا فيها فيئا>>[5].

ويتضح من خلال رواية البكري أنه قد تم فتح منطقة أودغشت التي كانت تابعة لغانة حيث ظفر بها المرابطون وغنموا منها وضموها إلى ملكهم.

بن عمر قائلا ان عليك حقا ادبا قال له اخبرني لماذا فقال لن اخبرك حتى اؤديك فادبه وضربه بالسوط ثم قال له لا تدخل القتال بنفسك لان حياتك حياة عسكرك وهلاكك هلاكهم. البكري: المصدر السابق ، ص166 – 167.

[1] – ابن بية : المرجع السابق ، ص 66 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 153

[2] – بوتشيش: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ؛ ص 12 ، ابن بية: المرجع السابق ، ص 67.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 127.

[4] – اودغشت مدينةبين صحراء لمتونة والسودان وهي مدينة عظيمة آهلة لكنها صغيرة ، ماؤها قليل ، ليس بها تجارة كبيرة ، يعيش اهلها على الجمال (البعير) ومنها الى غانة 12 مرحلة ، وفيها امم لاتحصى وبها بساتين كثيرة ونخيل ياكل القمح منهم الميسورين فقط عندهم البقر والاغنام رخيصة حتى ان الواحد منهم يشترى بدينار عشرة اكباش او اكثر، بها مبان حسنة رفيعة . بها حرارة مرتفعة، تصنع بها انواع كثيرة من الحلويات. الحميري: الروض المعطار ، ص ص 63 – 64.

[5] – البكري: المصدر السابق ، ص 168.

يبدوأ أن المعركة التي خاضها ابن ياسين وأتباعه عند أودغشت كانت حامية الوطيس، استبسل فيها المرابطون أيما استبسال، لأنهم كانوا يدركون أن انهزامهم يؤدي إلى كسر شوكتهم وربما انتصار مملكة غانة عليهم يؤدي إلى إجهاض المشروع المرابطي برمته في المهد.[1]

وقع خلاف حول وفاة أو استشهاد الأمير يحي بن عمر اللمتوني الذي لم نعثر لتاريخ وفاته على أثر في المصادر ، أما أهم المراجع الحديثة فمنها الأستاذ سعدون عباس نصرالله الذي قال أنه توفي سنة 447هـ/1056م في قتال ضد قبيلة برغواطة [2] أما الأستاذ ابن بية فقد ذكر أن الأمير يحي بن ابراهيم رجع إلى موطن الملثمين بعد فتح أودغشت وهذا دليل على أنه لم يمت في بلاد السودان الغربي [3]، أما الأستاذ حسن أحمد محمود فقال بإستشهاده في معركة فتح أودغشت لكنه يذكر التاريخ نفسه 447هـ/1056 [4]. أما نحن فنرجح وفاته بعد عودته إلى ديار الملثمين لأن كل المؤرخين أجمعوا على وفاته سنة 447هـ /1056م أما فتح أودغشت فكان سنة 446 هـ/1055م على حسب رواية البكري[5].

وهذا ما قال به الزركللي أنه مات في حروب ضد درعة [6] أي بعد رجوعه إلى ديار الملثمين.

غير أن أبن ابي زرع صاحب روض القرطاس يورد لنا رواية أخرى هو أن الأمير يحي حضر حروب درعة في بلاد المغرب وحارب مغراوة حيث قال: << وخرج بهم في الموفي عشرين صفر سنة سبع

---

1 – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 150.

2 – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص31 ؛ للاستزادة حول قبلية برغواطة انظر : MBAREK REDJALA : les barghwata (origine de leur nom) , revue de l'occident musulman et de la méditerranée , 1983 , Aix-en-Provence , numéro 35, Pp : 115 – 123 .

3 – ابن بية : المرجع السابق ، ص 67.

4 – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 150.

5 – البكري: المصدر السابق ، ص 162.

6 – خير الدين الزركلي: الاعلام – قاموس تراجم لأشهر الجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين – ، ط 15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002، ج 8 ، ص 161. حيث يقول الزركلي عن وفاته في ذات الصفحة : << ونهض بعد ذلك الامير يحي بن عمر ومعه الشيخ عبد الله بن ياسين ، بجيش كثيف من لمتونة ومسوفة ولمطة وهزرجة ، فدخلوا بلاد درعة. فكانت فيها وقائع بينهم وبين جيش جدالة قتل فيها يحي بن عمر ، وقتل معه بشر كثير>>.

وأربعين وأربعمائة في جيش عظيم من المرابطين فسار حتى وصل بلاد درعة >>[1] لكنه يعاود القول :<< وانصرف إلى بلاد الصحراء، وتوفي الأمير يحي بن عمر في جهاد كان ببلاد السودان فقدم الفقيه ابن ياسين في مكانه أخاه أبو بكر بن عمر اللمتوني وذلك في شهر محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة>> [2].

وهو نفس ما ذهب إليه ابن خلدون غير أنه ذكر موته في الصحراء دون تحديد الموطن حيث يقول:<< وقصدوا سجلماسة فدخلوها غلابا وقتلوا من كان بها من أهل مغراوة وأصلحوا من أحوالها وغيروا المنكرات وأسقطوا المغارم والمكوس، واقتصوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا إلى صحرائهم، فهلك يحي بن عمر سنة سبع وأربعين وقدم مكانه أخاه أبا بكر>>[3] .

أما صاحب الحلل الموشية فيقول بوفاته في درعة دون ذكر التاريخ حيث يقول: << وبعد ذلك توجه الامير أبو زكرياء يحي بن عمر مع إمامه الشيخ أبي محمد عبد الله بن ياسين بجيش كثيف من لمتونة ومسوفة ولمطة وهزرجة وسار بهم إلى بلاد درعة فتلاقوا هنالك مع جيش جدالة فقتل الأمير أبو بكر بن عمر وقتل معه بشر كثير >>[4] ، وعموما فأيا كان موضع موت الأمير يحي بن عمر اللمتوني فإن وفاته كانت سنة 447 هـ/ 1056م على الراجح .[5]

---

1 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 128. ويصف تلك المعارك بقوله في نفس الفحة :<< حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل امير سجلماسة فأخرجه عنها ووجد بها خمسين الف ناقة كانت بها في مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوي فعلم الامير مسعود بذلك فجمع جيوشه وخرج نحوهم ، فالتقى الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالى المرابطين فيها النصر على مغراوة . فقتل مسعود بن وانودين المغراوي واكثر جيشه وفر الباقون ، فاخذ عبد الله بن ياسين اموالهم ودوابهم واسلحتهم مع الابل التي اخذ في درعة >>.

2– نفس المصدر ، ص 128 .

3 – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244.

4 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 23.

5 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 128 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص244 ؛ الزركلي: الاعلام ، ج 8 ، ص 161 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص31.

من خلال ما سبق يمكننا أن نتساءل عن نجاحات الفقيه ابن ياسين في بلاد الصحراء وكيف استطاع في وقت وجيز أن يجمع كلمة الصنهاجيين وما هي الأسس التي اعتمدها حتى حقق ما حققه ؟

راى عبد الله بن ياسين أن قبائل الملثمين خرجت عن الكتاب والسنة مادامت قد أحلت ما حرم الله، وكانت غارقة في ملذات الحياة وآثامها ورذائلها مادامت لا تحمل من الإسلام إلا الاسم [1] ، وقد أخبرنا صاحب روض القرطاس بذلك بقوله: << ومع ذلك فإنه (أي ابن ياسين) وجد أكثرهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادة وقد غلب عليهم الجهل >> [2] وكان لزاما على هذه القبائل أن تدخل في دعوة ابن ياسين وتتطهر من آثامها وتبايع الفقيه على الكتاب والسنة بل والعمل معه على نشر تعاليم الإسلام ، كما أنه كان على الداخلين إلى الرباط والمنضمين إليه يجب أن يخضعوا لالتزامات قاسية [3] حتى يستهلوا حياتهم بصفحة جديدة ويصير لهم ما للمرابطين وعليهم ما عليهم، ضف إلى ذلك أن من بين الأسس التي اعتمدها ابن ياسين هو أنه كل من أبى واستكبر فإن جزاؤه السيف وبالتالي استعمال القسوة والشدة مع المخالفين، أكسبه الهيبة.[4] و ربما كان ابن ياسين مضطرا إلى اتخاذ هكذا مواقف ووسائل وليس حبا في سفك الدماء بل كان ذلك لإظهار الشدة والحزم.

---

[1] –النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 140. حيث يقول عن ذلك في ذات الصفحة : << فلما حج وانصرف قصد المسجد الذي كان فيه الفقيه (ابن ياسين) وسمع الكلام فيما تقتضيه ملة الاسلام من الفرائض والسنن والاحكام فقال الجوهر يا فقيه ما عندنا في الصحراء من هذا الذي تذكرونه شيء سوى الشهادتين في العامة والصلاة في بعض الخاصة>>.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 124 . ومما وجدهم عليه ايضا ينقل لنا ابن ابي زرع في ذات الصفحة انه وجد الرجل منهم يتزوج تسع نساء وحتى العشرة والامر منتشر بينهم بشكل مالوف فقال لهم ابن ياسين بانه الرجل لايجوز له الزواج باكثر من اربع نساء .

[3] – البكري: المصدر السابق ، ص 169.

[4] – ابن الاثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص ص 328 –329. وينقل لنا ابن الاثير شيئا من ذلك بقوله : << وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وابو بكر بن عمر على اولئك الاشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحو الفي رجل من اهل البغي والفساد فتركوهم في مكان وخندقوا عليهم وحفظوهم ثم اخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم >>.

من بين الوسائل التي استعملها ابن ياسين ورافقت الشدة هو أسلوب الملاينة حيث لجأ إلى تأليف قلوب حديثي العهد بالإسلام وترغيبهم في الدعوة الجديدة حتى يؤمنوا بهذه الرسالة إيمانا صادقا وراسخا، فقد كان سيسقط المكوس والمغارم [1] وألغى الضرائب الجائرة التي كانت كثيرا ما تنفر الناس من حب الولاة والحكام حيث لم يفرض إلا ما وجبه القرآن والسنة ففرض الزكاة وأخذ الأعشار وألزم الأغنياء بدفع المال للفقراء [2] فآمن الناس بهذه الدعوة الجديدة لما رؤوا فيها من انصاف للبسطاء والضعفاء فتسامع الناس بدعوته ورغبوا في الانضمام إليه.[3]

ضف إلى ذلك عامل آخر هو شخصية ابن ياسين حيث كان هو الفقيه والمعلم ولم يكتف بأداء رسالته بل استمر في تعليم الناس حتى خلق في الصحراء جوا من العلم والمعرفة لم يكن يألفه الناس من قبل، إذ لا إسلام صحيح إلا بدراسة حقيقية لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أدى ذلك إلى خلق جيل من الفقهاء الصنهاجيين عرفوا بالورع والتقوى وهو ما قال به النويري :<< هذا وعبد الله بن ياسين يعلم الشريعة ويقرئ الكتاب والسنة حتى صار حوله فقهاء وكل من انقاد إلى الحق على طريق الورع والتقوى والخشية لله والمراقبة >>[4]. لذلك بدأ المقاتلون الجدد أي المرابطون يتهيأون لنجدة كل مظلوم والوقوف بجانب كل ضعيف، يتهيأون لتطهير المجتمع وإصلاحه فليس غريبا أن يتطلع الناس إلى هؤلاء القوم المنقذين يطلبون الخلاص مما هم فيه من بغي الولاة وفساد الحكام يطلبون الدخول فيما دخلوا فيه بل والمضي معهم في إصلاح المجتمع والعودة بالإسلام إلى مجده السابق.[5]

---

[1] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 128 ، ومن اوجه الملاينة التي استعملها ابن ياسين هم حسن المخاطبة و تحبيب الجنة لهم حيث يقول في الصفحة 125 : << فاخذ عبد الله بن ياسين يقرؤهم القرآن ويستميلهم الى الاخرة ويرغبهم في ثواب الله تعالى ويحذرهم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم فلم تمر عليهم ايام حتى اجتمع له من تلاميذه نح الف رجل من اشراف صنهاجة >>.

[2]– ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244.

[3] – مجهول : الحلل الموشية ، ص ص 20 – 21 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 10 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 8 .

[4] – النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 142.

[5] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 159.

من أهم الأسس التي اعتمد عليها الفقيه عبد الله بن ياسين هو الجهاد في سبيل الله، حيث احتل الجهاد مكانة مرموقة لدى المغاربة، وقد أذكى ابن ياسين فكرة الجهاد في قلوب أتباعه ودعاهم إليه وحضهم على التزامه ومما أورده ابن ابي زرع قوله :<< ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤسائكم وعشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم... وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده>>[1] وهو نفس ما قال به السلاوي صاحب الاستقصا حيث قال : << ثم ندبهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة>>[2] وقال أيضا به ابن الأثير حيث أورد لنا نصحه وتحريضه بالجهاد لأتباعه بقوله :<< وحرضهم عبد الله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله>>[3]

أما الأساس الثاني فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال الله تعالى : << وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ >>[4]، ومما ورد عن ابن ياسين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه أعلن حربا على المفاسد والمنكرات بل وخاطب قومه بذلك ووعظهم وشوقهم إلى الجنة وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [5] ، ونقل لنا السلاوي كذلك عن ابن ياسين أنه << غيّر ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخمور>>[6]

ومن الأسس التي اعتمد عليها ابن ياسين كذلك هو إزاحة ما كان على الناس من ضرائب ومكوس جائرة حيث قال ابن ابي زرع :<< وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية>>[7] وهو ما قال به أيضا السلاوي[1].

---

[1]– ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125.

[2] – السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص8 .

[3] – ابن الاثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 329.

[4] – آل عمران ، الاية 104.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 125 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244

[6] – السلاوي : المصدر السابق ، ص 12.

[7] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 128.

كانت لهذه الأسس والإصلاحات الأثر البالغ في تنامي دولة المرابطين وتعاظم دعوتهم، حيث أظهرت للناس أن دعوتهم لا ترمي إلى الجاه أو المال وإنما بغية نشر شريعة الله عز وجل وإنكار كل المفاسد ودرئها [2] حيث أجمعت كتب التاريخ التي بين أيدينا أنه دعوة المرابطين استهوت تلك القبائل ودخلت تحت رايتها حيث قال البكري : << واستوى على الصحراء كلها (اي ابن ياسين) وأجابه جميع تلك القبائل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة >>[3] ، ونقل لنا ابن أبي زرع وصف ذلك بقوله :<< وأخذ يركب منه الجيوش ويشتري السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولى على قبائلها>>[4]

وعموما فإن مصادر التاريخ تجمع على أن ابن ياسين ودعوته كانت له اليد الطولى على كل تلك المناطق سواء من دخل في دعوته طواعية أو كرها أو حربا وبذلك بسط نفوذه وعظم شأنه وصارت دعوته يافعة [5] لتظم فيما بعد جغرافية أوسع.

ثالثا : حروب المرابطين في الدور المغربي

بعد أن بسط المرابطون سلطتهم على الإقليم الصحراوي واطمأنوا من ناحية الجنوب بدأوا التفكير ببسط سلطانهم على المغرب وسائر المناطق الشمالية لموطن إقامتهم ويتطلعون للوصول إلى

---

[1] – السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 12 ، ويضيف قائلا في الصفحة 13 << وأمرهم بإقامة العدل وإظهار السنة وإحداث الزكوات والأعشار و إسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة>>.

[2]– حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 175.

[3] البكري: المصدر السابق ، ص 166.

[4] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126.

[5]– البكري: المصدر السابق ، ص 166 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 11 وما بعدها ؛ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 328 و ما بعدها ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص243 وما بعدها ؛ وعلق القاضي عياض على ذلك بقوله : " ولم يزل يستقر تلك القبائل حتى علا عليم واظهروا الايمان هنالك" القاضي عياض : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 333 ؛ اما النويري صاحب نهاية الارب في فنون الادب فعلق على ذلك بقوله : " فاستقام منهم خلق كثير وخلصت عقائدهم وزكت نفوسهم وصفت قلوبهم " النويري : المصدر السابق ، ج24 ، ص 142 .

ساحل البحر "المتوسط" ويساهمون بذلك في حركة الجهاد العام ومقارعة القوى المسيحية الناشئة التي بدأت تظهر في القرن 5هـ/ 11م [1].

و قبل أن نتطرق إلى توسعات المرابطين وحروبهم في المغرب يجب أن نعرج على أهم الأسباب والعوامل التي جعلتهم يتطلعون لضم هذا الجزء الحساس لدولتهم.

1-أسباب الفتح:

من أهم العوامل التي جعلت المرابطين يفكرون في التوجه شمالا هو ذلك العداء التقليدي بين قبائل البتر والبرانس، هذا العداء الذي ظل يوجه تاريخ المغرب الأقصى، ففي هذا الوقت بالذات اتحدت قبائل صنهاجة الجنوب [2] وقد كان للمرابطين دور في هذا حيث جمعوا كلمة تلك القبائل ودانت لهم سواء بالسيف أو عن طواعية [3] أما شمل زناتة فقد تفرق وضعف شأنها بعد انهيار الخلافة الأموية بالأندلس [4] وقد ظل الزناتيون يسيطرون على المغرب لمدة طويلة خاصة الجزء الغربي منه لذلك صار تقاسم الثروة والنفوذ يؤرق الفريقين سواء الزناتيين أو الصنهاجيين ، فكان على الملثمين إذا أرادوا أن يبسطوا سيطرتهم أن يزيحوا عن طريقهم زناتة.

ومن أهم العوامل الأخرى هو رفع راية الإسلام في تلك المناطق وإحياء شريعة الله في نفوس السكان المغاربة إذ كما أسلفنا الذكر أن هؤلاء السكان خاصة في غمارة وبرغواطة قد حادت على الشريعة[5].

---

1 - حسن احمد محمود : الصدر السابق ، ص 187.

2 - البكري: المصدر السابق ، ص 166 .

3 - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 126 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 11 وما بعدها .

4- انهارت الخلافة الاموية بالاندلس سنة 1031 م وكان ذلك ايذانا ببدا مرحلة ملوك الطوائف .

5 -يورد لنا السلاوي ان ادعاء النبوة لدى برغواطة كان امر مستباحا حيث كان صالح بن طريف يدعي النبوة ويقرئهم شرائع مخالفة للاسلام ومن بين الذين ادعوا النبوة رجل اسمه ابو عفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالع بن طريف حيث استولى على ملك برغواطة. واشتدت شوكته واخذ بدين ابائه واجداده ونظم احد الشعراء اسمه سعيم بن هشام المصمودي ابياتا يصف ذلك بقوله:

وهذه امة هلكوا وضلوا   وعارو لا سقوا ماء معنيا

يقولون النبي ابو عقير   فاخزى الله ام الكاذبينا

سيعلم اهل تامسنا اذا ما   اتو يوم القيامة مفظمينا

وكان المرابطون يريدون أن تمتد دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى المغرب ، وهو ما يتضح في خطاب ابن ياسين الذي نقلته كتب التاريخ حيث أمر المرابطين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته [1] والحقيقة أن هذا العامل هو أهم العوامل –في رأينا–، حيث أن ضعف الوازع الديني لدى جزء من المغاربة والصحراء جعل من هذه المحنة ضرورة لإيجاد قوة إسلامية قادرة على تغيير الوضع وإعادة نشر الإسلام الصحيح ، وبذلك فخروج المرابطين للجهاد كان بعثا للإسلام من جديد وإبطالا للبدع والإنحرافات والظلم والفساد والتعسف الذي كان سائدا.

ضف إلى ذلك عامل آخر هو الوضع السيء الذي آل إليه حكم المغرب أيام حكم بني يفرن [2] ومغراوة . [3] وكان الصراع بينهما على أشده فانعدم الاستقرار وانعدم الأمن وتضررت الرعية من سوء الحكم وانتشر الفساد [4] وتنوعت المكوس والمغارم [5] وبذلك تعلقت آمال المغرب بمخلصٍ لهم من هذا الوضع السيء وكان لهم ذلك على يد المرابطين وإمامهم الفقيه ابن ياسين. فبدأت الرسائل تتوالى على هذا الفقيه شاكيةً وضع المغرب إليه ومستغيثةً به ، وبدأ ابن ياسين يفكر جديا في التوجه

هنالك يونس وبنو ابيه   يقودون البرابر حائرينا .

السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 15 – 16 .

[1] – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 243 ؛ السلاوي : ج 2 ، ص 8 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 141. وينقل لنا النويري في ذات الصفحة حوار ابن ياسين مع اتباعه من اجا نشر دعوة الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله : << وقد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا دين الاسلام ، فاستعدوا لقتالهم ، واجعلوا لكم حزبا واقيموا لكم راية >>

[2] – بنويفرن بطن من قبيلة زناتة الكبرى ظهرت على مسرح الحياة السياسية في اواخر عهد الادارسة وكانت منافسة لقبيلة مغراوة تحارب تارة مع الامويين في الاندلس وتارة ضدهم واشهر زعمائها ابو زيري الذي اسس امارة تمتد من سلا الى فاس الى ان اضمحلت في عهد المرابطين سنة 469 هـ/1076م . محمد سليمان الطيب : المرجع السابق ، ص 1055.

[3] – فرع من قبيلة زناتة الكبرى بدا ظهورها اواخر القرن الرابع للهجرة انضمت الى الامويين وحاربت دولة الادارسة في المغرب الاقصى، اشهر زعمائها الامير زيري بن عطية الذي اسس امارة مستقلة استمرت نحو نصف قرن من 381 – 428 هـ/991–1037م . وجعل مدينة وجدة عاصمة لها. المرجع السابق ، ص 1055.

[4] – السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 128 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12.

شمالا ليبدأ بذلك فتح صفحة جديدة من تاريخ المغرب بإنشاء امبراطورية عظمى قائمة على الجهاد وهو ما لم تعهده ربوع المغرب.[1]

من العوامل الأخرى هو القحط الشديد الذي ضرب موطن المرابطين فشحت الموارد، فدعا ابن ياسين أتباعه بالتوجه شمالا فقد أورد لنا النويري حال موطن المرابطين عند سنة 450 هـ/1058م بقوله :<< وفي سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلاد الملثمين وماتت مواشيهم ولقوا شدة عظيمة، فأمر عبد الله ضعفائهم بالخروج إلى السوس الأقصى وأخذ الزكاة فخرجوا وقالوا نحن مرابطون خرجنا إليكم من الصحراء نطلب حق الله من أموالكم فجمعوا لهم شيئا له بال فرجعوا إلى الصحراء>> [2]

وهو نفس ما قال به ابن الأثير : << فلما كانت سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئا له قدر >>[3] ، ويتضح من خلال المصادر أن البلاد فعلا قد تعرضت إلى قحط بل ووصف النويري الحال ومبديا العلة لذلك << ثم ضاقت الصحراء بالمرابطين لشظفها وكثرتهم، فطلبوا إظهار كلمة الحق، فخرجوا إلى السوس الأقصى>>[4].

لكن الأستاذ ابن بية يقلل من شأن هذا السبب بل ويطرح رواية النويري وابن الأثير للتشكيك حيث قال بأن ما أورده هذان المؤرخان أمر يحتاج إلى إثبات كون أن ابن الأثير متأخر زمنيا بحوالي قرنين ولم نجد له سلفا فيما قال [5].

---

[1] – ابن بية : المرجع السابق ، ص 68.

[2] – النويري : المصدر السابق ،ج 24 ، ص 143.

[3] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 329.

[4] – النويري : المصدر السابق، ج4، ص 143.

[5] – ابن بية : المرجع السابق، ص 70. ويواصل ابن بية في ذات الصفحة تبرير ذلك على أن التاريخ الذي ذكره المؤرخان لبداية الهجرة المرابطية نحو الشمال سنة 450 هـ/1058م تاريخ مستبعد لأن المسكوكات المرابطية التي عثر عليها الباحثون يشير بعضها إلى أنها ضربت بسجلماسة عام 450 هـ/1058م وهو دليل على أن فتح هذه البلاد كا نقبل هذا التاريخ، ضف إلى ذلك أن

وهناك عامل آخر هو أن الصحراء أصبحت تضيق بمجموع المرابطين المتزايدة يوما بعد يوم[1] وكان لزاما لهم أن يجد لهم أولوا الأمر منهم مجالا حيويا يتوجهون إليه [2]. إن الباحث لا ينكر بعض المحفزات المادية والاقتصادية التي أدت بالمرابطين إلى التوجه شمالا، لأن بلاد المرابطين في الصحراء فعلا كانت بطبيعتها في القحط والجفاف وشظف العيش حتى أنهم على رواية ابن الأثير والنويري خرجت جموع المرابطين لطلب الزكاة لما لحق بهم.[3]

لكن الحدث التاريخي بطبيعته حدث مركب ناتج عن تفاعلات أكثر من سبب بعينه، لكن بنسب متفاوتة [4]، والقول بتساوي الأسباب السالفة الذكر أمر فيه نظر، وفي نظرنا نحن —والله اعلم– أن السبب الديني هو الذي كان دافعا حقيقا لذلك أن دعوة ابن ياسين ارتكزت على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت تطمح إلى بناء مجتمع إسلامي فاضل ، حتى في تعامل ابن ياسين مع أتباعه كان يحرص على تطبيق تعاليم الشريعة ويحثهم مرارا على الجهاد وإعلاء كلمة الله، والله أعلم.

قبل الخوض في حروب المرابطين الأولى لتوسيع سلطانهم لا بد أن نتطرق إلى التاريخ الحقيقي لبدء حركة المرابطين نحو الشمال لأن هناك تضارب في تاريخ انطلاق حملات المرابطين وحروبهم وربما يرجع السبب إلى أن المؤرخين لم يدونوا أخبار هذه المرحلة الأولى إلا بعد أن قامت الدولة وصارت قوية مسيطرة على الوضع.[5]

المرابطون كانوا من سكان الصحراء وقد تعودوا على شظف العيش وعلى القحط والجفاف لذلك من الصعب أن يخرجوا من بلادهم لعلة كهذه.

[1] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 329.

[2] – حسن احمد محمود : المرجع السابق، ص 191..

[3] – النويري: المصدر السابق، ج4، ص 143 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق: ج8، ص 329.

[4] – ابن بية : المرجع السابق، ص 71.

[5] – تحليل الأستاذ حسن أحمد محمود مبني على الترجيح. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص191.

هناك مصادر تاريخية قالت بان حملات المرابطين وزحفهم نحو المغرب الأقصى بدأ بعد سنة 450 هـ/ 1058 م. ومنهم ابن الأثير [1] وكذا النويري الذي قال عن ذلك :<< وفي سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلاد الملثمين وماتت مواشيهم ولقوا شدة عظيمة، فأمر عبد الله ضعفائهم بالخروج إلى السوس الأقصى وأخذ الزكاة...فتسامع بهم أهل بلاد السوس فإجتمعوا وجيشوا وخرجوا لقتالهم>>[2]

يتضح من خلال الروايتين أن التدفق المرابطي نحو الشمال كان بعد سنة 450 هـ/ 1058 م، إلا أن الاستاذ حسن أحمد محمود يستبعد هذا الطرح ودليله هنا هو المصادر المادية المتمثلة في السكة حيث أن نقود المرابطين ضربت في سجلماسة سنة 450 هـ/ 1058م . ومن غير المعقول أن ضرب النقود يتم قبل الفتح، بل حتى تستتب الأمور ويتفرغون لضرب السكة، وبالتالي فتحرك المرابطين نحو الشمال جاء قبل هذا التاريخ.[3]

أما ابن خلدون فقال ببداية الفتح سنة 445 هـ/1053م حيث قال عن ذلك :<< فتخطوا الرمال الصحراوية إلى بلاد درعة وسجلماسة فأعطوهم صدقاتهم وانقلبوا ثم كتب إليهم وكان اللمطي بما نال المسلمين فيما إليه من العسف والجور من بني وانودين أمراء سجلماسة ومغراوة وحرضهم على تغيير أمرهم فخرجوا من الصحراء سنة خمس وأربعين وأربعمائة >>[4] ، إلا أن هذا التاريخ مستبعد نوعا ما إذ ان مقارنته مع التاريخ الأول أي 450هـ/1058 م يجعل الفارق خمس سنوات وهي ليست بالأمر الهين.

---

[1] – ابن الأثير : المصدر السابق: ج8 ، ص 329.

[2] – النويري: المصدر السابق: ج24 ، ص 143.

[3] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 192.

[4] – ابن خلدون: العبر ،ج6 ، ص 243 . وقد ذكر ابن خلدون في ذات الصفحة أنهم وصلوا إلى درعة في جيش عظيم حيث يقول :<< خرجوا من الصحراء سنة خمس وأربعين وأربعمائة في عدد ضخم ركبانا على المهارى أكثرهم ، وعمدوا إلى درعة، لا بل كانت هناك بالحمى وكانت تناهز خمسين ألف ونحوها، ونهض إليهم مسعود بن وانودين أمير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة لمدافعتهم عنها>>.

أما البكري فذكر لنا تاريخ 446 هـ/ 1054م حيث يقول: << وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوي فلم يجيبوهم إلى ما أرادوا بغزوهم في جيش عدته ثلاثون ألف جمل...وذلك سنة ست وأربعين وأربعمائة >> [1] أما التاريخ الأكثر تداولا بين جملة من المؤرخين وهو ابن عذارى وصاحب روض القرطاس والسلاوي هو تاريخ 447هـ / 1055 م لكن ابن عذارى قال بهذا التاريخ وهو 447هـ/ 1055 م في الجزء الثالث من البيان حيث قال: << وفي سنة أربعين ظهر أمد اللمتونيين... وخرجوا من الصحراء إلى سجلماسة وأميرها مسعود بن وانودين المغراوي فخاطبوه ولاهلها فلم يجيبوهم فغزوهم وقتلوا كثير منهم وملكوا سجلماسة على ما يأتي في دولتهم >>[2]، لكنه يعاود القول في البيان في جزئه الرابع وهو القسم الخاص بالمرابطين بأن هذا الفتح كان سنة ست وأربعين أو ثمان وأربعين [3]، أما ابن ابي زرع فقال بنفس التاريخ وهو 447 هـ/ 1055م، حيث أنه ذكر هذا التاريخ الموافق لعشرين صفر حيث يقول:<< وخرج بهم في الموفى عشرين صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش عظيم من المرابطين، فسار حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل أمير سجلماسة فأخرجه عنها ووجد بها خمسين ألف ناقة كأنها بها في مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوي، فعلم الأمير مسعود بذلك فجمع جيوشه وخرج نحوهم فإلتقا الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالى المرابطين فيها النصر على مغراوة>>[4]

أما السلاوي صاحب الاستقصا فذكر نفس التاريخ وهو 447هـ/1055م ، حيث قال بأن المرابطين خرجوا إلى المغراويين بعدما راسل فقهاء درعة وسجلماسة ابن ياسين طلبين منه القدوم إلى

---

[1] – البكري : المصدر السابق، ص 167 ؛ محمد القبلي : تاريخ المغرب – تحيين وتركيب – ، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ، الرباط ، 2011 ، ص 167 .

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 243.

[3] – نفس المصدر، ج4 ، ص 13. ونقل لنا ذلك بقوله في ذات الصفحة: << فقاتلهم لمتونة إلى أن غلبوهم فطلبوا العفو منهم وأدخلوهم سجلماسة فقيل أنهم قتلوا مسعود بن وانودين أميرهم وقيل بل فر أمامهم...ثم تخلف جماعة منهم ورحل منها مع إخوانه... وبعد ذلك زحفت زناتة المغراويين على سجلماسة فدخلوها وقتلوا من كان بها من اللمتونيين في المسجد الجامع، فقيل أ نذلك كان سنة ست وأربعين وأربعمائة وقيل في سنة ثمان وأربعين>>.

[4] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 128.

بلادهم لتخليصهم من المنكرات والتعسف والذل والصغار الذي طالهم فجمع ابن ياسين أكابر المرابطين وقرروا الزحف على درعة وسجلماسة وكان ذلك في صفر من ذات السنة 447هـ/1055م ، غير أن السلاوي ذكر بأنه ربما يكون التاريخ هو خمس وأربعين وأربعمائة 445هـ/1053م حيث قال :<< وخرج بهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش كثيف من المرابطين- وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة>> [1]

أما صاحب الحلل الموشية فذكر الواقعة دون ذكر التاريخ واكتفى بذكر فتح أغمات وما بعدها سنة 450هـ/1058م. وهو دليل على أن ابتداء فتوحات المرابطين كان قبل سنة 450هـ/1058م.

وعلى أية حال يبدوا أن التاريخ الأقرب للتصديق هو تاريخ 447هـ/1055م الذي ذكرته المصادر السالفة.[2]

ونحن نرجح هذا التاريخ على اعتبار أن المصادر التي قالت بها كلها مغربية وبالتالي فهي جغرافيا قريبة من الحدث وحتى من كانت بعيدة من الحدث زمنيا نقلت عن مصادر أساسية متخصصة بينما نجد رواية سنة 450هـ/1058م التي قال بها كل من ابن الأثير والنويري [3] هي مصادر مشرقية بعيدة جغرافيا عن موطن الحدث وتناولت تاريخ المغرب والمشرق بشكل عام ولم تتخصص بتاريخ المغرب بشكل خاص- والله أعلم-.

---

[1] - السلاوي: المصدر السابق، ج2 ، ص ص 11-12. وذكر في الصفحة 12 أن المرابطين دخلوا درعة وقتلوا أميرها مسعود بن وانودين وغنموا منه 50 ألف ناقة ثم استولوا على دواب المغراويين واسلحتهم وأموالهم فأعطى فقهاء درعة وسجلماسة خمس الغنائم ووزع الأربعة أخماس الباقية على المرابطين.

[2] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص 243 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص ص 12-13 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 128.

[3] - النويري : المصدر السابق، ج24، ص 143 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 329

2–حروبهم منذ 447 هـ/ 1056م الى تولي يوسف بن تاشفين الامارة :

خرج المرابطون في أول الأمر في جيش ضخم [1] ونزلوا وادي درعة ولما أحس أمير مغراوة بالخطر يقترب من دياره، خرج في اثني عشر ألف لمقاتلة المرابطين [2] وكان ذلك سنة 447هـ/1055م [3] وقد كانت حروب عظيمة بين الفريقين انتصر فيها المرابطون ويعلق على ذلك النصر السلاوي بقوله: << فإلتقى الجمعان فيما بين درعة وسجلماسة، فكانت بينهما حرب فظيعة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة فقتل أميرهم مسعود [4] وأكثر جيشه وفرّ الباقون>> [5].

أخذ ابن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التي أخذها في درعة [6] وقسم تلك الغنائم فأعطى فقهاء سجلماسة وصلحاءها الخمس (5/1) ثم قسم البقية على أتباعه المرابطين [7] وفتحت طريق درعة أمام المرابطين الذين أخذوا يتقدمون إلى الشمال دون أي عائق وقد تقدم المرابطون على الفور يتعقبون فلول الزناتيين وينكلون بهم ولكن يبدوا أن الزناتيين لم يستسلموا، ولم يستكينوا للغلبة، وتم لهم التفوق والسيطرة على المسالك الجنوبية المؤدية إلى المغرب حيث اعتصموا بمدينة سجلماسة، ودافعوا عنها مستميتين في ذلك [8]، لكن المرابطين اقتحموها بالسيف وهزموهم

---

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 13 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص 22 ؛ ابن خلدون : ج6، ص 243 ؛

[2] – ابن الأثير : المصدر السابق: ج8 ، ص 329.

[3] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 243 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 128 ؛ غير أن ابن الأثير والنويري ذكروا تاريخا مغايرا وهو 450 هـ/1058 م. النويري : المصدر السابق، ج24، ص 143 ، ابن الأثير : المصدر السابق، ج8، ص 329 ؛ وذكر ابن خلدون تاريخ 445 هـ/1053 م. ابن خلدون : العبر، ج6، ص 243.

[4] – هو مسعود بن وانودين المغراوي، ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص128 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 13 ، السلاوي: المصدر السابق: ج2 ، ص 12 ؛ البكري: المصدر السابق، ص 167 ؛ أما النويري فيسميه مسعود بن ورو. النويري : المصدر السابق، ج24، ص 144.

[5] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 12.

[6] – قدرها المؤرخون بـ 50 ألف من الإبل. ابن خلدون : العبر، ج6، ص 243 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 12 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 128.

[7] – السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 12 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 128.

[8] – حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص 194

وفرقوا شملهم وكانت الغلبة للمرابطين[1]، وقد قدر البكري قوات المرابطين التي غزت سجلماسة بـ 30 ألف [2].

وصف ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس ذلك بقوله: << وارتحل من فوره (ابن ياسين) حتى دخل مدينة سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة، وأقام بها حتى هدنها وأصلح أحوالها وغير ما وجد بها من المنكرات >>[3]. بعد ذلك قام الفقيه [4] ابن ياسين بإصلاح أحوال أهلها والقضاء على جميع ما فيها من منكرات حيث قطع المزامير وأحرق الديار التي كانت تباع فيها الخمور كما قام بخطوة هامة في التقرب من قلوب الناس والتخفيف عما كان عنهم من وطأة سابقيه من الحكام

---

1 - ابن ابي زرع : المصدر السابق،ص 128 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 12 ؛ البكري: المصدر السابق، ص 167 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص 244.

2 - البكري : المصدر السابق، ص 167

3 - ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 128.

4 - الفقيه من حيث المصطلح اللغوي مأخوذة من فقه ، أي العلم بالشيء والفهم له ، وفقه فقها أي علم علما . إبن منظور : المصدر السابق ، 3450 ؛ وقال الصاحب بن عباد في كتابه المحيط ان الفقيه هو العالم في الدين . الصاحب بن عباد : المحيط في اللغة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مؤسسة عالم الكتاب ، (د.م) ، (د.ت) ، ج 3 ، ص 347 ؛ وبهذا المعنى ورد الفقه في القرآن والسنة ، حيث ذكر الحجوي أن لفظ الفقه كان موجودا في لغة العرب لكن بمعنى الفهم لا بمعنى العلم المخصوص ، وما كانوا يستعملون لفظ فقيه أو لفظ عالم إلا بعد مجيء الإسلام . أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجوي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، اعتنى به : هيثم خليفة طعيمي ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 ، ج1 ، ص 20 ؛ ونجد ذلك في دعاء موسى – عليه السلام – فال تعالى : « قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي{25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي{26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي{27} يَفْقَهُوا قَوْلِي » . سورة طه ، الآيات 25- 28 ؛ وفي بعض شروط الفقيه وأوصافه ذكر عياض في ترجمته للعالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي دليم (288 – 372 هـ) بأنه « كان لا يرى أن يسمي طالب العلم فقيها حتى يكتهل ويكتمل سنه ويقوى نظره ، ويبرع في حفظه الرأي ورواية الحديث... ويحكم عقد الوثائق ... ويطالع الإختلاف ويعرف مذاهب العلماء والتفسير ... وحينئذ يستحق أن يسمى فقيها وإلا فاسم الطالب أليق به » . القاضي عياض : المصدر السابق ، ج2 ، ص 108 ؛ ويبدو من خلال النص أنه قد تم الفصل في شروط الفقيه ، التي اختزلها المؤرخون في معرفة الأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الإنسانية ، والحقيقة أن الفقيه الملم بكل الأحكام الشرعية وإنما بجملة منها ، علما أنه لا يمكن أن يكون فقيها من عرف حكما أو اثنين . خليل إبراهيم الكبيسي : دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصر الإمارة والخلافة ، ط1 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 2004 ، ص 20 ؛ وبذلك نلتمس محاولة لحصر الفقه في مجال العلوم الدينية ، ويؤكد ذلك تعريف الفقه الذي الذي أورده إبن خلدون في مقدمته على أنه : « معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبهالشارع لمعرفتها من الأدلة ». ابن خلدون : المقدمة تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، ط 1 ، دار يعرب ، دمشق ، 2004 ، ج 2 ، ص 185 ؛ وعموما فالفقهاء يراد بهم علماء الاصول الذين قاموا بوضع القواعد الاصولية على مقتضى ما نقل من الفروع والاراء والفتاوى الفقهية . قطب مصطفى سانو : معجم مصطلحات اصول الفقه ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، 2000 ، ص 232 .

المغراويين الظلمة فأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية وترك لهم ما أوجبه الكتاب والسنة [1]، بعد ذلك عين عليها عاملا من لمتونة وانصرف نحو الصحراء.[2]

يبدوا أن الزناتيين لم يستوعبوا الهزيمة فما كادت جموع جيوش المرابطين تعود إلى الصحراء للقضاء على ثورة قامت هناك [3] حتى هجم الزناتيون على حامية المرابطين في سجلماسة وقتلوا من كان هناك ، وقد وصف ذلك ابن عذارى بقوله : << وبعد ذلك زحفت زناتة المغراويون على سجلماسة فدخلوها وقتلوا من كان فيها من اللمتونيين في المسجد الجامع >>[4]، أما البكري فيصف ذلك بقوله : << وتخلفوا فيها جماعة منهم ثم عادوا إلى بلادهم فغدر أهل سجلماسة بالمرابطين في المسجد وقتلوا منهم عددا كبيرا >>[5] وكادت انتصارات المرابطين تغدوا لا شيء، لكن ابن ياسين أخذ يذكي في نفوسهم الجهاد مرة أخرى فعادوا أقوى مما كانوا طامحين في ذلك إلى دحر الزناتيين، وبذلك لم تصمد زناتة الجنوب أما زحف المرابطين وانتهى الأمر بهزيمتها وبذلك وطد المرابطون أقدامهم في إقليم الواحات.[6]

وفي سنة 447هـ/ 1055م توفي الأمير يحي بن عمر اللمتوني في إحدى حروبه في بلاد السودان [7] ، ولما سمع الفقيه ابن ياسين باستشهاد يحي بن عمر أبلغ الخبر إلى أخيه أبو بكر بن

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 128 ؛ ووصف ذلك ابن خلدون بقوله : << واصلحوا من احوالها وعزوا المنكرات واسقطوا المغارم والمكوس واقتصوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا الى صحرائهم>> ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244 ؛ اما السلاوي فوصف ذلك بقوله : << واقام بها حتى اصلح شانها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو واحرق الدور التي كانت تباع بها الخمور، وأزال المكوس واسقط المغارم المخزنية ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه>> السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12 .

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص 128 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص 128 ؛ عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص 115 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 194.

[4] –ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 13.

[5] – البكري: المصدر السابق ، ص 167.

[6] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 194 ؛ عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص 115.

[7] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 14 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 23.

عمر اللمتوني [1] وكان رجلا صالحا ورعا [2] وكانت مبايعته في محرم من سنة 448هـ/1056 م على روايتي ابن ابي زرع والسلاوي [3] أما ابن عذارى فيذهب إلى تاريخ مغاير لكن مع الترجيح فقط وليس على سبيل اليقين وهذا التاريخ هو 450 هـ/ 1058 م.[4]

لقد كان مقتل الأمير يحي بن عمر ضربة قاصمة للمرابطين، رغم أنهم بلغوا في ذلك الوقت درجة من البناء والرسوخ لم يعد معها ما يؤثر في بنيانهم موت قائد ، وكان بإمكان الفقيه ابن ياسين أن يقدم نفسه لخلافة يحي بن عمر اللمتوني لكنه أثبت مرة أخرى أنه لا تستهويه السلطة ولا رغبة لديه في الإمارة لذلك قدم الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني للمرابطين الذين وافقوا على توليه الإمارة [5] وقد تولى الأمير أبو بكر قيادة الجيش وتوجه لغزو بلاد المصامدة وبلاد السوس وخرج إليها في جيوش عظيمة في سنة 448 هـ/ 1056م. وقد جعل في مقدمة جيشه ابن عمه يوسف بن تاشفين ثم سار حتى وصل بلاد السوس فغزا بلاد جزولة ثم فتح مدينة ماسة [6] ومدينة رودانة [7] وجميع بلاد السوس وقاتل الروافض الشيعة [8] هناك ، وعن قتالهم ينقل لنا ابن ابي زرع بعض الاخبار بقوله :<<

---

[1] –هو ابو بكر بن عمر امير الملثمين كان في ارض فرغانة تبعته اناس كثيرون ، وكان يسير معه في حال القتال خمسمائة ألف مقاتل ، وقد كان يحفظ محارم الاسلام ، وسار في الناس سيرة شرعية وقد قتل عام480 هـ / 1087 م بعد ان اصابه سهم في حلقه فقتله. ابن كثير : البداية والنهاية– ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم – ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، 2005 ، ج 8 ، ص 268 .

[2] – السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص 128 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 12.

[4] – رواية ابن عذارى مبنية على الترجيح . ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ، ص 14 .

[5] – ابن بية : المرجع السابق ، ص 75 – 76 .

[6] – نهر عظيم في بلاد السوس الاقصى بالمغرب يصب في البحر المحيط ، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة ، وبساتين وجنات وانواع من الفواكه والثمار والاعناب وقصب السكر ، على مصب هذا النهر رباط مقصود من قبل الصالحين وهو ماوى لهم . الحميري : الروض المعطار ، ص 522 ، مجهول : الاستبصار ، ص 211.

[7] – والمقصود بها تارودنت من مدن السوس ، المصدر السابق ، ص ص 211 – 212.

[8] – الشيعة هم الذين شايعوا علينا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ، إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، وهي ركن من اركان الدين ، لايجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام اغفاله واهماله ، ولاتفويضه للعامة وارساله. الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق : امير علي مهنا وعلي حسين فاعور ، ط 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1993 ، ص 169 ؛ ومن اهم فرقها الزيدية والكيسانية والامامية . البغدادي : الفرق بين الفرق تحقيق : محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة، (د.ت)، ص41 ؛ الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن

وكان برودانة قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي، كان قد قدم إلى السوس حين قدم عبيد الله الشيعي إلى افريقية، فأشاع هنالك مذهبه فورثه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لا يرون الحق إلا ما في أيديهم، فقاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة، وقتل بها من الروافض خلق كثير، فرجع من بقي منهم إلى السنة وأخذ اموال من قتل منهم >>[1]

أما السلاوي فينقل لنا ذلك بقوله : << وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بهم قوم من الرافضة يقال لهم البجلية...فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة>>[2].

عبد الله القمي : فرق الشيعة ، تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، ط 1 ، دار الرشد ، القاهرة ، 1992 ، ص 15. وللاستزادة حول فرق الشيعة انظر بقية الكتاب فهو مفصل في ذلك ؛ وقد ذكر ابن حزم نقلا عن ابي محمد ا ناهل الشنع من الشيعة ثلاثة فرق الجارودية من الزيدية والامامية من الرافضة ثم الغالية . ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تحقيق : محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 ، ج 5 ، ص 35 ؛ وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بعض حماقات الشيعة حيث يقول ان من بينها ان بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد بن معاوية مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان المسلمين كانوا يشربون من آبار حفرها الكفار ، كما ان بعض لالرافضة يكرهون التكلم بلفظ العشرة حتى البناء لا يبنون عشرة اعمدة وهي اشارة الى كره الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ، وهجرهم لاسمي ابي بكر وعمر وعثمان . ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط 1 ، د.ن ، د.م ، 1986 ، ج1 ، ص ص 38 – 41 ؛ محمد ابو زهزه: تاريخ المذاهب الاسلامية ، دار الفكر العربي ، الفاهرة (د. ت) ، ص30 ؛ جعفر السبحاني : المذاهب الاسلامية ، ط 2 ، دار الولاء ، بيروت ، 2005 ، ص 146 ؛ يويلوس فلهاوز: احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام— الشيعة والخوارج – ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1958 ، ص 146 وما بعدها ؛ كما تناول ابن الابار الاندلسي التشيع في كتابه درر السمط في خبر السبط وتناول فيه اهم المآسي التي تعرض لها آل البيت من البداية حتى عصره . للاستزادة انظر : ابن الابار الاندلسي : درر السمط في خبر السبط ، تحقيق : عبد السلام الهراس و سعيد احمد اعراب ، (نشر ضمن مجلة الموسم) ، مجلة الموسم ، 1992 ، (د.م) ، العدد 13 ، ص ص 173 – 210 .

[1] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129.

[2] – السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 13 . ويضيف السلاوي في ذات الصفحة معلقا على اعمال ابن ياسين بعد هذا الفتح ببقوله : << وحاز عبد الله بن ياسين اسلاب القتلى منهم وجعلها فيئا واظهر الله المرابطين على منعداهم ففتحوا معالق السوسوخضعت لهم قبائله ، وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وامرهم بإقامة العدل واظهار السنة وأخذ الزكوات والأعشار وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة >>.

يجعل ابن خلدون فتح ماسة وتارودانت سنة تسع وأربعين وأربعمائة فيقول في ذلك : << وندب المرابطين إلى فتح بلاد المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وافتتح ماسة وتارودانت سنة تسع وأربعين وأربعمائة وفر أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلا >>[1] ، أما القاضي عياض فيكتفي بذكر الفتح إجمالا دون ذكر التاريخ حيث يقول: << واستقامت للمرابطين بلاد الصحراء بجملتها وما وراء بلاد المصامدة والقبلة والسوس بعد حروب كثيرة >>[2].

بعد ذلك اتجهت جيوش المرابطين إلى بلاد المصامدة ففتحوا جبل درن [3] وفتحوا أيضا بلاد رودة وفتحوا مدينة شيشاوة بالسيف ثم فتحوا بلاد نفيس [4] وسائر بلاد كدميوة وأتت قبائل رجراجة وحاحة المرابطين فبايعتهم [5].

أوغل المرابطون في إقليم السوس حتى وادي تنسيفت الذي يصب في المحيط "الأطلسي" وبذلك سقطت في أيديهم آخر قلاع ومعاقل بلاد السوس وأطاعتهم جميع قبائلها [6]وأصبحوا سادة الجنوب دون منازع، فقد استطاعوا أن يبسطوا أيديهم على تلك المناطق وأن يقطعوا أشواطا كثيرا في فتح الجنوب، إن هذه الانتصارات كانت تشد من أزر عبد الله بن ياسين وتقوي عزيمته وتزيد ترابطه مع أتباعه وبين قبائل الملثمين أنفسهم.[7]

---

[1] – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244.

[2] – القاضي عياض : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 333.

[3] – جبل درن جبل كبير ببلاد المغرب خصب وواسع وعمائره متصلة وهو في اقصى السوس ، به ثمار كثيرة وغرائب من الاشجار به شجر يسمى آركان يعصر منه دهن كثير جدا يستعمله اهل هذه المنطقة كثيرا. الحميري : الروض المعطار ، ص ص234 – 235.

[4] – نفيس مدينة قديمة ازلية ليس هناك اجمل منها منظرا ولا أكثر منها أشجارا وثمارا يسقيها نهر كان قد فتحها بادىء الأمر عقبة بن نافع وبنى فيها مسجد معروفا بإسمه الى اليوم. مجهول : الاستبصار ، ص208 ؛ بها من الحنطة واللحوم والفواكه مالا يكون في كثير من البلدان بها سوق نافعة وانواع عجيبة من الزبيب المتناهي طيبا وكثرة. الحميري : الروض المعطار ، ص578.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 12 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 196 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 77.

[6] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 .

[7] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ص 196-197 .

بعدها توجه المرابطون إلى مدينة أغمات وكان أميرها يومئذ لقوط بن يوسف بن علي المغراوي فنزل عليها وضيق عليها الحصار وحاصره، فلما يئس لقوط من مقاتلتهم سلمها وفر ليلا عنها هو وجميع حشمه إلى ناحية تادلا.[1]

ويقول عن ذلك ابن ابي زرع : << وارتحل إلى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بت علي المغراوي، فنزل عليها وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال، فلما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه إلى ناحية تادلا فنزل في حما بني يفرن أربابها ودخل المرابطون أغمات وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة >>[2] وبذلك تم فتح أغمات [3] سنة 449 هـ/1057 م. [4] ويذكر ابن ابي زرع والسلاوي أن ابن ياسين وجنوده لما دخلوا أغمات استراحوا بها قرابة الشهرين حتى استراح المرابطون من عناء القتال [5] قبل أن تتوجه جيوش المرابطين نحو إمارة تادلة .[6]

لكن هناك بعض المؤرخين أعطوا تاريخا مغايرا للأول في فتح أغمات فقد قال ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية بفتحها سنة 450 هـ/1058م.[7] حيث ينقل لنا ابن عذارى مجريات ذلك

---

[1] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 13 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244 ؛ البكري: المصدر السابق ، ص 168 ؛ عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص 115 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 78.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129.

[3] – بلد واسع تسكنه قبائل وادي درعة واهلها تجار مياسير ، يدخلون بلاد السودان بقناطير النحاس والاكسية وثياب الصوف والعمائم ، وكانوا أيام الملثمين أكثر الناس أموالا . وتغيرت أحوالهم إلى الأسوء أيام المصامدة (الموحدين). الحميري : الروض المعطار ، ص 46 ؛ مجهول : الاستبصار ، ص 207 ؛ ويضيف ابن الخطيب وصفها بأن قبولها للغريب شحيح وأن أهلها حمقى واموالها في غير ضمان ونفوسها لا تعرف الإطمئنان . ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ص164 – 165 .

[4] – البكري: المصدر السابق ، ص 168 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 14 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 697 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 78.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 14.

[6] – تادلة من بلاد المغرب وهي مدينة قديمة أزلية، بنى فيها الملثمون حصنا منيعا هو الآن معمور وفيه الأسواق والجامع ، وهي بلدة كثيرة الأرزاق والخيرات. أحاطت بها القبائل من كل الجهات. الحميري : الروض المعطار ، ص127 ؛ مجهول : الاستبصار ، ص 200 .

[7] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 15 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 23.

بقوله:<< وكان وصولهم إلى أغمات وريكة في الثاني جمادى الأولى من السنة (يقصد 450 هـ/1058م) فتلقتهم بعض أشياخ قبائل المصامدة على مرحلتين من أغمات، فاحتل الأمير أبو بكر مدينة أغمات واستوكن مع إمامه عبد الله بن ياسين فبايعه بعض القبائل بها>>[1] أما صاحب الحلل الموشية فيقول عن ذلك : << وانصرف إلى بلاد المصامدة يقصد أغمات وطاعت له وريكة وهيلانة وهزميرة وكان وصوله لأغمات سنة خمسين وأربعمائة، فتلقته أشياخ المصامدة وأذعنوا له بالطاعة واحتل مدينة أغمات واستوطنها مع إمامه الشيخ أبي محمد عبد الله بن ياسين>>[2]

وعلى أية حال يذكر الأستاذ حسن أحمد محمود أن الملثمين دخلوا السوس الأقصى سنة 449 هـ/1057م، فلا يعقل أن يكونوا قد وصلوا أغمات في نفس السنة مع بعد المسافة ومشقة السفر بين اقليم السوس الأقصى ومنطقة أغمات، وإذا كانت حملة إقليم الواحات قد استغرقت أكثر من عامين، فربما يكون المرابطون قد دخلوا مدينة أغمات أواخر سنة 449هـ/1057م أو بداية 450 هـ/1058م على أقصى تقدير ، ويرجّح حسن أحمد محمود الرأي الأخير[3].

بعدها خرج المرابطون لغزو مدينة تادلة حيث فتحوها وقتلوا من كان فيها وقتلوا القائد لقوط بن يوسف بن علي المغراوي. [4] وقد كان للقوط المغراوي أمرأة اسمها زينب بنت اسحاق النفزاوية، حيث كانت من أشهر النساء جمالا وجاه وكانت قبل لقوط المغراوي متزوجة بيوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس شيخ وريكة من المصامدة فلما قتل لقوط المغراوي تزوج أبو بكر بن عمر اللمتوني امرأته زينب بنت اسحاق. [5] وقد كان لزينب هذه دور كبير في تطور الأحداث اللاحقة لما كانت

---

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 15.

[2] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 23.

[3] – حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 199 .

[4] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 14.

[5] – ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 14. ويعلق على ذلك السلاوي في ذات الصفحة بقوله : " وكان للقوط هذا امأة اسمها زينب بنت اسحاق النفزاوية...وكانت من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي ابن عبد الرحمان بن وطاس شيخ وريكة ، فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه ابو بكر بن عمر على امرأته زينب بنت اسحاق المذكورة"

تتميز به من فطنة وذكاء من معرفة عميقة لخصائص المجتمع المغربي، حيث كانت بمثابة الزوجة والوزيرة والمستشارة، بجانب أبي بكر بن عمر اللمتوني.[1]

بعدها تقدمت جيوش المرابطين إلى بلاد تامسنا [2] وكان بساحلها قبائل برغواطة في عدد عظيم وأنهم مجوس كفار [3]، لذلك كان جهاد هؤلاء البرغواطيين المارقين عن الدين من أولويات ابن ياسين والمرابطين لاستئصال هذه المناكير المستشرية عندهم.[4]

ويورد لنا ابن ابي زرع ذلك بقوله : << لما وصل عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا أخبر أن بساحلها قبائل برغواطة في أمم لا تحصى وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر وأخبر بديانتهم الخسيسة التي تمسكوا بها ... فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الضلالة رأى أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم فسار إلى غزوهم في جيوش المرابطين والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن ابي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتبني، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي المرابطين ورئيسهم>>[5].

وعلى كل فقد استشهد الفقيه عبد الله بن ياسين في جهاده لبرغواطة وقد كان ذلك سنة 451 هـ/1059م [6]، إلا أن القاضي عياض يذكر أن وفاته كانت سنة 450 هـ/1058م ويقول عن ذلك :<< ثم خرج بالناس لجهاد برغواطة الكفرة، فغزاهم مع أبي بكر بن عمر في جمع عظيم من

---

[1] – عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص 115.

[2] – من بلاد السوس بالمغرب الاقصى بها شرائع وديانات عجيبة وفيها من ادعى النبوة وكان بها من وضع80 سورة بأسماء النبيين وغيرهم ، ففيها سورة آدم وسورة ايوب وسورة هاروت و سورة ماروت... وقد فنيت دولتهم على يد ابن ياسين . مجهول : الاستبصار، ص 197 ومابعدها.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 129 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 14 .

[4] – – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 131 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص ص 78-79 .

[5] – – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 130-132.

[6] –ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 16 ؛ السلاوي : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 17 ؛ البكري: المصدر السابق ، ص 168 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 132 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 244 ؛ يوسف اشباخ : المرجع السابق ، ج 2، ص 69 ؛ ابن بية : المرجع السابق ، ص 79 ؛ عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص 116.

المرابطين والمصامدة، قيل أنهم كانوا في نحو خمسين ألف راجل وراكب فحل ببلادهم تامسنا وقد فرت برغواطة أمامه في جبالهم وغيافهم، وتقدمت العساكر في طلبهم، وانفرد عبد الله في قلة من أصحابه، فلقيه منهم جمع كثير فقاتلهم قتالا شديدا فاستشهد رحمه الله، وذلك سنة خمسين وأربعمائة >>[1]

لقد كان الفقيه عبد الله بن ياسين حريصا على إسداء النصائح للمرابطين حتى وهو في آخر لحظات حياته، فلما أصيب في المعركة حمله عسكره وكانت به قليل من الحياة [2] وجمع أشياخ المرابطين ورؤسائهم وحثهم على مواصلة الجهاد من دونه لأنه احس أن وفاته باتت قريبة وقد حثهم على أن يكونوا عوانا على الحق ومتحابين إخوانا في الله تعالى وحذرهم من مغبة التنافس والتحاسد على الرآسة.[3]

نقل لنا ابن ابي زرع جزءا من ذلك الخطاب الذي وجهه ابن ياسين لأكابر المرابطين ساعة وفاته حيث قال: << يا معشر المرابطين إنكم في بلاد أعدائكم، إني ميت في يومي هذا لا محالة فإياكم أن تجبنوا وتفشلوا وتذهب ريحكم، وكونوا ألفة وأعوانا على الحق وإخوانا في ذات الله، وإياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة فإن الله يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيأكم ويأخذ زكاتكم وأعشاركم>> [4].

اتفق المرابطون على تقديم أمر الحرب [5] إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني، فقدمه عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع أشياخ صنهاجة وإجماع منهم على ذلك [1] ثم دفن الفقيه ابن ياسين

---

[1] –القاضي عياض : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 333 – 334 ؛ دريد عبد القادر نوري : انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء – دراسة في خطوات الانتشار والاسباب والوسائل – ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ،2007 ، الموصل ، العدد الاول ، المجلد الاول ، ص 9 .

[2] –ذكر يوسف اشباخ أن الفقيه ابن ياسين كان يقاتل دون حيطة او حذر وكان واثقا جدا في حظه وطالعه فكان ذلك سبب مقتله على يد اهل تامسنا. يوسف اشباخ : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 69.

[3]– ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 132 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 17.

[4] .- ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 132.

[5] – الحرب نقيض السلم ، وفلان حربٌ لي اي عدوٌ لي ، ودار الحرب هي بلاد المشركين . ابن منظور : المصدر السابق ، ص ص 815 – 816 ؛ وعموما هي صراع عسكري بين قوتين ، يهدف كل واحد من خلالها صيانة على حدوده ومصالحه . احمد

بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا وبني على قبره مسجدا . [2] وبذلك طويت صفحة هامة من التاريخ المرابطي في مرحلة الدعوة حيث كان الفقيه ابن ياسين فيهم عادلا متواضعا عالما فقيها ورعا [3] ، وقد كان صواما قواما بسيطا متواضعا في عيشه وقافا عند حدود الله وكان عادلا في توزيع الغنائم.[4]

ينقل لنا البكري وابن عذارى بعض الأحكام التي شذ فيها ابن ياسين ومنه أخذه الثلث من الأموال المختلطة وزعم أنها بذلك تطيب، وأن الرجل إذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد أذنبت ذنوبا كثيرة فيجب أن يقام عليك حدودها فيضربوه حد الزنا وحد الافتراء وإن علم أنه قتل قتلوه، ومن تخلف عن أداء صلاة الجماعة ضربوه عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضربوه خمسة أسواط، فكان أغلبهم يصلي بغير وضوء لاستعجاله الصلاة مع ابن ياسين وخوفا من العقوبة.[5]

وعموما فقد قطع ابن ياسين شوطا كبيرا في تكوين دولة المرابطين وعند رحيله تركهم قوة سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية تحتل رقعة شاسعة ولها عملة وبيت مال.[6]

زكي بدوي : معجم المصطلحات السياسية والدولية ، تقديم : سعد الفطاطري ، ط1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 ، ص 175 .

[1] – نفس المصدر ، ص 32 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 17.

[2] – البكري: المصدر السابق، ص 168 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 132 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2، ص 17.

[3] – من كرامات الفقيه ابن ياسين أنهم مرة خرجوا في إحدى غزوات السودان فنفذ الماء حتى أشرفوا على الهلاك، فقام ابن ياسين فتيمم وصلى ركعتين، فدعا الله تعالى وأمن المرابطون معه، فلما فرغ من الدعاء فقال لهم احفروا تحت مصلاي هذا، فحفروا مقدار شبر فوجدوا الماء، فشربوا منه وسقوا دوابهم وملأوا اوعيتهم بماء عذب بارد وبذلك انتهت محنة العطش التي أصابتهم.
البكري : المصدر السابق، ص 169 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 16 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 18 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 133. ومن كراماته ينقل لنا ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس في ذا تالصفحة قوله : << ومن بركاته أنه نزل منزلا به بركة كثيرة لاضفادع ل ايقدر واحد أن ستقر حولها لكثرة نقيقها وصياحها. فوقف عبد الله بن ياسين حذاءها (أي بجانبها) سكتت ولم يسمع لها نقيق، فلما تباعد عنها عادت إلى صياحها>>.

[4] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 18 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 133 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج2، ص ص 69-70 .

[5] – البكري : المصدر السابق، ص ص 169-170 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص ص 16-17.

[6] –ابن بية : المرج السابق، ص 79.

بعد استشهاد ابن ياسين آل الحكم إلى الأمير أبو بكر بن عمر وكان أول ما فعله دفن ابن ياسين، فلما فرغ من دفنه توجه بجيوشه وقصد قتال برغواطة متوكلا على الله عز وجل في جميع أموره، فإستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه وهو يلاحقهم ويقتل ويسبي حتى أثخن فيهم وتفرقت برغواطة في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا اسلاما جديدا. [1] وقد قتل في هذه المعركة فقيه المرابطين الجديد سليمان بن عدو سنة 452 هـ/1060م [2]، وأما ابن خلدون فيجعل ذلك سنة 451 هـ/1059 م [3] ويبدو أن المرابطين لم يعينوا أحد لخلافته.[4]

بعدها توجه الأمير أبو بكر بجيوشه ففتح بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة ومكناسة [5] ثم ارتحل إلى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن وكان ذلك أواخر عام 452 هـ/1060 م [6] بعدها ارتحل إلى أغمات وكان قد تزوج زينب النفزاوية- كما ذكرنا سالفا-[7]

قرر العودة إلى الصحراء لكنه أراد تطليق زوجته هذه قائلا لها :<< يا زينب إنك ذات حسن وجمال فائق، وإني سائر إلى بلاد الصحراء برسم الجهاد لعلي أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر وأنت امرأة لطيفة لا طاقة لك على بلاد الصحراء فإني مطلقك، فإن تمت عدتك فتزوجي ابن عمي يوسف بن تاشفين، فهو خليفي على بلاد المغرب>>[8].

---

[1] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 133 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 18 ؛ ابن بية : المرجع السابق، ص 83.

[2] –ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 133

[3] – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص 244.

[4] – علل ابن بية ذلك لانتشار العلم بين المرابطين وظهور علماء دينهم، إضافة إلى أن المناطق التي فتحوها ودخلوها وجدوا فيها فقهاء أجلاء. ابن بية : المرجع السابق، ص 83.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 134 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2، ص 18.

[6] – ابن خلدون : العبر، ج6، ص 244 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 134 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 18

[7] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 134 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 18.

[8] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 134.

وبهذا تدخل بلاد المغرب مرحلة جديدة بتوجه أبو بكر إلى الصحراء واستخلافه ابن عمه يوسف بن تاشفين [1] الذي سيكون المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين.

إن قرار أبو بكر بن عمر رجوعه إلى الصحراء كانت وراءه أسباب فقد ذكر ابن خلدون أن خلافا وقع بين قبائل الصحراء وتحديدا بين لمتونة ومسوفة، حيث خشي أبو بكر افتراق كلمة المرابطين وانقطاع أوصالهم فقرر العودة إلى الصحراء [2] فاسحا الإمارة [3] إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين ، أما صاحب روض القرطاس فقال أن أبو بكر بن عمر اللمتوني << عزم على السير إلى الصحراء ليصلح أحوالهم ويقيم بها ليجاهد الكفار من السودان >> [4] ، ونقل لنا السلاوي سبب ذلك عن ابن خلكان نقلا عن كتاب (المعرب عن مسيرة ملوك المغرب) أن عجوزا في الصحراء ضاعت لها ناقة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، وحمله ذلك على أن يستخلف يوسف ورجع هو إلى الصحراء [5] وكان رجوعه إلى الصحراء سنة 453 هـ/1061 م. [6]

لقد انشغل المؤرخون بمتابعة أعمال المرابطين في الشمال ورصد تحركاتهم رفقة قائدهم الجديد يوسف بن تاشفين، لذلك لا نجد الحديث في كتب التاريخ بما يشفي الغليل فيما يتعلق بجهاد أبي

---

[1] – ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 245 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 134 ؛ النويري : المصدر السابق، ج 24، ص 144 ؛ ابن بية : المرجع السابق، ص 85 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 75.

[2] – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص 244.

[3] – الإمارة منصب لإمامة الناس وقيادتهم والفصل في خصوماتهم وقيادة جندهم وهو نوعان– حسب تقسيم الفقهاء لها – إمارة تامة تخص جميع أمور الدولة، وإمارة خاصة حيث يتم تحديد سلطات الامير في أمور معينة كالدفاع مثلا. موسى عبد اللاوي : الحضارة الإسلامية وآثارها على المدنية الغربية، دار العلوم للنشر، عنابة، 2008، ص 83 وما بعدها ؛ وقد ذكر ابن خلدون انه على الحاكم لزوم العدل في الناس ومخافة الله فيهم والرفق بضعافهم وقال انه عليه تامل ثلاثة احاديث نبوية تعينه على ذلك . للاستزادة انظر رسالة ابن خلدون للقضاة المشهورة باسم (مزيل الملام عن حكام الانام) . ابن خلدون : مزيل الملام عن حكام الانام ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم احمد ، ط 1 ، دار الوطن ، الرياض ، 1417 هـ ، ص 155 .

[4] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 134

[5] – السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 19.

[6] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 134 ؛ ابن خلدون: العبر ، ج6 ، ص 245 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 20 ؛

بكر بن عمر في بلاد الصحراء بعد استخلافه يوسف في الشمال، ومعظم المؤرخين يشيرون فقط إشارات خفيفة ومقتضبة عن جهاده في بلاد الصحراء ومنها ما أورده ابن عذارى عن عودة ابي بكر إلى الشمال للقاء ابن عمه يوسف [1] أو ما ذكره صاحب الحلل الموشية عن تفاصيل هذا اللقاء ومبايعة أبي بكر لابن عمه بالإمارة واستفادته من هدايا أرسلها له يوسف إلى الصحراء بعد عودته إليها [2] وقد ظل الأمير أبو بكر في جهاده في بلاد الصحراء إلى أن توفي عام 480 هـ/1087م. حيث استشهد بسهم مسموم رماه به أحد الوثنيين من بلاد السودان وهو قائم يصلي .[3]

---

1 - ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 23.

2 - مجهول : الحلل الموشية ، ص ص 26-27.

3 - ابن بية : المرجع السابق، ص 94، هامش (5).

الفصل الثاني : حروب المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين

اولا : يوسف بن تاشفين وبناء دعائم الدولة

1–حياة يوسف بن تاشفين

2–بناء مدينة مراكش

3–حروب يوسف بن تاشفين بالمغرب الاقصى

4–فتح المغرب الاوسط

ثانيا : وقعة الزلاقة بالاندلس

1–اوضاع الاندلس قبيل وقعة الزلاقة

2–مجريات وقعة الزلاقة

3–نتائج وقعة الزلاقة

ثالثا : حروب يوسف بن تاشفين في الاندلس بعد الزلاقة

1–الجواز الثاني ومعركة حصن لييط

2–الجواز الثالث ليوسف بن تاشفين

3–الجواز الرابع ووفاة يوسف بن تاشفين

اولا : يوسف بن تاشفين وبناء دعائم الدولة

1–حياة يوسف بن تاشفين :

هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت بن ورتاقطين بن منصور من مصالة بن امية بن واتملي بن تليت الحميري من قبيلة لمتونة الصنهاجية [1] ، أمه حرة لمتونية بنت عم ابية اسمها فاطمة بنت سير بن يحي بن وجاج بن ورتانطق ولد سنة 400هـ/1009م [2] كانت قبيلته تسكن المنطقة الممتدة من وادي نون إلى رأس موغادور إلى مدينة ازكي شرقا ، وكانت المناطق الشمالية مقرا لبني واتنطق فلا بد أن يكون يوسف ولد هناك.[3]

كنيته أبو يعقوب وأبناؤه هم أبو بكر سير، ابراهيم ، وعلي، أبو الطاهر تميم، والمعز .[4]

صفته أسمر اللون ذو بشرة نقية ، معتدل القامة نحيف الجسم خفيف العارضين ، رقيق الصوت أكحل العينين أقنا الأنف ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، مقرون الحاجبين ، مجعد الشعر.[5]

وقد أجمعت المصادر التي بين أيدينا على شجاعته وحبه للرعية وتواضعه حتى وفاته سنة 500 هـ / 1106 م.[6]

---

1 –ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص136 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص24.

2 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 13 ؛ **E.LÉVI-PROVENSAL :the encyclopaedia of islam , leiden , e.j.brill , 1986 , vol 11 , p:356 .**

3 – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص35.

4– مجهول : الحلل الموشية ، 24. ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية في ذات الصفحة أنه في إبراهيم يجتمع يوسف مع إبني عمه الأميرين اللذين كانا قبله وهما أبو بكر زكريا ، أبو بكر بن عمر بن ابراهيم بن تورقيت.

5 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص136 ، ويذكر ابن ابي زرع في الصفحة 138 أن بناته هم كوتة ورقية.

6 – مجهول : الحلل الموشية ، ص24 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص136 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج5 ، ص192 ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993 ، ج34 ، ص75 ، الذهبي :دول الإسلام ، تحقيق : حسن اسماعيل مروة ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1999 ، ج1 ، ص436 ؛ الصفدي :الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000، ج29 ، ص ص73–77 ؛ وقد وصفه ابن الابار بأنه أمير المغرب وذكر أن كنيته أبو يعقوب . ابن الأبيار: الحلة السيراء. تحقيق

ذكر السلاوي نقلا عن ابن الأثير وصفه ليوسف بن تاشفين بقوله : <<كان حسن السيرة خيّرا عادلا يميل إلى أهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام>>[1].

وقد نقل لنا الصفدي بعض الصفات التي اتصف بها بقوله:<<كان أحد ملوك البلاد، دانت بطاعته العباد ، واتسعت ممالكه وطال عمره، وقل أن عمر أحد من ملوك المسلمين والإسلام كما عمّر... وكان يحب العفو والصفح وفيه عدل وخير وكان معتدل القامة، نحيف حفيف العارضين ، دقيق الصوت ، حازما ، سائسا >>[2]. أما الذهبي فقد وصفه في سير أعلام النبلاء بقوله: << هو أمير المسلمين السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني البربري الملثم...كثرت جيوشه وخافته الملوك ...وكان مقربا من العلماء أسمرا نحيفا، حفيف اللحية ، دقيق الصوت، سائسا ، حازما >>[3]

.

أما النويري فقال عنه : << إجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وولوه أمرهم، وسموه أمير المسلمين... وكان يوسف ومن معه على نهج السنة وإتباع أئمة الشريعة فإستغاث به أهل بلاد المغرب ، فإفتتحها شرقا وغربا بأيسر سعي، وأحبته الرعية وصلحت أحوالهم>>[4]

: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف ، القاهرة ، 1985، ج2 ، ص98 ؛ وقد وصفه ابن الخطيب في كتابه رقم الحلل بقوله:"كان ديانا ونور المجلس ، مكرما للفقهاء...موفيا فيهم حقوق الله ". ابن الخطيب :رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس ، 1898 ، ص51.

[1] –السلاوي : المصدر السابق ، ج2، ص21.

[2] –الصفدي: المصدر السابق ، ج29، ص73 ؛كما وردت بعض اخبار يوسف بن تاشفين عرضيا عند احمد التادلي الصومعي (القرن 10 هـ) بقوله ان يوسف بن تاشفين واصحابه اناس مجاهدون جاؤوا بدولتهم من الصحراء لنشر اسلام جديد . احمد التادلي الصومعي : كتاب المعزى في مناقب الشيخ ابي يعزى ، تحقيقي : علي الجاوي ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1996 ، ص 326 .

[3] –الذهبي: سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985 ، ج19 ، ص252 ومابعدها.

[4] – النويري: المصدر السابق ، ج24، ص144 ؛كما وصفه العباس بن ابراهيم السملالي في كتابه الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام بقوله ان يوسف بن تاشفين كان من الرؤساء المتعلقين بطرف صالح من العلم والراغبين في طلبه ولقاء حملته

وصفه إبن خلكان بقوله :<< وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما، اختط بالمغرب مدينة مراكش، وكان موضعها مكمنا للصوص >>[1] ، ويذكر لنا ابن أبي زرع عن تواضعه وزهده في الدنيا بقوله : << زاهدا في الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره وأكله الشعير ولحوم الإبل وألبانها، مقتصرا على ذلك>>[2]

تلقى يوسف العلوم في طفولته من أفواه المحدثين والوُعّاظ، حيث أن المدارس كانت قليلة في الصحراء ، ولم يتعمق في العلوم الدينية ، لأن المسائل المعقدة كانت من إختصاص الفقهاء، وقد تلقى ثقافة شعبية زاولها حتى أصبحت لديه أثرا عاديا وصقلها بما إستمع من علماء وقد نال حظا من تربية الفقيه إبن ياسين[3].

وفيما يتعلق بزوجاته فقد تزوج زينب النفراوية وهي أول زوجاته حيث طلقها إبن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني حينما قرر العودة إلى الصحراء لجهاد السودان [4] التي أنجبت له أكبر أولاده وهو تميم [5] وبعد وفاة زينب عام 464هـ /1071 م [6] تزوج من سيدة أندلسية تدعى قمر والتي لم يرد

والاخذ عنهم . العباس بن ابراهيم السملالي : الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ، عبد الوهاب بن منصور ، ط3 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993 ،ج 10 ، ص 418 .

[1] –ابن خلكان: المصدر السابق ، مج7 ، ص113. ويذكر إبن خلكان في ذات الصفحة.أن الأفرنج كانوا شديدي السطوة على ملوك الطوائف بالأندلس لكنهم كانوا يرهبون بإظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين وهو دليل على قوة دولة المرابطين في عهده.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص136. ويذكر لنا ابن ابي زرع في ذات الصفحة أن يوسف بن تاشفين خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمائة منبر وهو دليل على شساعة دولته وهيبتها.

[3] –سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص ص36–37.

[4]– ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص34 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2، ص19 ؛ G.FAURE-BIGUET : histoire l'afrique septentrionale sous la domination musulmane , éditeur militaire , paris , s.d , p 118 .

[5] –تميم: هو تميم أبو الطاهر أكبر أولاده يوسف بن تاشفين كان واليا على سبته توفي عام479هـ/1086 م أثناء معركة الزلاقة فإضطر والده يوسف إلى العودة أدراجه إلى المغرب . سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص38.

[6]– ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص135 ؛ لكن ابن عذارى يذكر أن في هذه السنة ولد المعز من زينب النفزاوية وفي العام الموالي أي 465هـ/1072م ذكر ابن عذارى أنه كان لقاءين يوسف بنتاشفين وابن عمه أبو بكر في منطقة تعرف الآن بفحص البرنس (لأنهما قعدا على برنسه) وتنازل ليوسف عن الملك وكان ذلك من تدبير زينب النفزاوية وهو دليل على أنها لاتزال حية

ذكرها بإسهاب في مصادر التاريخ [1] وتزوج إمرأة أخرى اسمها عائشة والتي أنجبت الأمير محمد الذي نسب إليها فصار يسمي محمد ابن عائشة.[2]

يمكن القول بأن الصفات التي إتصف بها يوسف بن تاشفين أهلته ليكون قائدا محنكا وفاتحا مغوارا وقدر له الله أن ينقذ أهل الأندلس فيما بعد مما أصابهم من هول وفاجعة أثر تطاول النصارى عليهم[3].

وعموما فقد صار يوسف بن تاشفين مؤهلا لقيادة دولة المرابطين الناشئة وكان أول عمل قام به هو بناء مدينة مراكش التي إتخذ منها عاصمة لملكه ، لكن قبل أن نتكلم عن بناء مراكش نستبق ذلك للحديث عن تنازل الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني لإبن عمه يوسف بن تاشفين عن الملك ، ليتفرغ بعد ذلك إلى دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وحروبه في المغرب لبسط سلطانه وكذا حروبه في الأندلس وجهاده النصارى.

فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن الأمير أبا بكر بن عمر اللمتوني قد يئس من الملك بعد أن وصلته أخبار يوسف بن تاشفين والتي مفادها أنه قد عظم ملكه وإتسعت دولته وقوى لدى الناس أمره وصارت الرعية تحبه [4] ، فطلب تعيين يوم لاجتماعهما فيه، وقد شاور يوسف بن تاشفين زوجته في ذلك الأمر، فقالت له أن إبن عمك سفاك للدماء وعليك بإظهار الغلظة [5] ، فلما كان لقاؤهما بين مدينتي اغمات ومراكش ، فسلم عليه راكبا من دابته ، ثم ترجلا وقعدا على برنس، فتعجب أبو بكر بن عمر مما رأى من ضخامة ملك يوسف ووفرة عسكره وترتيب جنوده فتحدث

هذا العام . ثم ذكر أنه في سنة 467هـ/1074م ولدت زينب وأنجبت الفضل الذي كان أحب الأولاد إلى يوسف وبذلك هذا التاريخ يعاد فيه النظر .ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ،ص ص25-30.

[1] – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص38.

[2] –الصلابي : دولة المرابطين ،ص53.

[3] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 66 ؛وذكر النويري عن فتوح الأندلس وإحتوائها قوله:<< وتنابعت الفتوح على أمير المسلمين في احتوى على جميع بلاد الأندلس ... وفتح في بلاد الفرنج فتوحا كثيرا>>. النويري : المصدر السابق ، ج24 ، ص149.

[4] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 26.

[5]– ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص135 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2،ص20.

معه قائلا : << يا يوسف أنت أخي وإبن عمي ، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك، وأنا لا غنى لي عن الصحراء ، وما جئت إلا لأسلم الأمر إليك، وأهنئك في بلادك وأعود إلى الصحراء مقر إخواننا ومحل استيطاننا ، فشكر يوسف بن تاشفين على ذلك وأثنى عليه>>[1]

وقد علق على ذلك السلاوي بقوله : << فنظر أبو بكر إلى كثرة جيوشه (أي جيوش يوسف) فقال له يوسف ما تصنع بهذه الجيوش فقال : استعين بها على من خالفني .فإرتاب أبو بكر ثم نظر إلى ألف بعير قد أقبلت موقرة فقال : ما هذه الإبل الموقرة فقال: أيها الأمير إني جئتك بكل ما معي من مال وأثاث وطعام وأدام لتستعين به على بلاد الصحراء ، فإزداد أبو بكر تعرفا من حاله وعلم أنه لا يتخلى له عن الأمر>>[2].

بعد ذلك تنازل أبو بكر بن عمر إلى يوسف بن تاشفين عن قيادة المرابطين موصيا إياه بالإعتناء بنفسه وضرورة قيامه بأمور المسلمين على أكمل وجه ثم ودعه وإنصرف إلى الصحراء[3] .

لكن صاحب الحلل الموشية ذكر المبايعة من قبل أعيان الدولة والمصامدة ولمتونة من طرف أبي بكر ليوسف بن تاشفين حيث قال : << واحضر أشياخ لمتونة وأعيان الدولة، وأمراء المصامدة

---

[1] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 26 ؛ لكن يوسف اشباخ لما يتحدث عن هذا الإجتماع يضفي عليه نوعا من المكر والخديعة بقوله :<<ولما إقترب من المدينة (أبو بكر) دعا يوسف إلى لقائه متظاهر بصداقته... عازما على أن يجرده من الولاية التي قلده إياها بالغدر لا بالعنف . وبعد ذلك رأى عظم ملك يوسف تنازل له عن قيادة المرابطين>>.يوسف اشباخ: المصدر السابق، ج1، ص ص71-72.

[2] – السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص20 ؛ وقد ذكر إبن أبي زرع كل ذلك بالتفصيل وزاد على ذلك أن أنهما نزلا وإفترشا فرشا فقعدا عليه وتمت توليه يوسف .ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص135 ؛ لكن إبن خلدون ذكر أن الأمير أبو بكر لم يرد أن ينازع عن الملك وسلم الأمر إليه لكن على سبيل أنه تفطن له حيث قال :<< ثم رجع أبو بكر إلى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد إستبد عليه، وأشارت عليه زينب أن بربه الإستبداد في أحواله وأن يعد له متاع الصحراء وماعونها ، ففطن لذلك الأمير أبو بكر وتجافى عن المنازعة وسلم له الأمر ورجع إلى أرضه>> ابن خلدون : العبر ، ج6، ص245.

[3] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص135 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2،ص20 ؛ وقد كان سبب الانصراف الى الصحراء هو لفض النزاع بين القبائل الصحراوية .مجهول : الحلل الموشية ، ص23 ؛ حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، 2004 ، ص 188 .

والكتاب والشهود والخاصة والعامة ، وأشهد على نفسه بالتخلي له عن الأمر بوطن المغرب >>[1]
ولما وصل يوسف بن تاشفين إلى مراكش بعث بالهدايا إلى أبي بكر بن عمر [2] وكتب إليه كتابا يعتذر فيه إليه ويرغبه في قبول الهدية ويقول له بأن كل هذه الهداية قليلة في حقك.[3]

وقد رضي الأمير أبو بكر بن عمر بهذه الهدايا واصفا إياها بالخير الكثير حيث قال عن ذلك صاحب الحلل الموشية: << وقال (أي الأمير أبو بكر) هذا خير كثير، ولم يخرج الملك من بيننا ولا زال عن أيدينا والحمد لله على ذلك ، فناول إخوانه من تلك الخيرات وإنصرف إلى الصحراء ، فأقام بها ثلاثة أعوام والأمير يوسف ابن تاشفين يمده بالهدايا والتحف حتى قتله السودان المجاورون له في الصحراء>>.[4]

إن تقوى وورع الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني إضافة إلى وصية ابن ياسين التي أمرهم فيها بعدم التحاسد والتباغض وأن يكونوا إخوانا في الله [5] جعلته يتنازل للحكم ليوسف بن تاشفين عن طواعية ويقبل بواقعه الجديد الذي فرضه عليه يوسف وما يدل على نية الأمير أبو بكر الطيبة أنه أوصى يوسف خيرا بالمسلمين وبنفسه [6].

---

1 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 26 ؛ أما ابن عذارى فقال عن ذلك : << وخلع له أبو بكر نفسه وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل>>. ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ، ص25.

2 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 27. ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية تفاصيل الهدية في الصفحة 26،27 بقوله :<< كان معظم ما فيها خمسة وعشرين ألف دينار من الذهب سبعين فرسا، منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى باذهب ، وسبعين سيفا ، منها عشرون محلاة بالذهب... ومائة وخمسين من البغال المتخيرة الذكور والإناث،... ومائتين من البرانس منها بيض وكحل ، ... وعشرين جارية أبكارا، ومائة خادم... وعشرة أرطال من العود... ورطلان من العنبر الطيب... إلى غير ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم والقمح والشعير>>.

3 – ابن عذارى: المصدر السابق ، ج 4 ، ص25 ؛ مهول : الحلل الموشي ، ص28 ؛ وكانت هذه الهداية من إقتراح زينب النفزاوية على زوجها يوسف بن تاشفين.ابن خلدون : العبر، ج6 ، ص 245.

4 – مجهول : الحلل الموشية ، ص28.

5 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص132 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2،ص17.

6 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص135 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2،ص20

انها وصية ناصح مشفق يعرف معنى المسؤولية ومدى شعوره بحملها الثقيل وليست فيئا أو غنيمة، إنه الفهم الصحيح لمعنى ولاية شؤون المسلمين وتسيير أمورهم بما يرضي الله، وكل ذلك منبعه التربية السليمة الصافية.[1]

2-بناء مراكش :

كان لزاما على المرابطين ايجاد مكان ما ليكون مقرا لهم ، ولما دخلت سنة 454 هـ/1062 م كان أمر يوسف بن تاشفين قد إستفحل بالمغرب ورسخت قدمه في الملك فقرر بناء مدينة تكون عاصمة لملكه وحصنا منيعا لجيشه [2] وقد عبر عن ذلك ابن ابي زرع بقوله : << ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، فيها تقوّى أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها إشترى موضع تأسيس مدينة مراكش[3] ممن كان يملكه من المصامدة>>[4]

---

1 -ابن بية : المرجع السابق ، ص91.

2 -ابن خلدون: العبر، ج6، ص245؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص138 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 22 ؛ JEAN DESPOIS : l'afrique de nord – l' afrique blanche - , presses universitaires de france , paris , 1964 , t . 1 , p : 127 .

3 -مراكش بلغت المصامدة تعني امش مسرعا لأن ذلك الموضع كان مكمنا للصوص ، فكان المارون على هذا المكان يقولون لرفقائهم تلك الكلمة (أي مراكش) فعرف هذا الموضع بهذا الإسم ،بضم الميم وفتح الراء المشددة.ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5 ، ص94 ؛ السلاوي : المصدر السابق : ج2 ، ص22. وهي بالإسبانية (MARRAQUEX) وتبعد عن الرباط بحوالي 326 كلم وهي عاصمة الجنوب الغربي حاليا للمغرب الأقصى، وبنى فيها يوسف جامعا أخذ إسمه فيما بعد وإستمرت عاصمة للموحدين وفي عهد بنو مدين نقلوا عاصمتهم إلى فاس ، فقدت مراكش من يومها مركزها السياسي . وقد شيد بها الموحدون جامعا عرف بجامع الكتبية. تشتهر المدينة بصناعة الجلد والصباغة والنحاس وخارجها مزارع الزيتون وأشجار النخيل الشاسعة . لسان الدين ابن الخطيب : معيار الإختيار ، ص161 ، هامش(1) ؛ الزهري: كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد الحاج صادق ، مكتبة الثقافة ، بور سعيد ، د.ت ، ص116. وقال عنها الزهري في ذات الصفحة بأن أهلها أفضل الناس وأرق أهل المغرب نفوسا وأصلحهم نية ودينا وورعا وزهدا ؛ وقد ذكر الحسن بن الطيب المكناسي صاحب كتاب التنبيه المعرب عما عليه الان حال المغرب ان مراكش هي اكبر مدن المغرب الاقصى وابسطها ارضا واوسعها فجاجا واكثرها اشراقا ونورانية وابتهاجا ثم استرسل في ذكر ابوابها وجوامعها . الحسن بن الطيب المكناسي : التنبيه المعرب عما عليه الان حال المغرب ، تقديم وتصحيح : محمد المنوني ، ط 1 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1994 ، ص 150 .

4 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص132.

أما السلاوي فنقل لنا ذلك بقوله : << لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان أمر يوسف بن تاشفين قد إستفحل بالمغرب جدا ورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته إلى بناء مدينة يأوى إليها بحشمه وجنده ، وتكون حصانة له ولارباب دولته >>(1) وقد كان موضع مراكش هذا قاعا صفصفا لا عمارة فيه وهو صقع متوسط في مملكه بلاد المغرب .(2)

كان يوسف بن تاشفين قد إشترى هذا الموضع من عجوز من المصامدة (3) وقد سكن يوسف ومن معه هذا الموضع بخيام الشعر وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لإختزان أمواله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا. وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع سائر الخدم(4) ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آبار فخرج لهم الماء عن قرب (5) ، وقد دام بناؤها ثمانية أشهر (6) وقد بنى بها يوسف بن تاشفين القصور والمساكن الأنيقة وهي مرج فسيح وحولها جبال تبعد منها فقط بفراسخ (7). وقد تم بناء سور لها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، كما بنى جامعا عظيما منسوبا إليه وأنفق عليه ستين ألف درهم (8) إلا أن صاحب الحلل الموشية قدّر كلفة البناء سبعين ألف دينار من الذهب للسور وحده (9) وقد أشار الفقهاء على أمير المسلمين علي بن

---

1 – السلاوي : المصدر السابق ، ج2،ص22.

2 – النويري: المصدر السابق ، ج24 ، ص144 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج8 ، ص 330.

3- ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص138 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 22.

4- G.FAURE-BIGUET : op , cit , p 120 ، من كلام المؤرخين تتضح معالم شخصية يوسف من حيث التواضع وحسن الخلق وتورعه بل وربما إقتدائه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم لما شارك أصحابه في بناء المسجد النبوي الشريف وبيت النبي هجرته إلى المدينة المنورة (يثرب)

5 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص138.

6 – السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 22 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص90.

7 – الفرسخ (FARSAH) وهي محرفة عن كلمة فرسك الفارسية وهي تعادل تقريبا 03 أميال (1ميل = 1.6 كلم) أو المسافة التي يقطعها الإنسان على ظهر فرسه في ساعة من الزمن ، والفرسخ الإيراني يعادل ستة ألاف ذراع أي4448 متر. أما الفرسخ العربي فيعادل 5763 متر . سهيل صابان: المعجم الموسمي للمصطلحات العثمانية التاريخية . مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000 ، ص ص162-163.

8– السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص23.

9- مجهول : الحلل الموشية ، ص90. وقد علق على ذلك صاحب الحلل في ذات الصفحة بقوله: << ولما كانت سنة عشرين وخمسمائة شرع أمير المسلمين علي بن يوسف في تسوير حضرة مراكش وبناء جامعها ومنارتها وجمع الصناع والفعلة على ذلك ،

يوسف على بناء السور [1] وكان من الفقهاء أبو الوليد بن رشد المعروف بإبن رشد الجد[2] وكذا عبد الله محمد بن إسحاق المعروف بأمغار – صاحب عين الفطر – حيث أشار ببنائه وبعد من ماله الخاص وأشار على أمير المرابطين علي بن يوسف بأن يستحدث صندوقا لذلك ويتولى الإنفاق في ذلك رجل فاضل فقبل أمير المرابطين وسهل الله بناءه.[3]

أما عن سبب بناء هذا السور فيقول صاحب الحلل الموشية :<< وسبب تسويرها أنه لما ظهر أمر المهدي إستفتى (أي أمير المرابطين علي بن يوسف) فقهاء العدوة والأندلس منهم قاضي الجماعة [4] بقرطبة أبو الوليد بن رشد في بناء سور على موضعه ومنزله فأفتوه بالتحصين على نفسه وعلى الناس الساكنين معه>>[5]

غير أن ابن أبي زرع يقول ببناء السور على المدينة سنة 526 هـ /1132 م.وهو نفس ما ذهب إليه إبن خلدون وبذلك فإبن أبي زرع وإبن خلدون [6] يخالفان صاحب الحلل الموشية الذي قال ببنائه سنة 520 هـ/1126 م.[7] أما صاحب الإستبصار فقال ببنائه سنة 514 هـ/1120 م.[8]

وجمع كل ما صنع من الدور في مدة ثمانية أشهر على عظم ساحتها وإتساع دورها... أنفق في بناء السور وحده سبعين ألف دينار من الذهب>>.

[1] – نفسه ، السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص23.

[2] – مجهول : الحلل الموشية ، ص90.

[3]– السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص23.

[4]– من المناصب التي ذكرها المؤرخون قاضي قضاة المغرب حيث أورده ابن دحية .

ابن دحية: المصدر السابق ، ص91 ؛كما أورده الشاعر الأندلسي ابن خفاجة: والذي عايش فترة أمير المرابطين علي بن يوسف حيث يقول :

عوجا على قاضي القضاة عذية   في وشي زهر أو حلي أنداء

في حيث جر المجد فضل أذاره   ومشى الهوينا مشية الخيلاء.

عوجا: مر عليه. ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : عبد الله سندة، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2006 ، ص16.

[5] – مجهول : الحلل الموشية ، ص90.

[6] – ابن خلدون : العبر، ج6 ، ص245 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص139 .

[7] – مجهول : الحلل الموشية ، ص90.

[8]–مجهول : الاستبصار ، ص209 ؛ AMAR DHINA : cites musulmans d' orient et d'occident , entreprise nationale du liver , Alger , 1986 , p.p : 99 – 100 .

أما عن سبب إختيار هذا الموقع فقد قال ابن سعيد في كتابه الجغرافيا أن يوسف وأشياخ المرابطين قاموا بمراعاة إنتمائهم الصحراوي فأختاروا أرضا صحراوية فسيحة الأرجاء تتلاءم وطبيعهم التواقة إلى سعة المكان والفساحة [1].

أما ابن خلدون فقال بإختياره لهذا المكان وذلك للتمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم في جبل درن[2] أما إبن الأثير فقال أن إختيار هذا الموضع وذلك من أجل أن يقوى يوسف بن تاشفين على قمع أهل تلك الجبال (أي جبال المصامدة) إن هموا بفتنة وبذلك يسترسل إبن الأثير قائلا فلم تقم هناك فتنة وملك البلاد المتصلة بها [3].

وقد وافق النويري صاحب نهاية الارب في فنون الأدب ما ذهب إليه ابن الأثير حيث قال عن موقع مراكش : << هو سقع (صقع) متوسط في مملكة بلاد المغرب... تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا ، فإختط المدينة هناك ليتقوى على تدويخ أهل تلك البلاد... فلم يعانده أحد من أهل تلك النواحي لهيبته في نفوسهم وعظم ذكره بالمغرب>>[4] .

أما عن تاريخ بناء مدينة مراكش فقد وجدنا إختلافات بين المؤرخين فهناك من يجعلها بنيت سنة 454 هـ/1062 م أمثال إبن خلدون وصاحب الإستقصا وكذا إبن أبي زرع و لسان الدين ابن الخطيب[5].

لكن صاحب الإستبصار يقول بأن تاريخ بنائها كان سنة 459هـ/1067 م وأن أول ما بنى فيها دار الأمة.[1] أما ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية فيذكر أن تاريخ 462 هـ/1070 م [2]

---

[1] –ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ، ص125.

[2] ابن خلدون : العبر، ج6 ، ص245.

[3] – ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص330.

[4]– النويري: المصدر السابق ، ج24، ص ص 144–145.

[5] – ابن ابي زرع : المصدر السابق ،ص138 ؛ ابن خلدون : العبر، ج 6 ، ص245 ؛ لسان الدين بن الخطيب : معيار الاختيار ،ص161 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2 ، ص 22 ؛ L'ENCYCLOPéDIE COLONIALE ET MARITIME , sous la direction d'eugène guerneir et G. frment-guieysse , éditions de l'empire français , paris , 1948 , p : 51 ; C.E.BOSWORTH ET LES AUTRES : encyclopédie de l'islam , imprimé aux pays-bas ,leiden,1986 , tom 5 , p : 1179.

حيث يقول إبن عذارى عن ذلك : << وفي سنة إثنتين وستين وأربعمائة ...أبتدىء بأساس مراكش ...وشرع الناس في بناء الدور دون سور >>[3] بينما يرجح المستشرق الألماني يوسف أشباخ تاريخ 463هـ/1071 م [4] أما ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان فيقول بسنة 470 هـ/1077 م.[5] أما نحن نرجح أن يكون التاريخ الأول أقرب 454هـ/1062 م لكثرة القائلين به وإقترابهم تاريخا وجغرافية من الحدث.

وقبل أن نستعرض حروب يوسف ابن تاشفين لتوسيع سلطانه بالمغرب لا بأس أن نستعرض تلقبه بالامارة.فقد وردت في كتب التاريخ روايتان الأولى تقول بأنه تلقب بأمير المؤمنين سنة 466 هـ/1073 م وهذا الرأي يقول به كل من ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية [6] وعن ذلك يقول ابن عذاري :<< وفي هذه السنة (466 هـ/1073م)إجتمع أشياخ القبائل على الأمير أبي يعقوب يوسف بن تاشفين وقالوا له :أنت خليفة الله في المغرب وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير إلا بأمير المؤمنين فقال لهم: حاشا لله أن أُسمى بهذا الاسم ، إنما تسمى به الخلفاء وأنا رجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد الغرب فقالوا له : لا بد من اسم تمتاز به فقال لهم يكون أمير المسلمين فقيل أنه هو الذي اختاره لنفسه ، فأمرالكتاب أن يكتبوا بهذا الاسم إذا كتبوا عنه وإليه>>[7]

أما صاحب الحلل الموشية فذكر أنه يوسف لما ضخمت مملكته وإتسعت عمالته إجتمع له أشياخ قبيلة وأعيان دولته وإقترحوا عليه أن يسمى خليفة لكنه إختار اسما لنفسه وهو أمير المسلمين

---

[1] – مجهول : الإستبصار، ص ص208–209 ؛ وهو مقارب لما قال به الاستاذ MARC BERGE الذي قال ببنائها سنة 1068 م .

MARC BERGE : les arabes – histoire et civilisation des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de grenade - , éditions lidis , paris , 1983 , p : 153.

[2] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4، ص19؛ مجهول : الحلل الموشية، ص15.

[3] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4، ص ص19–20.

[4] – يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1 ، ص71.

[5]– ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ج5،ص94.

[6] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4،ص27 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص29.

[7] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4،ص27–28. ويتضح من خلال رواية ابن عذارى أن يوسف هو الذي اختار الإسم لنفسه، لكن بإيعاز من شيوخ القبائل .

وناصر الدين[1] ، ويتفق ذلك مع قول ابن الاحمر صاحب بيوتات فاس الذي اكد ان صاحب الدولة العباسية[2] وجه الخلع ليوسف بن تاشفين وسماه امير المرابطين قبل ان يتكلم عن فتح مكناسة الزيتون سنة 466 هـ/1073 ،[3] وهذا التاريخ يتفق معه الأستاذ سعدون نصر الله حيث يؤكد أن تلقبه بالامارة في هذا الوقت 466هـ/1073 م يضفي الشرعية على فتوحاته في باقي أرجاء المغرب .وأن زعماء المغرب سيعرفون ويؤيدون زعامته التي أقامها بعبقريته الفذة وبتخطيطه العسكري الناجح [4].

كما يرجح هذا التاريخ الأستاذ حسن أحمد محمود ويستدل على ذلك من وجود النقود التي ضرب عليها اسم أميرا يوسف بن تاشفين والتي ضربت قبل التاريخ الذي سنتناوله وهو معركة الزلاقة 479هـ/1086 م بعد جواز المرابطين للأندلس[5].

أما التاريخ الثاني الذي أورده بعض المؤرخين أمثال ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس ونقل عنه ذلك السلاوي صاحب الإستقصا فهو 479هـ/1086 م أي بعد وقعة الزلاقة [6] ويقول عن ذلك صاحب روض القرطاس: << وفيها أذل الله الشرك ببلاد الأندلس (وقعة الزلاقة) فلم تقم لهم قائمة نحو الستين سنة، وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدع بها قبل

---

[1]- ويعلق صاحب الموشية عن ذلك بقوله:<<إجتمع إليه أشياخ قبيلته وأعيان دولته وقالوا له: أنت خليفة الله في المغرب...فقال لهم حاش لله أن نتسمى بهذا الإسم.إنما يسرى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة لأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة وأنا رجلهم والقائم بدعوتهم فقالوا له لابد من اسم تمتاز به، وبعدما أجاب إلى أمير المسلمين وناصر الدين خطب له بذلك على المنابر وخوطب به في العدوتين>> . مجهول : الحلل الموشية ، ص29 .

[2] -قامت الخلافة العباسية سنة 132 هـ / 750 م على أنقاض الخلافة الأموية ، وذلك إثر هزيمة الأمويين مع العباسيين في وقعة الزاب وبذلك انتقل العالم الإسلامي تحت قيادة العباسيين وتم نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد . ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 69 ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، ج 7 ، ص 432 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج 5 ، ص 305 ، 311 ؛ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، ط 1 ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1999 ، ج 2 ، ص 268 ؛ ابن الطقطقا : الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ص149 – 339 .

[3] – ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ،1972 ، ص 30 .

[4] – سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص48.

[5] – حسن أحمد محمود: المرجع السابق ، ص ص 335-336.

[6] –ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 149 ؛ السلاوى: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 45.

ذلك وأظهر الله تعالى الإسلام وأعز أهله >> [1] وهو نفس ما ذهب إليه ابن الأثير حيث قال: << ولما رجع أمير المسلمين إلى مراكش (يوسف بن تاشفين) أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي، وقال له علماء الأندلس ،أنه ليست طاعته واجبة حتى يخطب للخليفة وياتيه تقليد منه بالبلاد، فأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله ببغداد فأتاه الخلع والإعلام والتقليد ولقب بأمير المسلمين وناصر الدين >>[2] أما النويري فيذهب إلى تاريخ آخر وهو فترة حكم الخليفة العباسي المستظهر بالله (حكم 487 هـ-512هـ/1094-1118 م) [3] ولكن من غير تحديد السنة حيث يؤكد النويري أن الفقهاء قالوا ليوسف أنه يجب عليك أن يكون لك عهد من الخليفة العباسي فأرسل يوسف بن تاشفين قوما من أهله إلى بغداد بهدية نفيسة وكتاب يذكر فيه ما فعل بالفرنج وما قصده من نصرة الدين والجهاد في سبيل الله فجاءه رسول من أمير المؤمنين أبي العباس أحمد المستظهر بالله بهدية وكتاب وتقليد وخلع.[4]

3-حروب يوسف بن تاشفين بالمغرب الاقصى

أ-فتح فاس وأحوازها:

في سنة 453هـ/1061م وصل يوسف إلى وادي ملوية فميز جيوشه فوجدهم أربعين ألف من المرابطين فإختار منهم أربعة قادة وهم محمد بن تميم الجدالي وعمر بن سليمان المسوفي ومدرك

---

[1] - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 149. وقد ذكره ابن ابي زرع بهذا الاسم في ذات الصفحة بقوله :<< وكتب امير المسلمين بالفتح الى بلاد العدوة والى تميم صاحب المهدية فعملت المفدحات في جميع بلاد افريقية وبلاد المغرب والاندلس>>.

[2] - ابن الاثير: المصدر السابق، ج 8،ص 448.

[3] هو الخليفة العباسي الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس ، واسمه الكامل هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدى بأمر الله بن أبي القاسم القائم بأمر الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق ، في خلافته للدولة العباسية استحوذ الروم على بيت المقدس وبعض بلاد الشام . مجهول : الحلل الموشية ، ص ،89 ؛ وقد توفي المستظهر في سنة 512 هـ / 1118 م . وكان عمره إحدى وأربعين سنة وقد دامت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 173 ؛ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1999 ، ص . ص 206 – 209 ؛ كان كريما وصولا حسن الاخلاق كبير الهمة محبا للخير مبغضا للظلم . ابن الطقطقي : المصدر السابق ص 300.

[4] - النويري: المصدر السابق ، ج 24،ص 150.



التكلالي وسير بن ابي بكر اللمتوني وعقد لكل واحد منهم على خمسة ألاف من قبيلته وقدمهم يوسف للقتال في بلاد المغرب [1] ، وقد وصف ابن أبي زرع مجريات معارك يوسف الأولى في بلاد المغرب بقوله : << فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة وبلدا بعد بلد، فقوم يفرون بين يديه، وقوم يقاتلونه وقوم يدخلون في طاعته حتى أثخن في بلاد المغرب >>[2] وقد تمخضت سياسة يوسف عن نجاح كامل وأخذت قلاع العدو تسقط تباعا [3] بعد ذلك دخل يوسف مدينة أغمات ثم يكون لقاؤه مع ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي استخلف يوسف على بلاد المغرب متوجها إلى بلاد الصحراء.[4] وقد تزوج من زينب النفزاوية [5] في هذا الوقت بالذات [6] ثم قام ببناء مدينة مراكش[7] بعد أن ضاقت عليهم أغمات وعظم الإزدحام بها على حد تعبير صاحب الحلل الموشية[8] ، بعدها دخلت سنة 454هـ/1062م حيث تقوى أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وذاع صيته ، وكثرت جيوشه فكمل له من الجيش [9] في تلك السنة ما يناهز عن 100 ألف فارس فخرج بهم من مراكش قاصدا مدينة فاس [10] فتلقاه قبائلها [1] في خلق عظيم وعدد كثير فقاتلوه وكانت بينهم

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 138 ؛ السلاوى: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 21.

2 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 138.

3 – السلاوى: المصدر السابق ، ج 2، ص 21 ؛ حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 223.

4 – ابن خلدون : العبر ، ج 6، ص 245 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 134 ؛ النويري: المصدر السابق ، ج 24 ، ص 144 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق ، ج 1، ص 75 ؛ ابن بية: المرجع السابق ، ص 85.

5 – قال عنها ابن ابي زرع انها كانت عنوان سعده. ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص138.

6 – ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 245؛ النويري: المصدر السابق،ج 24، ص 146 ؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2، ص21 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق ،ص 138.

7 – ابن خلدون: العبر ، ج6، ص245 ؛ لسان الدين بن الخطيب: معيار الاختبار،ص 161 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، 138 ؛ مجهول : الاستبصار ، ص 208 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج 4، ص19 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 15 ؛ السلاوى: المصدر السابق، ج2، ص 22.

8 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 23. ويضيف في ذات الصفحة انه لما ازدحمت مدينة اغمات ، شكت اليه الناس مما يجدونه من ذلك واشاروا عليه بالانتقال الى فحص مراكش فانتقل اليها.

9 – مر الجيش المرابطي في تطوره بعدة مراحل متميزة تبعا لطبيعة دولة المرابطين ومراحل قيامها ، ووفقا للهدف الدعوي والاستراتيجي لكل مرحلة فجاء ذلك الجيش متأثرا بمؤثرات متعددة . فتحي زغروت : الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2005 ، ص 59 .

10– ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 139، السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص 25.

حروب عظيمة فإنهزموا على يديه وكانت الغلبة ليوسف وجيوشه من المرابطين ، وفرت جيوشهم وإنحصرت بمدينة صدينة[2] فدخل عليهم يوسف بن تاشفين وجيوشه بالسيف. فهدم أسوارها وخربها وقتل بها ما يزيد عن 4000 آلاف رجل وإرتحل إلى مدينة فاس، فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها. وذلك أواخر سنة 454هـ/1062 م [3] ، لكن ابن خلدون قال بأن يوسف بن تاشفين نازل أولا قلعة فازاز[4] وبها " مهدي بن توالي" من بني يحفش[5] فنازله يوسف ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكرنامي صاحب مكناسة [6] لأنه كان عدوا لمعنصر المغراوي صاحب فاس فزحف في عساكر المرابطين وجمع إليه معنصر ففض جموعه [7] ، ثم أقام يوسف على فاس أياما وظفر بعاملها بكار بن إبراهيم فقتله وإرتحل عنها إلى مدينة صفرو ، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوي المالكين لها والقائمين بأمرها ثم رجع إلى فاس [8] فحاصرها حتى فتحها. [1]

---

1 – من تلك القبائل: زواغة ، المايه، لواثة ، سدراتة، مغيلة، بهلولة، مديونة، لماية، صدينة . ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص139 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2،ص25.

2 – هي تقع شمال مدينة فاس قرب بجري نهر سبو حيث مساكن قبيلة تراكة الحالية ، ولا يزال الطن من بطون هذه القبيلة يسمى صدينة الى الان. ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص139، هامش(2) . وهناك مدينة صدينة بالاندلس قرب شذونة وهي مدينة ازلية باقية اثارها واسوارها وهي في غاية الحصانة ولكنها ليست المقصودة في هذه الفتوحات .الحميري: الروض المعطار، ص 356.

3 – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 139؛ السلاوى: المصدر السابق ، ج 2 ،ص25.

4 – وهو جبل كبير تسكنه امم كثيرة من البربر وهم اهل كسب من الغنم والبقر والخيل وفي هذا الجبل انواع كثيرة من العقاقير التي تتخص للعلاجات الرفيعة. مجهول : الاستبصار، ص187.

5 – ويسميه صاحب الاستبصار باسم المهدي بن توالي الجيفشى. المصدر السابق ، ص187.

6 – مكناسة مدينة بالمغرب بها اربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، على المدينة سور كبير وابراج ، وهي مدينة جليلة، قراها عامرة متصلة، تشقها الانهار والمياه السائحة والعيون الكثيرة العذبة ، وبين مكناسة وفاس اربعون ميلا وسميت باسم مكناس البربري لما نزلها مع اولاده عند حلولهم بالمغرب . الحميري: الروض المعطار، ص 544 ؛ وهي اكثر بلاد المغرب زيتونا وهي من عز بلاد المغرب . مجهول : الاستبصار ، ص 188 ؛ ويضيف الاستاذ بوتشيش ان مدينة مكناس اكتست اهمية فلاحية كبيرة في العصر الوسيط بامتياز ولعل العامل المناخي هو من اهلها لتكون كذلك . ابراهيم القادري بوتشيش : اسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط ، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل ، المغرب ،1997 ، ص 35 .

7 – ابن خلدون : العبر ، ج6، ص245.

8 – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 139 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص245 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص25.

وهو الفتح الأول وذلك سنة 455هـ/1063 م.[2] ثم إستخلف عليها عاملا من قبيلة لمتونة ورحل إلى غمارة ، فلما إبتعد يوسف وجيوشه عن مدينة فاس قصدها تميم بن معنصر وقتل العامل الذي إستخلفه يوسف. [3] وفي ذات السنة أي 455هـ/1063 م بايع المهدي بن يوسف الجزنائي صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين. فأمره يوسف أن يخرج بعسكره لقتال بلاد المغرب وقبائلها ، فلمال سمع بذلك تميم بن معنصر المغراوي فخاف على نفسه فخرج ومعه جيوشه ودار بينهما قتال شديد حيث مات المهدي بن يوسف وتفرق جيشه [4] ،فراسل سكان مكناسة يوسف بن تاشفين وأخبروه بموت أميرهم المهدي بن يوسف ، فأعطوه البلاد وملكها يوسف بن تاشفين.[5] بعدها شن المرابطون العديد من الغارات على تميم بن معنصر المغراوي صاحب فاس فلما رأى الأمر قد إشتد عليه وطالت عليه الفتنة وإنقطعت عنه الموارد وإنعدمت الأقوات جمع جيشا عظيما من مغراوة وبني يفرن وخرج إلى المرابطين فكانت الهزيمة عليه وقتل تميم ومعه خلق كثير من حشمه ، فتقدم في مكانه خليفته القاسم بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية الزناتي المكناسي فجمع جيوشه الزناتية وتوجه لقتال المرابطين. فإلتقى معهم بوادي صيفير [6] لكن هذه المرة كانت الهزيمة من جهة المرابطين ومات جماعة من فرسانهم فسمع يوسف [7] بذلك

---

[1] – يقول ابن خلدون انه فتحها صلحا في حين صاحب روض القرطاس يشير الى فتحها دون تحديد الكيفية. ابن خلدون : العبر ، ج6،ص245.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 139 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6 ؛ ص 245، السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص25 ؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة: نبية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (د.ت) ، ص 318 ؛ علي محمود عبد اللطيف الجندي : مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ والحضارة ، جامعة الازهر ، القاهرة ، 1425 هـ / 2004 م ، ص 142 .

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص140؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص 26.

[4] – لما انتصر تميم بن معنصر المفراوي مع جيوشه وقتلوا المهدي بن يوسف قام تميم بارسال رأس المهدي الى صاحب سبتة وهو سكوت البرغواطي . ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 140 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 246.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق ، ص 140 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 246 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2،ص 26.

[6] – وادي سيمير عند ابن خلدون. ابن خلدون العبر ، ج6،ص 246.

[7] – كان يوسف وقتها محاصر لقلعة المهدي (قلعة فازاز) فلما غادرها ترك حامية مرابطية محاصرة لها فدام حصارها09 سنوات وثم خرجها صلحا سنة 465هـ/ 1072م . ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 140 ؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص246 ؛

فإرتحل سنة 456هـ/1064 م وسار إلى بني مراسن وأميرهم يومئذ بعلي بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلق كثير ، وفتح بلادهم ثم سار إلى بلاد فندلاوة [1] فغزاها وفتح جميع تلك الجهات وسار منها إلى بلاد ورغة ففتحها وذلك سنة 458هـ/1066 م.[2] وفي سنة 460هـ/1068 م فتح يوسف جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة [3] ، وفي سنة 462هـ/1070م اقبل يوسف بن تاشفين الى مدينة فاس [4] فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها الحصار حتى دخل عليها عنوة

السلاوى: المصدر السابق، ص 26 ؛ وقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها قلعة منيعة جدا مبنية بالالواح وربما مناعتها هذه هي التي جعلت اللمثونيين يمكثون 07 اعوام ثم يفتحونها .مجهول: الاستبصار ، ص 187.

1 – اوردها ابن خلدون باسم قبولادة ، وفي سنة اخرى فنزلاوة . ابن خلدون : العبر ، ج6، ص246.

2 – ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 141 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 246 ؛ السلاوى: المصدر السابق، ج2، ص ص 26–27.

3 – كان فتح غمارة دون سواها عند ابن خلدون سنة460هـ/ 1068م. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 246 ؛ اما ابن ابي زرع الفاسي فيعمم الفتح على سائر جبالها من الريف الى طنجة . ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص141.

4 – فاس مدينة عظيمة قاعدة بلاد المغرب وهي مدينتان مفتوحتان يشقهما وادي فاس وبينهما فتن. وبها ضياع ومعايش ومبان سامية وقصور ، فواكهها كثيرة وخصبها زائد ، وفي اهلها عزة وصنعة. الحميري: الروض المعطار ، ص434 ، ومدينة فاس محدثة تأسست عام 192هـ/ 808م . في عهد الادراسة بالمغرب الاقصى وقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها غاية في العمارة والصلاح على عهده حيث يقول :" ونحن في سنة 587هـ/ 1191م ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح." مجهول : الاستبصار ، ص 180 ؛ وقد ذكر الجزنائي ان مدينة فاس بلغت قمة الرفاهية والعمارة ايام المرابطين و الموحدين . على الجزنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط3 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2008 ، ص 37 ؛ وقد برر الحسن الادريسي صاحب الدرر السنية سبب بناء مدينة فاس بقوله : ((وذلك انه لما تمهد ملك مولانا ادريس وكثرت عليه الوفود وعظمت جنوده وقوي جيشه وضاقت بهم مدينة وليلي عزم على الانتقال عنها واراد ان يبني مدينة يسكنها ... حتى وصل الى موضع مدينة فاس)) . الحسني الادريسي : الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية ، مطبعة الشباب ، مصر ، 1349 هـ ، ص ص 79 – 80 ؛ كما وصفها ابن الخطيب بانها دار الملك الاصيل والعز المشرف التليل حيث القصور البيض والملك الطويل العريض والابواب المحروسة والبساتين المغروسة . ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق : السعدية فاغية ، مطبعة الجديدة ، الدار البيضاء (المغرب الاقصى) ، 1989 ، ج 3 ، ص 88 ؛ وقد ذكر الكتاني عن كثرة العلماء في فاس في كتابه سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصالحين بفاس ما يلي :<< ولتعلم ايها الواقف عليه والناظر بعين الرضى والقبول اليه انه قد مر في هذه البلدة العظيمة المقدار ، من العلماء والاولياء ما لا ينحصر كثرة ولا تستوعبه الاسفار >> . الكتاني : سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصالحين بفاس ، تحقيق : عبد الله الكامل الكتاني وآخرون ، ط 1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء (المملكة المغربية) ، 2004 ، ج 1 ، ص 3 ؛ للاستزادة عن تاريخ مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين . انظر : جمال احمد طه : مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ/ 668هـ) ، دار الوفاء ،الاسكندرية ، 2001.



بالسيف فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة، وقبائل زناتة خلق كثير [1] ، وفر من بقي منهم إلى احواز تلمسان وكان هذا الفتح يوم الخميس الثاني من جمادى الاخرة سنة462هـ/ 1070م[2] ، ولما دخل يوسف مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الاسوار التي كانت تفصل بين المدينتين (عدوة القرويين وعدوة الاندلس)، وردهما مصرا واحدا وأمر ببناء المساجد في احوازها وأزقتها وشوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد فيه، وبنى الحمامات والفنادق والارحاء (مفرده رحى) واصلح اسواقها وهذب بناءها [3]. بعدها توجه يوسف بن تاشفين وجيوشه الى بلاد ملوية ففتحوا حصن "واطاط" وكان ذلك بعد خروجه من فاس مباشرة سنة 463هـ/1071م . وفي سنة 464هـ/ 1072م اجتمع كبراء وأشياخ قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر وبايعوا يوسف بن تاشفين فكسا جميعهم ووصلهم بالاموال ثم خرج معهم ليطوف على جميع اعمال المغرب ويتفقد احوال الرعية وينظر الى سيرة ولاتهم وتعاملهم مع رعيتهم ، فصلح بذلك على يديه كثير من أمور المسلمين[4].

وفي سنة 465هـ /1073م غزا يوسف مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علدوان (اقليم فاس)[5] وفي سنة 467هـ/ 1075م فتح يوسف بن تاشفين جبال غياثة وبن مكود وبني رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا[6] وبعد هذا الفتح اقتسم يوسف بلاد المغرب على بنيه واهله وامراء

---

1 – وصف ذلك ابن ابي زرع بقوله:<< حتى امتلأت اسواق المدينة وشوارعها بالقتلى، وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاندلس ما يزيد عن ثلاثة الاف رجل>> ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 141 ؛ ووصف ذلك المشهد المهول ابن خلدون بقوله ان المدافن الفردية اعوزت وانقرضت ، فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات جماعات . ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص 246.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص 141 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 27

3 – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص ص246-247 ؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص27 ؛ جمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، الازاريطية، 1997 ، ص48.

4 – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص27.

5 – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص27.

6 – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص247 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص27. مجهول : الحلل الموشية ، ص28 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ، ص28.

قومه وذويه [1] حيث ولى سير بن ابي بكر على مدائن مكناسة ومكلاتة وفازاز ، وولى عمر بن سليمان على مدينة فاس واحوازها، وولى داوود بن عائشة على سجلماسة ودرعة . وولى ولده تميم مدينتي اغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وتادلة وتامسنا [2] . ونظرا لتفرغ يوسف لفتوحاته في المغرب فقد ورده كتاب من المعتمد بن عباد طالبا منه قدومه للاندلس برسم الجهاد فاعتذر يوسف بحجة استكمال فتوحات المغرب خاصة سبتة وطنجة[3] .

ب–فتح سبتة وطنجة:

كانت مدينة سبتة وطنجة لبني حمود الادريسيين من لدن دولة أمويي الاندلس ولما انقرضت دولتهم وخلفهم بنو حمود استنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من مواليهم الصقالية حتى استقل بها الحاجب سكوت البرغواطي [4] ولما كانت سنة 470هـ/1077م نظر يوسف في محاربة سبتة [5]

---

[1] – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص247.

[2] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص27–28 ؛ وقد وصف السلاوي فتوحات يوسف ومدى تقدمها بقوله:<< وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين سوى سبتة وطنجة>>.

[3] – ابن خلدون: العبر،ج6، ص 247 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 142 . وقد أخبرنا ابن ابي زرع عن أولى محاولات التنعاون بين يوسف والمعتمد في الفتوح بقوله في ذات الصفحة :<< بعث المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز بهم برسم الجهاد ونصر البلاد، فقال له لا يمكنني ذلك إلا أن اتملك سبتة وطنجة، فراجعه ابن عباد يشير عليه أن يسير إليها في عساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعه فيجتاز لها في البحر حتى يتملكها. فأخذ يوسف في محاولة ذلك.>>

[4] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 28.

[5]– سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب قال عنها ياقوت الحموي بان مرساها أجود مرسى على لابحر، وهي على بر البربر تقابل بلاد الأندلس على طريق الزقاق (مضيق جبل طارق). وتعتبر سبتة من المدن المحصنة، تشبه في حصانتها مدينة المهدية بافريقية (تونس) بينها وبين فاس مسيرة 10 أيام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء وبها سور عتيق بناه عبد الملك بن ابي عامر لا يزال ماثلا إلى اليوم. الحميري: الروض المعطار، ص 303 ؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 183 ؛ وقدم لنا ابو حامد الغرناطي (ت565هـ/1169م) وصفا لسبتة اثناء رحلته بقوله انها بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر وعندها الصخرة التي وصل اليها سيدنا موسى عليه السلام في رحلته التي ذكرها القرآن الكريم . ابو حامد الغرناطي : تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ، تحقيق : اسماعيل العربي ، ط 1 ، منشورات دار الافاق الجديدة ، المغرب الاقصى ، 1993 ، ص 174 ؛كما قدم لنا ابن الصباح الاندلسي في رحلته المسماة نسبة الاخبار وتذكرة الاخيار (زمن الرحلة نهاية القرن الثامن للهجرة) وصفا دقيقا عن سبتة حيث يقول ((مدينة سبتة حاضرة من حواضر الاندلس في الكسوة واللباس والسيرة والعادة ... مدينة الناس والاخيار ، واظرف الحضر ، نظاف الاثواب ، وخير اولي الالباب ، تمشي في اسواق النحاس الاصفر الذي يضيئ

وطنجة ، فبعث قائده صالح بن عمران في 12 الف فارس من المرابطين و 20الف من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم ، فلما قربوا من احواز طنجة خرج اليهم الحاجب سكوت البرغواطي بجموعه وجيوشه وكان عمره انذاك 86 سنة [1] فالتقى الجيشان بأحواز وادي منى من احواز طنجة ، فالتحم القتال بينهم فقُتل سكوت البرغواطي [2] وانهزم جيشه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها [3] أما سبتة فبقيت بيد الحاجب ضياء الدولة يحي بن سكوت فأرسل القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف[4] .

ولما دخلت سنة 473هـ/ 1080م فتح يوسف وجيوشه مدينة مليلة [5] وجميع بلاد الريف ثم مدينة نكور فلم تعمر به بعد ذلك . ثم دخلت سنة 474هـ / 1081م ففتحت مدينة وجدة [6]. اما سبتة فقد ارسل يوسف بن تاشفين ولده المعز اليها في جيش عظيم فنزلها وحاصرها حتى فتحها وكان ذلك في شهر ربيع الاول سنة 477هـ/ 1084م ونذكر هنا أن يوسف قد وصلت اليه

مثل الذهب ...)) . ابن الصباح الاندلسي : الرحلة الحجازية – المسماة نسبة الاخبار وتذكرة الاخيار– ، تحقيق : جمعة شيخة ، منشورة ضمن مجلة دراسات اندلسية ، 2011 ، تونس ، العددان 45-46 (عدد خاص) ، ص ص 34 – 36 .

[1] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص142 ؛ ويبدوا أن سكوت البرغواطي هذا كان مصر على محاربة المرابطين ورد دعوتهم فقد قال << والله لا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنلحي أبدا>>. السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص29.

[2] – سكوت البرغواطي ويكتب كذلك سقوت وهي من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها بين طنجة وأصيلة ، أسر في حرب غمارة وبرغواطة، وإنتهى أمره إلى أن صار عبدا لشيخ من غمارة ثم صار يعلي بن حمود الإدريسي وبفضل قومه وصل إلى رآستهم فتولى على طنجة وسبتة وأطاعته غمارة وضل يناوىء المعتمد بن عباد، حتى قامت دولة المرابطين كنان أن ينظم إليهم لولا أن ابنه ضياء حال دون ذلك فقتل في الحرب معهم . ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص140 ، هامش1.

[3] – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص247 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص29 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق ، ص ص48-49 ؛ محمد بن تاوديت : تاريخ سبتة ، ط 1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء (المملكة المغربية) ، 1982 ، ص 51 .

[4] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص29.

[5] – مليلة من أرض طنجة مسورة بسور من حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وأسواق وحمامات ، وهي قريبة من نهر ملوية بالنغرب الأقصى وهي مدينة قديمة. الحميري : الروض المعطار ، ص545 ؛ الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس –مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، طبعة ، ليدن، 1866 ، ص171.

[6] – وجدة مدينة بالمغرب كبيرة قديمة ، مشهورة بالبساتين والجنات والمزروعات والمياه والعيون. طيبة الهواء جيدة الغذاء. ملاعيها كثيرة ونافعة وعلى وجدة طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وإلى سلجماسة وغيرها بينها وبين تلمسان ثلاثة مراحل. الحميري : الروض المعطار ، ص ص607-608.

نداءات المسلمين بالاندلس لذلك كان مشغولا بذلك فقرر أن يوكل فتح سبتة لابنه المعز الذي بعد أن فتحها كتب الى أبيه عن هذا الفتح فسر والده بذلك [1] وتجدر الاشارة الى أن المعتمد بن عباد قد ساهم بجيوشه في المعارك البحرية في هذا الفتح [2] فقد اورد لنا ابن ابي زرع خطابا بين يوسف والمعتمد حيث أمر يوسف المعتمد بالرجوع الى الاندلس بعد تحرير سبتة قائلا <<فقال له الامير يوسف رحمه الله ارجع الى بلدك وخذ في أمرك فإني قادم عليك في اثرك... فرجع ابن عباد الى الاندلس ، ودخل يوسف سبتة فهدنها واصلح احوالها وسفنها >>[3] وفي نهاية المطاف كان النصر للمرابطين حيث انهزم ضياء الدولة وحاول الفرار لكن المرابطين طاردوه فدخل إلى دار تعرف بدار تنوبر وهناك ألقي القبض عليه وقتله المعز بن يوسف بن تاشفين. [4]

4-فتح المغرب الاوسط:

تعود أول فتوحات المغرب الاوسط الى سنة 468هـ/ 1075م حيث جهز أمير المرابطين يوسف بن تاشفين عسكرا ضخما وقدم عليه ابن عمه مزدلي اللمثوني وبعثه إلى تلمسان [5] وكان أميرها يومئذ العباس بن يحيى أمير زناتة ، فأرسل إليه المرابطون كتابا بالعفو عنه أن هو تنازل عن

---

[1] - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص144 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص716 .

[2] - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص144 ؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق ، ص52 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص716 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق ، ص ص 48-49.

[3] - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص144.

[4] - سعدون نصر الله: المرجع السابق ، ص53.

[5] - تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناتة ، تتوسط قبائل البربر وهي مقصد للتجارة وهي دار للمحدثين والعلماء على مذهب الإمام مالك وهي مدينتان إحداهما إختطها الملثمون واسمها تافرزت وفيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس ، واسم المدينة القديمة أقادير، يسكنها الرعية تكثر بها الخيل الراشدية (لها فضل على سائر الخيل) ويزعم بعضهم أنها البلد التي أقام بها سيدنا الخضر عليه السلام وأقام بها الجدار المذكور في القرآن الكريم. ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج2 ، ص44 ؛ ابن الخطيب : معيار الإختيار ، ص183 ؛ وقد قدم لنا العبدري (ت 720 هـ/ 1320 م) في رحلته وصفا دقيقا لما شاهده في وهران حيث يقول : ((وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور ، ولها جامع عجيب مليح متسع ، بها اسواق قائمة واهلها ذوو ليانة ولا باس باخلاقهم)) . محمد العبدري البلنسي : الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة ، الجزائر ،2008 ، ص ص 27 – 28 ؛ كما قال عنها ابن الصباح الاندلسي انها المدينة المبرورة بالصالحين وفيها الماء البارد والهواء المعتدل . ابن الصباح الاندلسي : المصدر السابق ، ص ص52 ، 57 .

تلمسان دون قتال ، فوافق على ذلك ، فدخل الأمير مزدلي إلى تلمسان ودخلها في هدنة ثم ولى عليها ابنه يحي بن مزدلي ورجع هو إلى مراكش.[1] ويتفق مع تاريخ فتح تلمسان في 468هـ/1079 م صاحب الحلل الموشية.[2] غير أن ابن أبي زرع يورد تاريخ 472هـ/1079 م حيث يقول عن ذلك : << وفي سنة إثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلي لغزو مدينة تلمسان فسار إليها في عشرين ألفا من المرابطين فهتكها ودخلها وظفر بولد أميرها معلا بن يعلى المغراوي فقتله ثم رجع إلى يوسف فألفاه بمدينة مراكش >>[3] ويتفق مع هذه الرواية ابن خلدون بقوله : << ثم أغزى الأمير يوسف بن تاشفين إلى المغرب الأوسط سنة إثنتين وسبعين وأربعمائة قائده مزدلي بن تبلكان[4] بن محمد بن وركوت من عشيرة في عساكر لمتونة لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان وبها يومئذ الأمير العباس بن بختي من ولد يعلي بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، فدوخوا المغرب الأوسط وصاروا في بلاد زناتة ، وظفروا بيعلى إبن الأمير العباسي فقتلوه وإنكفأوا راجعين من غزاتهم >>[5] ويتفق معهم كذلك صاحب الإستقصا. [6] ويختلف ابن عذارى مع صاحب روض القرطاس وإبن خلدون والسلاوي حول قتل يعلي حيث أن إبن عذارى لم يتطرق إلى ذلك وذكر أن الفتح كان سلميا دون قتل [7]، ويبدوا أن التاريخ الثاني هو الأقرب للواقع 472هـ/1079 م فقد إتفق معه الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش وكذا الأستاذ عبد الله العروي وعبد العزيز سالم [8] وبعد أن فتحت تلمسان أقام يوسف بن تاشفين مدينة جديدة هي تاكرارت بجوار أغادير القديمة [9] بعدها توغل المرابطون في

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ، ص29.

[2] –مجهول : الحلل الموشية ، ص28.

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143.

[4] – في النسخة الباريسية من المخطوط اسمه ملنكان وفي النسخة التونسية: تيلكنان.

[5] – ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص247.

[6] – السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص29.

[7] – ابن عذارى : المصدر السابق ، ج4 ، ص29.

[8] –إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ص13 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص715 ؛ عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص117 .

[9] – عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص715.

المغرب الأوسط ففتحوا مدينة تنس [1] ثم واهران [2] وجبال الونشريس [3] وأعمال شلف [4] بأجمعها حتى وصل إلى الجزائر. [5] وكان ذلك سنة 474هـ/1081 م وعموما فقد فتحت مناطق المغرب الوسط وخضعت كل تلك القبائل لسلطان المرابطين وبعدها عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش. [6]

وقد وصف ابن أبي زرع ذلك بقوله: << ثم دخلت سنة أربع وسبعين ، فيها طلع يوسف بن تاشفين إلى وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ووهران وجبال وانشريس وأعمال شلف بأجمعها إلى الجزائر، ورجع إلى مراكش فدخلها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمائة >>[7]. وقد بنى يوسف بن تاشفين في مدينة الجزائر (العاصمة) جامعا لا يزال ماثلا إلى اليوم ويعرف بالجامع الكبير.

---

[1] – تنس مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة ومحصنة وهي قديمة أزلية بها فواكه ومزارع وحنطة وسائر الحبوب وداخلها قلعة صعبة المرتقى يسكنها عاملها بها أسواق جميلة ومسجد جامع ، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وقد بناها الأندلسيون ستة 262هـ/876م. الحميري : الروض المعطار ، ص138؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج2 ، ص48 ؛ وقد ذكر ابن سعيد المغربي انها مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل في المراكب الى بلاد الاندلس وغيرها ، ولها نهر ياتيها من جنوبها ويصب في البحر الذي يبعد عنها بميلين . ابن سعيد المغربي : كتاب بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق : خوان قرنيط خينيس ، مطبعة كريماديس ، تيطوان(المغرب الاقصى) ، 1958 ، ص 76 .

[2] – وهران بلدة بالمغرب على ساحل البحر قال الحميري أنها أسست سنة 290هـ/903 م. بناها جماعة من البحارة الأندلسيين بسبب المرسى للفتنة مع القبائل البربر المجاورين لها وثم تخريبها على أيديهم ثم عمروها وصارت مدينة كثيرة البساتين والثمار والمياه والعيون وأهلها ذووا خلق وكمال قامة والشدة. تجلب إليها الحنطة ثم يسير بها التجار إلى بلاد أخرى كثيرة. الحميري : الروض المعطار ، ص612 ؛ الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص128.

[3]– جبل ونشريس لبني توجين من زناتة منه ينبع نهر شلف المشهور وهو مثل النيل وعليه مجالات مغزاوة وزناتة. ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص141.

[4] – شلف : مدينة أزلية بالمغرب في آثار أولية مانت تسمى شلف، بها نهر مشهور بقرب مليانة. الحميري : الروض المعطار ، ص343. ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص141.

[5] – جزائر بني مزغنة على ضفة البحر وهي عامرة وآهلة وأسواقها قائمة وفي جبالها قبائل البربر وزراعتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ينتجون كثيرا العسل والسمن ويبيعونه إلى البلدان المجاورة. الحميري : الروض المعطار ، ص163 ؛ وقد تم فتح الجزائر وانضمت لسلطان المرابطين MAHFOUD KADDACHE : op , cit , p : 101 .

[6] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص247 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص29 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص715.

[7] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143.

والتشابه بين هذا الجامع وبين جامع تاقررت واضح جدا وهو دليل على إهتمام المرابطين بالعمارة الدينية.[1] وقد توقفت الفتوحات عند مدخل بلاد القبائل من أرض صنهاجة الشرقية ، ولم يدخل المرابطون مع إخوانهم الصنهاجيين في حروب لا طائلة منها سواء الحماديون في المغرب الأوسط أو الزيريون في المغرب الأدنى. [2] ويبدو أن سبب توقف الفتوحات من ناحية أخرى هو نداء المستغيثين من أهل الأندلس الذي وصل يوسف بن تاشفين فقد أورد ذلك ابن أبي زرع بقوله: << ورجع إلى مراكش فدخلها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، فورد عليه كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال الأندلس، وما آل إليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ، وسأله نصرها وإعانتها، فأجابه يوسف : إذا فتح الله لي سبتة وصلت بكم فبذلت في جهاد العدو المجهود>>[3] وهو نفس ما قاله به ابن خلدون: << فخاطب المعتمد بن عباد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين منتجزا وعده في صريخ الإسلام بالعدوة وجهاد الطاغية[4] ، وكاتبه أهل الأندلس كافة من العلماء والخاصة فإهتز للجهاد... فأجاز البحر في عساكر المرابطين وقبائل المغرب >>[5] ، أما السلاوي فقد نقل لنا أن ورود كتاب المعتمد بن عباد لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين هو السبب في تحول كل طاقة المرابطين إلى الجهاد في الأندلس [6] وقد ذهب الأستاذ عبد الله العروي إلى أن الأنسب إلى منطق الأحداث في توقف فتوحات يوسف بالمغرب هو تلبية نداء المستغيثين من رؤساء الأندلس[7] والجواز إلى هناك لدحر قوى الكفر وأن يقوم بواجب الجهاد المرادف لمعنى الرباط، ومن المستشرقين الذين قالوا بذلك يوسف أشباخ حيث قال بأن جهود يوسف بن تاشفين في بسط

---

[1] – سعدون نصر الله: المرجع السابق ، ص52.
[2] –عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2 ، ص715.
[3] –ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص143.
[4] –المقصود به الفوسفو السادس والمعروف في المصادر العربية باسم الأذفنش بن شانجة .
[5] –ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص248.
[6] –السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص30.
[7] –عبد الله العروي : المرجع السابق ، ص118.

سلطانه على المغرب كادت تمتد لتونس لولا أن إستغاث أهل الأندلس بالمرابطين لنجدتهم من النصارى.[1]

ثانيا : وقعة الزلاقة في الأندلس :

1-اوضاع الاندلس قُبيل معركة الزلاقة :

قبل التطرق إلى حروب بن تاشفين في الأندلس ضد النصارى لا بأس أن نستعرض أحوال الاندلس قبل دخول المرابطين إليها لنعرف أهم دواعي إستنجاد أهلها بالمرابطين في بلاد المغرب.

الأندلس ليست بالكلمة العربية وقد إشتقها العرب من كلمة فاندلوسيا [2] وهو اسم مأخوذ من قبائل الوندال الجرمانية التي إستقرت في تلك المناطق الجنوبية من إسبانيا، وأعطت إسمها إلى تلك البقاع قبل أن يطردها القوط الغربيون من هناك، وأطلق العرب أول مرة اسم الأندلس على إسبانيا الإسلامية جميعا وعلى شبه الجزيرة الإيبيرية كلها حينما سيطروا على معظمها ثم تقلص هذا الاسم تدريجيا مع تقلص الواقع السياسي حتى صار لا يدل على أكثر من جنوب إسبانيا.

وجغرافيا تقع الأندلس جنوب غرب أوربا على شكل رأس متوغل في الماء[3].

وقد أفتتح الأندلس أول مرة سنة 92هـ/711م أيام الوليد بن عبد الملك الأموي ثم لحق به

---

[1] -يوسف أشباخ : المرجع السابق ،ج2 ، ص73.

[2] – ويقول الأستاذ جيمس كولان أن أصل الأندلس مشتق من فنداليشيا والتي تطلق على إقليم(BAETICA) .ج.كولان: دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، القاهرة، 1980، مج2، مادة أندلس، ص18 ؛ لكن المقري يورد لنا تفسيرا مغايرا نقلا عن ابن سعيد المغربي بقوله: "إنما سميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، لأنه نزلها، كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها، وإليه تنسب سبتة. أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1988، ج1،ص125 ؛ للاستزادة حول وصف الاندلس ، أنظر:مجهول: ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق: لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد 1983، ص ص9-25 ؛ شكيب ارسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936، ج1، ص32.

[3] -شاكر مصطفى: الاندلس في التاريخ ، دار الاشبيلية، سوية، 2002 ، ص6.

موسى بن النصير وأتما الفتح معا[1] وقد وصفها الحميري في الروض بقوله أن اسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا وهي بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه والخيرات فيها دائمة وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد. غير أنه يقول بأن اسمها كان (ابارية) ثم سميت (باطقة) ثم إشبانيا. نسبة لرجل ملكها في القديم اسمه إشبان ثم سميت بالأندلس. وهي جزيرة على شكل مثلث تصنيف من ناحية شرق الأندلس [2] وقد إنقسمت أرض الأندلس قبل عبور المرابطين إليها إلى دويلات وإمارات صغيرة عرفت في التاريخ باسم ملوك الطوائف[3] ومن هذه الدويلات دولة بني جهور في قرطبة [4] ودولة بني عباد في اشبيلة وبني الأفطس في بطليوس وبني ذي النون في طليطة [5] ونظر لوجود هذا التشتت المقيت فإن أمور المسلمين كانت تميل إلى الضعف أكثر منها إلى القوة، كما ساهم ذلك في ظهور العنصرية الهدامة بين المسلمين سواء كانوا عربا أو بربرا أو صقالبة بل وصل الأمر إلى [6] إستعانة بعضهم بالنصارى الكفرة على إخوانهم، حيث وجدوا ذلك سيفا مسلطا على إخوانهم[1].

---

[1] –ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص29 ومابعدها ؛ وذكر المقريزي ان الاندلس كانت قبل فتحها بيد القوط والجلالقة ، حتى فتحها الله على المسلمين وقتلوا ملكهم لذريق ، فانحشر النصارى الى جليقية . المقريزي : درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2002 ، مج 1 ، ص 483 .

[2] –الحميري: الروض المعطار،ص33.

[3] – أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988، ص96.

[4] –ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1، ص185؛ وينقل لنا رينهرت دوزي ان ابن جهور كان مشهورا عند قومه بجدارته وكفايته لتقلد منصب السلطة والإضطلاع بالحكم لكنه رفض بادىء الأمر وبعد إلحاح شديد من قومه قبل تولي أمورهم. رينهرت دوزي: ملوك الطوائف ، ترجمة: كامل كيلاني،ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1933، ص10 ؛ يمكن الإستزادة أكثر حول أحوال المسلمين عموما وملوك الطوائف خصوصا بالنظر إلى المؤلف الآخر رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة ، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1994 ، 03أجزاء ؛ أسعد حومد: المرجع السابق ، ص96.

[5]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص193 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص54 ومابعدها .

[6] – عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص65 وينقل لنا بيتين من الشعر عن ابن رشيق في وصفه ذلك في الصفحة53 بقوله:

مما يزهدني في أرض أندلس ... سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي إنتفاخا صولة الأسد.

في هذا الوقت بالذات كانت دولة يوسف بن تاشفين تتعاظم أما الأندلس فكان حالها إلى تشتت وتناحر حيث تمزقت وحدة المسلمين إلى ممالك صغيرة أدت إلى تفتت وانهيار القوة الإسلامية في بلاد الأندلس مما شجع الممالك النصرانية التطاول على المسلمين هناك وبثوا الفرقة بينهم [2]، بل وصل الحال بملوك الطوائف إلى دفع الجزيات و الإتاوات إلى ممالك النصارى خاصة قشتالة حيث وصف عبد الواحد المراكشي حال الأندلس حينئذ بقوله: << فهؤلاء الرؤساء الذين ذكرنا أسمائهم والذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة وضبطوا نواحيها، وإستبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات وانقطعت الدعوة للخلافة وذكر اسمها على المنابر... ولم يزالوا كذلك وأحوال الأندلس تضعف وثغورها تختل ومجاوروها من الروم تشتد أطماعهم ويقوى تشوفهم، إلى أن جمع الله الكلمة ورأب الصدع ونظم الشمل وحسم الخلاف وأعز الدين وأعلى كلمة الإسلام وقطع طمع العدو، بيمن نقيبه أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني>>[3] .

كان فرناندو[4] الأول ملك قشتالة وليون [5] قد إستولى على عدة مدن أندلسية مثل قلمرية[1] وأرغم ملوك الطوائف على شراء حمايته للإحتفاظ بعروشهم وقد بادروا بدفع الجزيات وإتقاء شره ودرأ

كما اورد ابن صاعد الاندلسي المعاصر لملوك الطوائف (توفي 462 هـ / 1070 م) في كتابه طبقات الامم حال الاندلس بعد سقوط قرطبة ومجيئ ملوك الطوائف بقوله ((ولم تزل مركز ملك المسلمين بها (اي قرطبة) الى زمان الفتنة وانتشار الامر على بني امية فافترق عند ذلك شمل الملك بالانداس وصار الى عدة من الرؤساء حالهم كحال الطوائف من الفرس)) . ابن صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، نشر : لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،1912 ، ص 63 .

1 – عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص718.

2 –حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص50 ؛ محمد حمام : الغرب الاسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، ط1 ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، 1970 ، ص 107 ؛ رائد عبد الرحيم : صورة الامير يوسف بن تاشفين في ادب الرسائل في عهدي الطوائف والمرابطين ، مجلة جامعة النجاح للابحاث (العلوم الانسانية) ،2007 ، (د . م) ، المجلد 21 ، ص 29 .

3 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص ص65-66.

4 –وتذكره المصادر العربية بإسم فرذلند. ابن الخطيب: كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الإحترام من ملوك الإسلام ، تحقيق: ليفي برفنسال، ط2، دار المكشوف ، بيروت، 1965، ص243 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص50.

5 – عن إتحاد مملكتي قشتالة وليون اتظر: يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص10 ومابعدها؛وقد وصف الحميري قشتالة بقوله أنها من الاعمال الاندلسية ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الشمال ونقل عنها بيتين من الشعر

الروم تضرب في البلاد وتغنم والعرب تأخذ ما يغئ المغرم

تهديداته وجلب رضاه ورغبا في خطب سلمه ورضاه[2] وقد صار الخطر النصراني على الأندلس لازمة طبيعية استساغها المسلمون وإستطاعوا التعايش معها إلا أن التشتت الذي عرفه الأندلس جعل خطر النصارى يتفاقم حتى إستولوا على عدة مدن إسلامية.[3]

كان الفونسو السادس [4] أشد النصارى على المسلمين وطأة وتسلُّطا وقد بدأ يجهز جيوشه للإستيلاء على طليطة [5] منذ سنة 471هـ/1078م وكان له ذلك سنة 478هـ/1085م [6] وبذلك صارت له اليد الطولى على مسلمي الأندلس.

والمال يورده كله قشتالة فالله يلطف بالعباد ويرحم.

الحميري: الروض المعطار ، ص 483.

[1] – قُلمرية: بضم الحرف الاول والثاني وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء، وهي مدينة من بلاد برتقال وهي على جبل مستدير عليها سور حصين وبها نهر عليه ارحاء وكانت تحت حكم الاغرنج. ياقوت حموي: المصدر السابق ، ج4، ص391، الحميري: الروض المعطار، ص 471.

[2] – عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2،ص 718.

[3] – مونتغرى وات: المرجع السابق، ص102وما بعدها

[4] – معروف في المصادر العربية باسم الاذفونش وهو ابن فرذلند بن غرسية بن شايخة . يلقبه المسلمون بطاغية الروم .وكان الاذفونش قد قتل اخاه غريسة اثر حرب طويلة بينهما انتهت بأسر الفونسو السادس لهذا الاخير وقتله وبذلك توسعت مملكة الفونسو 6، وانفرد بالحكم حتى وفاته.ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ،ص50 ومابعدها.

[5] - طليطة من أهم مدن الأندلس بها الحدائق من كل جهة فيها ضروب من الفلاحة تفضلت بها على غيرها من المدن وقال فيها الشاعر ابن وكيل

زادت طليطلة على ماحدثو بلد عليه نضارة ونعيم

وفيها المباني والقصور الكبيرة. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، تحقيق:شوقي ضيف، ط4 ، دار المعارف، القاهرة، 1995، ج2 ، ص ص8-9.

[6] –تم إحتلال مدينة طليطلة 478هـ/1085م.ويذكر صاحب الحلل الموشية أن الفونسو لما إحتل طليطلة سنة 478هـ/1085م،دب الروع وإشتد الخوف وهابت الملوك أمر الفونسو6. مجهول: الحلل الموشية، ص39 ، أما ابن الخطيب فيذكر أن إستدعاء المعتمد لإبن تاشفين كان في عزة جمادي الأولى من478هـ/1085م أي بعد سقوط طليطلة.ابن الخطيب: المجال الإعلام، ص245،أما ابن خلدون فيقول أن طليطلة دخلها الفونسو صلحا مغتنما تناحر ملوك الطوائف وذلك في سنة478هـ/1085م. ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص248 ؛ وقد ذكر الاستاذ جوزيف ماك كي بان الاسبان ان حالة المدينة اليوم تدل على على ما جناه الاسبانيون على المدينة عند استيلائهم عليها . جوزيف ماك كيب : مدينة الاندلس في اسبانيا ، ترجمة : محمد تقي الدين الهلالي ، ط 2 ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1985 ، ص 59 ؛ ERNEST WEIBEL : occident – maghreb 13 siècles d'histoire , ellipeses édition , paris , 2010 , p : 103.

لقد أحدث سقوط طليطة في يد القشتاليين أثرا سلبيا كبيرا في نفوس المسلمين في المغرب والأندلس على السواء ، وبدأت نواقيس الخطر تنذر ملوك المسلمين بقرب أفول نجمهم وتهاوي سلطانهم وقرب نهاية أجل حكمهم. [1] غير أن ابن أبي زرع ذكر أن إستيلاء الفونسو على طليطة كان سنة 477هـ/1084م [2] ، لكن محقق الكتاب يستدرك ذلك بقوله أنها فتحت في 27 محرم 478هـ الموافق لـ25 ماي 1085م[3] وهذه هي الرواية الأقرب مقارنة بالمصادر سالفة الذكر والله أعلم.

لقد كانت هذه الإستفاقة متأخرة نظرا للتناحر الذي كان موجودا بين ملوك الطوائف بدل توحدهم والتمكين للإسلام في الأندلس، بل أن سقوط طليطة كان نذيرا بأفول نجم دولة المسلمين في الأندلس وقد أدرك الشاعر عبد الله فرج اليحصبي المشهور بإبن الغسال هذه الحقيقة فأنشد في أبيات من الشعر[4]

يا أهل أندلس حثو مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات سفط[5]

لقد إستفحلت حرب الإسترداد [1] بسقوط طليطلة بل وطمع الفونسوا السادس في الإستيلاء على الجزيرة كلها فقد بعث برسالة إلى المعتمدين بن عباد [2] يحذره ويتوعده[3] فرد عليه ببيتين من الشعر من نظمه قائلا:

---

1 –مجهول : الحلل الموشية ، ص38؛ ابن سبام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، 1997، مج2، ص92ومابعدها؛ عبد الله بن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص77؛ ابن قنفذ: كتاب الوفيات ، تحقيق:عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص261.

2 –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص144.

3 – نفس المصدر ، ص144، هامش(1) ؛ HENRI CROUZET : géographie historique et politique de l'europe –depuit la domination romaine jusqu'aux traités de 1815-, imprimerie P.bégat , place de la mairie ,1857 , p : 32 .

4 – عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2 ، ص718.

5 – السفط هو الذي يعبىء فيه الطيب وما شابه من أدوات النساء. ابن منظور: المصدر السابق، ص20–27. والمقصود من الشعر هذا إستحالة عيش المسلمين مع أعدائهم في الجزيرة.

الذل تأباه الكـــــــرام ديننا   لك ما ندين به من البأساء

سمناك سلما ما أردت وبعد ذا   نغزوك في الاصباح والامساء.[4]

الله أعلى من صليبك فـــأدرع   لكتيبة حطمتك في الهيـــجاء

فلتقد من إذا لقيت امـــــنة   رزقا ترى بالوجنة الــوجناء[5]

لكن المعتمد رد برسالة على الفونسو السادس يحذره من الغرور ويتوعده بحرب ضروس [6] وقد أشار بعض أهل الرأي على المعتمد بن عباد بمصانعة الفونسو السادس وعقد السلم معه وأداء مال معلوم كل سنة [7] وكان ذلك كله مخافة أن يذهب ملكهم وقد اختلى المعتمد بإبنه وولى عهد الرشيد أبي الحسن عبيد الله وقال له: << إنا في هذه الأندلس غرباء بين بحر مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر إلا الله تعالى وأن إخواننا وجيراننا ملوك الأندلس ليس لنا فيهم نفع ولا نرجى منهم نصرة[8]... ونرى من الرأي أن يبعث إلى هذا الصحراوي ملك العدوة نستدعيه للجواز ليدفع عنا

---

[1] – حرب الإستردادهي الحرب التي أعلنها المسيحيون على المسلمين في الأندلس لإسترجاعها من يد المسلمين وبدأت هذه الحرب مع ضعف المسلمين بالأندلس. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3 ،ص125؛ PHILPPE CONRAD : histoire de la roconquista , 2 édition , presses universitaires de france , paris , 1999 .

[2] – المعتمد بن عباد وكنيته أبو القاسم وهو الجواد الشجاع البليغ ذو الأخبار الشهيرة والأنباء المأثورة في الدهر، قال عنه ابن الصيرفي المعتمد على الله محمد بن عباد نسيج وحده في الجود. فذ في البلاغة مشهور في الشعر والكتابة، بارع النظم والنثر، كثير الأدب، جزل الألفاظ ،كان شجاعا مقداما حسن السيرة رفيقا بالرعية، سمت به همته إلى تملك قرطبة وإنصرف إلى إشبيلية وترك ابنه واليا عليها، إستعان بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين لدرىء الخطر النصراني. لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام ،ص ص159–163. علي أدهم: المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص94ومابعدها.

[3] – نص الرسالة كاملا في الحلل الموشية. مجهول: الحلل الموشية، ص ص38–39.

[4] – يتضح من هذين البيتين أن المعتمد بن عباد وصل به القنوط إلى حد المجاهرة بمحاربة الفونسو السادس الذي دانت له رقاب ملوك الأندلس وإنحنت لجبروته وقوته حتى أن الفونسو من خلال رسالته كان عازما على إذلال المعتمد لذلك قرر هذا الأخير التخلص من هاجس الخوف الذي تملك طويلا.

[5] – مجهول : الحلل الموشية، ص39.

[6] – نص الرسالة كاملا عند صاحب الحلل الموشية، ص ص40–41.

[7] – نفس المصدر ، ص41 ؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2 ، ص720.

[8] – هذا دليل واضح على التناحر الذي كان واعا بين ملوك الطوائف ووصل بهم الحد إلى إمتناع دعم بعضهم بل بالعكس وصل حالهم إلى الإستعانة بالنصارى الإعداء على إخوانهم كل ذلك حفاظا على كرسي زائل.

هذا الكلب اللعين >>[1]. لكن ابنه الرشيد لم يوافقه على هذا الرأي فقال لأبيه المعتمد بن عباد :<< حاول الأمر مع النصراني ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك ويشتت الشمل فالناس من علمت>>[2] فرد عليه المعتمد بن عباد قائلا: << يا ولدي لأن أموت راعيا بالمغرب خير عندي من أن أرد الأندلس دار كفر فتكون اللعنة علي من المسلمين أبد الدهر >>[3] ثم قال مقولته الشهيرة :<< حرز[4] الجمال والله عندي خير من حرز الخنازير >>[5]، بعد أن رأى الرشيد إصرار والده على الإستنجاد بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين ليخلصه من هذا الصغار والذل وينقذ الإسلام والمسلمين قال الرشيد لأبيه يا ابت إفعل ما أراك الله[6] فرد عليه المعتمد بن عباد قائلا له << ان الله لم يلهمني هذا إلا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين>>[7].

لقد قال المعتمد بن عباد لكل الذين لاموه على الإستنجاد بيوسف بن تاشفين أني بين حالتين حالة شك وحالة يقين ولا بد لي أن أختار إحداهما ، أما حالة الشك فإني إن استند إلى يوسف بن تاشفين أو إلى الادفنش ففي الممكن أن يفيا لي ويبقيا عليه. ويمكن ألا يفعلا فهذه حالة شك ، وأما حالة اليقين فإني إن استندت إلى ابن تاشفين فإني أرضي الله وإن استندت إلى الادفنش اسخطت الله تعالى ، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء ادع ما يرضي الله وآتي ما

---

[1] -مجهول : الحلل الموشية،44.

[2] – ابن الخطيب أعمال الإعلام، ص245؛ أما صاحب الحلل الموشية فيورد حوار الرشيد مع أبيه بقوله:<<يأبت أتدخل علينا في أنداسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا>> وهودليل على أن الرشيد وخاصة المعتمد كانوا خائفين على افول ملكهم. مجهول: الحلل الموشية ، ص44.

[3] – ابن الخطيب أعمال الإعلام، ص245؛ أما صاحب الحلل الموشية فيورد رد المعتمد على الشكل التالي :<< أي بني والله لايسمع عني أبد أي أعدت الأندلس دار كفر، ولاتركتها للنصارى فتقوم على العنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري>>. محهول : الحلل الموشية،44.

[4] – حرز أي جمعها وصيانتها والحرائز من الإبل هي التي لاتباع نفاسه بها. ابن منظور : المصدر السابق، ص832 ؛ وتعني الحفظ والتحفظ . ابن زكريا : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 38 .

[5] – مجهول : الحلل الموشية، ص45.

[6] – ابن الخطيب أعمال الإعلام، ص245 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص45.

[7] -نفس المصدر، ص45 ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج2، ص ص 220-221.

يسخطه ، حينئذ قصر اصحابه وتراجعوا عن لومه. [1] لذلك كانت من فضائل المعتمد بن عباد أنه آثر الاستنجاد بأمير المرابطين على الطاغية الفونسو السادس.[2]

ولما بلغ كتاب المعتمد بن عباد إلى الفونسو السادس، إنزعج من ذلك وأقسم بأيمان غليظة ألا يرفع يده عن المعتمد وأن يحشد من الروم عدد شعر رأسه ويصل بهم إلى بحر الزقاق [3] ثم خاطب الفونسو أمير المسلمين بما يلي << من أمير اللمتين اذفنش بن شانجة بن فرنداة ، إلى الأمير يوسف بن تاشفين أما بعد: فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المسلمين ، بل الملة المسلمة ، كما أنا أمير اللمة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخاذل والتواكل والراحة، وأنا أسومهم الخسف ، فأخرب الديار وأهتك الأستار وأقتل الشبان وأسر الولدان [4]، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، إن أمكنتك فرصة هذا... فلا أدري أكان الجبن يبطىء بك، أم التكذيب بما أنزل إليك ، فإن كنت لا تستطيع الجواز فإبعث إلي ما عندك من المراكب لأجوز إليك، وأنا أقاتلك في أحب البقاع إليك فإن غلبتني فتلك غنيمة جلبت إليك ، وإن غلبتك كانت لي اليد العليا واستكملت الإمارة والله يتم الإرادة >> [5] وقد استغاظ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من هذه الرسالة وكتب على ظهرها << جوابك يا اذفشن ما تراه لا ما تسمعه إن شاء الله >>.[6]

قرر المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين [7] حيث اتصل بالمتوكل بن الأفطس [1] صاحب بطليوس وعبد الله بن بلقين [2] الصنهاجي أمير غرناطة وطلب منهما أن يشكلا وفدا لإرساله إلى

---

[1] – سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص69.

[2] –ابن الأبار : الحلة السيراء، ج2، ص54.

[3] –والمقصود به مضيق جبل طارق ، وكان قديما يسمى بحر الزقاق كناية عن ضيقه .

[4] –هذا إعتراف صريح من الفونسو السادس بما عاث به من فساد وهتك للحرث والنسل لما إحتل طليطلة في478هـ/1085م وما إقترفت جيوشه من تخريب وسبي.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص 43.

[6] – نفس المصدر ،ص ص 43-44.

[7] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 248 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 45 ؛ ابن ابي زرع : المصدر اللسابق، ص 144، ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص 245، وكان ذلك عند ابن الخطيب في غرة جمادى الأولى من سنة 1085/478م. ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 114 ؛ ابن الأبار: الحلة لاسيراء، ج2، ص 55 ؛ عمر رابح شبلي : دور علماء الاندلس في الحياة

أمير المرابطين يوسف بن تاشفين للاستغاثة به من الخطر القادم لبلادهم من جهة الشمال والمتمثل في الفونسو السادس.

تم تشكيل بعثة رسمية [3] لإرسالها لأمير المرابطين يوسف وحملت معها رسالة إليه مؤرخة

في 479 هـ/1086 م [4] وهذا بعض ما جاء فيها بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم : << إلى حضرة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين- محي دعوة الخليفة [5]، الإمام أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ...إنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا، فصرنا شعوبا لا قبائل، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر.فقل ناصرنا وكثُر شامتنا، وتوالى علينا العدو والمجرم اللعين اذفنش وأناخ عنا بكلكله ووطئنا

السياسية خلال القرن الخامس الهجري ، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية) ،2008 ، (د.م) ، العدد 2 ، المجلد 16 ، ص 271 .

[1] – كان حاكما شهيرا شدت الرحال إلى مدينته كان عالي القدر، مشهور الفضل ، مثلا في الجلابة والسرور وهو من أهل الرأي والبلاغة ، ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص346 ؛ ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق:إبراهيم الأبياري . المطبعة الأميرية ، القاهرة ،1957، ص119، هامش(3) ؛ ابن الخطيب : أعمال الإعلام، ص185، و يضيف ابن الخطيب في ذات الصفحة واصفا المتوكل بن الأفطس بقوله:<<ملك جند الكتائب والجنود ، وعقد الأولوية والبنود وأمر الأيام فإئتمرت، وطافت الآمال بكعبته وإعتمرت، إلى سن وفصاحة،ورحب جند للوافد وساحة>>.

[2] – هو عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير غرناطة ، لقبه المظفر بالله وكذلك الناصر لدين الله، تولى الحكم بعد جده إلى جب المظفر بالله في شوال سنة465هـ/1072م، حاز على حظ وافر من البلاغة والمعرفة والشعر. لكن ابن الصيرفي وصفه بقول يحير عن المعاني السابقة حيث قال :<< كان جبانا مغمدا للسيف ، قلقا ، يحب الراحة >> . ابن بلكين : المصدر السابق، ص ص 208-209.

[3] – تشكلت البعثة الرسمية من القضاة ، ابن الأدهم قاضي قرطبة وابن مقانا قاضي بطليوس وان القليعي قاضي غرناطة وأظاف لهم المعتمد بن عباد وزيره أبوبكر بن زيدون.

[4] – وقد تضمنت الرسالة تاريخها بالضبط حيث يقول صاحب الحلل الموشية: << وكتب المنقطع إلى كريم سلطانها من اشبيلية عزة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وأربعمائة >> مجهول: الحلل لموشية ، ص45 وهو مايتفق معه ابن الخطيب أيضا . ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص245.

[5] – يقصدون الخلافة العباسية . لأن الأمير يوسف بن تاشفين أعلن ولائه للدولة العباسية حيث لقبته بأمير المسلمين .ابن الأثير: المصدر السابق ، ج8 ، ص448 ؛ النويري: المصدر السابق ، ج24، ص150 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص29 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4 ، ص27.

بقدمه وأسر المسلمين وأخذ البلاد والقلاع والحصون [1] ، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ، ولو شاؤوا لفعلوا ، إلا أن الهوان منعهم من ذلك، وقد ساءت الأحوال وإنقطعت الآمال ، وأنت أيدك الله، ملك المغرب ابيضه وأسوده وسير حمير[2] وملكها الأكبر وأمير وزعيمها، ونزعت بهمتي إليك واستنصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر، وتحيوا شريعة الإسلام، وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم، والأجر الجسيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ، ورحمة الله تعالى وبركاته >> [3]

وقد أورد إبن خلكان رسالة أخرى بعث بها ملوك الأندلس لكنه لم يحدد مصدرها أو حتى تاريخها حيث وصلت هذه الرسالة إلى ملك المرابطين يوسف بن تاشفين ومعها تحف وهدايا وكان هذا نصها:<< أما بعد فإنك إن أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن، وقد إخترنا لانفسنا أجمل نسبتنا ، فإختر لنفسك أكرم نسبتك ، فإنك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة وإن في إستبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام>>[4] .

ومما زاد في عزيمة يوسف بن تاشفين على العبور إلى الأندلس إضاقة إلى إستنجاد أمراء الأندلس والرسالة الإستفزازية التي بعث بها ملك الفونسو السادس ، هي الرسالة التي بعث بها أبو

---

[1] –هذا إعتراف صريح بأن ملوك الطوائف أضحى مشتتا فيه تناحر على السلطة لذلك إستفحل أمر النصارى هناك وخاصة الأذفنش الذي –تذكر ذلك الرسالة صراحة– نكل بمسلمي الأندلس وفرق جمعهم وأذلهم.

[2] – في إعتقاد المعتمد أن نسب يوسف بن تاشفين يرجع إلى المناذرة ملوك الحيرة والذين أصلهم من حمير من اليمن. كما ورد في نسب المرابطين ، لذلك خاطب ابن عباد يوسف بهذه الصيغة ، ضف إلى ذلك أن مملكة يوسف كانت ممتدة إلى السودان لذلك ورد في هذه الرسالة << ملك المغرب أبيضه وأسوده>> .

[3] – مجهول : الحلل الموشية ، ص ص45-46.

[4] – ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7، ص114.

بكر بن الجد[1] إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وتضمنت مايلي: << إلى الملك المؤيد بفضل الله أمير المسلمين وناصر الدين وزعيم المرابطين، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين نور الله به الآفاق وجمع به الجيوش والرفاق... فإن الله سبحانه أيد دينه بالإتفاق والإئتلاف ، وحرم مسالك الشتات ودواعي الإختلاف وأنعم على عباده بأمير جديد و << قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ >> [2] ، وتطول علينا بمعلوم جدك... وقد وطد الله لك ملكا شكر الله عليه جهادك، وقيامك بحقه وإجتهادك، ولك من نصر الله خير باعث... وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته ويحضر الحرب بآلاته، فإن شئت الدنيا فقطوف دانية وجنات عالية [3] وعين آنية [4]...هذه الجنة ادخرها الله لطلال سيوفكم، واجمل معروفكم نستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين، كما قال الله سبحانه وهو أكرم القائلين << قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ >>[5] ، والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها، ونعمة الإسلام نشكرها، ورحمة الله نتحدث بها وننشرها، والسلام الموصل الجزيل على أمير المسلمين ناصر الدين ورحمة الله وبركاته"[6] .

لما ترادف هذا الخطاب على أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ووقف على مقتضى ما فيه جمع أهله وخاصته وقال لهم ما ترون في الأمر فقالوا له إن هذا الرجل قد استنصر بنا على عدو الدين ووجب

---

1 - يبدوا أن المراد هنا هو أبو القاسم بن الجد وزير المعتمد بن عباد ، أما أبو بكر فهو شخصية أخرى تأخرت وفاتها إلى ما بعد وفاة يوسف بن تاشفين ، وهو الذي ملك الجزيرة الخضراء وإستحوذ عليها بأمر من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص121وما بعدها ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص46 هامش(2).

2 - سورة الفتح ، الأية16.

3 - تتوافق مع قول الله تعالى " في جنة عالية (22) قطوفها دانية (23) " سورة الحاقة، الآيتان22-23.

4 - من الغرابة أن مضمون هذا الجزء من الرسالة يتفق مع قول الله تعالى<< تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ >> سورة الغاشية، الآية(5) لكن المقصود هو وعيد من الله لأهل النار بينما المقام هنا مقام إستعطاف ومدح، لامقام ذم ووعيد، لذلك ربما أراد كاتب الرسالة الإقتباس من قوله تعالى<< فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ >> سورة الغاشية ، الآية (12) . أو ربما هو خطأ في نقل مضمون الرسالة من المصدر ذاته ، والله أعلم.

5 -سورة التوبة، الآية (14).

6 - مجهول : الحلل الموشية ، ص ص47-48.

علينا [1] وعلى كل مسلم نصره [2] وبعدها إنفرد يوسف بأحد كتابه [3] من أهل المرية[4] فقال له: إن الأمر لله تعالى ولكم فقال له يوسف ومع هذا يجب أن تعطيني رأيك فأشار عليه عبد الرحمان بأن نصرة المسلم وإغاثته والإنتصار له واجبة، خاصة وأن الأندلس جزيرة مقطوعة في البحر، ثمن سكانها مسلمون وسبعة أثمان نصارى، وهي سجن لمن دخلها إن أنت (يوسف) جزت إليها، وليس بينك وبين صاحبها[5] صداقة متصلة [6] أما ابن الخطيب فعلق على ذلك بقوله: << فإن جزت إليها وحصلت في حكم أهلها لم يكن لك شيء في نفسك وهذا الرجل الذي إنتصر بك لم يتقدم بينك وبينه ما يوجب الخجل منه>>[7] بعد ذلك أشار على يوسف بمراسلة المعتمد بن عباد بأن يتنازل له

---

[1] – يبدوا أنهم إستلهموا كلامهم هذا من قوله تعالى: << وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ >> سورة الأنفال ، الآية72.

[2] –ابن الخطيب:أعمال الإعلام ، ص245 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 48. ويضيف صاحب الحلل الموشية معلقا على إحدا أسباب موافقة المرابطين إغاثة إخوانهم في الأندلس بقوله في ذات الصفحة:<< وكان هؤلاء المرابطون، قوما صحراويين ، لم يعاينوا قط نصرانيا ولاشاهدوا حربا إلا مايكون بينهم وكانوا يودون أن يغزوا ويدخلوا الأندلس>>.

[3] –المقصود به عبد الرحمان بن أسباط من فضلاء الأندلس . ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص245؛ توفي عام 487هـ/1094م بسبتة. مجهول : الحلل الموشية ، ص 50 هامش(1).

[4] – المرية من مدن جنوب شرق الاندلس وتجدها في المصادر الأجنبية بإسم (ALMIRIA) وهي أشهر مدن الأندلس بناها عبد الرحمان الناصر سنة344هـ/955م. إشتهرت بحصانتها لأهميتها التجارية والصناعية وفيها قال الشاعر:

قالوا المرية صفها فقلت مظ وشيح

فقيل فيها معاش فقلت إن هب ريح

والمظ هو الرمان البري . الحميري: صفة جزرية الاندلس—منتخبة من كتاب الروض المعطار في جز الأقطار– ، تحقيق: ليفي برفنسال ، ط2، دار الجيل ، بيروت، 1988، ص ص183–184، وقد قال فيها الشاعر ابن حداد

أخفي إشتياقي وما أطويه من أسف على المرية والانفاس تظهره

مرساها من أكبر مراسي الأندلس . ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119؛ عن تاريخ مدينة المدية وأهميتها كقاعدة لأسطول الأندلس. راجع: عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية –قاعدة اسطول الأندلس– ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، 1984.

[5] –يقصد به المعتمد بن عباد.

[6] –مجهول : الحلل الموشية ،ص49.

[7] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ص 245–246.

عن الجزيرة الخضراء [1] ليتخذها قاعدة لجنده [2]، فرد يوسف بن تاشفين على عبد الرحمان بن اسباط أن قد صدقت في قولك هذا وقد نبهتني الى شيئ لم يخطر ببالي[3].

قرر يوسف أن يرسل رسالة إلى المعتمد يعلمه فيها بموافقته على الجواز إلى الاندلس وجهاد الطاغية[4] وهذا ماجاء فيها :<< إلى الأمير الاكرم المؤيد بنصر الله ... المعتمد على الله ابي القاسم بن عباد ، ادام الله كرامته بتقواه وفقه لما يرضاه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فانه وصل خطابكم المكرم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك [5] ، فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا ذلك من الشرع و كتاب الله تعالى ، وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا ، لكي يكون جوازنا اليك على أيدينا متى شئنا ، ان شاء الله، فإن رأيت ذلك فاشهد به على نفسك ، وابعث لنا بعقودها ونحن في أثر خطابك ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته>>[6].

وبعد أن وصل هذا الخطاب إلى المعتمد بن عباد جمع الفقهاء وأهل المشورة ووافق على ذلك وبعدها وصل الخبر الى يوسف بن تاشفين فأخذ جميع الجنود استعدادا للجواز الى بلاد الاندلس لمساعدة المعتمد والمسلمين هناك[7].

---

[1] -وتعرف أيضا بجزيرة أم حكيم (جارية طارق بن زياد) ، تقع على ربوة مشرفة على البحر وهي مدينة محصنة جامعة لفائدة البر والبحر ، يحيط بها سور من حجارة منيع ولها ثلاثة أبواب وبالمدينة دار صناعة وبساتين ويخترقها نهر إسمه العسل. الحميري: الروض المعطار، ص ص223-224.

[2] -مجهول : الحلل الموشية ، ص 49 ؛ ابن الخطيب: أعمل الإعلام، ص ص 246.

[3] - مجهول : الحلل الموشية ، ص50.

[4] - ابن الخطيب: أعمال الإعلام ، ص ص 246 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص50.

[5] -يقصد ملوك طوائف المتخاذلين عن نصرة بعضهم.

[6] -مجهول : الحلل الموشية ، ص50 .

[7] - عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص92 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص51 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص248 ؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص144. وقد علق ابن أبي زرع على ذلك في ذات الصفحة بقوله : " ولحقت به العساكر والجنود وقدمت عليه الوفود وأتاه من الصحراء والقبلة والذاب القبائل والحشود " ؛ وقد ارسل يوسف بن تاشفين الى قضاة الجهات المغربية والاندلسية يامرهم بجمع المعونات برسم الجهات ، الا ان الرسائل المرابطية التي نشرها الاستاذ سعيد احمد اعراب تتضمن رفضا صريحا لهذا الطلب من طرف قاضي المرية الملقب بابن الفراء الذي رفض جمع المعونات وطعن في فتوى الفقهاء

وقد نقل لنا ابن خلكان أن أهل الاندلس لما وصل اليهم كتاب يوسف بن تاشفين بنصرهم أحبوه وعظموه وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا إن رأوا من ملك الفرنج (اي الفونسو 6) ما يريبهم أن يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من اعوانه على ملك الفرنج[1].

وقد كان ذلك هو الجواز الاول لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين وكان ذلك في جمادى الاولى من سنة 479هـ/ 1086م. [2] وهناك من قال بأنه في ربيع الاول لذات السنة[3].

2-مجريات معركة الزلاقة 479هـ/1086م :

توجه يوسف بن تاشفين بجيوشه نحو الجزيرة الخضراء [4] والتقى هناك مع المعتمد بن عباد[5] وابتنى يوسف سورا منيعا ورمم الابراج القديمة وحفر الخنادق وشحنها بالأطعمة والسلاح [6] ورتب أمور جنده ووزعهم فيها [1] ثم توجه نحو اشبيلية [2] وكان الفونسو السادس ساعتها محاصرا

الداعية لذلك . رسائل مرابطية ، نشر : سعيد احمد اعراب ، مجلة دعوة الحق ،1985 ، الرباط ، العدد 245 ، ص ص 34 – 35 .

1 –ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص 115.

2 – عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص93 ؛ LIETENANT-COLONEL MANGIN: la force noire,librairie hachette , paris , 1910 , p : 125 .

3 – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص145 ؛ ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص246 ؛ أما ابن خلدون فإنه قال بأن جواز عساكر المرابطين كان سنة 489هـ/1096م . وهذا ربما خطأ مطبعي إذ أن ابن خلدون يعاود القول بأن معركة الزلاقة وقعت سنة481هـ/1088م والمعروف أنه تم الجواز قبل المعركة ورغم ذلك فإن تاريخ المعركة عند ابن خلدون فيه نظر إذ أن المصادر تؤكد بوقوعها في 479هـ كما سنفصل في ذلك فيما بعد عند الحديث عن المعركة.

4 –ذكر صاحب روض القرطاس أن يوسف لما ركب السفن متجها إلى الأندلس دعا الله قائلا : اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر وإن كان غير ذلك فصعبه علي حتى لاأجوزه، فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون . ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص145 ؛ السلاوي، ج2، ص32 ؛ عبد الوهاب عزام : المعتمد بن عباد ، دار كلمات للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2013 ، ص 46 .

5 –ذكر كل من الحميري صاحب الروض وكذا صاحب الحلل الموشية أن المعتمد بن عباد لما وصل إلى الجزيرة الخضراء ليلتقي يوسف بن تاشفين أحضر مع الهدايا وإصطنع مظاهر الضيافة ، إحتفالا بقدومه لنصره مسلمي الأندلس . وكان المعتمد فرحا بهذا اللقاء لدرجة أنه ركض لمعانقة ومصافحة يوسف بن تاشفين. مجهول: الحلل الموشية، ص51 ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص289.

6 – مجهول: الحلل الموشية، ص51 ؛ بطرس السبتاني:معارك العرب في الأندلس ، دار مأمون عباد، (د.ت)،1987، ص25 ؛ سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص79.

لحصن الليبيط فلما سمع بجواز يوسف رجع الى بلاده ليستنفر قواه ويجمع عسكره ، فتوجه يوسف الى هذا الحصن المحاصر رغم أن المعتمد طلب منه الاستراحة في قصره الملكي أياما لكن يوسف رفض وكان ناويا جهاد العدو [3] وفي طريقه التقى بالملوك الأندلسيين وهم عبد الله بن بلكين والمعتصم ابن صمادح [4] صاحب المرية وابن عبد العزيز صاحب بلنسية[5] اضافة الى ابن جبوس وصاحب غرناطة وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى وابن ذي النون وابن الافطس وابن باديس فأمرهم يوسف أن يكونوا مع المعتمد بن عباد فتكون بذلك محلة الاندلس محلة واحدة ومحلة المرابطين لوحدها [6] وبعد أن استعرض يوسف بن تاشفين قواته ورأى منهم ما يسره قال للمعتمد : هلم بنا الى الجهاد [7] اما من جهة النصارى فقد جمع الفونسو قواته ولم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على النهوض الا استنهضه ، وقد قدر صاحب الحلل الموشية قوات النصارى ب 80 ألف مجهزين بالدروع دون غيرهم.[8] اما النويري فقدرها بـ40 ألف غير ما انضاف اليها [9] بينما قدرهم ابن الاثير بـ 50 ألف

---

[1] – قدر عبد الواحد المراكشي هذه القوة بـ07 آلاف فارس. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93 ؛ ويبدو ان العدد كبير من خلال وصف المؤرخين النصارى ومن امثلة ذلك قولهم عن جيش المرابطين<< وحينما وصل المرابطون الى الاندلس كارجال الجراد ليلتهموا المملكة التي قدمت نفسها طعاما لهم>> . ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة : علي الجارم ، ط 1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014 ، ص 119 .

[2] –النويري : المصدر السابق ، ج23، ص267؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج8، ص446؛ الحميري: الروض المعطار، ص289 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص52.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93؛ وينقل لنا ابن أبي زرع خبرالفونسو بأنه إستدعى ابن رذمير وقواته من حصارهم لطرطوشة والبرهانس على بلسنية وبعث إلى قشتالة وجليقة وبيونه فأتته جيوش لاتحصى .ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص145–146.

[4] –يذكر الأمير عبد الله بن بلكين في كتابه التبيان أن الأمير ابن صمادح قد إعتذر عن الخروج للجهاد نظرا لكبر سنه ، والحقيقة أنه أراد أن يراقب الأوضاع وهو خارج دائرة الصراع لذلك إعتذر وأرسل ابنه ، لكن صاحب الحلل الموشية قدم تفسيرا آخر يتمثل في إنشغال ابن صمادح بمواجهة العدو الملاحق له في حصن الليط لذلك إمتنع عن الخروج مع قوات المرابطين بنفسه. قارن: مجهول: الحلل الموشية، ص52 ؛ ابن بلكين : المصدر السابق، ص104.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص52 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص93.

[6] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 46.

[7] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص94.

[8] – مجهول: الحلل الموشية، ص56.

[9] – النويري : المصدر السابق ، ج23 ، ص267.

[1] ، اما ابن الكردبوس فقدرهم بحوالي 60 الفا [2] اما قوات المسلمين فقد قدرها صاحب الحلل الموشية بـ 50 ألف منها حوالي 24 ألف من فرسان الاندلسيين ما بين مدرع ولابس ومثلها من قوات المرابطين[3] اما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب فقد قدرهم بحوالي 20 ألف [4] غير أن هناك تضارب كبير بين المصادر العربية والمصادر المسيحية فقد نقل لنا يوسف اشباخ أن الروايات العربية قدرت قوات المسيحين بلغت 100 ألف من المشاة و 80 ألف من الفرسان بما فيها 30 ألف من المسلمين رعايا الفونسو بينما تقدر الروايات النصرانية قوات المسلمين ببضع مائة ألف[5].

وقبل خروج الفونسو السادس الى المعركة الشهيرة بفحص الزلاقة رأى في المنام رؤيا أقلقته [6] ففسرها له أساقفة النصارى واحبار اليهود لكنه لم يقتنع بتفسيرهم ثم ارسل الى أحد فقهاء المسلمين مشهورا بالتفاسير اسمه محمد بن عيسى المغامي ففسرها له على أنه سيهزم جمعهم ويُولي الدبر [7] وقبل

---

[1] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج8 ، ص447.

[2] – ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1264 .

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص56.

[4] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95.

[5] –يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص ص84–85. لكن يوسف أشباخ بعد نقله للروايتين يتكهن أن قوات الفريقين قريبة من بعضها ويضع حصرا لها بين 120 ألف و 150 ألف لكلا الطرفين .

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص54 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص39 ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص289 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج23، ص267.

[7] –يسترسل صاحب الحلل الموشية دون غيره من المصادر التي بين أيدينا في تفاصيل المنام وتفسيره حيث يقول الفونسو6 رأى في منامه كأنه يركب فيلا وإلى جانبه طبل معلق وهو يقوم بضربه ، فإستيقظ مذعورا فزعا. فلما أصبح أرسل في طلب أساقفة النصارى وأحبار اليهود ليستفتيهم في رؤياه فقالوا له بأنك ستهزم المسلمين وتغنم منهموتسبي نسائهم وتأخذ بلادهم، وترجع إلى وطنك عزيزا ظافرا، وأما الفيل يدل على ذلك الملك القادم لمحاربتك وستهزمه، فقال الفونسو إن نفسي تحدثني بان تفسيركم باطل فنظر إلى بعض المسلمين الذين حضروا مجلسه وقال لهم هل تدلوني على عالم مسلم يفسر الرؤى ، فدلوه على محمد بن عيسى المغامي ، فأرسل في طلبه مع بعض المسلمين ، فأبى هذا الفقيه الحضور إلى مجلس الفونسو وقال : والله لا آتي كافرا أبدا ، فرجع أولئك المسلمين وإعتذروا للملك الفونسو وأحسنوا له الألفاظ حتى لا يؤذيه ، وقالوا له إنه زاهد ومشغول بالعبادة فأخبرنا بالرؤيا ونأتيك بتفسيرها ، فأخبرهم الفونسو وذهبوا إلى الفقيه فقال لهم أبلغوا الفونسو إنك ستهزم من طرف المسلمين هزيمة قبيحة ودليل ذلك من القرآن الكريم وتلا عليهم قوله تعالى: << أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ >> الفيل1–4. ثم قال لهم أما الطبل الذي كان يضربه فمن قوله تعالى <<فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ >>المدثر

توجه جيوش المسلمين للمعركة أقاموا ثلاثة أيام بطرطوشة حيث كتب بها يوسف بن تاشفين كتابا الى الفونسو السادس يدعوه الى الجزية أو الاسلام أو الحرب فلما وصل كتابه الى الفونسو ادركته الأنفه والكبر وقال للرسول قل للامير لا تتعب نفسك أنا اصل اليك(1).

توجه الأمير يوسف بن تاشفين الى موضع المعركة(2) وتقدم المعتمد وأمراء الاندلس فنزلوا بجهة اخرى بينها ربوة حاجزة. (3) واحتل الاذفنش بفحص الزلاقة على أربعة فراسخ من بطليوس حيث هناك نهر يشرب منه الفريقان (4) وقد نقلت لنا المصادر بعض الابيات التي انشدها المعتمد بن عباد مستبشرا بالنصر حيث قال:

لا بد من فرج قريب　　　يأتيك بالعجب العجيب

غزو عليك مبارك　　　سيعود بالفتح القريب

لله سعدك انه　　　نكس على دين الصليب

لا بد من يوم يكون　　　له اخا يوم القليب.(5)

ولما استقرت قوى الفريقين بدأت المراسلات بينهما (6) وعلق على ذلك ابن ابي زرع بقوله :

10-8. فرجعوا إلى الفونسو وأعلموه بتأويل الرؤيا فقطب وجهه وقال ودين المسيح لإن كذب لأمثل نبه ، فبلغ الخبر الفقيه محمد بن عيسى المغامي فقال : والله مايقدر على ذرة من ذلك إلا بإذن الله وقضائه . مجهول : الحلل الموشية ، ص ص54-55.

1 - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146.

2 -مجهول : الحلل الموشية، ص57؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص136؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص248؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص40؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، ج8، ص447؛ النويري: المصدر السابق، ج23، ص268؛ الحميري: الروض المعطار، ص290.

3 - فسر ذلك صاحب روض القرطاس تموقع جيوش المسلمين بهذا الشكل ترهيبا منهم للعدو وتخويفا له . ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146.

4 - مجهول : الحلل الموشية، ص57؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص116؛ بينما قدر ابن الأثير هذه المسافة 18 ميل؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، ج8، ص447.

5 - السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص40؛ الحميري: الروض المعطار، ص290. والقليب يقصد بها يوم بدر.

6 - مجهول : الحلل الموشية، ص57؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص136؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146؛ ابن الكردبوس : الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق : صالح بن عبد الله الغامدي ، ط1 ، اصدارات الجامعة الاسلامية بالمدينة

<< فأقاموا ثلاثة ايام والرسل تختلف بينهم إلى أن اتفق رأيهم>>[1].

وقد أرسل الفونسو السادس كتابا إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يقول فيه : << إن غدا يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت عيد اليهود... وبعده الاحد عيدنا، فنحترم هذه الاعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين >>[2] اما ابن الأثير فساق ذلك على نحو مشابه بقوله:<< وارسل الاذفنش الى المعتمد في ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا إلى حال تعب واستقر الامر على هذا >>[3] اما الحميري فقال بغير ذلك حيث جعل اللقاء يوم السبت بين عيدي المسلمين والنصارى وقال عن ذلك: << ثم أصبح يوم الخميس فأخذ ابن فرذلند (يقصد الفونسو) في إعمال الحيلة فبعث لابن عباد يقول : غدا يوم الجمعة وهو عيدكم وبعده الاحد وهو عيدنا، فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت >>[4] فقال يوسف بن تاشفين : اتركوا اللعين وما أحب [5] وقد أجمعت المصادر التي بين ايدينا ان الفونسو السادس كان ينوي الخداع وهو ما تفطن له المعتمد وحذّر به يوسف بن تاشفين لأخذ الحيطة والحذر[6].

المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 1429 هـ / 2008 م ، ج 2 ، ص 1259 ؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، ج8، ص447؛ الحميري: الروض المعطار، ص290 .

[1] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص146.

[2] – مجهول : الحلل الموشية، ص57. وهي الرواية التي يتفق معها عبد الواحد المراكشي.

[3] – ابن الاثير: المصدر السابق ، ج8، ص447.

[4] –الحميري: الروض المعطار ، ص290. وكانت الرسالة موجهة من الفونسو6 إلى المعتمد على خلاف بقية المصادر حسب الحميري .

[5] –مجهول: الحلل الموشية ، ص57.

[6] – الحميري: الروض المعطار ، ص290؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص57؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص 147؛ السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص43؛ ابن الاثير: المصدر السابق ، ج 8، ص447؛ النويري : المصدر السابق: ج23، ص268؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص117 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1260 .

التقى الجمعان قرب موضع يسمى الزلاقة [1] ولما كان يوم الجمعة تأهب المسلمون للصلاة فخرج يوسف بن تاشفين وأصحابه في زينة الصلاة أما المعتمد فبقى مستعدا للقتال ولما رأى الفونسو السادس أن المسلمين قد ركعوا هاجمهم إلا أن المعتمد كان له بالمرصاد وسارع المرابطون الى أخذ أسلحتهم حيث[2] أظهر يوسف وأصحابه من الصبر والثبات ما لم يتوقعه المعتمد بن عباد [3] وقد تفطن المعتمد بن عباد بخديعة المسيحين فجعل في ليلة الخميس الى الجمعة فرسانا مسلمين يترصدون العدو وتحركاته وجميع حركاته إلى الصباح [4].

وقد قسم الفونسو السادس جيشه إلى فرقتين هو وفرقته نحو أمير المرابطين يوسف فوقع في الفرقة التي يقودها داوود بن عائشة فإقتتلوا قتالا عظيما وصبر المرابطون صبرا جميلا وادسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم[5]. وتوجهت فرقة أخرى من جيش الفونسو بقيادة ابن رذمير والبرهانس

---

[1] –الزلاقة بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الاندلس ، فيها كانت الوقعة الشهيرة بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين وطاغية الروم الفونسو السادس ، وكان ذلك في رجب 479هـ/1086م .وسببه فساد الصلح بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس . الحميري: الروض المعطار ، ص288؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص146؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص445؛ السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص31؛ ابن خلدون : العبر، ج 6، ص248؛ ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة، نشرة أبي شنب ، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1919، ص29.

[2] – يبدوا أن المسلمين قد تتبعوا في ذلك شريعة الله عزوجل حيث يقول: << وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً >> النساء ، الآية102. وهو ما يعكس الحس الديني لدى قادة المسلمين آنذاك.

[3] – مجهول: الحلل الموشية ، ص59؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص95 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1262 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: عودة ابن تاشفين للمغرب بعد الزلاقة ، مجلة دعوة الحق، 1987، الرباط ، العدد 262، ص100 .

[4] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 147؛ الحميري: الروض المعطار ، ص 290؛ السلاوي : المصدر السابق، ج 2، ص41. وقد أورد السلاوي في ذات الصفحة بأن جواسيس المعتمد والمرابطين وإن كانوا أهل حفاظ وذوي بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد لذلك إذ إنطلقت الحرب فأهجموا على ابن عباد فأقتلوه فإذا هلك هان عليكم المرابطون لعم معرفتهم بالمنطقة.

[5] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص147؛ لكن ابن الأثير ذكر أن المسلمين صبروا على الهزيمة ولم يحدد هل هم من كانوا مع أو مع الأندلسي بقيادة ابن عباد. ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص447 ؛ وهو نفس ما ذهب إليه النويري إذ ذكر أن المسلمون صبروا دون أم يحدد فرقتهم . النويري : المصدر السابق: المصدر السابق، ج23، ص267.

وتشابكت مع المعتمد بن عباد فداسوها واستمرت الهزيمة على رؤساء الاندلس الى جهة بطليوس ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه حيث صبروا صبرا لم يعهدوا مثله[1].

وقد علق على ذلك ابن ابي زرع بقوله: << وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رذمير نحو رحلة ابن عباد فداسوها واستمرت الهزيمة على رؤساء الاندلس من جهة بطليوس ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فإنهم ثبتوا في ناحية يقاتلون لم ينهزموا ، وقاتلوا قتالا شديدا وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام>>[2].

سمع يوسف بن تاشفين بأن الهزيمة كادت تحيق بالأندلسيين فبعث قائده سير بن ابي بكر في قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغيرهم من قبائل البربر لإغاثة إبن عباد وداوود بن عائشة [3] اما هو فسار بجيوشه قاصدا محلة الفونسو السادس حتى وصل اليها فأضرم النار وأحرقها وقتل بها من كان من الرجال والفرسان الذين تركهم الفونسو يحمونها ويحرسونها وفر البقية منهم نحو الفونسو الذي كان يقاتل داوود إبن عائشة . وتبعهم يوسف بن تاشفين بجيوشه وهم يدقون الطبول [4] حينها بدأت كفة

---

[1] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص147؛ الحميري: الروض المعطار، ص291؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص42 ؛ النويري : المصدر السابق: المصدر السابق، ج23، ص267 ؛ ابن الأثير:المصدر السابق، ج8، ص447.

[2] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص147؛ وقد علق السلاوي على ذلك بقوله : " واستحر القتل في أصحابه البلاء وساءت الضنون وإنكشف البعض منهم وأثخن هو جراحات في رأسه وبدنه... وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا يكنى أبا هاشم وكان قد تركه في اشبيلية عليه فقال :

أبا هاشم هشمتني الشفار	فلله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخصيتك تحت العجاج	فلم يثنني ذكره للفرار.

السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص42.

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص147؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص42؛ الحميري: الروض المعطار، ص291.

[4] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص147؛ النويري : المصدر السابق: المصدر السابق، ج23، ص268؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص42؛ الحميري: الروض المعطار، ص291 . ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص117. ونقل لنا ابن خلكان في ذات الصفحة تباشير النصر الأولى التي لاحت في الأفق بمجيء يوسف بن تاشفين لإنقاذ إخوانه لقوله: " وفد رؤساء الاندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا أنها وهية لاترقع ونازلة لا تدفع وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين وأحدق به انجاد خيله ورجاله ... فعمدوا إلى محلة الأذفونش فإقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها . وضربت الطبول فإهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق".

المعركة ترجح لصالح المسلمين حيث اثخنت جيوش المسلمين في قتل جيوش النصارى [1] وتفاجئ الفونسو بهذا الهجوم المباغت من لدن جيوش المسلمين ثم أخبروه بأن حاميته قد أحرقها المسلمون وقتلوا من كان فيها وتم سبي ما فيها من نساء فقرر مقاتلة المسلمين فدارت حروب عظيمة بين جيوش القشتاليين وسائر النصارى بقيادة الفونسو السادس وجيوش المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين [2] ، وقد علق صاحب الحلل الموشية عن تباشير النصر التي بدأت تلوح في الافق بقوله: **<<** فإلتحمت الفئتان ، واختلطت الملتان، واشتدت الكرات وعظمت الهجمات والحروب تدور على اللعين وتطحن رؤوس رجاله ومشاهير ابطاله وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله، وتداعى الأخيار والحشم والعبيد للنزال والترجل عن ظهور الخيل ودخول المعترك فأمد الله المسلمين بنصره، وقذف الرعب في قلوب المشركين **>>**[3].

بدأ يوسف بن تاشفين يمر بين صفوف المسلمين ويحرضهم على القتال ويقوي نفوسهم على الجهاد والصبر [4] وهو ما زاد في عزيمة المسلمين ، في هذا الوقت بالذات رأى المعتمد بن عباد ما لحق من هزيمة بجيوش الفونسو السادس فزادت عزيمته وقال لأصحابه شدوا على اعداء الله تعالى فإستمرت الهزائم تحيق بالنصارى من كل جهة ، حتى أيقن الفونسو أنه هالك [5] ولم يزل القتال كذلك حتى غروب الشمس، وتذكر بعض المصادر التي بين ايدينا أن أحد المسلمين من السودان كان يرمي المزاريق فلما نفذت منه هوى عليه الفونسو السادس ليضربه بالسيف فإلتصق به الأسود وغرس خنجرا

---

[1] – ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1262 ؛ وقد علق على ذلك ابن أبي زرع بقوله: " وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون في الكفرة سيوفهم ويروونها من دمائهم ". ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص148.

[2] – مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 60-61؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص148؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، 42؛ النويري: المصدر السابق ، ج23، ص268؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص118.

[3] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 61.

[4] –ومما كان يقوله يوسف لجنوده ليقوي عزائمهم:" يا معشر المسلمين إصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله الكافرين، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن لم سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة " فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب في الموت. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص148.

[5] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 61؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص148؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص42؛ الحميري: الروض المعطار، ص291 ؛ النويري: المصدر السابق ، ج23، ص268؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج7، ص447.

في فخذه وهتك حلق درعه وسرجه [1] فكان الفونسو السادس يقول بعد ذلك : إلتحق بي غلام أسود فضربني في الفخذ بمنجل أراق دمي ، فتخيل له الأفطس أنه منجل لكونه رآه معوجا.[2]

تأكد الفونسو بأن الهزيمة ستحيق به ورأى أن المرابطين لهم صدق نية في الجهاد الذي لا طاقة له به ، لذلك فر منهزما مع دخول الليل وكان معه ما يناهز 500 فارس [3] فلاحقهم المرابطون بالسيف يقتلونهم حتى حال الليل بظلمته بينهم [4] . وقد آوى الفونسو إلى ربوة عالية هروبا من جيوش المسلمين وبعد أن صار الليل حالكا في ظلمته تسلل الفونسو ومن معه من جنوده هاربين [5] وقد خاطب امير المسلمين جيوشه التي كانت تطارد الفونسو بتلك الربوة قائلا لهم : الكلب إذا أرهق لا بد أن يعض، وقد سلم الله المسلمين من معرته، ولم يقتل منهم إلا القليل ، فإن هجمنا على هؤلاء أبلوا بلاء عظيما ولكن اتركوهم.[6] وبات المسلمون تلك الليلة على خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالى على ما منحهم حتى صلوا الصبح في وسط المقتلة [7] [8] ، اما الفونسو فقد نجا

[1] – ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص118؛ الحميري: الروض المعطار، ص291؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 61؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، 42.

[2] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 61.

[3] – انفرد ابن أبي زرع والحميري – من المصادر التي بين ايدينا – بهذا التقدير للجند الذين فروا مع الفونسو السادس ؛ بينما قدرهم ابم الكردبوس بنحو 300 فاس ممن فروا مع الفونسو . ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1263 ؛ أما بقية المصادر أجمعت على قلة من فر من الجند دون تحديد العدد. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص148؛ لحميري: الروض المعطار، ص291؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2،ص43؛ النويري: المصدر السابق ، ج23، ص268؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص118، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8، ص447.

[4] –وصف ابن أبي زرع ما جرى من ملاحقة المسلمين للنصارى وتقتيلهم بقوله: " ويلتقطونهم إلتقاط الحمام للحب القليل " وهودليل على هول المشهد. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149.

[5] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 61. ابن خلكان : المصدر السابق، ج7، ص118، السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص43.

[6] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 61.

[7] –ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7، ص118 ؛ السلاوي :المصدر السابق، ج2، ص43.

[8] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149 .

حيث وصل الى طليطلة مثخناً بالجراح ولم يصل معه من جنوده إلا نفرٌ يسير [1] وقد جمع المسلمون رؤوس القتلى على شكل صوامع ثم أذنوا عليها [2] وعلق على ذلك إبن خلكان بقوله :<< وأمر إبن عباد بضم رؤوس قتلى الروم ، فنشر منها أمامه كالتل العظيم >>[3] وهذا دليل على فضاعة ما لحق بالنصارى من هزائم شنعاء ، أما إبن ابي زرع أورد لنا بأن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين قد أمر بجمع رؤوس القتلى[4] فبعث منها الى اشبيلية 10 آلاف رأس وإلى قرطبة 10آلاف ونفس العدد الى بلنسية وسرقسطة ومرسية، ثم بعث الى بلاد العدوة بـ 40 ألف رأس . فقسمت على المدن هناك ليراها الناس فيشكرون الله تعالى على هذا النصر العظيم.[5] أما صاحب الحلل الموشية فقد علق على ذلك بقوله :<< وانتدب المسلمون في موضع المعركة الى قطع رؤوس النصارى ، فجمع منهم اعداد ،

---

[1] – قدرهم عبد الواحد المراكشي ب07 فرسان . عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 95 ؛ وقدرهم النويري بسبعة فوارس فقط ، أما بقية ما رجع من الفرنج إلى ديارهم حوالي 300 معظمهم راجلين . النويري : المصدر السابق ، ج23، ص298؛ أما الحميري وابن زرع فقدروا من رجع مع الفونسو إلى طليطلة بحوالي 100 فارس . ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149؛ الحميري : الروض المعطار، ص291 ؛ ROPERT ET MARIANNE CORNEVIN : histiore de l'afrique – des origines à la deuxième guerre mondiale - , petite bibliothèque payot , paris , s.d , p : 145 ; DON RAFAEL ALTAMIRA : histoire d'espagne , librairie armand colin , paris , 1931 , p : 66 ; ABDALLAH LAROUI : l'hstoire du maghreb un essai de synthèse , librairie François maspero , paris , 1970 , p : 160 .

[2] –ابن الأثير : المصدر السابق، ج8 ، ص447؛ السلاوي :المصدر السابق، ج2، ص44؛ الحميري : الروض المعطار، ص291.

[3] – ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7، ص118.

[4] – وصف السلاوي رؤوس قتلى النصارى التي جمعها المسلمون بأنها تل عظيم . السلاوي :المصدر السابق، ج2، ص44؛ ووصفها ابن أبي زرع : بأنها أمثال الجبال . ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149؛ ووصفها ابن الأثير بأنها أكوام كثيرة. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص447؛ ووصفها ابن خلكان بالتل العظيم. ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7، ص118. وعلى أية حال فقد أجمعت المصادر على كثرة رؤوس القتلى التي جمعها المسلمون. وهو دليل على فظاعة المعركة.

[5] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149 ؛ جاء في الرسالة التي بعث بها يوسف بن تاشفين الى المعز بن باديس صاحب المهدية وصفا دقيقا لما حاق بقوات الفونسو من هزائم حيث يقول عنهم : ((فصاروا في الارض مجدلين موتى معفرين ... حتى علت (الجثث) كالجبال الراسيات عدد لا يقدر ومدد لا يحزر ... واستاصلنا اكابرهم)). مجموعة مؤلفين : التاريخ الاندلسي من خلال النصوص ، ط 1 ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، 1991 ، ص 136 .

وكدس منهم اكداس كالصوامع المنيفة ، ونظروا أطول قناة كانت في المحلة فنصب ورست الرؤوس من حواليها فغطتها >>[1]

أما عدد شهداء المسلمين فقدرهم صاحب روض القرطاس بـ 3000 آلاف شهيد[2] بينما رجح المستشرق الألماني يوسف أشباخ أن خسارة المسلمين لم تكن أقل بكثير من خسارة النصارى[3] ، أما إبن عذاري فإكتفى بالقول أنه استشهد في ذلك اليوم جماعة من أعيان الناس مثل إبن رميلة وقاضي مراكش أبو مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما .[4] وهو نفس ما قال به السلاوى صاحب الاستقصا[5].

فيما يتعلق تاريخ المعركة فقد إبن أبي زرع انها وقعت في يوم الجمعة 11 رجب 479هـ/ الموافق لـ 23 اكتوبر 1086م[6] وهناك من يجعلها في يوم الجمعة لكن 12 رجب 479هـ/1086م وهذا الرأي قال به كل من ابن الابار في كتاب الكلملة وكذا إبن عذاري وصاحب الحلل الموشية وابن الاحمر صاحب بيوتات فاس[7].

أما ابن خلكان فقد قال بوقوعها في 15 رجب 479هـ/1086م أو في العشر الأواخر من رمضان لذات السنة ونقل لنا عن البياسي قوله مستدلا بقوله أن جيوش المرابطين حلت في الجزيرة

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 63.

[2] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص149 .

[3] – يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص91.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص140.

[5] –السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص44.وذكر السلاوي في الصفحة 41 أن ابن رميلة هذا الذي إستشهد في المعركة قد رأى النبي صلى الله علي وسلم في المنام ليلة المعركة وقد بشره بالفتح والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة لذلك تأهب ابن رميلة القرطبي ودعا وتضرع لله ودهن رأسه وتطيب وإستعد للشهادة . وفعلا كان له ذلك.

[6] – ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص149 ؛ VAL.PARISOT : petite histoire de Portugal , libraire de l'université royale de France , paris , 1841 , p 17 .

[7] –مجهول : الحلل الموشية ، ص64؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص130؛ ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة ، ص29 ؛ ابن الاحمر : المصدر السابق ، ص 30 .

الخضراء في محرم من سنة 479هـ/1086م.[1] أما الحميري فقال بأن الزلاقة وقعت في 20 رجب من عام 479هـ/1086م[2] ويجعلها ابن الأثير في العشر الأوائل من شهر رمضان من عام 479هـ/1086م ويتفق معه في ذلك النويري[3] غير أن هناك من قال من المؤرخين بوقوعها في سنة مغايرة لما ذكرنا آنفا فقد ذكر عبد الواحد المراكشي بأنها وقعت في يوم الجمعة 13 رمضان 480هـ/1087م[4]. أما ابن خلدون فقال أنها وقعت في سنة 481هـ/1088م دون ذكر اليوم والشهر ، اما ابن الكردبوس فقد اتفق مع ابن خلدون في السنة مع ذكر الموعد الموافق ليوم الجمعة عاشر رجب [5] ، ويتفق كل من رينهرت دوزي ويوسف أشباخ مع رواية ابن أبي زرع حيث يقولون أن وقوعها كان في يوم الجمعة 12 رجب 479هـ/ الموافق لـ23 أكتوبر 1086م.[6]

وقد كان هذا النصر للمسلمين فتحا كبيرا لهم [7] وقد وصف هذا الفتح صاحب الحلل الموشية بقوله:<< وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية فيا له من فتح ما كان أعظمه ، ويوما كبيرا ما كان أكرمه، فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقتها، وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها، نفست مخنق الجزيرة بعض التنفس[8] وإعتز بها رؤساء الأندلس"[9]

---

1 –ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7، ص117. لكن ابن الأبار يرجح مقولته بوقوع معركة الزلاقة في 15 رجب 479هـ/1086م .

2 – الحميري: الروض المعطار، ص288.

3 –ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص447؛ النويري: المصدر السابق، ج23، ص268.

4 –عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص95.

5 –ابن خلدون: المصدر السابق، ج6 ، ص248 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1265 .

6 –دوزي: المسلمون في الأندلس ، ج3، ص134؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق ، ج1، ص90 ؛ ERNEST WEIBEL : op , cit : p : 104 ; VAL PARISOT : petit histoire d'espagne , libraire de l'université roval de France , paris , 1840 , p: 42 .

7 – عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص95 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 66 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص149 ؛ A.LE CHATELIER : les musulmans français du nord de l'afrique , librairie armand colin , paris , 1906 , p 47 .

8 –كناية عما أصاب ملوك الطوائف والمسلمين بشكل عام من نكد وظلم طالهم على يد الفونسو السادس وهو نفس الاصطلاح الذي اورده ابن الكرديوس . ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1265 .

9 – مجهول : الحلل الموشية ، ص66.

يصف لنا عبد الواحد المراكشي نصر المسلمين ونكسة النصارى بقوله: << فكان هذا أحد الفتوح المشهورة بالأندلس أعز الله فيه دينه وأعلى كلمته، وقطع طمع الاذفنش لعنه الله عن الجزيرة بعد أن كان يقدر أنها في ملكه، وأن رؤوسها خدم له>>[1]

نقل لنا ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس حال هذا النصر والفرحة التي عمت الأندلس والمغرب بقوله: << وأظهر الله تعالى الإسلام وأعز أهله ، وكتب أمير المسلمين بالفتح إلى بلاد العدوة، وإلى تميم صاحب المهدية، فعمت المفرحات في جميع بلاد افريقية وبلاد المغرب والأندلس وإجتمعت كلمة الإسلام ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله>>[2].

3-نتائج معركة الزلاقة:

لقد كانت معركة الزلاقة نصرا كبيرا للمسلمين في بلاد المغرب والأندلس باعتراف المصادر النصرانية و العربية على السواء ، وإنعكست عليهم بالخير ومن أهم نتائجها التى استخلصناها :

1 -تحرير سرقسطة وحماها من الوقوع في أيدي القشتاليين التي كانت قد حاصرتها عند قدوم قوات المرابطين إلى الأندلس[3].

2 -أيقن الناس أن القوة المرابطية الفتية محفوفة بالنصر لا يستطاع دفعها أو مغالبتها فإستكانت كل القبائل ودخلت في فلك الطاعة لهذه الدولة الجديدة، وإرتفع قدر يوسف بن تاشفين بين الناس

[1] – عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص95.

[2] –ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص149؛ وقد ذكر ليفي برفنسال أن هذا الإنتصار الساحق للمسلمين على نصارى الأندلس وصل إلى حد جعل ملوك الطوائف يتبادلون التهاني ، وفاضت قريحة الشعر لدى شعراء المديح .ليفي بروفسنال: حضارة العرب في الاندلس ترجمة : ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت، ص25.

[3] – عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص726؛ حامد محمد خليفة : يوسف بن تاشفين— موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الاندلس من الصليبيين – ، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، 2003 ، ص 259 .

خاصة بين أمراء لمتونة[1] وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أن أهل الأندلس أظهروا اليمن والتبرك بأمير المرابطين وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر وإنتشر له الثناء بجزيرة الأندلس[2].

3 -إشتهار أمر المرابطين وجهادهم ضد النصارى في العالم الإسلامي وأصبحوا في نظر المسلمين هم المدافعين عن أراضي العالم الإسلامي في جهة الغرب منه ، بل وراحت بعض المصادر تصف هذه المعركة بالنصر العظيم وتشبهها بالقادسية واليرموك[3] نظير ما قدمته من نصر للمسلمين.

4 -تهاوي مكانة الملوك الطوائف في نظر رعيتهم حيث مهد ذلك إلى إسقاطهم فيما بعد [4] حيث أن ملوك الطوائف صار لا جدوى منهم ولا يمكن الإعتماد عليهم بسبب الفقة والتمزق، بل ولم يتخلوا عن أنانيتهم حتى في اللحظات الفارقة التي يتوقف عليها مصير الأمة[5].

5 -ساهمت هذه المعركة في فرملة حركة الإسترداد حيث بدأت بالفتور نسبيا بسبب قوة المرابطين الناشئة فقد أرسل الفونسو بعد هزيمته في الزلاقة طالبا العون من أمراء أقاليم جنوب فرنسا. ثم لبث أن عدل عن رأيه خشية أن تتعقد الأمور أكثر مع ملوك الطوائف[6].

6 -أما فيما يخص الممالك النصرانية فقد حاقت بها الهزيمة النكراء وحطمت آمالهم في السيطرة عن الأندلس فقد علق على ذلك عبد الواحد المراكشي بقوله: << وقطع الله طمع الاذفنش عن الجزيرة بعد أن كان يقدر أنها في ملكه وأن رؤوسها (اي ملوكها) خدم له >>[7] وأن ملوك الطوائف كانت قبل ذلك لقمة سائغة للنصارى جراء التشتت وإستعانة بعضهم على بعض[8] وقد ذكر السلاوي، أن

---

1 حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص 285 .

2 عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 95 .

3- مجهول : الحلل الموشية، ص66.

4 - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ، ج2، ص727؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص60.

5 -سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص96.

6 -عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ، ج2، ص ص726-727.

7 - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 95 .

8 - علق على ذلك ابن بلكين في مذكراته :" وأن النصارى لم تفترصنا إلا للذي كان من تشتتنا وإستعانة البعض بهم على البعض " ابن بلكين: المصدر السابق ، ص106. وأظاف بن بلكين معلقا عن إنكماش قوة النصارى في الصفحة 108بقوله: " وبقيت الحال على ذلك ، قد اشرب الروم من تلك الوقيعة خوفا وإنكماشا، ولم تزل الحال صالحة إلى سفرة لييط " أي حتى حصار حصن الليط كما سيأتي.

الفونسو السادس رجع إلى بلاده لم يسمع إلا بكاء الثكالى فإغتم ولم يشرب حتى هلك أسفا وغما[1] .

ثالثا :حروب يوسف بن تاشفين في الأندلس بعد الزلاقة:

لم تكن وقعة الزلاقة سوى صدمة أصابت القشتاليين لزمن قصير، ثم أخذوا يفيقون منها، وأدركوا أن غرور ألفونسو 6 هو سبب نكستهم [2] ، أما المرابطون فإنهم عاودوا المرور إلى الأندلس لمرات أخرى.

1 -الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين:

بعد عودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب [3]. اغتنم ملوك الطوائف الفرصة وعادوا إلى سالف عهدهم حيث افترقت كلمتهم وتنازعوا رغم أن يوسف بن تاشفين جمعهم بعد الزلاقة وحثهم على الائتلاف والاتفاق [4]، وعاود ألفونسو السادس التوجه إلى حصن الليبط. [5] الموالي لابن عباد وذلك نكاية في المسلمين وثأراً من هزيمته ، وقد شحن هذا الحصن بالخيل والرجال والرماة وأمر ألفونسو 6 جنوده أن يتخذوا هذا الحصن قلعة ومركزا يغيرون منه على أطراف بلاد الأندلس فيقتلون ويأسرون وصار ذلك يؤرق المسلمين فأرسلوا في طلب النجدة من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين [6] ومن موجبات عبور يوسف بن تاشفين نحو الأندلس ما أورده صاحب الحلل الموشية بقوله أن أهل بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة شكوا إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ما حل بأهل بلسنية من شأن

---

[1] – السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص45.

[2] – عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص 728.

[3] – G.FAURE-BIGUET : op , cit , p 120 ؛ وكان سبب ذلك سب صاحب الحلل الموشية هو ورود نبأ وفاة الإبن أبو بكر سير يث استعجل يوسف العودة إلى بلاد المغرب. مجهول: الحلل الموشية، ص66.

[4] عن تفاصيل هذا الاجتماع راجع مذكرات عبد الله بن بلكين، ص 106.

[5] – هو حصن حصين على رأس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم، يملكه النصارى وكانت سراياهم تغير شرقا وغربا، حيث كان موقعه يتوسط بلاد المسلمين. مجهول: الحلل الموشية، ص 67 ؛ يمكن أو يأوي 13 ألف جندي ولا تزال آثاره ماثلة إلى اليوم. دوزي: المسلمون في الأندلس،ج3، ص ص 137–138.

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص 67 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 46.

الكنبيطور [1] حيث لازم حصارها 07 سنين حتى دخلها وشكوا إليه ما حل بأهل مرسية ولورقة [2] وبسطة [3] من شأن الليبط.[4]

كما أن المعتمد بن عباد قد أقلقته تحركات العدو بالاندلس فتحرك من اشبيلية في خاصته وجاز البحر إلى يوسف بن تاشفين فلقيه في المعمورة [5] وينقل لنا صاحب الحلل الموشية تفاصيل هذا اللقاء بقوله :<< فقابله بالسلام والترحيب بوجه طلق ، وصدر رحب ، وإكرام جم ، وقال له : ما السبب الذي دعاك للجواز إلينا وهلا كتبت بحاجتك ، فقال له جئتك احتسابا وجهادا وانتصارا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك وحظك مما جئت به الحظ الاوفر، وقد اشتد ضرر النصارى المستولين على حصن لييط وعظم أذاه بالمسلمين ، لتوسطه في بلادهم ولا جهاد أعظم منه أجرا ولا أثقل في الميزان وزناً، فتلقى أمير المؤمنين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز >>.[6] ويبدوا أن أمير المرابطين لم يكن ليتأخر عن نصرة إخوانه فقد لبى النداء ووعد المعتمد بن عاد بالجواز إليه إلى الأندلس [7] ورجع المعتمد بن عباد إلى [8] وطنه اشبيلية ليستعد لذلك حيث << تقدم إلى أهل مملكته بالاستعداد وأكثر أعمال السهام والمطارد وعمل العرادات [9] وغير ذلك من الآلات>>.[1]

---

1 – من قادة جيوش النصارى في الاندلس. مجهول: الحلل الموشية، ص 67 ؛ ويعرف كذلك باسم الكمبيادور. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 93.

2 – لورقة من مدن الاندلس تقع على ظهر جبل بها أسواق، بها معادن كثيرة تحمل إلى سائر الأقطار بينها وبين مرسية40 ميلا، يكثر بها معدن اللازورد. الحميري: الروض العطار، ص 512 ؛ كثيرة الفواكه، نقل لنا ياقوت الحموي نقلا عن شيخ من أهلها أن العنقود الواحد من العنب فيه 50 رطلا. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 26.

3 – بسطة مدينة بالاندلس من أعمال جيان تنسب إليها المصلبيات السبطية. المصدر السابق، ج1، ص 422.

4 – مجهول: الحلل الموشية ، ص 67.

5 – على حلق وادي سبو. مجهول : الحلل الموشية، ص 68 ؛ عند ملقى وادي سبو. ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 152 ؛ عند حلق وادي سبو وهي المعروفة اليوم بالمهدية من احواز سلا بالمغرب. السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

6 – مجهول: الحلل الموشية، ص 68.

7 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 68 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ، ابن بلكين : المصدر السابق، ص 108، أما ابن الخطيب فيذكر أن يوسف بن تاشفين جاز إلى الأندلس من دون ذكر سبب ذلك. ابن الخطيب : اعمال الاعلام، ص 246 ؛ ابن الابار: الحلة لاسيراء، ج2، ص 86.

8 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 68 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

9 – العرادات جمع مفرده عرادة وهي شبيهة بالمنجنيق لكنها صغيرة. ابن منظور: المصدر السابق، ص2827 ، الصاحب بن عباد : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 421 .

توجه يوسف بن تاشفين بجيوشه نحو الجزيرة الخضراء فإلتقى المعتمد بن عباد [2] ثم نزل يوسف وأقام بها وبعدها كتب إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد [3] وطلب منهم الالتقاء عند حصن الليط.[4]

فاجتاز يوسف على مالقة واستنفر صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس ثم [5] تلاحق به أخوه المظفر عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة [6] والمعتصم بن صمادح من المرية وتوافي رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان وكل مكان.[7]

أ – معركة حصن لييط:

توجهت القوى الإسلامية إلى حصن لييط وكان ممن وصل مع يوسف بن تاشفين قوات كل من ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد [8] وقد كانت قوات النصارى بداخل هذا الحصن إثنا عشر ألف راجل بالإضافة إلى ألف فارس حسب تقديرات صاحب الحلل الموشية [9] ، وهو ما يتفق مع رواية يوسف أشباخ ورينهرت دوزي [10] ، وبدأت الحروب وكثر الوارد وتمادى القتال

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص 68.

2 – ذكر صاحب الروض القرطاس أن المعتمد بن عباد كان في انتظار جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وكان قد تلقاه عند وصوله بألف أداة تحمي الميرة والضيافة. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص152 ؛ أما صاحب الحلل الموشية فقال بأنه استقبله بما يقدر عليه من الكرامات. مجهول: الحلل الموشية، ص68.

3 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ مجهول: الحلل لموشية، ص 68 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 108. ومما ورد في مذكرات ابن بلكين في ذات الصفحة قوله:<< واتتنا كتب الأمير يأمرنا عنده بالجواز بالاستعداد للقتال وما شاكل ذلك ففعلنا وبادرنا رغبة في الجهاد ومحبة فيه، وايثارا له ، وخرجنا إليه>>.

4 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 68 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

5 – مجهول: الحلل الموشية ، ص 68 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

6 – ابن بلكين: المصدر السابق، ص 108 . مجهول: الحلل الموشية ، ص 69. يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 95.

7 – مجهول: الحلل الموشية، ص 68. ونقل لنا صاحب الحلل الموشية في ذات الصفحة قوله أن النجارين والبنائين والحدادين جاؤوا من مرسية نحو حصن الليط وهذا ربما لاستخدامهم عند الحاجة.

8 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 152 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ؛ ابن الابار: الحلة السيراء، ج2، ص 86 ؛ دوزي: المسلمون في الاندلس،ج3، ص 139.

9 – مجهول: الحلل الموشية، ص 69.

10 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95 ؛ دوزي: المسلمون في الاندلس،ج3، ص 139.

على الحصن ليلا ونهارا مدة شهر وكل أمير من أمراء الأندلس يقاتل في يوم بخيله ورجله مداولة بينهم [1] بينما ينقل لنا ابن ابي زرع رواية فيها قليل من التغيير حيث يقول : << وشرعوا في قتاله (أي الحصن) والتضييق عليه وشن يوسف الغارات على بلاد الروم في كل يوم فدام الحصار على الليبط أربعة أشهر لا يفتر عنها القتال ليلا ولا نهارا إلى أن دخل فصل الشتاء>> .[2]

يتفق السلاوي مع رواية ابن ابي زرع التي تقول بمكوث الحصار 04 أشهر[3]، لكن يبدوأ أن ما ورد في رواية صاحب الحلل الموشية هو خطأ مطبعي لأن محقق الكتاب يشير أنه عثر على كلمة أشهر في نسخة أخرى بدل شهر[4] لذلك قد يكون الناسخ هو من أخطأ –والله أعلم– . وعلى أية حال فإن قوات المسلمين ورغم كثرتها واتحادها فإنها لم توفق في الاستيلاء على الحصن. [5] رغم الوسائل الحربية المتنوعة التي استعملها المسلمون في حروبهم مع النصارى من سهام ومطارد وآلات [6]. وما زاد في تراجع عزيمة المسلمين هو تلك الحيلة التي لجأ إليها النصارى الذين كانوا بداخل الحصن حيث كانوا ينيرونه ليلا ويبثون أخبارا بين المسلمين مفادها قرب مجيء ألفونسو السادس وقواته لإنقاذ النصارى من الحصن.[7] كما أن الحصار الذي ضرب على الحصن فشل [8] لما يئس المسلمون من اقتحام الحصن اجتمع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين وظهر لهما من حصانة ومنعة حصن

---

1 – مجهول : الحلل الموشية، ص 69.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153.

3 – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

4 – مجهول: الحلل الموشية، ص 69.

5 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص69 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 96 ؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 140.

6 – مجهول : الحلل الموشية ، ص 68 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 109 . ويخبرنا ابن بلقين في مذكراته أن ابن صمادح لجأ إلى اسلوب جديد حيث صنع فيلا ليقتحم به اسوار الحصن لكن النصارى احرقوه وبذلك باءت كل المحاولات بالفشل لاقتحام الحصن.

7 – ابن بلكين : المصدر السابق، ص 108.

8 – ابن الابار: الحلة لاسيراء، ج2، ص 86، هامش (1) ؛ دوزي: المسلمون في الاندلس، ج3، ص139 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

الليط ما جعلهم يفقدون الأمل في اقتحامه [1] ، في هذا الوقت بالذات نشب خلاف بين أمراء الاندلس [2] حيث نقل لنا ذلك ابن ابي زرع بقوله : << ووقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير اشبيلية نزاع وشنآن ، فشكا المعتمد إلى أمير المسلمين يوسف ابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سير بن ابي بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز >> [3]. أما صاحب الحلل الموشية فينقل لنا هذا الصراع بين أمير اشبيلية وهو المعتمد بن عباد وبين ابن رشيق ولكن يزيد عليه أن المعتمد في شكواه إلى أمير المرابطين اتهم صاحب مرسية ابن رشيق كان يصانع ألفونسو السادس>>[4] فاستفتى يوسف بن تاشفين الفقهاء في أمرهما وكانت الفتوى تقضي على ابن رشيق بالقبض وتسليمه للمعتمد بن عباد [5] ، فقبضت عليه قوات يوسف بن تاشفين وسلمته للمعتمد وأوصاه بأن يكبله بالحديد ولا يقتله.[6]

ينقل لنا ابن بلقين أمير غرناطة في مذكراته أن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين كان يميل إلى ابن عباد لحاجته إليه أكثر فقد نقل قول ابن تاشفين << ما تنبغي لنا مفاسدة ابن عباد من أجل ابن رشيق لاحتياجنا إليه فيما نحن بسبيله ونحن لم نأمن أمر الرومي [7] والأوكد علينا في هذا الوقت مداراة ابن عباد حتى ترينا الامور وجوهها >>[8] وبذلك تعسف يوسف (في نظر ابن بلقين) وخاطب ابن رشيق بقوله : << ما كان يجب لك أن تقدم بدعوتي للقيام على رئيسك فتوقع بيني

---

[1] – مجهول : الحلل الموشية، ص 69.

[2] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 69 ؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص 47 ؛ ابن بلقين: المصدر السابق، ص 109 ؛ دوزي: المسلمون في الاندلس، ج3، ص 140 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153.

[4] – مجهول : الحلل الموشية، ص 69، يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

[5] – مجهول : الحلل الموشية، ص 70

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 70 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

[7] – يقصد به الفونسو السادس.

[8] – ابن بلكين: المصدر السابق، ص 111.

وبينه الشحناء وقال في نفسه (يوسف) لم يفعل ذلك ابن رشيق إيثارا لي ولا محبة لجهتي أكثر من اضرام النار على صاحبه واشغاله بي عن نفسه>>[1]

لكن الأرجح -في رأينا- هو أن يوسف خاف من تواطؤ ابن رشيق مع ألفونسو السادس وما يزيد تأكيد قولنا هو استفتاء الفقهاء في أمره ، وإلا ما كان بحاجة إلى أخذ رأي الفقهاء في أمره.

وعلى أية حال فقد فر جيش مرسية بعد سماعه هذا الخبر وقطعوا الميرة عن المحلة وانصرفوا عن حصار الحصن [2]، فاضطربت الاحوال ووقع الغلاء وارتفعت الأسعار ، بل وأصبح وضع بقية المسلمين المحاصرين للحصن في خطر من جراء قدوم الشتاء [3] وسماع ألفونسو السادس ما وقع للمسلمين من خلاف وتنازع ، [4] وقد نقل لنا ابن بلقين تلك الحالة بقوله : << وشاخت المحلة وطال مكثها ومل الناس، إلى أن ورد الخبر بقدوم ألفونش إليها ، فساءت الظنون من أجل ذلك، ورأى أمير المسلمين أن الرجوع عنها والانصراف أولى>> [5]

وقد استصرخ أهل الحصن سلطانهم فأخذ يحشد قواه ويتوجه بها إلى الحصن المذكور، فرأى بن يوسف تاشفين أن يتوسع عن الحصن قليلا ويتأهب لمقاتلة ألفونسو السادس[6]، حيث مكث يوسف بقواته في برشانة [7] يتأهب للقاء ألفونسو السادس، لكن يوسف سرعان ما تأكد من أن ألفونسو 6

---

1 – المصدر السابق ، ص ص 111-112. ويبدوا أن يوسف بن تاشفين كان متأكدا من تواطؤ ابن رشيق مع الفونسو السادس فقد نقل لنا ابن بلقين في الصفحة 112 قوله :<< ولا سيما أن معونته للروم (يقصد ابن رشيق) بلييط لم تخف على أحد، يعتقد أن ببقائه يثبت في مرسية.>>

2 – مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47.

3 – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 70 .

4 – سعدون نصرالله: المرجع السابق، ص 108.

5 – ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

6 –مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

7 – برشانة حصن منيع في الاندس عى مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكانة وأوثقها بنيانا وأكثرها عمارة. الحميري: الروض المعطار، ص 88 . وصفها ابن الخطيب في المعيار بقوله :<< حصن مانع وجناب يانع. اهلها اولوا عداوة لاخلاق البداوة وعلى وجوههم نضرة وفي ايديهم نداوة...للمجون به سوق وللفسوق الف سوق>> . ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 106.

همه الوحيد هو تخليص الحصن وانقاذ من فيه من نصارى، لذلك قرر إخلاء الطريق وتجنب محاربة ألفونسو في حرب لا طائل منها ولا جدوى.[1]

ينقل لنا صاحب الحلل الموشية أن ما زاد في تناقص عزيمة المسلمين وقرارهم تراجعهم عن الحصن هو أن الجيوش المنسحبة من المسلمين جراء اعتقال ابن رشيق قد آوت إلى شعاب الجبال وعملت على قطع المؤن عن الجيش المرابطي ، حيث سرعان ما حل به الضيق [2]. ضف إلى ذلك أن بعض الولاة قد ضاقوا ذرعا بغطرسة المعتمد بن عباد.[3]

وبذلك صارت الطريق مفتوحة لجيوش ألفونسو السادس فوصل إلى حصن لييط حيث وجد قومه في حالة يرثى لها [4]حيث لم يتبق منهم سوى 100 من الرجال ، بيد أنه لما حاصره المسلمون كان فيه 12 ألف مقاتل بصرف النظر عن الأطفال والنساء [5]. وهذا دليل على ما لحق بهم من اضرار جسيمة وأهوال عظيمة ، رأى ألفونسو 6 أنه لا فائدة من الاحتفاظ بالحصن لأن ذلك يتطلب قوات كبيرة تستنزف جيشه فقرر تحطيم الحصن حيث أخلاه ممن كان فيه ثم دمره وأحرقه.[6]

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص 47 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95 ؛ سعدون نصرالله: المرجع السابق، ص 108.

[3] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95.

[4] – وصف حالتهم صاحب الحلل بقوله :<< وجد قوما جياعا لا يقدرون على امساك الحصن. مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ أما ابن ابي زرع فوصفهم بأنهم منفلتون من مخالب الموت. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص153. ووصفهم السلاوي بالمنفلتين من مخالب المنية. السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47. وعلى أية حال اتفقت المصادر على كارثية أحوال هذا الحصن من النصارى الذين كانوا بداخله.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، صث 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

[6] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 70 ؛ لكن ابن ابي زرع لم يشر إلى تدمير الحصن بل اكتفى بالقول ان الفونسو 6 أخلاه ممن كان فيه من النصارى. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153.

اما عن الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين في سنة 481هـ/10[1] في ربيع الاول الموافق لـ جوان 1088م[2] ، بعدها قرّر أمير المرابطين الرجوع بقواته إلى بلاد المغرب [3] وترك أربعة آلاف مرابطين بقيادة داود ابن عائشة للمحافظة على منطقة مرسية [4] وبعث بعسكر آخر بقيادة محمد بن تاشفين إلى بنلسية.[5]

إن هذا الحصار الذي آل إلى الفشل في نهايته تصوّره البعض على أنه هزيمة للمرابطين فقد ذكر ابن بلقين في مذكراته أن المحلة شاخت وطال مكثها ومل الناس وساءت الظنون لذلك رأى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أن الرجوع أولى لفشل هذا الحصار [6] كما أن من دلائل انهزام المرابطين هو ذلك الصراع الذي نشب بين ملوك الأندلس [7]خاصة بين المعتمد بن عباد وابن رشيق وتحاكمهما إلى يوسف بن تاشفين الذي قرر سجن هذا الأخير [8]، كما أن قرار المعتمد ويوسف بن تاشفين بقرار رفع الحصار عن الحصن لم يكن ليعجب به أمراء الأندلس، حيث رأووا فيه نوعا من الغدر بهم [9] كما أن الرعية الأندلسية سخطت على أمرائها من جراء إثقال كاهلها بطلب مزيد من

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 66 ؛ ابن ابي زرع: المصدر اسابق، ص 152 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 49 ؛ ابو ادهم كحيلة : القطوف الدواني في التاريخ الاسباني ، ط 1 ، primera edition ، القاهرة ، 1998 ، ص 123 .

[2] – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 95 ؛ حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000 ، ص 13 .

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153؛ السلاوي: المصدر السابق:، ج2، ص 47 ؛ أما ابن بلقين في مذكراته فيذكر ان امير المرابطين رجع بعد حصار حصن لييط دون تحديد الوجهة. ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

[4] – سعدون نصرالله : المرجع السابق، ص 109.

[5] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 70 ، سعدون نصرالله: المرجع السابق، ص 109.

[6] – ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

[7] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 69 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 47 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 109 ؛ دوزي: المسلمون في الاندلس، ج3، ص 140 ؛ يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 96.

[8] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 70 ؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص 112.

[9] يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96.

المؤن منها لإرسالها إلى القوات المسلمة المرابطة عند الحصن حيث علق على ذلك ابن بلكين بقوله :<< وطالت تلك المحلة الملعونة وأبان الخبيث من الطيب وكُشفت العورات>>.[1]

غير انه من ينظر إلى طول حصار وضخامة خسائر النصارى في الحصن يجزم بأنه هذا الحصار حقق أهدافه ولو جزئيا فقد وصفت المصادر أن ما بقي في الحصن سوى 100 من بين 12 ألف[2] أما يوسف أشباخ بأنه يقول بأن الناجين هم فقط 100 فارس وألف رجل من أصل 13 ألف كانوا بداخل الحصن [3] وهي خسائر فادحة جدا ، وعلى أية حال فإن القراءات المختلفة والمتراوحة بين الانهزام والانتصار كلها أكدت على تدمير الحصن في الاخير وإحراقه [4] رغم أن المعتمد بن عباد استولى عليه فيما بعد ولكن بعد أن صار اطلالا.[5]

لكن ما تأكد منه يوسف بن تاشفين بعد هذا الجواز الثاني للأندلس هو استحالة توحد كلمة أمراء الاندلس لذلك سيقرر فيما يأتي من الأيام ضم بلاد الاندلس إلى سلطان المرابطين وإنهاء ما آل إليه الأمر من خلاف وفرقة أذكت في نفوس النصارى التطاول على مسلمي الاندلس.

2-الجواز الثالث :

كان الجواز الثالث لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين في 483 هـ/1090 م [6] برسم الجهاد وسبب ذلك حسب ما أورده صاحب الحلل الموشية أنه لما كان في حصار حصن لييط نقل إليه كلام عن ملوك الأندلس حيث أزعجه وأوغر صدره، ولما شعر هؤلاء الملوك بتغير معاملة يوسف

---

1 – ابن بلكين: المصدر السابق، ص 110.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

3 – يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 96 . رغم أن يوسف اشباخ يعتبر ذلك نصرا للمسيحيين بقوله في ذات الصفحة << ثم عاد إلى طليطلة (الفونسو6) مثقلا بالغنائم وقد ظفر بإحباط خطط أعدائه (المسلمين)>>

4 –مجهول : الحلل الموشية، ص 70 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 96 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 247.

5 – سعدون نصرالله: المرجع السابق، ص 109.

6 – مجهول : الحلل الموشية، ص 71 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 153 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1284 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

معهم نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية عزمه [1] ويبدو ان يوسف بن تاشفين قد تأثر منذ البداية بما شهده من اختلال أحوال أمراء الطوائف وضعف عقيدتهم الدينية، وانهماكهم في ملذات الحياة وترف العيش ، بذلك ضعفت همتهم عن الجهاد [2] ومن ثم عزم يوسف الجواز إليهم[3] وما زاده غيضا منهم هو قطع المؤونة عن جيش يوسف المرابط في الاندلس من طرف ملوك الطوائف[4] زد على ذلك سماع يوسف بن تاشفين أن بعض ملوك الطوائف عادو لموالاة ألفونسو السادس ومصادقته حيث تغيروا معاملتهم لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين وكان أول من جاهر بذلك أمير غرناطة عبد الله بن بلقين [5]، لكن يوسف بن تاشفين لم يكن ليتخذ هذه المرة قرارا دون اللجوء إلى مشاورة الفقهاء ، حيث تلقى فتاوي من فقهاء المغرب والأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف وانتزاع الأمر من بين أيديهم [6] بل وقد أفتى فقهاء من المشرق أمثال أبا حامد الغزالي أو فقهاء كانوا متواجدين بالمشرق ساعتها مثل الطرطوشي.[7] (انظر الفتوى في الملاحق)

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 71.

[2] – لقد وقف يوسف بنفسه على تلك الحياة المترفة لما كان عائدا من وقعة الزلاقة ، إذ مر على اشبيلية ورأى منظرها الجميل وكيف يخترقها النهر الذي تجوبه السفن وفيها آلاف الصنيعات ورأى قصور المعتمد وفيها كل انواع الملبس والمأكل والمشرب والفراش فأنكر يوسف ذلك على المعتمد وأدرك انه منغمس في الملذات التي تلهيه عن الجهاد وحماية حدود المسلمين. ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 120.

[3] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس– دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص 337.

[4] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 249 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 337.

[5] – مجهول : الحلل الموشية ، ص 71 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص 249 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 153 ؛ عنان: دول الطوائف، ص 337.

[6] – دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص ص 145–146 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 338 . عبد الله عنان: دول الإسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 42.

[7] – ابن خلدون : العبر، ج6، ص 249 ؛ عبد الله عنان : دول الطوائف، ص 338.

توجه يوسف بجيوشه نحو الجزيرة الخضراء حيث التقاه المعتمد بن عباد بالتكريم ومظاهر الضيافة والاحتفال[1] ثم توجها إلى غرناطة حيث كان أميرها قد صالح ألفونسو 6 وحصن بلاده[2] ومنها قال بعض شعراء عصره عن ذلك .

يبني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير

دعوه يبني فسوف يدري إذ انت قدرة القدير.

وهذا دليل على تحصن أمير غرناطة حيث لما وصل يوسف إليها أغلق صاحبها الأبواب فحاصره أمير المسلمين شهرين فلما فقد ابن بلقين الأمل طلب الأمان وسلم غرناطة لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين [3] الذي قام بنفي عبد الله بن بلقين أمير غرناطة وأخيه تميم إلى بلاد المغرب ومعهما أولادهما وحريمهما.[4]

إن المصير الذي آل إليه صاحب غرناطة عبد الله بن بلقين قد أخاف وأرعب المعتمد بن عباد خاصة بعد أن قدم إلى غرناطة رفقة المتوكل بن الأفطس لتهنئة يوسف على ما فعله لكنه أعرض عنهما ولم يقبل منهما [5] ورجعا إلى بلادهما حيث أدرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وقال لزميله المتوكل بن الأفطس : << والله لا بد له أن يسقينا من الكأس التي

---

[1] – مجهول : الحلل الموشية، ص 71.

[2] – يقر عبد الله بن بلقين في مذكراته انه وقع معاهدة مع البرهانش وكيل الفونسو السادس حيث أنه قرر رضائه باليسير في المعاهدة (كما أقر هو) ثم التزم باداء الجزية له. ابن بلكين: المصدر السابق، ص ص122–127.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص ص 153–154 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48.

[4] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 71 ؛ عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص 160 ح ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 154 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص 249 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48 ، يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 98.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 71–72 ؛ وقد برر ذلك ابن ابي زرع بأن سوء العلاقة بين المعتمد والمتوكل من جهة وأمير المرابطين من جهة مرده إلى النميمة والوشاية الواقعة بينهما. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص154؛ وهو نفس ما قال به السلاوي صاحب الاستقصا. السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48 ؛ أما ابن خلدون فقال بانه مرد ذلك إلى أنه فشت السعايات بينهما. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 249.

سقى بها عبد الله بن بلقين >> [1]. وفي هذا الوقت بالذات قرر يوسف بن تاشفين العودة إلى بلاد المغرب تاركا سير بن ابي بكر ينوب عنه في الأندلس وفوض إليه الأمور كلها.[2]

توجه ابن عباد إلى مملكته وبدأ يحصنها خوفا من هجمات المرابطين وقد علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله :<< ولما عاد ابن عباد إلى اشبيلية أخذ في بناء الأسوار وعمل القنطرة، فقال له ابن الحسن عبيد الله الرشيد ، ألم اقل لك يا أبت يخرجنا هذا الصحراوي من بلادنا إن أنت أوردته علينا ، قال : يا بني لا يُنجي حذر من قدر>>.[3]

وفي سنة 484هـ/1091 م تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبتة [4] وسير أربعة جيوش في وقت واحد لتجوز إلى الأندلس فقدم ابن عمه سير بن ابي بكر وأمره بمحاصرة اشبيلية [5] ثم أمره إذا أنهى أمر اشبيلية فليتوجه إلى مملكة بني الأفطس حيث لشبونة وشنترين وغير ذلك من المناطق [6] ، وقدم أبا عبد الله بن الحاج عن جيش ثان وأمره بمنازلة المأمون ولد المعتمد بن عباد في قرطبة [7] وقدم

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 72.

[2] – ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 154 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص 249 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 99.

[3] – مجهول : الحلل الموشية، ص 72 ؛ يبدوا أن تحصن المعتمد في مملكته وبنائه الأسوار يوحي بان أجل نهاية مملكته قد حان وازف. عنان: دول الطوائف، ص 343.

[4] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 468 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 72. وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية في ذات الصفحة أن الأمير يوسف لما وصل إلى سبتة بنا مسجدا جامعا بها ثم زاد فيه حتى أشرف على البحر، وبنا البلاط الأعظم فيه وأمر ببناء سور الميناء السفلي.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 154 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص 72 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 48 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 99 ؛ عنان : دول الطوائف، ص 343.

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص 72 . عنان: دول الطوائف، ص 343.

[7] – مجهول : الحلل الموشية ، ص72؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص154؛ السلاوي: المصدر السابق ،ج2،ص49. ابن خلدون : العبر، ج6،ص49.

أبوه زكريا بن واسينو على عسكر ثالث وأمره بمحاصرة المعتصم بن صمادح في المرية [1] وقدم حدور الهاشمي[2] عى عسكر رابع وأمره منازلة يزيد الراقي ولد المعتمد بن عباد برندة.[3]

توجه سير بن ابي بكر بجيوشه وحاصر مدينة اشبيلية وقاتلها [4] ثم بعث قائده بطي إلى جيان فحاصرها حتى دخلها صلحا وملكها المرابطون [5] ثم سار هذا الأخير إلى قرطبة وكان بها المأمون بن المعتمد فحاصرها وفتحها صلحا في الاربعاء الثالث من صفر 484 هـ / 1091م.[6] ثم فتح المرابطون بياسة وأبذة وحصن البلاط وشقورة ولم ينقض شهر صفر من سنة 484 هـ/ 1091م حتى لم يبق لابن عباد بلد إلا وقد ملكه المرابطون عدا قرمونة واشبيلية.[7]

ملك المرابطون قرطبة واستولوا على ثغورها ثم بعث المرابطون قائدا من لمتونة إلى قلعة رباح في جيش قوامه 100 ألف فارس، ثم رحل سير بن ابي بكر إلى قرمونة حتى فتحها في السبت 17 ربيع الأول 484هـ/1091م.[8]

يئس المعتمد بن عباد وأدرك أن نهايته قد آنت فقرر الاستنجاد بألفونسو السادس [1] وقد علق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : << فإشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار

---

1 – مجهول : الحلل الموشية ، ص72؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص99.

2 – في نسخة أخرى من مخطوط الحلل الموشية يرد ذكره بإسم جؤرد الحشمي. مجهول: الحلل الموشية، ص73.

3 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص249؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص72؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص99.

4 – مجهول : الحلل الموشية ، ص72؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص49؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص99.

5 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص154؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص49؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص100.

6 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 154؛ السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص49؛ لكن ابن خلدون ذكر الوقيعة دون ذكر التاريخ. ابن خلدون: العبر، ج6، ص249.

7 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص154؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص49؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص100.

8 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص49؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص100؛ ويقول الأستاذ عبد الله عنان أن قرطبة تم إفتتاحها في صفر484هـ/26 مارس1091م. عنان: دول الطوائف. ص345.

فبعث إلى ألفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ويستصرخه على لمتونة ويعده بإعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد إن كشف عنه ما هو فيه من الحصار>>.[2]

قرر ألفونسو السادس إمداد المعتمد بن عباد بجيش قوامه 20 ألف فارس و 40 ألف راجل فقرر سير بن ابي بكر مجابهته بجيش قوامه 10 آلاف فارس بقيادة ابراهيم بن اسحاق اللمتوني فالتقى الجمعان وكانت بينهما حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين لكنهم انتصروا على النصارى الذين لم يفلت منهم إلا القليل.[3]

بعد هذا الانتصار قرر المرابطون بقيادة سير بن ابي بكر محاصرة اشبيلية حتى دخلوها وبها المعتمد بن عباد فأمنوه على نفسه وأهله وأولاده وأرسلوه إلى بلاد المغرب (أغمات) إلى أن أتاهم الموت وكان فتح اشبيلية ودخولها تحت لواء المرابطين في 22 رجب 484 هـ/1091م.[4]

غير أن هناك من المؤرخين من قال بأن فتحها كان عنوة أمثال ابن خلدون وذكر نفس السنة دون ذكر الشهر [5] ، أما ابن خلكان فقد قال بأن المرابطين حاصروا اشبيلية أشهرا ثم دخلوها قهرا وأخرج المعتمد من قصره قسرا وحمل إلى أغمات مقيدا. [6] وقد ذكر ابن الاثير أن المرابطين حاصروا

---

[1] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص249؛ ابن بلكين: المصدر السابق، ص169؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص49.

[2] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155.

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص49؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص101 ؛ عنان: دول الطوائف. ص351.

[4] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص49.

[5] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص249.

[6] – ابن خلكان : المصدر السابق، ج 7، ص123 ؛ وذكر شيخ الاسلام عبد القادر الفاسي ان العلماء افتوا بقتل المعتمد والاستراحة منه نظير ما قدمه من معاقل الى النصارى غير ان يوسف بن تاشفين اخذ بالفتوى الايسر والقاضية بخلعه ونقله الى اغنات . عبد القادر الفاسي : رسالتان في الامامة العظمى ، تحقيق : هشام بن محمد حيجر الحسني ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 ، ص 114 ؛ ساجد مخلف حسن : المعتمد بن عباد – حياته ودوره في معركة الزلاقة – ، مجلة سر من رأى ، 2008 ، (د.م) ، العدد 11 ، المجلد 4 ، ص 84 .

اشبيلية وفتحوها عنوة غير أنه يرجح بعد ذلك بأنها ربما فتحت صلحا حيث سلمها المعتمد وأستأمن المرابطين على ماله وأهله وأولاده.[1]

وفي شهر شوال من سنة 484هـ/1091 دخل القائد يوسف بن داوود بن عائشة مدينة مرسية وأعمالها وكتب بالفتح لأمير المرابطين [2] ، وفي ذات السنة توجه ابن عائشة فنزل المرية فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح [3] وكتب بالفتح إلى أمير المرابطين يوسف وقد نقل لنا ابن الابار عن ابن صمادح قوله حين حضرته الوفاة: << نغص علينا كل شيء حتى الموت >> إلى أن هلك.[4]

وفي سنة 485هـ/1092 م أمر يوسف بن تاشفين ابن عائشة أن يسير إلى دانية [5]

فسار إليها وملكها ثم ملك شاطبة [6] التي فر صاحبها ابن منقذ ، حيث دخلتها قوات

المرابطين [1] ثم ملك المرابطون مدينة شقورة ، ثم سار ابن عائشة إلى بلنسية فدخلها وفر صاحبها القادر بن ذي النون وكتب ابن عائشة بالفتح إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين.[2]

---

1 – يصف ابن الأثير: إستيلاء المرابطين على إشبيلية بقوله: <<ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا إلى العشرين من رجب هذه السنة (484هـ/1091م) فعظم الحرب ذلك وإشتد الأمر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه، ونهب جميع ما فيه... وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عورتاهم بأيديهم ... وانتهكت الحرمات >>. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص ص469-470.

2 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 155، وقد ذكر صاحب روض القرطاس في ذات الصفحة أن الناس أحبوا ابن عائشة لصلاحة وورعه وعدالة أحكامه ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص104؛ عنان: دول الطوائف. ص368.

3 – يذكر صاحب روض القرطاس أن معز الدولة بن صمادح هرب في البحر متجها إلى إفريقية بأمواله وعياله وأسلم البلد لإبن عائشة. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص155.

4 – ابن الابار: الحلة السيراء، ج2، ص84.

5 – دانية مدينة بشرق الأندلس على ساحل البحر. عليها سور حصين وهي على عمارة متصلة وشجرتين كثير وكروم، والسفن واردة إليها وصادرة عنها ومنها يخرج الأسطول إلى الغزو وبها ينشأ معظم الأسطول لأنه يصنع هناك. الحميري: الروض المعطار، ص ص231-232.

6 – شاطبة مدينة بشرق الأندلس كبيرة وقديمة فيها يصنع الكاغد ذو النوعية الرفيعة ويحمل إلى سائر الاندلس وهي مشتقة من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص309 ؛ ووصفها الحميري بأنها كثيرة الثمار عظيمة الفائدة آهلة بالسكان بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق. الحميري: الروض المعطار، ص337.

وفي سنة 486 هـ/1093م فتح المرابطون مدينة افراغ من بلاد شرق الأندلس [3] أما في غرب الأندلس فإن المتوكل بن الأفطس خاف على ملكه واختار أن يستعين بألفونسو السادس ومنحه 03 مدن هي اشبونة وشنترة وشنترين لذلك انحرف أهل بطليوس عن المتوكل واستدعوا المرابطين ، حيث أرسل سير بن ابي بكر جيشا إلى بطليوس لافتتاحها، ولم يتمكن ملك قشتالة من تقديم اية مساعدة وتحصن ابن الافطس بقصبة بطليوس المنيعة لكن المرابطين اقتحموها بعنف وقبضوا على المتوكل وولديه الفضل والعباس واستولوا على أمواله المدفونة.[4]

وقد قتل المرابطون المتوكل بن الأفطس وولديه [5] أما المنصور ابن المتوكل بن الأفطس فقد فر ما بقي عنده من أموال إلى النصارى.[6]وقد كان استيلاء المرابطين على بطليوس في 488 هـ/1095م.[7]

في ذات السنة كانت بلنسية تعاني من تسلط السيد القنبيطور الذي دخلها وأحرق ان حجافة وصادر أمواله [8]، عندها استنكر المسلمون هذا العمل العدائي وحاصروا مدنية بلنسية بقيادة محمد

---

[1] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 156؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج 1، ص104؛ عنان: دول الطوائف. ص366.

[2] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص156؛ عنان: دول الطوائف. ص366.

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص156.

[4] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام: ص ص185-186؛ عنان: دول الطوائف. ص369؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص106.

[5] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص249؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام: ص186؛ لكن يوسف أشباخ ساق الأمر على أنه غدر من المرابطين إذ أن الأمير سير بن بن أبي بكر تعهد بأن يترك المتوكل وأولاده أحرارا لكنه غدر بهم وقتلهم. يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص106.

[6] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام: ص 186؛ عنان: دول الطوائف. ص369؛ ويقول : الأستاذ عبد الله عنان نقلا عن بعض الروايات النصرانية أن المنصور ابن المتوكل بن الأفطس فر بماله وإعتنق النصرانية ؛ أما يوسف أشباخ فينقل لنا خبر الإبن الآخر وهو يغم بقوله إنه إعتقل طويلا. يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1، ص106.

[7] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام: ص 186؛ عنان: دول الطوائف. ص369؛ أما يوسف أشباخ فيجعل تاريخ إستيلاء المرابطين على بطليوس في 485هـ/1094م ؛ أما ابن خلدون فيجعل ذلك في سنة 489هـ/1098م. ابن خلدون: العبر، ج6، ص250.

[8] – ابن الابار: الحلة السيراء، ج2، ص126 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص37 ؛ وقد وصفت احدى الرسائل الادبية من ابن الطاهر الى اخوته يصف فيها تسلط الطاغية الكنبيطور على اهل بلنسية وما وصل الحال بأهلها حيث يقول : ((فلو رأيت قطر بلنسية – نظر الله اليه وعاد بنوره عليه— وما صنع الزمان به وباهليه ، لكنت تندبه وتبكيه ، فلا تسأل عما في

بن الحاج وتلقت قوات ألفونسو 6 هزيمة نكراء [1] ثم بعث المرابطون جيشا بقيادة مزدلي لاسترجاع بلنسية وخرج الفونسو 6 إلى مدينة قلبيرة وعاث فيها ثم التقى الجيشان ودارت بينهما معركة طاحنة حيث أدرك ألفونسو 6 أنه منهزم فانسحب ودمر جامع المدينة والقصر وبعض الديار ودخل مزدلي مدينة بلنسية في رمضان 495 هـ/1102م.[2]

بهذا لم يبق سوى امارة سرقسطة التي يحكمها المستعين ابن هود [3] حيث أرسل إلى أمير المرابطين يطلب مساعدته ويخطب وده، فلما وصل الرسل إلى [4] يوسف أكرمهم ووافق على عقد السلم مع ابن هود طالبا منه التمسك بوحدة الصف لأجل التصدي للنصارى وجهادهم، ثم أرسل يوسف قائده أبو محمد عبد الله بن فاطمة بجيش كثيف من 1500 فارس إلى هناك للتصدي لهجمات النصارى [5] وأوصى يوسف ولده علي من بعده بعدم التعرض إلى بلاد بني هود وقال له :<< اتركهم بينك وبين العدو فإنهم شجعان>>[6]

3-الجواز الرابع:

بعد أن تمكن المرابطون من ضم أجزاء كبيرة من الأندلس خاصة بلنسية والقضاء على السيد القمبيطور [7] وإعلان صاحب سرقسطة الانضمام إلى دولة المرابطين [8] صارت أرجاء واسعة من الأندلس بيد المرابطين وعلق على ذلك المراكشي صاحب المعجب بقوله: << فلم يزل أصحاب

نفسي ، وعن نكدي ويأسي)) . عدنان محمود عبيدات : ادب الرسائل في مملكة بلنسية في القرن الخامس الهجري ، مجلة التراث العربي ، 2009 ، دمشق ، العدد 115 ، ص ص 178 – 179 .

[1] – العبادي : صورة من حياة الحرب والجهاد، ص110.

[2] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص42؛ عنان: دول الطوائف. ص248.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص73؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص107.

[4] – تكون الوفد من الوزيرين أبي الاصبع وأبي عامر. مجهول: الحلل الموشية، ص75.

[5] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص42.

[6] – النويري: المصدر السابق، ج24، ص149.

[7] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص42 ؛ عنان: دول الطوائف. ص248.

[8] – مجهول: الحلل الموشية، ص73 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص42.

يوسف بن تاشفين يطؤون تلك الممالك مملكة مملكة، إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها >>[1] أما ابن خلدون فوصف ذلك بقوله : << وانتظمت بلاد الأندلس في ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن >>[2]، وبعد أن رأى يوسف بن تاشفين أن البلاد صارت واسعة الأرجاء، صار عليه لزاما أن يجوز إلى بلاد الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة ليرتب الأمور وقد كان جوازه عام 496 هـ/1103 م على روايتي صاحب الحلل الموشية وروض القرطاس [3] أما ابن الكردبوس وابن خلدون فيجعلان جوازه الرابع في 497 هـ/1104م.[4]

وقد علق صاحب الحلل الموشية عن أهداف هذا الجواز بقوله : << كان جوازه...برسم التجول في الأندلس والنظر إلى مصالحها وكان معه ابناه الأميران أبو طاهر تميم وأبو الحسن علي >>[5] أما يوسف أشباخ فعلق على أهداف هذا الجواز بقوله: << ولم يكن عبوره هذه المرة لمحاربة مسلمي الأندلس بل كانت تحذوه عندئذ بالنسبة إليهم عواطف ونيات سلمية بعد أن غدوا من رعاياه....وأفضى يوسف إلى الجماعة بعزمه على تعيين ولده الأصغر على لولاية الحكم من بعده>>.[6]

---

[1] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص114. ويضيف معلقا عن تعلق المسلمين بيوسف وخوف النصارى منه بقوله في ذات الصفحة: << فأظهرو...الدفاع عن المسلمين وحماية الثغور ما صدق بهم الظنون وأثلج الصدور، وأر العيون، فزاد حب الأندلس لهم وإشتد خوف ملوك الروم منهم >>.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص250.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص77؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص156؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1،ص117 ؛ عنان: دول الطوائف. ص371؛ 242 ؛

FIRMIN DIDOT FRÉRE: encyclopédie moderne – dectionnaire abrégé- ,libraires de l'institut de France , paris , s.d , p : 242 .

[4] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص250؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1291 . لكن في نظرنا يبدو أن الرواية الأصح هي الأولى أي أن الجواز كان في 496هـ/1103م على إعتبار أن البيعة لعلي بن يوسف في قرطبة كانت في 496هـ/1013م كما أوردها صاحب روض القرطاس وصاحب الحلل الموشية ويتفق مع راينا هذا الأستاذان أشباخ وعنان. كما أسلفنا .

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص77.

[6] – يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص117.

قصد يوسف بن تاشفين في جوازه الرابع قرطبة لأخذ البيعة لولده علي المكنى بأبي الحسن وذلك في سنة 496هـ/1103م.[1] ولم يكن يوسف بن تاشفين ليعقد البيعة لإبنه إلا بعد أن اطمأن على الأحوال ووقف على حسن سير الولايات وشكر القادة على انقيادهم لأوامره.[2] ثم جمع أمراء البلاد وكبراءهم وأشياخهم وفقهاءهم ورؤساء الأندلس[3] وعقد البيعة لابنه.[4]

رغم أن المقصد الأول للجواز الرابع هو عقد البيعة لأبي الحسن علي بن يوسف إلا أنه وقعت بعض المعارك في هذه الفترة الوجيزة إلى غاية وفاة يوسف بن تاشفين ، فقد جهز الأمير يوسف بن تاشفين جيشا للاستيلاء على بعض القواعد والحصون الواقعة قرب بلنسية ومنها البونت [5] التي سقطت في 496هـ/1103م.[6]

وفي عام 497هـ/1104م تقدم المرابطون نحو الشمال واستولوا على مدينة شنتمرية [7] في الشرق [8] بعد وفاة ملكها عبد الملك بن رزين[9] حيث صار أمرهم إلى المرابطين ودخلوا في طاعتهم[10] وفي سنة 497هـ/1104م بعث المرابطون جيشا بقيادة علي بن الحاج إلى شرق الأندلس حيث ورد خبر

1 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص157؛ مجهول: الحلل الموشية، ص78؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج1،ص119 ؛ عنان: دول الطوائف. ص372.

2 – يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج 1، ص117.

3 – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص ص42-43.

4 – مجهول: الحلل الموشية، ص78 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص157 ؛ عنان: دول الطوائف. ص372 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ص119.

5 – قرية من اعمال بلنسية. الحميري:الروض المعطار، ص115؛ للإستزادة حول أخبار هذه المنطقة راجع: ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص208.

6 – عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص 262 .

7 – شنتمرية من مدن الأندلس من اتقن الحصون وهي على معظم البحر، وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب بها مسجد جامع وإليها المراكب واردة ومنها صادرة وهي كثيرة الأعناب والتين بها دار لصناعة الأساطيل. الحميري: الروض المعطار، ص347.

8 – ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص43؛ عنان: دول الطوائف، ص262.

9 – هو ملك شنتمرية ملقب بذي الرياستين تولى بعد أبيه الحاجب عز الدولة أبي محمد هذيل بن عبد الملك، ويعرفون ببني الأصلع وإنتمائهم من هوارة. ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص43 ؛ ابن الابار: الحلة السيراء، ج2، ص108.

10 – ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص43.

أن ألفونسو أغار على مدينة سالم [1] فإلتقى مع القائد أي محمد عبد الله بن فاطمة وقررا التوجه إلى طليطلة لضرب العدو وفي الطريق اشتبك المسلمون مع القشتاليين فأستشهد والي غرناطة علي بن الحاج .[2]

وفي سنة 498هـ/1105م خرج النصارى في 3500 من الجنود وتوغلوا في اشبيلية فغنموا كثيرا، فخرج أبو محمد سير وتحصن هناك في أحد الحصون ولحقت جيوش أبو عبد الله بن الحاج من غرناطة فهربت جيوش النصارى[3] ، وفي أواخر عام 498هـ/1105م. انتشر خبر وفاة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين [4] واشتد مرضه في السنة الموالية اي في 499هـ/1106م [5] وقبل وفاة يوسف بن تاشفين أوصى ولده علي بثلاث وصايا أولها أن لا يهيج أهل جبل درن (أي جبال الأطلس الكبير) ومن ورائه من القبلة والمصامدة وأهل القبلة والثانية أن يهادن بني هود بالأندلس وأن يتركهم حائلين بينه وبين الروم [6] والثالثة أن يقبل من محسن أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم.[7]

نقل لنا يوسف أشباخ وصية يوسف لابنه بقوله : << ألا يعين في مناصب الحكام والقضاة في الولايات والحصون والمدن إلا المرابطين من قبيلة لمتونة، وأن يحتفظ في الأندلس بجيش دائم حسن الأجر من المرابطين قوامه 17000 فارس >>[8] وقد مات يوسف بن تاشفين على رأس المائة

---

[1] – سالم من مدن الأندلس وأعظمها وأشرفها وأكثرها شجرا وماء ، وكان طارق بن زياد لما فتحها وجدها خرابا فغمرت في الإسلام.ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص172.

[2] – ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص44.

[3] – وقد علق ابن عذارى على ذلك بقوله :<< فهرب جميع الكفرة وولوا أمامهم فارين مهزومين، وبلغ المسلمون الشفاء من القتل فيهم، وكاد السيف يستأصلهم ويفنيهم، وصح بعد هذا الفتح الجليل أن الذي قتل منهم ألف وخمسمائة>>. المصدر السابق، ج4، ص 45.

[4] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص156.

[5] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص45.

[6] – مجهول الحلل الموشية، ص ص82-83؛ وذكر النويري الوصية بقوله <<أتركهم بينك وبين العدو فإنهم شجعان >>. النويري: المصدر السابق، ج24، ص149.

[7] – مجهول الحلل الموشية، ص83.

[8] – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص119. ويوزع هذا الجيش على سرقسطة (4000) وعلى إشبيلية (7000) وعلى غرناطة (3000) وعلى قرطبة (1000) وعلى باقي الحصون كحامية (2000).

الخامسة 500هـ/1106م [1] بعد أن ترك مملكة مترامية الأطراف لابنه << وكانت أيامه صدرا منها وداعةً ولدولته على الكفر وأهله ظهور وعزة ، وأجاز إلى العدوة فأثخن في بلاد العدو قتلا وسبيا>>[2] ولم يرحل يوسف بن تاشفين عن دولته إلا وقد << انتظمت بلاد الأندلس في ملكه...وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن، واستولى أمير المسلمين على العدوتين معا. واتصلت هزائم المرابطين على الفرنج مرارا والله غالب على أمره>>.[3]

---

1 – ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 156؛ مجهول الحلل الموشية، ص 83؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص45؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص250؛ ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص247؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص192؛ الذهبي: تاريخ الاسلام ، ج34، ص75؛ الذهبي: دول الإسلام، ج1، ص436؛ الصفدي: المصدر السابق، ج29، ص ص73-74؛ LUGIEN RENARD : histoire d'Espagne, furne libraire éditeur , paris , 1855 , p : 240 ; G.FAURE-BIGUET : op , cit , p 120 ؛
أما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب فيقول بوفاته في 493هـ/1100. لكن هذا التاريخ مغاير لما وجدناه في المصادر السابقة. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص121. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج5 ، ص 192

2 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص250-251.

3 – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص51.

الفصل الثالث : حروب المرابطين في الاندلس مع النصارى

منذ 500 هـ/1106م الى سقوط الدولة

اولا : حروب المرابطين مع لمملكتي قطلونيا وبرتغال

1–سيرة الامير علي بن يوسف وتلقبه بالامارة

2–جهاد المرابطين لمملكة قطلونية

3–جهاد المرابطين لمملكة برتغال

ثانيا : حروب المرابطين مع مملكة قشتالة

1–وقعة اقليش

2–حصار طليطلة واسترجاع بعض احوازها

3–صيرورة جهاد القشتاليين الى سقوط الدولة المرابطية

ثالثا : حروب المرابطين مع مملكة اراغون

1–سقوط سرقسطة

2–غزوة الفونسو المحارب في الاندلس

3–وقعة القلاعة 523هـ/1129م

4–وقعة افراغة 528هـ/1134م

اولا : حروب المرابطين مع مملكتي قطلونيا وبرتغال

بعد وفاة يوسف بن تاشفين ورث ابنه علي امبراطورية مترامية الاطراف. [1] كان لزاما عليه أن يحافظ على مكتسبات والده ، وقد تولى الحكم وهو لا يتجاوز 23 سنة [2] وحكم بلاد المرابطين 37 سنة لذلك وجب علينا أن نتناول سيرة هذا الأمير الشاب الذي لقي قبولاً لا يقل قيمةً عن والده يوسف .

1–سيرة الأمير علي بن يوسف :

هو علي بن يوسف تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت بن ورقاطن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتملي بن تمليت الصنهاجي اللمتوني [3] ويكنى بأبي الحسن [4] كان ميلاده في الرابع من ربيع الأول 476 هـ/1083 م [5] أما ابن ابي زرع فيجعل ميلاده في غرة محرم 477هـ/1084م [6] ،

---

[1] – وصف ابن ابي زرع اتساع دولة المرابطين عشية تولي علي بن يوسف مقاليد الحكم بقوله :<< ملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية إلى بلاد السوس الأقصى وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان وملك بلاد الاندلس شرقا وغربا وملك الجزائر الشرقية >> ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ LÉON GODARED : les évèques de maroc , revue africain , 1857 , alger , volume 2 , p : 128 .

[2] – السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 51 ؛ وصف الشاعر الملزوزي القريب من عصر المرابطين (ق 7 هـ) علي بن يوسف بقوله :

لما اذيق يوسف كاس الردى	قام على نجله قطب الندا
ثم اقتدى بفعل يوسف ابيه	وقرب الدهر له ما يبتغيه
فمهد العلياء والبـلادا	وبذل الطارف والتلادا
وشيد البنيان في مراكش	قبل ابتداء الحرب والتناوش
وبقيت آثاره في الحضره	في وقتنا هذا تبين قـدره

عبد العزيز الملزوزي : نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ، الرباط ،1963 ، ص ص 53 – 54 ؛ JEAN BRIGNON ET LES AUTRES : histoire du maroc , libriarie nationale , Casablanca , 1967 , p : 91 ; CHARLES – ANDRÉ JULIEN : op , cit , p : 86.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157.

[4] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 84 ؛ ابن ابي زرع: المصصدر السابق، ص 157 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص 124 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 121.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 101 ؛ ابن خلكان: المصدر السا، ج7، ص 125 .

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157.



أما عن مكان ميلاده فيقول ابن عذارى أنه في سبتة [1] ، غير أن ابن غازي صاحب الروض الهتون فيقول أن علي بن يوسف ينسب لقرية اسمها تلاجدوت والتي قد تكون مكان ولادته.[2]

أمه فهي رومية [3] تدعى قمر وكذلك فاض الحسن [4] ، أما أولادُه فهم : تاشفين المتولي الحكم بعده ، وأبو بكر (ويدعى بيكور) ، وأبو حفص عمر الكبير ، وابراهيم واسحاق وتميم وداوود وعمر الصغير[5] ، كاتبه يدعى أبو محمد بن اسباط [6] ، أما وزراؤه فهم نيتيان بن عمر وفي آخر حايته استوزر اسحاق بن نيتيان.[7]

أما عن صفاته الجسمانية فقد كان تام القد حفيف العارضين، أكحل العينين سبط الشعر أفلج اسيل الوجه[8] ، وقد أسهبت الكثير من المصادر في وصفه بجميل الصفات التي تتوفر في القائد المحنّك والمتواضع والمحب لأهل العلم والدين فقد وصفه الذهبي بقوله :<< كان شجاعا مجاهد عادلا [9] دينا ورعا صالحا معظما للعلماء مشاورا لهم>> [10].

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 101 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص58.

[2] – ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952، ص ص 4-5. وأضاف قائلا نه يدعي سيدي علي بن شيوا.

[3] – مجهول : الحلل الموشية، ص 84 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 101.

[4] – يوردها صاحب الحلل الموشية باسم رياض الحسن. مجهول: الحلل الموشية، ص84 ؛ ويورد ابن عذارى باسم ام الحسن. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 101؛ ويقول يوسف اشباخ أن اسمها رميكة وقد كانت نصرانية. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 122.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص 84.

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ بينما أورد عبد الواحد المراكشي مجموعة من الكتاب من أهمهم أبو القاسم بن الجد وعبد الله بن ابي الخصال. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص123.

[7] – مجهول: الحلل الموشية، ص 84 .

[8] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ج4، ص 101 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157.

[9] وقد فصل الطرطوشي في فصل العدل من قبل السلاطين والملوك . للاستزادة انظر :أبو بكر الطرطوشي : سراج الملوك ، طبعة القاهرة ، 1289 هـ / 1872 م ، ص 44 وما بعدها .

[10] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص 124 .إلا أنه يستدرك في ذات الصفحة بقوله أن العلم تناقض في زمانه وأهمل وأهينت الفلسفة وتكاسل الناس عن الحديث والآثار واستحكم في ذهن علي بن يوسف أن الكلام بدعة ما عرفه السلف.

وصفه النوير بقوله :<<كان يقتدى في القضايا والأحكام بفقهاء بلاده ويقويهم ويكرمهم ، وإذا أتته نصيحة قبلها أو موعظة خشع لها، وسار في رعيته أحسن سيرة فأحبه الناس واشتملوا عليه ومالوا عليه>> [1] ، بينما قال فيه ابن خلدون أنه كان خير ملك وكانت دولته لها عز وجهاد ضد الكفر وأهله [2] ،أما عبد الواحد المراكشي فوصفه بقوله أنه جرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد وقد كان حسن السيرة الطوية نزيه النفس بعيدا عن الظلم لدرجة أنه كان يعد من الزهاد والمتبتلين أكثر مما يعد في الملوك والمتغلبين واشتد ايثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمرا في دولته إلا بمشاورة الفقهاء.[3]

قال فيه ابن الخطيب بأنه كان خيرا حميد السيرة متصفا بالشيم الأثيرة جاهد العدو بعد أبيه بنفسه[4] ، ويزيد ابن الخطيب في وصفه في الإحاطة بقوله : <<كان ملكا عظيما عالي الهمة رفيع القدر فسيح المعرفة شهير الحلم، عظيم السياسة انفد الحق واستظهر بالأذكياء ووالى الغزو، سد الثغور... وجاز إلى الأندلس وغزا فيها بنفسه >> [5] ، ووصفه أحمد بابا التنبكتي بأنه الشيخ المتفنن.[6]

اما ابن الأثير فيصفه بقوله أنه ازداد في إكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند سماع الموعظة ولان قلبه وظهر ذلك عليه [7] ، أما المؤرخ الألماني يوسف اشباخ

---

[1] – النويري : المصدر السابق، ج24، ص 150.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 250

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121. ويضيف المراكشي في ذات الصفحة أن علي بن يوسف كان إذا ولى أحدا من قضاته كان يوصيه ألا يبت في قضية صغيرة كانت أو كبيرة إلا بمحضر أربعة من الفقهاء لذلك بلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما.

[4] – ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، ص 51.

[5] – ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج4، ص 59.

[6] – أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم واشراف: عبد الحميد عبد الله الهدامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989، ص 366.

[7] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 99.

فيصفه أنه ابدى في حكمه كثيرا من العدالة وكان يستحكم لأهل التجارب والخبرة في حكمه يأخذ برأي بأعقل وأنضج رجال بطانته وقد كان وسيما ويتمتع بحب رعيته وتقديرها له.[1]

من أهم المصادر التي أسهبت كثيرا في وصفه هو صاحب الحلل الموشية حيث يقول عنه :>> واضطلع بالأمور أحسن اضطلاع وقام أحمد القيام، وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي، ويحب الاشراف ويقلد العلماء ويؤثر الفضلاء، وكان كثير الصدقة عظيم البر، جزيل الصلة، ألبسه الله المهابة وقذف له في القلوب المحبة، فاجتمعت عليه الأمة واتفقت الكلمة... وهو أول من استعمل الرُّوم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم، وكان زكيا فقيها مكرما لأهل العلم يقلد الأمور الفقهاء وغزا بنفسه بلاد الروم << [2]

في سنة 533 ه /1183م عقد علي بن يوسف لابنه تاشفين بالبيعة [3] ، حيث كان ذلك اثناء فترة حمه وعن ذلك يقول ابن عذارى : >> ولما مات سير بن علي ولي عهد أبيه طلب اشياخ المرابطين من علي بن يوسف أن يولي ولي عهد فقال لهم : اجتمعوا واختاروا لأنفسكم واتفقوا على من ترضونه وقصد بذلك التوثيق في أمر تاشفين ، فلما اجتمع الناس في المسجد الجامع الكبير بالسقاية بمراكش حرسها الله تعالى خاصة وعامة ، وتشاوروا في من يختارون ومن عليه يجتمعون فقالوا كلهم بصوت واحد ، تاشفين تاشفين ، فلم تعط السياسة لأبيه مخالفتهم فيه فعقد له الولاية بعده ، ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه وقلده النظر في الأمور السلطانية<< [4]

---

[1] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، د1، ص 121 . ومن أهم الصفات التي جعلته محبوبا لدى رعيته يضيف اشباخ في الصفحتين 121–122 قوله >> كان وافر الجود كثير العطف والبر بالفقراء والمساكين ، يحرص على مظاهر الجد والوقار في المناسبات العامة مع الابتعاد عن مظاهر الكبرياء... وكان أول أمير مسلم في افريقية يستخدم النصارى في بلاطه فيجعل منهم فرسانه في حرصه الخاص وأولاهم مناصب القصر<< ويرجع اشباخ استخدام علي بن يوسف للنصارى لسببين الأول أن أمه رميكة نصرانية والثاني أنهم أقل عرضة للإغراء من أي مؤامرة قد تحاك ضده من أهله وخاصته.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 84–85.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 97 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 165 ؛ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص 247 ؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 267 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

[4] ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 97–98.

أما وفاة علي بن يوسف – رحمه الله– فكانت في سنة 537هـ/1142م [1] في شهر رجب [2] وهناك من قال بوفاته في ذات السنة ولكن في شهر صفر [3] ، وعن ظروف وفاته فقد أورد صاحب الحلل الموشية قوله :<< ولما رأى أمير المسلمين علي بن يوسف ما كان فيه من الإدبار اغتم غما أورثه مرضا أثر في جسمه فإلتزم فراشه واشتد به ألمه وزادت علته إلى أن توفي رحمة الله عليه >> [4] أما ابن عذارى فيصف لنا ذلك نقلا عن ابن الوراق قوله أنه بلغته أخباراً أمرضته وأورثته هما وغما أثّر في جسمه حتى ألزمه الفراش فمات >> [5] بمراكش وأوصى أن يدفن في مقابر المسلمين [6] ، ولم يعلن خبر وفاته إلا بعد ثلاثة أشهر من انقضاء تاريخ الوفاة.[7]

وكان علي بن يوسف قد تولى القيادة خلفا لابيه في ذات اليوم الذي توفي فيه يوسف بن تاشفين حيث اختاره مسبقا [8] مؤثرا إياه [1] على ولده الاكبر أبو طاهر تميم ، وكما أسلفنا سابقا

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 165 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 120 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 251 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، ص 59؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص 125 ؛ التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص 119، هامش (5)؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 143 ؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس ، ص 8 ؛ حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الاسلام، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ج2، ص 79 ؛ COISSAC DE CHAVREBIERE : op , cit , p : 189 ؛ غير أن ابن الخطيب في كتابه أعمال الإعلام يقول بوفاة علي بن يوسف سنة 533 هـ/ 1138م. ابن الخطيب: أعمال الاعلام ، ص 247 . وهو ربما خطأ مطبعي أو ربما قصد عقد البيعة لابنه تاشفين لأن ابن الخطيب نفسه أورد أنه مات في 537هـ/1142م في الإحاطة كما أشرنا سالفا.

[2] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 100 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص 8؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 120 ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، 1960 ، ج4 ، ص 102 .

[3] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 267.

[4] – مجهول: الحلل الموشية، ص 120.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 101.

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص 120 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 100

[7] – مجهول: الحلل الموشية، ص 120

[8] – أبو محمد عبد الله اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،ص 125 ؛ ؛ É . LÉVI – PROVENÇAL : islam d'occident , librairie orientale et amiricaine , paris , 1948 , p : 244 ; E . LÉVI-PROVENçAL ¸ ET LES AUTRES : ENCYCLOPÉDIE DEL´ISLAM , PARIS, 1960, TOM.1,ARTICLE : ALI BEN YUCUF,P : 400 .

ان اختيار يوسف لعلي ابنه كان سنة 496هـ/1103م حيث عقد البيعة له [2] ، وحين وفاة يوسف عقدت البيعة لعلي ابنه في ذات اليوم [3] قبل أن يوارى جثمان الفقيد في التراب وكان أول من بايعه اشياخ من قبائل لمتونة وباقي قبائل صنهاجة والأكابر والقادة [4]. ثم بايعه أخوه تميم معلنا بذلك طاعته لأخيه احتراما لإرادة والده في ذلك [5] ، وبعدها كتب على بن يوسف إلى سائر بلاد الصحراء والمغرب والأندلس يبلغهم بوفاة أبيه واستخلافه إليه من بعده ويأمرهم بأخذ البيعة له [6] .

يورد لنا ابن ابي زرع تفصيلا في شأن البيعة بقوله :<< فوضع تميم يده في يد علي فبايعه ثم قال للمرابطين ، قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء واشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة فأتته البيعة من جميع البلاد. وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة>> [7].

أما ابن عذارى فيقول عن ذلك : << وبعد مواراة ابيه خرج ويده في يد أخيه أي الطاهر تميم على قبائل المرابطين والمصموديين وغيرهم من زعماء القبائل ورؤسائهم فنعياه إليهم وجدد أبو الطاهر بيعة أخيه وأخذ الحاضرين بذلك فإستتب الأمر>>[8] ، لكن ابن أخيه يحي بن ابي بكر أمير فاس لما

---

[1] – ينقل لنا صاحب الحلل الموشية اعجاب يوسف بابنه علي مؤثر اياه على بقية اخوته بقوله :<< كان يتوقد ذكاء ونبلا وفهما فأعجب به (أي يوسف) اعجابا كثيرا وجعل له النظر في المظالم والشكايات فانتفع به الناس في جميع أمورهم وكافة شؤونهم وكان في طبعه ومولده مثل كاهن. يأتي بعجائب الأخبار>>. مجهول : الحلل الموشية، ص 84.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 78 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 119 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 372 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 57.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157؛ القلقشندي: صبح الاعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915،ج5، ص 258 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 57 ؛ محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، د.ت. مج 4، مادة مرابطون، ص ص 180-181.

[4] – القلقشندي: المصدر السابق، ج5،ص 285.

[5] – مجهول: الحلل الموشية ،ص 84 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص ص 57-58.

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 158 ؛ عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 58.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 158.

[8] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48.

وصلته أخبار البيعة خالف القوم وامتنع عن ذلك وسار في فلكه أشياخ من لمتونة، فسمع بذلك أمير المسلمين علي بن يوسف وخرج في جيشه من مراكش ففر يحي بن ابي بكر فاسحا المجال لجيوش علي بدخول فاس التي دانت له (نفصل في ذلك في الفصل الاخير من بحثنا هذا).[1]

وصف لنا ابن الخطيب صاحب الاحاطة تولي علي بن يوسف مقاليد الحكم بقوله أنه << تقدم للملك مستعينا بالله ، مستنجدا به فسأله حسن الكفاية فيما قلده، فوجد ملكا مؤسسا وجندا مجندا وسلطانا قاهرا ومالا وافرا ، فإقتفى أثر أبيه وسلك سبيله في عضد الحق وانصاف المظلوم وأعطى الأمان للخائف وقمع الظالم وسد الثغور وجاهد العدو، فلم يعدم التوفيق في أعماله والتسديد في حسن افعاله>> [2].

أما ابن ابي زرع فيصف لنا ذلك بقوله أنه لما تولى الحكم أقام العدل وضبط الثغور وتولى الجهاد وسرح السجون وفرق الأموال ورد أحكام البلاد إلى القضاة وسلك طريق أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه.[3]

وعموما فإن تولية يوسف بن تاشفين لابنه لم تكن على سبيل التعيين بل كانت في جو من الصفاء والنقاوة وقدمه للبيعة حيث ذكر يوسف اشباخ أن يوسف ترك الأمر للجماعة لتقرير ما نوى عليه وهو تعيين ابنه علي ابو الحسن [4] ونقل لنا ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << فوجد (يوسف) ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثر ارتياحا إلى المعالي واهتزاز، وأكرمها سجية، وأنفسها اعتزازا فإستنابه فيما استرعى ودعا لما كان إليه دعا، بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي فرضوه لما رضيه واصطفوه لما اصطفاه ورأوه أهلا أن يسترعى فيما استرعاه فأحضره مشترطا عليه

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 158.

[2] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج4، ص 58.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157.

[4] – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 117 . ذكر يوسف أشباخ في ذات الصفحة أن يوسف لما عزم عقد البيعة لابنه فقد اصطحب معه في رحلته كل من ولديه أبو الطاهر تميم وعلى المكنى بأبي الحسن المولى بعده، ومع أني علي هو أصغر من أخيه فقد اختاره يوسف لولاية عهده حيث كان يتفوق على أخيه تفوقا كبيرا في المواهب والخلال والصفات اللازمة لحكم الشعوب والأمم، ثم بلغ مقصده للجماعة وتركهم يوافقون على تعيين علي من بعده.

الشروط الجامعة، بينها وبين المشروط، فقبل ورضي، وأجاب حين دعي بعد استخارة الله [1] الذي بيده الخير والاستعانة بحول الله الذي آمن به وشكره>> [2].

يتضح من خلال كلام صاحب الحلل الموشية أن يوسف بن تاشفين قد اتبع في ولاية عهد ابنه مبدأين أولهما هو مبدأ الاختيار حيث أشارت الوثيقة التي بين أيدينا أن يوسف بن تاشفين قد اختار ابنه علي لما رأى فيه من خصال حميدة تؤهله لأن يكون قائد لدولة المرابطين صارت مترامية الاطراف ويهددها خطر النصارى في شبه جزيرة ايبيريا. ودليل ذلك من الوثيقة << فوجد أبنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحا إلى المعالي واهتزازا وأكرمها سجية فإستنابه فيما استرعى>> [3].

أما المبدأ الثاني فهو مبدأ الشورى [4] ويتضح ذلك من خلال استشارة يوسف بن تاشفين لأهل الرأي والحل والعقد والفقهاء ورجال الدولة، وأخذ برأيهم في مسألة ولاية ابنه ودليل ذلك من الوثيقة << بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي [5] فرضوه لما رضيه واصطفوه لما اصطفاه، ورأوه أهلا ان يسترعى فيما استرعاه [6] >> وبذلك يتضح أن يوسف قد استشار أهل الحل والعقد في اختيار من يصلح لقيادة دولته اليافعة من عده ووافقه أهل مشورته على ذلك.

---

1 - من شدة تدين علي بن يوسف لم يكن ليوافق على تولي قيادة المسلمين إلا بعد ان استخار الله عز وجل، حيث يتضح أن علي بن يوسف كان يدرك حجم المسؤوليات العظام التي سيظطلع بها، وهذا دليل على تدينه وورعه وتقواه، وخوفه من ثقل الأمانة المنوطة إليه.

2 - مجهول: الحلل الموشية، ص 79. تتفق هذه الاوصاف مع ما أورده ابن خلكان عن ورع علي بن يوسف وتقواه وحلمه. ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 123.

3 - مجهول: الحلل الموشية، ص 79.

4 - غير أن يوسف أشباخ يوردها بصياغة الأمر بقوله : وأرمهم أن يؤدوا إليه يمين الولاء. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 117.

5 - أي استشار أهل ارأي القريب منهم والبعيد وهو دليل على تفعيل مبدأ الاستشارة في اختيار ولي العهد.

6 - مجهول: الحلل الموشية، ص 79.

أما عن لقب الإمارة فقد تلقب علي بن يوسف بأمير المؤمنين وذلك في غرة محرم سنة 500هـ/ 1106م [1] ورغم ان أمير المسلمين الجديد لم يكن قد تجاوز 23 عاما [2] إلا أنه قد أحسن تولي مقاليد الأمور فإضطلع بالأمور ابرع اضطلاع وقام بها أحمد القيام وألبسه الله المهابة .[3]

بعد مبايعة علي بن يوسف بالإمارة أجرى تغييرات هامة في دواليب الحكم ، فقد عزل أخاه أبو الطاهر تميم عن ولاية المغرب [4] وعينه لولاية غرناطة بالأندلس وجعله قائدا على الجيوش المرابطية في الاندلس [5] ، وعين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر اللمتوني على قرطبة أما ولاية المغرب فقد انتدب لها أبو عبد الله محمد بن الحاج فلبث واليا على فاس وسائر أنحاء المغرب.[6]

يبدوا من هذه التعيينات أن علي بن يوسف كان سيتفرغ للجهاد استكمالا لمسيرة والده يوسف، حيث أنه ما إن فرغ من تسلم مقاليد الحكم في البلاد حتى شرع في استكمال الجهود الحربية في الاندلس [7] وعلى أية حال سنفصل في جواز علي بن يوسف إلى الأندلس [8] وفي جهاده للنصارى هناك وحمايته للمسلمين وما كان له وعليه في معاركه ضد رؤؤس الكفر في بلاد الاندلس.

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص 150 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 55 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص 99 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 121 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 253 ؛ سلامة محمد سليمان الهرفي : دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين– دراسة سياسية وحضارية– ، دار الندوة الجديدة، بيروت ، د.ت، ص68.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 55 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس – عصر المرابطين والموحدين–، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 ؛ غير أن يوسف أشباخ يقول بأنه لم يجاوز 22 من عمره. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 121.

3 – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 48.

4 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 159 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 251.

5 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 159 ؛ عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 59.

6 – ابن عذارى: المصدر السابق ، ج4، ص ص 48–49 ؛ عنان: دولة الإسلام بالاندلس، ص 59.

7 – ابن خلدون : العبر ، ج6، ص ص 250–251 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48 ؛ عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 61.

8 – ذكر صاحب الحلل الموشية بالتفصيل جواز علي بن يوسف الأندلس وقال بأن عدد ذلك أربع مرات مثل والده. مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 85–86.

2-جهاد المرابطين لمملكة قطلونية :

كان علاقات المرابطين في الاندلس متوترة جدا مع قطلونية [1] ففي عام 508هـ/1114م خرجت جيوش المرابطين بقيادة عبد الله أبو محمد بن الحاج والي سرقسطة في حملة عسكرية مرابطية متجهة إلى مدينة برشلونة وكان حاكمها آنذاك رامون بيرنجير (RAMON ERENGER) .[2]

وكان يومئذ محمد بن عائشة رفقة القائد المرابطي محمد بن الحاج وفي طريق الغزو خرب جيش المرابطين حصن ثرفيرا (CERVERA) ثم وصلت جيوش المرابطين إلى أحواز عاصمة قطلونية [3] وبعدها خربت جيوش المرابطين ما وجدته من زروع وارباض، بيدَ أنهم عجزوا عن الاستيلاء على برشلونة وذلك لحصانتها ، وبعد ذلك واصلت جيوش المرابطين التقدم غربا بقيادة محمد بن الحاج حيث أمر بتقسيم الجيش إلى قسمين الأول منه ارسل معه قسطا كبيرا مما غنم وسبي وسار في الطريق الرئيسية المعروفة ، والقسم الثاني من الجيش ترأسه بنفسه سالكا طريقا جبلية ضيقة مؤدية إلى سرقسطة لكن جيوش النصارى كانت تترصده [4] فوقع بينهما قتال عنيف أفضى الى استشهاد الأمير محمد بن الحاج.[5]

قد وصف لنا ابن ابي زرع ذلك الطريق الذي سلكه محمد بن الحاج ثم استشهاده وصفاً دقيقاً بقوله :<< وأخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين، ومر أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لا يسلك إلا عن طريق واحد لصعوبته وشدة وعره، فلما توسط الأمير محمد بن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات

---

[1] – يوردها ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان باسم قُطرونية بضم القاف وسكون الطاء، ويكتفي بالقول انها مدينة من مدن الروم. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 373 . وهي مقاطعة صغيرة تقع في أقصى شمال شرق شبه جزيرة ايبيريا.

[2] – حسين مؤنس: الثغر الأعلى للاندلس في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1992، 24.

[3] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 24 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 215.

[4] – وكان ذلك ضمن كمين نصبه النصارى لجيوش المسلمين وكان عند حصن يسمى كونجست دل مارتو ريل (CONGOST DEL MARTORRELL) . حسين مؤنس: الثغر الاعلى، ص 24.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61 ؛ مجموعة مؤلفين : معلمة المغرب ، مطابع سلا ، سلا (المملكة المغربية) ، 1998 ، ج 10 ، ص 3252 .

فقاتلهم قتالا شديدا ، قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة ، إذا لم يجد منفذا يخلص منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة>> [1] ، غير أن ابن عذارى يجعل هذه المعركة واستشهاد محمد بن الحاج سنة 509هـ/ 1115م [2] ، لكن ابن الآبار في كتابه المعجم يختلف مع ابن عذاري ويتفق مع ابن زرع على سنة 508 هـ/1114م حيث يقول أنه استشهد في هذه السنة عند بموضع يعرف بالبورت [3] ولم ينج من هذه المعركة سوى قلة قليلة من الجنود ومعهم ابن عائشة [4] وقد اصيب ابن عائشة إصابة أفقدته بصره فيما بعد [5] .

بلغت أخبار هذه المعركة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف أمر الأمير أبو بكر بن ابراهيم بن تفلويت بالخروج لغزو برشلونة انتقاما لاستشهاد محمد بن الحاج [6] ، فجمع جيوشه من مرسية ثم انضمت إليه جيوش سرقسطة واتجه شمالا إلى برشلونة مخترقا بلاد قطلونية حيث ضيق عليها الحصار لمدة عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب انحاءها وقراها [7] ، ثم دارت بينهما حروب بعد أن خرج أمير برشلونة رامون بيرنجير [8] للقاء جيوش المرابطين وكان قد جمع أمير برشلونة هذا حشودا

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61.

[3] –ابن الابار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق : ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، الثاهرة،1989 ، ص 142.

[4] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ عنان : دولة الإسلام في الاندلس، ص 75 ؛ حسين مؤنس: الثغر الاعلى ، ص 25 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 216.

[5] – حسين مؤنس: الثغر الاعلى، ص 25 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 215.

[6] – ذكر ابن ابي زرع أن الخبر لما بلغ أمير المرابطين علي بن يوسف أسف لذلك وولى مكانه ابو بكر بن ابراهيم بن تفلويت الذي كان عاملا على مرسية. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161

[7] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 75 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 216 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى ، ص 25.

[8] – يورده صاحب روض القرطاس باسم ردمير. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161.

كثيرة من لبيط وبرشلونة وبلاد اربونة [1] ودارت بينهما حروب كبيرة انتهت بخسائر بشرية من الفريقين ولكن الهزيمة حاقت بالمرابطين على ما يبدوا [2] .

غير ان صاحب روض القرطاس لا يقرر الفوز أو الخسارة لأي جهة وإنما اكتفى بتقدير القتلى حيث قال : << فكانت بينهما حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمائة رجل >> [3] ، بعدها قررت قوات المرابطين الانسحاب [4] أما القائد ابن تفلويت آخر القادة الذين شكلوا درعا لحماية شرق الأندلس فقد توفي بعد ذلك بعامين ليشتد الضغط والحصار على سرقسطة.[5]

3-جهاد المرابطين لمملكة برتغال :

البرتغال من المناطق المحصنة في الاندلس ، أو هكذا وصفها صاحب كتاب ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول وقال بأن لها ابواب منيعة وأسوار عظيمة [6] ، وترجع نشأتها الاولى إلى نهاية الدولة الأموية في الأندلس حيث ظفر ما يعرف بملوك الطوائف وقد قامت في جنوب لوزيتانيا غرب

[1] - مدينة هي آخر ما كان بأدي المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلي البلاد الافرنجية، وقد خربها المسلمون سنة630 ه/1232م. الحميري: الروض المعطار، ص 24 ؛ وقد ذكر بنيامين التيطلي اثنار رحلته (كانت الرحلة بين سنتي561 ه و 569 ه) ان مدينة اربونة كانت شهيرة بمجامعها العلمية ، وكانت مصدر علم ودين للاقطار المجاورة ، وفيها عدد كبير من الاشراف والعلماء . بنيامين التيطلي : رحلة بنيامين التيطلي ، ترجمة وتعليق : عزرا حداد ، دراسة وتقديم : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط 1 ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، 2002 ، ص 183 .

[2] - حسين مؤنس: الثغر الاعلى، ص 26 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ص 75.

[3] - ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161.

[4] - حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 216 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 75.

[5] - حسين مؤنس: الثغر الاعلى ص 26.

[6] - ويواصل وصفها بقوله أنها مدينة أزلية من قواعد غرب الاندلس وكان بها جامع عظيم غيره الروم حين ملكوها عليها اعمال واسعة تحتوي على أزيد من ألفي قرية، بها الجوز واللوز والعنب والتين الكثير. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، منشورات المجلس الاعلى للأبحا ث العلمية، مدريد، 1983، ص 55 ؛ وهي مشتقة من اسم بورتغالي (PORTOCALLE) ومعناها الثغر الواقع عند مصب نهر دويرة. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 149.

الأندلس مملكة بنو الأفطس [1] ونقلوا قاعدة حكمهم إلى بطليوس أما أراضي لوزيتانيا الواقعة بين نهري دويرة ومنديجو التي تمتد إلى ما وراء قلمرية فكان الملك فردناند قد انتزعها من المسلمين وجعلها ولاية مستقلة باسم البرتغال يحكمها حاكم يعرف بالقنصل أو الأمير وقد انتدب لحكمها الكونت (زيزناندوس) ثم ضمت معها مملكة جليقية [2]فيما بعد.[3]

كانت أول الصدامات العسكرية بين المسلمين وبين مملكة برتغال في عهد الامير المرابطي علي بن يوسف عام 504 هـ/ 1110 م ، حيث وجه أمير المرابطين حملة عسكرية إليهم بقيادة الامير سير بن ابي بكر اللمتوني والي اشبيلية [4] وقد كان حينها هنري البراغوني أميرا للبرتغال وهو صهر لألفونسو وزوج ابنته غريسا، حيث دعم ملكه وعمل على تقوية مملكته وبدأ بالتوسع غرب الاندلس في ظل الفراغ الموجود هناك حيث استولى على يابرة[5] وشنترين[6] وضمهما إليه.[7]

---

[1] – وكان جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الأفطس أصله من فحص البلوط، وكان من أهل المعرفة والسياسة والدهاء، وكان بطليوس واشبونة وشنترين رجل يسمى سابور ، له دولته وكان يديرها له عبد الله بن مسلمة، ولما هلك سابور ترك ولدين لم يبلغا الحلم فإستأثر عبد الله بن محمد بالحكم وملك غرب بلاد الاندلس واستقامت له الأمور. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص ص 235-236.

[2] – جليقية بكسرتين ولام مشددة وهي بالأندلس على جهة البحر المحيط في أقصى جهة الغرب وصل إليها موسى بن النصير لما فتح الأندلس وهي لاد لا يطيب سكانها لغير أهلا. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 157 ؛ وهي متقنة البناء والأسوار وألها اهل غدر ودناءة أخلاق لا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد. الحميري: الروض المعطار، ص169.

[3] – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 149.

[4] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 211.

[5] – يابرة مدينة بالاندلس قديمة متوسطة القدر ظريفة الشكل خصبة وطيب مؤها وهواؤها وبها كثرة النسل. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص 55 ؛ وإليها ينسب الشاعر ابن عبدون اليابري حيث يقول:

غريب بأرض الغرب فرق قلبه فآوت سلا فرقا ويابرة فرقا

إذا ما بكى أو ناح لم يلف مسعدا على شجوة إلا الغمائم والورقا.

الحميري: اروض المعطار، ص 615.

[6] – شنترين: كلمتان مركبتان أصلهما شنت وكلمة رين وهي مدينة متصلة الاعمال تقع غرب الاندلس وهي على نهر اسمه تاجه يصب في البحر المحيط وهي محصنة وملكت للإفرنج سنة 543 هـ/1149م. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 367.

[7] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص 250-251 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 211.

وقد تمكنت القوات الإسلامية المرابطية من استرجاع عدة مدن سنة 504هـ/1110م على غرار بطليوس والبرتغال ويابرة واشبونة وشنترين وقد وصف السلاوي صاحب الاستقصا هذا الانتصار بقوله :<< وفي سنة أربع وخمسمائة فتح الأمير سير بن ابي بكر شنترين وبطليوس ويابورة [1] وبرتغال واشبونة وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس >> [2] أما صاحب روض القرطاس فوصف ذلك بقوله :<< وفي سنة أربع وخمسمائة فتح الأمير سير بن ابي بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والاشبونة وجميع بلاد الغرب وذلك في شهر ذي القعدة منها وكتب بالفتح إلى أمير المسلمين علي بن يوسف>>[3] أما يوسف أشباخ فقد علق على ذلك بقوله : << وعكف هنري على حماية حدود ولايته الجنوبية من غارات المرابطين بعزم وقوة ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بأشبونة وشنترين أما شنترة [4] فقد فقدها حينا ثم استردها>>.[5]

أورد عبد الواحد المراكشي نص الرسالة التي تلقاها أمير المرابطين علي بن يوسف والتي تخص فتح شنترين وهذا بعض ما ورد فيها : << أدام الله أمر امير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ، خافقة بنصرة الدين أعلامه، نافذة في السبعة أقاليم أقلامه، من داخل مدينة شنترين وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ويمن نقيبتك على المسلمين والحمد لله رب العالمين...وعلى محمد عبده وأمين وحيه الصادع بأمره ونهيه...وكانت قلعة شنترين من أحصن المعاقل للمشركين وأثبت المعاقل على المسلمين، فلم نزل سعيك الذي اقتفيناه وهديك الذي اكتفيناه،

1 – وهي يابرة لكن يرد ذكرها في المصادر الاسلامية باسم يابورة.

2 – السلاوي: المصدر الساق، ج1، ص 125.

3 – ابن ابي زرع: المصدر لاسابق، ص 161.

4 – شنترة غير مدينة شنترين وتقع شنترة على مقربة من البحر يغشاها ضباب دائم لا ينقطع، بها حصنان منيعان غاية المنعة، يشقها نهر منه تسقى الجنان والبساتين، وبجبل شنترة ينبت البنفسج وقد نقل لنا الحميري أن أعمار أهلا تطول لانها صحيحية الهواء. الحميري: الروض المعطار، ص 347 ؛ وقد نقل لنا ياقوت الحموي أن فيها تفاحا دور كل تفاحة ثلاثة أشبار وقد ملكها الافرنج سنة 543هـ . /1149 م. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 367.

5 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 151 . ويعطينا يوسف اشباخ تبريرا لسقوط هذه المدن بأيدي المسلمين بقوله : << وكان من المتعذر على النصارى أن يحتفظوا بهذه المدن نظرا لأن كثرة سكانها الغلبة من المسلمين ، ولانهم كانوا يؤلفون بذلك كتلة عظيمة>>.

نخضد[1] شوكتها وننحت أثلتها [2]... ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع...فقد استشرى داؤها وأعيا دواؤها، استخرنا الله تعالى على صمدها وضرعنا إليه في تسهيل وضدها... فقصدنا إليها، وهجمنا هجوم الردى عليها، في وقت اسندت فيه أبواب السبل وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل...فنزلنا ساحة القوم، فساء صاحبهم في ذلك اليوم، فلم نزل نصاولهم ونشن الغارات على جميع الجهات ...وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها، واستولينا على اقطارها أرحب المدن أمدا للعيون وأخصبها بلدا في السنين>>[3]

في عام 511 هـ/ 1117 م عبر امير المسلمين علي بن يوسف إلى الأندلس بنفسه برسم الجهاد [4] لفتح قلمرية احدى مدن البرتغال وتأهبت العساكر الاندلسية ولحقت بجيوش المرابطين ومعهم الفقهاء والعلماء ولفيف من المجاهدين الزعماء فرسانا وراجلين بعد أن التحمت جيوش الاسلام قصدت قلمرية (COIMBRA) وحاصرتها زهاء 20 يوما وضيقت الحصار عليها ثم انصرفوا عنها نحو اشبيلية [5] وينقل لنا ابن عذارى الخبر عن عبد الله بن فاطمة والمنصور بن الأفطس أنهما قابلا جيوشا في بلاد الروم ثم عادا إلى اشبيلية ومعهما غنائم كثيرة واسرى كثيرون[6].

من خلال رواية ابن عذارى يتضح أن الجيوش الإسلامية بقيادة المرابطين لم تتمكن من فتح مدينة قلمرية ، وإنما اكتفت بحصارها ثم عادت إلى اشبيلية غانمة من جراء المعارك التي خاضتها مع البرتغاليين وهو عكس ما قال به صاحب الحلل الموشية حيث أكد على فتح قلمورية بقوله : << وفي سنة احدى عشر وخمسمائة افتتح فيها (اي علي بن يوسف) مدينة قلمورية ودوخ بلاد الشرك

---

[1] – الخضد هو الكسر في الرطب واليابس. ابن منظور: المصدر السابق، ص1180 . ونخضد شوكتها أي نكسرها ؛ ويقال انخضد العود اي انثنى من غير كسر . ابن زكريا : المصدر السابق ، ج2 ، ص 194 .

[2] أثلتها أي أصلها.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 116 وما بعدها.

[4] ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 86 ؛ ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ص 247.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 . حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 213.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64.

بجيوش لا تحصى وكان أثره بها عظيما >> [1] بينما اكتفى ابن الخطيب بالقول أن أمير المرابطين جاز مرة ثالثة إلى الأندلس وناز قلمورية ثم قفل عنها دون توضيح أكثر. [2]

غير أن الاستاذ حمدي عبد المنعم ينقل لنا عن الرواية النصرانية أن قلمرية تم فتحها واقتحامها عنوةً في 18 صفر 511 هـ/ 1117م [3] ، أما الاستاذ عبد الله عنان فينقل لنا أن مدينة قلمورية تم فعلا محاصرتها حتى استسلمت بعد أن استعصت على المسلمين فلم يجدوا من سبيل سوى ضرب الحصار عليها وكان ذلك بالفعل حتى سلمت وكان قد قتل من حاميتها عدد كبير فسلم الباقون وأسروا سائر من فيها [4]، بيد أن المؤرخ الألماني يوسف اشباخ خالف المصادر الاسلامية في تاريخ الفتح حيث يجعل حصار قلمورية سنة 515 هـ/ 1121م حيث يقول :<< وجاز علي بن تاشفين بنفسه إلى اسبانيا سنة 515 هـ/1121 م وهو يضطرم لهذه المحن وغزا أراضي طليطلة والبرتغال، وأثخن فيها واستولى على قلعة قلمورية الهامة وأتى على جميع سكانها النصارى قتلا وأسرا وهي واقعة لم تشر إليها الروايات النصرانية>>. [5]

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص 86.

2 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 247.

3 – حمدي عبد المنعم: المرجع الساق، ص 213.

4 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 70.

5 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 153. لكن يوسف اشباخ يعاود التناقض مع نفسه حيث عاود الحديث عن مملكة برتغال في الصفحة 252 ويؤكد أن قلمورية لم تسقط حيث يقول:<< واستطاعت أن تحافظ (يقصد مملكة البرتغال المسماة الدوناتيريزا وهي زوجة الملك السابق هنري الاراغوني) على حدود البرتغال الجنوبية ضد المسلمين بالرغم من أن المرابطين اقتحموها مرة بعد اخرى، ومن أن مدينة قلمورية عاصمة البرتغال يومئذ كادت تسقط في أيديهم بعد حصار طويل في515 هـ/ 1121 م>>

ثانيا : حروب المرابطين مع مملكة قشتالة

قُدِّر للمرابطين أن يخوضوا معارك فاصلة في تاريخ الاسلام بالأندلس سجل لهم في التاريخ بطولات من ذهب ، أبلوا فيها بلاءً حسناً وأحيوا الجهاد فيها بعد طول تقاعس من لدن ملوك الطوائف بالأندلس ، وكانت معارك المرابطين مع مملكة قشتالة احدى فصول هذا الصراع .

1-وقعة أُقليش :

تغيرت أحوال الممالك النصرانية كثيرا خلال القرن الخامس الهجري (11م) وكانت قوى تلك الممالك متفاوتة، حيث أن مملكة قشتالة بدأت تضعف بعد وفاة ألفونسو السادس حيث خلفته ابنته دوينا اراكه (URRACA) [1] ومع دخول سنة 501 هـ/1107م أصدر أمير المسلمين علي بن يوسف امرا بتولية الأمير أبو الطاهر تميم واليا على غرناطة [2] ثم أمره بالخروج غازياً بجيشه بلاد الروم في العشر الأواخر من شهور رمضان المبارك عام 501هـ/1107م ، وسار بقواته شمالا صوب مدينة جيان [3] وكانت الامدادات والجيوش تلحق به وهو في الطريق.[4] ثم توجه

---

[1] – حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 157 ؛ عبد العزيز شاكي : معركة اقليش— صفحة مشرقة من تاريخ المسلمين في الاندلس – ، دورية كان التاريخية ، 2012 ، عدد 16 ، ص 87 .

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق،ص 159 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 49. ويصف لنا ابن عذارى حالة الناس عشية تولي أبو الطاهر تميم ولاية غرناطة بقوله:<< فإطمأنت النوس وهجدت العيون بمملكته، وظهر بها جمال دولته، ونظر الأمير أبو الطاهر تميم في أسباب الغزو وأحسن إلى الجند>>.

[3] – جيان مدينة بالأندلس رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، أراضيها خصبة ، فيها محو3000 قرية يربى فيها دود الحرير، بها جنات وبساتين ومزارع وغلات كثيرة، وهي تقع على سفح جبل عال جدا، وبها عيون وحمامات وارحاء طاحنة وأسواق، كما أنها مشهورة بالاخشاب والمحارث. الحميري: الروض المعطار، ص 183 ؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 49 ؛ المقري: المصدر السابق، ج3، ص 217 ؛ أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الاشبيلي: الاندلس في اقتباس الانوار وفي اختصار اقتباس الانوار، تحقيق: ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، منشورات المجلس الاعلى للأبحاث العلمية– معهد التعاون مع العالم العربي– مدريد، 1990، ص 135 ؛ وتجمع جيان بين طيب الارض وكثرة الثمر واطراد العيون ومدنها كثيرة . ابن غالب الاندلسي : فرحة الانفس (قطعة منه) ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، منشورة ضمن مجلة معهد المخطوطات ،1955 ، د.م ، العدد 2 ، المجلد 1 ، ص 284 .

[4] – وقد ذكر ابن عذارى أن الأمير أبو الطاهر تميم مكث في جيان اياما في انتظار مزيد من الجند وقال عن ذلك << فلما احتل الجيش مدينة تلوم بها الأمير ابو الطاهر اياما حتى وفدت عليه الجيوش والعساكر من قرطبة>>. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 49.

الأمير أبو الطاهر تميم إلى بياسة شمال شرق جيان واتجه منها شمالا إلى أراضي قشتالة وانضمت إليه وهو في الطريق جيوش مرسية [1] بقيادة واليها ابي عبد الله بن عائشة [2] وحشود أخرى من بلنسية بقيادة واليها محمد بن فاطمة حيث اخترقت القوات المرابطية أراضي قشتالة وعاثت فيها، ثم اتجهت صوب بلدة أُقليش [3] فوصلت إليها في 14 شوال 501هـ/1107 م وما كادت القوات المرابطية تصل إلى أُقليش حتى طوقتها وهاجمتها بعنف ولم يستطع النصارى المدافعون عنها أن يثبتوا طويلا أمام شدة وقوة هجوم المرابطين[4] فسقطت في ايديهم في اليوم التالي.[5]

أما عن تاريخ المعركة فقد وجدنا بعض الخلافات حول تاريخها الدقيق فقد قال ابن القطان بوقوعها في سنة 501هـ /1107م دون أن يحدد الشهر أو اليوم حيث قال : << وفيها (أي سنة 501هـ) الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعت اقليش بالاندلس وافتتاحها >> [6] وهو نفس ما قال به ابن عذارى المراكشي وابن الكردبوس حيث ذكرا ذات السنة ولم يحددا اليوم ولا

---

1 – مرسية مدينة بالأندلس بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم وصارت مقر الولاة وقادة العسكر، وهي على نهر كبير بها جامع واسواق وحمامات وصنوف كثيرة من الخضراوات والفاكهة مما يجعل الاسعار بها رخيصة، يكثر بها معدن الفضة وبها تصنع الافرشة الرفيعة لأن أهلها بارعون في صناعتها. الحميري: الروض المعطار، ص 539

2 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 61 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 57.

3 – أُقليش ضم الهمزة وسكون القاف مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة، مشهورة بعلمائها امثال ابو العباس أحمد بن القاسم المقري الاقليشي، وابو العباس أحمد معروف بن عيسى بن وكيل التجيبي الاقليشي. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 237 ؛ وقد كانت في المعركة التي انتصر فيها المرابطون على القشتاليين. ابن القطان: المصدر السابق، ص63 وما بعدها ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50 ؛ ويصفها الحميري بقوله :<< حصن في ثغر الاندلس وهي قاعدة كور شنتبرية وهي محدثة بناها الفتح بن موسى ن ذي النون وفيها كانت ثورته وظهوره سنة160هـ/777م ثم اختار اقليش دارا وقرارا فبناها ومدنها، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس مدينة فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها، ومن العجائب البلاط الأوسط من مسجد جامع اقليش، فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر أحدى عشر شبرا وهي مربعة منحوتة مستوية الاطراف>>. الحميري: صفة جزيرة الانلدس، ص 28؛ الرشاطي والاشبيلي: المصدر السابق، ص 16.

4 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50 ؛ السلاوي: المصدر لاسابق، ج1، ص 124.

5 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 61 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 159 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 190.

6 ابن القطان: المصدر السابق، ص 63 ؛ **E.LÉVI-PROVENSAL :the encyclopaedia of islam , vol 1 , p:390 .**

الشهر[1] غير أن كل من السلاوي صحاب الاستقصا وابن ابي زرع صاحب روض القرطاس يقولان بوقوعها في سنة 502هـ / 1108م [2] ، وعن ذلك يقول ابن ابي زرع: << وفي سنة اثنتين وخمسمائة كان وقعة اقليج (اي اقليش) على النصارى وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين واليا على غرناطة فخرج منها غازيا إلى بلاد الروم فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الروم فحاصرهم حتى دخل عليهم فتحصن النصارى في القصبة فبلغ الخبر الفونسو السادس فإستعد للخروج إلى اغاثة بلده>>.[3]

وعن أسباب هذه الوقعة ينقل لنا ابن القطان قوله : << وشرح شأنها أن ابن ابي رنغي [4] صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء بالأندلس، خاطب بعضهم بعضا في النهوض إلى أُقليش وكان البارهانش [5] للنصارى من جهة برتقال وقتله لهم وعيثه في بلاد الشرك من تلك الجهة>>.[6]

اقتحم المسلمون حصن اقليش ولجأ كل النصارى في هذه المدينة إلى القصبة العليا، ونزلت جميع العساكر عليها واحاطوا بها، حيث لم تتمكن قوات النصارى من الصمود في وجه القوات الاسلامية [7] وقد بلغ الخبر إلى ألفونسو السادس لإنقاذ اقليش من أيدي القوات الإسلامية، غير أن زوجته

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1295 .

2 – ابن اي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124 ؛ WALSIN ESTERHAZY : domination turque dans l'ancienne régence d'alger , librairie de charles cosselin , paris , 1840 , p : 68 .

3 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 .

4 – أورده صاحب مفاخر البربر بإسم أبو عبد الله محمد المعروف بإبن ابي رنغي، حيث ولاه علي بن يوسف عل قرطبة بعد عزل الأمير عبد الله بن الحاج، ثم عين عاملا على غرناطة. مجهول: مفاخر البربر، ص190.

5 – البرهانش هو القائد المسيحي واسمه (ALVARFANEZ) ابن أخي السيد القنبيطور، وكان من كبار قادة الفونسو السادس. ابن القطان: المصدر السابق، ص 63 ، هامش 3 .

6 – نفس المصدر، ص 63.

7 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص 64 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 61.

أشارت عليه أن يرسل ابنه سانشو والمعروف في المصادر العربية باسم شانجة [1] لمحاربة قوات المرابطين بقيادة تميم ، فإستجاب لطلبها وأرسل سانشو على رأس جيش كبير [2] إلى اقليش فوصل الخبر إلى تميم بقدومه فوقعت الحرب بينهم.[3] غير أن ابن ابي زرع والسلاوي ينقلان لنا رواية مفادها أن تميم أبو الطاهر أراد الرحيل لما سمع أن قوات النصارى قادمة في ألوف مؤلفة لكن ابن عائشة ومحمد ابن فاطمة هونا عليه الامر وقالوا لا تخف إنما هم فقط ثلاثة آلاف فارس فأطاعهم في ذلك، لكن لما وصلت جيوش النصارى وجدهم ألوف كثيرة فأراد أن يحجم عن قتالهم لكنه لم يجد منفذا للخلاص ، فقرر هو وقادة لمتونة مقاتلة العدو فدارت بينهم حروب عظيمة لم يسمع بمثلها وهزم الله تعالى النصارى وكتب النصر للمسلمين.[4]

أما ابن القطان فيورد رواية مغايرة عن صيرورة أحداث المعركة حيث يذكر ان قوات النصارى هاجمت جيوش المسلمين في قرطبة وهزموها ثم هاجم كل من ابن عائشة وابن فاطمة قوات النصارى ثم لحق بهم تميم بن يوسف ودارت بينهم حرب عنيفة انهزم فيها النصارى ولم يقتل سانشو إلا بعد فراره إلى أحد الحصون حيث أدركه المسلمون وقتلوه.[5]

غير ان ابن عذارى فيما يبدوا من روايته أنه يتوافق نسبيا مع رواية ابن ابي زرع والسلاوي حيث قال أن المسلمين اقتحموا الحصن حتى فر أهله إلى قصبة عالية تحصنوا بها ثم جاءت قوات سانشو ودخلت في حروب مع المسلمين كتب فيها النصر لهم وانهزم النصارى [6] ، وعن مصير سانشو ابن

---

[1] – ويعرف في المصادر الاجنبية باسم (SANCHO) وكان يبلغ حينئذ نحو 11 سنة. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 63.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 63 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج1، ص 124 ؛ حسين مؤنس: الثغر الاعلى ، ص 20 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 61 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 159.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[4] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[5] – ابن القطان: المصدر السابق،ص 64.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50

الفونسو السادس فقد مات في المعركة في ذات اليوم [1] إلا أن ابن القطان يقول أنه فر من المعركة إلى أحد الحصون فأدركه المسلمون وقتلوه.[2]

أما عن قوات النصارى التي جاء بها سانشو فقدرها ابن عذارى بسبعة آلاف فارس [3] إلا أن ابن القطان قدرهم بنحو 10 آلاف فارس[4]، لكن فيما يبدوا أن قوات النصارى أكثر من ذلك بكثير فقد أورد صاحب روض القرطاس والسلاوي أن قوات النصارى ألوف كثيرة لكنهم قالوا بأن من قتل منهم نحو 23 ألف وهو ما يفند رواية ابن عذارى وابن القطان [5]، ويقارب المؤرخ الألماني يوسف اشباخ هذا الطرح بقوله أن من هلك من النصارى نحو 20 ألف و7 من كونتات قشتالية.[6]

وعلى اية حال فقد كان النصر للمسلمين حيث علق على ذلك ابن ابي زرع بقوله : << فهزم الله العدو ونصر المسلمين وقتل ولد الفونسو السادس (اي سانشو) وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرين ألفا...ودخل المسلمون اقليج بالسيف واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله، واتصل الخبر بألفونسو فإغتمّ لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة>>.[7]

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 64. وما بعدها. وعلق ابن القطان عن مقتل سانشو في الصفحة 66 بقوله :<< فإنهزم المشكرون وقتلوا قتلا ذريعا ، وابتعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون (بالاسبانية BELINCHON) ، فيذكر أن ابن الادفنش افلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون، وكان فيه لهم رعية من المسلمين، فإختبئوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل، فقتلوهم وقتل منهم ولد اذفونش>> أي سانشو.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50.

[4] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 64.

[5] ابن ابي زرع: المصدر لاسابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[6] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 123.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ لكن الاستاذ حسين مؤنس يقول أن الفونسو 6 مات بعد ذلك بنحو عام في 29 شوال 502 هـ/1109م . حسين مؤنس: الثغر الاعلى، ص 20 ؛ غير ان محقق كتاب روض القرطاس جعل وفاته في 30 جوان 1109. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ، هامش (1) ؛ ويتفق هذا مع رواية ابن الخطيب الذي قال إن الطاغية (يقصد به الفونسو6) هلك في العام الثاني لحكم علي بن يوسف. ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 247.

وقتل في هذه المعركة جماعة المسلمين دون أن تحدد المصادر الإسلامية عددهم [1] ومنهم الإمام الجزولي الذي كان رجل صدق [2] ، إلا أن يوسف أشباخ لم يكن ليوافق هذا الطرح على أن خسارة المسلمين ضئيلة حيث قال : << بيد أن المسلمين لم يحرزوا هذا النصر دون خسارة فادحة>> [3] ، وقد مات في هذه المعركة 07 من أكابر فرسان النصارى لذلك يسمونها وقعة الأكناد[4] السبعة [5] أو الكونتات السبعة [6] ، بعد هذه المعركة رجع الامير أبو الطاهر تميم إلى غرناطة وكتب إلى أخيه علي بن يوسف بتفاصيل انتصاره [7] وترك جيوش المسلمين تحاصر أُقليش بقيادة كل من ابن عائشة وابن فاطمة وقد تم أسر ما بقي من النصارى.[8]

وعلى أية حال فإن نصر اقليش أعاد إلى أذهان المسلمين انتصارهم في وقعة الزلاقة 479هـ/1086م أيام يوسف بن تاشفين ، حيث كان لهذه المعركة الأثر البيِّن على تثبيت سلطان المرابطين في الاندلس[9] ، ومن أهم نتائجها أنها بعثت الثقة في نفوس المرابطين وأوقدت لديهم جذوة الجهاد مرة اخرى ، وهو ما دفع بعلي بن يوسف الجواز إلى الأندلس بعد ذلك بنحو عامين أي في

---

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 66 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 66.

[3] – يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 123. وبرر قوله في الصفحتين 123-124 على أن المسلمين كانت خسارتهم كبيرة ودليل ذلك لم يتابعوا توغلهم نحو طليطلة ولم يستولوا إلا على بعض المدن الواقعة على مقربة من اقليش مثل قونقة وأمستريجو ووبذة وأقونية.

[4] – بالإسبانية BATALLA DE LOS SIETE CONDES .

[5] – محمد بن ابراهيم: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى- خلال عصري المرابطين والموحدين- ، ط1، دار اصداء المجتمع، القصيم، ص 282 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 20.

[6] – مرمول كربخال: المرجع السابق، ج1، ص 313 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 65 ؛ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص 109.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 163 ؛ عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ج5، ص 116.

[8] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 66.

[9] – عبد الله عنان: دولة السلام في الانلدس، ص 66 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 163 ؛ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص 109 ويشير التازي أن من أوجه الشبه هو صعود المؤذن على اهرام من3000 جمجمة ليصدح بالآذان.

سنة 503 هـ/1109م.[1] كما أن هذه المعركة الفاصلة ساهمت في فرملة حركة الاسترداد المسيحي ذلك أن سانشو قائد القشتاليين قد مات [2] ولحق من بعده والده الفونسو السادس بنحو عام. [3] كما وقعت العديد من الحصون والقلاع وبعض المدن في أيدي المسلمين مثل مدينة قونكة ووبذة [4] مما جعل ذلك يعزز من تواجد المرابطين في الاندلس.[5]

2-حصار طليطلة واسترجاع بعض احوازها :

بعد انتصار القوات المرابطية في وقعة اقليش عام 501هـ/1107م ضد مملكة قشتالة جهز امير المرابطين علي بن يوسف جيشا وعبر إلى الأندلس برسم الجهاد وهذا في سنة 503هـ/1109م.[6] وكان عبوره من سبتة نحو قرطبة في الخامس عشر محرم لذات السنة والموافق لـ 14 أوت 1109 [7] وقدر صاحب روض القرطاس والسلاوي هذا الجيش بنحو 100 ألف فارس.[8]

ولما وصلت جيوش المسلمين إلى غرناطة فمكث بها أياما ريثما تلاحقت به جيوش من مختلف أنحاء الاندلس [9] فلما اكتملت الحشود تقدم المرابطون بجيشهم إلى قرطبة فأقاموا بها بضعة أيام على

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 86 ؛ COISSAC DE CHAVREBIERE : histoire du maroc , dar al amane , rabat , 2012 , p : 189 .

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 64 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 50 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1295؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 124.

[3] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 247 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى ، ص 20 ؛ اما ابن الكردبوس فقدر المدة بثلاثة اشهر فقط . ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج2 ، ص 1295 .

[4] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 124.

[5] – حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 164.

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 86 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 69 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس، ص 67 ؛ حسين مؤنس : الثغر الأعلى، ص 20.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 164.

[8] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125.

[9] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 164. عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 68.

رواية ابن عذارى[1] أو شهرا على رواية ابن ابي زرع والسلاوي صاحب الاستقصا [2] ليستكملوا تعبئة القوات وبعدها غادروها باتجاه مدينة طلبيرة [3] لفتحها[4] إلا أن ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس ومعه السلاوي صاحب الاستقصا أكدا على أن قوات المرابطين قبل أن تحاصر طلبيرة كانت قد فتحت من أحواز طليطلة [5] ، حيث علق على ذلك ابن ابي زرع بقوله : << وفتح من أحواز طليطلة سبعا وعشرين حصنا وفتح مجريط [6] ووادي الحجارة [7] ووصل إلى طليطلة >> [8] ويصف لنا صاحب الحلل ذلك بقوله : << وفي سنة ثلاث وخمسمائة برسم الجهاد ونصر الملة واعزاز الكلمة ، فقصد طليطلة ونزل على بابها وحاز المنية المشهورة بخارجها، وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار ودوخ بلاد المشركين فلاذو بالفرار إلى المعاقل واعتصموا بالحصون المنيعة ونزل على طلبيرة>>.[9]

قضى المسلمون الليلة في مراقبة أسوار مدينة طلبيرة وفي الصباح نشبت معركة عنيفة بين جيوش قشتالة وجيوش المرابطين ، حيث دافع النصارى دفاعا مستميتا عن مدينتهم وحاول المسلمون الوصول إلى الأسوار غير أن مجرى وادي تاجة حال دون ذلك ، حيث كان محيطا بها وشكل خندقا

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125.

3 – طلبيرة مدينة بالاندلس في اقصى ثغور المسلمين وهي باب من الابواب التي يدخل بها على المشركين وهي مدينة قديمة على نهر تاجة وهي مبنية على جبل عظيم تخرج من تحته عين وضع على مجراها عشرون رحى وقلعتها من حصن أحصن القلاع وبلادها من أشرف البلاد وهي واسعة الديار بها أسواق عديدة ومزارع. الحميري : الروض المعطار395

4 – ابن الخطيب: اعمال العلام، ص 247 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 96 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 85 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 165 ؛ ابن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملمح أهل الأندلس ، تحقيق : محمد علي شوابكة ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983 ، ص 25 .

5 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125.

6 – مجريط مدينة بالأندلس وهي آخر حيز الاسلام وبها تربة تصنع منها البرام التي توضع على النار عشرين سنة ولا تنكسر والتي تستعمل عادة للطهي، وحصن مجريط من الحصون الجليلة إلا أنها مدينة صغيرة وكان بها مسجد جامع أيام تواجد المسلمين بها. الحميري: الروض المعطار، ص 523.

7 – وادي الحجارة من مدن الأندلس تعرف بمدينة الفرج تبعد عن طليطلة بنحو 65 ميل وهي مدينة حسنة كثيرة الارزاق والغلات، بها أسوار حصينة يقرب منها نهر صغير عليه جنات وبساتين، نفس المصدر، ص606 ؛ شكيب ارسلان: المرجع السابق، ج2، ص 69.

8 ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161.

9 – مجهول : الحلل الموشية، ص 85.

طبيعيا حمى أسوار المدينة وكان ذلك في ضحوة الخميس 13 محرم 503هـ/1109م. [1] ولكن مع طول الحصار تعددت الاشتباكات [2] واقتحم المسلمون المدينة عنوة [3] ، ووقع السبي والنهب فيها حيث اعتصم الروم في قصبة المدينة وأجارهم الليل فرموا بأنفسهم في النهر وتسربوا بين المحلات فأفلتوا وامتلأت أيدي المسلمين بالثياب والماشية والأسلحة وطُهِّر الجامع ورُدَّ على هيئته الاسلامية وأقيمت به الصلوات ومحى الله الكفر [4] ، وبهذا الانتصار الكاسح للمسلمين عادت هذه المدينة إلى حظيرة الاسلام بعد أن قتل معظم سكانها من النصارى وتم تحرير كافة الأسرى المسلمين [5]وبعد هذا الانتصار عين أمير المرابطين علي بن يوسف واليا على المدينة وترك فيها حامية عسكرية من الرماة والراجلين وجعل عليهم قائدا من المرابطين.[6]

يتفق كل من ابن القطان مع ابن عذارى في سنة المعركة لكنهما يختلفان في تحديد اليوم حيث قال ابن القطان بوقوعها في 13 محرم 503 هـ/1109م أما ابن عذارى فقال بوقوعها في 15 محرم لذات السنة [7] ويتوافق مع هذه السنة دون ذكر اليوم والشهر كل من صاحب الحلل الموشية وابن الخطيب.[8]

وعلى أية حال فقد وصف ابن القطان مجريات المعركة بقوله : << فقاتلوها ذلك اليوم واحترس الناس المدينة ليلة الجمعة ثم اصبحوا فقاتلوها أشد القتال واجتهد الكفار في الدفاع وكان الوصول [9]

---

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 96 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 68 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 165.

[2] – يقول ابن القطان أن المسلمين تفطنوا لحيلة وهي خرق السد فتسرب الماء عن السور إلى أن انخفض منسوب الماء خاصة قرب باب المدينة حينها اغتنم المسلمون الفرصة وداهموا المدينة عنوة. ابن القطان: المصدر السابق، ص ص69–70.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص 86 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 70 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 68 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 165.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

[5] – عبد الله عنان: المرجع الاسبق، ص 68 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 165.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 68 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص 165.

[7] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 69 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

[8] – مجهول: الحلل الموشية، ص 85 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 247.

[9] – أصلها هو احتوش أي أحاطوا بالمدينة . حسب محقق الكتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لابن القطان.

على سور المدينة بعسر بسبب الوادي المتصل بسورها إلى أن خرق المسلمون السد، فسرب الماء عن السور وتداعي الناس إلى القتال وكان ابن حمدين [1] يحرض الناس على الجد والاجتهاد ولما ثلم [2] السد وكل ماء النهر بإزاء الباب- وكان ذلك يوم السبت- اقتحم المسلمون عليهم ودخلوها عنوة وقتلوا جميع من فيها من النصارى واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين ونجا بعض النصارى إلى قصبتها وتحصنوا فيها إلى أن جن عليهم الليل فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم فتبعهم المسلمون>>.[3]

أما ابن عذارى فوصف تفاصيل الحصار والمعركة بقوله : << فنزل عليها (أي طلبيرة) ثم دخلها ووقع النهب والسبي فيها واعتصم الروم في قصبته وأجارهم الليل فرموا بأنفسهم في النهر وتسربوا بين المحلات فأفلتوا وامتلأت أيدي المسلمين بالسقط والثياب والماشية والأسلحة، وطهر الجامع ورد على الهيئة المسلمة ورجع به حرامه وإقامة الصلوات ومحا الله منه الكفر >> [4] أما صاحب الحلل الموشية فإكتفى بالقول : << ونزل على طلبيرة وافتتحها عنوة، ولم يعهد مثل الغزوة قوة وظهورا وعدة ووفورا >> [5] لتتوجه بعد ذلك جيوش المسلمين الى طليطلة واقتحموا ضاحيتها الخضراء [6] الواقعة على نهر تاجة ثم ضربوا الحصار على عليها.[7]

---

[1] - هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي، قاضي الجماعة في قرطبة، كان محبوبا للملثمين ومحبا لهم، ونال المكانة الرفيعة لديهم، وكان جميل الطريقة ساعيا في الخير، قطع الضرائب عن أهل قرطبة وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة، وكان ذكيا سريع الفهم رقيق الطبع، فقيها أديبا، بليغا شاعرا كاتبا فاضلا ورعا متدينا توفي سنة508هـ/1114م. ابن القطان: المصدر السابق، ص 74.

[2] - ثلم أي انكسر. ابن منظور: المصدر السابق، ص 502 ، وهو تشرم يقع في طرف الشيئ ، كالثملة تكون في طرف الاناء . ابن زكريا : المصدر السابق : ج 1 ، ص 384 ؛ وقال الجوهري في كتابه الصحاح ان الثلمة هي الخلل في الحائط وغيره ويقال في السيف ثلم والاناء ثلم أي اذا انكسرت من شفته شيئ .الجوهري : الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية - ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990 ، مجلد 5 ، ص 1881 .

[3] - ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 69-70

[4] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

[5] - مجهول: الحلل الموشية، ص ص 58-86.

[6] - وكانت هذه الضاحية الخضراء جنة لبني ذي النون. عنان: دولة المرابطين بالأندلس، ص68.

[7] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 85 ؛ عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 68 .

تختلف الروايات حول مدة الحصار الذي ضربه علي بن يوسف على مدينة طليطلة ، فقد اخبرنا صاحب روض القرطاس بانه دام شهرا كاملا وعن ذلك يقول: << ووصل إلى طليطلة وحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرا >>.[1] وهو ما يتفق مع رواية السلاوي صاحب الاستقصا [2] أما ابن عذارى المراكشي فيقول بأن الحصار دام ثلاثة أيام فقط معلقا على ذلك بقوله :<< فإستقبل طليطلة (توجه علي بن يوسف نحو طليطلة) فأناخت محلته عليها ثلاثة أيام...وساءت ظنون أهلها مع ما هي عليه طليلطة من الحصانة والمنعة ودامت عليها الحروب يوم الخميس والجمعة والسبت وأخذت الجيوش في القفول (العودة)>> [3].

وينقل لنا الأستاذ عبد الله عنان الرواية النصرانية القائلة أن الحصار المرابطي على مدينة طليطلة دام 07 أيام ، بذل فيها المرابطون جهودا كبيرة وضربوا أسوارها بالمنجنيقات ضربا شديدا، وحاولوا إحراق أبراجها ولكن جهودهم باءت بالفشل واستطاع القشتاليون اعتمادا على حصانة مدينتهم وأسوارها المنيعة [4] أن يردوا كل محاولات المرابطين، وفي اليوم السابع خرج البرهانس في قواته واشتبك مع المرابطين في معركة شديدة اضطر المرابطون على إثرها إلى رفع الحصار ومغادرة المدينة بعد أن أحرقوا آلات الحصار.[5]

ورغم اختلاف الروايات الإسلامية أو النصرانية حول مدة الحصار أو عن تفاصيل المعارك ، فقد اتفقوا جميعهم على الانتصارات التي حققها علي بن يوسف في هذه المعارك [6] وفشله في فتح مدينة طليطلة التي كانت عصية عليه حيث عاد علي بن يوسف بن تاشفين رفقة جيوشه إلى

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161.

[2] – السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125، حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص 20.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

[4] – وصف الحميري حصانة طليطلة بقوله :<< وهي حصينة لها أسوار حسنة وقصبة حصينة وهي أزلية من بناء العمالقة>> الحميري: الروض المعطار، ص 393 ؛ أما ابن عذارى فوصف حصانتها بقوله أنها محصنة تحصينا منيعا يصعب من مهمة كل من يهاجمها. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52.

[5] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 69.

[6] – وصف ابن خلدون حصار طليطلة وانتصارات علي بن يوسف في جوازه الثالث إلى الأندلس بقوله << ثم أجاز علي بن يوسف سنة ثلاث (أي 503هـ/1109م) ونازل طليطلة وأثخن في بلاد النصارى ورجع>> . ابن خلدون: العبر، ج6، ص 251.

مدينة قرطبة بالاندلس[1] ثم قفلت جيوش المرابطين بقيادة علي بن يوسف راجعة إلى مراكش ببلاد المغرب، غير ان الغزوات المرابطية استمرت في صيرورتها على نفس الشدة والنشاط في أنحاء شبه جزيرة ايبيريا رافعة راية الجهاد ضد نصارى قشتالة.[2]

3-صيرورة جهاد القشتاليين إلى سقوط الدولة المرابطية :

بعد جواز علي بن يوسف الثاني إلى الأندلس [3] وتحقيقه لعدة انتصارات واسترجاع عدة حصون تشجع المرابطون على ابقاء جذوة الجهاد مشتعلة ففي سنة 507 هـ/ 1113م أرسل أمير المرابطين علي بن يوسف جيوشه بقيادة الأمير مزدلي من مراكش باتجاه الاندلس وولاه على مدينتي قرطبة وغرناطة.[4] ليتوجه بقواته فيما بعد إلى اشبيلية حيث دعمه الامير سير بن ابي بكر بجيش ضخم من المرابطين وسواهم، وبعدها انظم إليهم عسكر قرطبة وغرناطة وبعض المتطوعين من الفرسان والراجلين فصار عدد الجيش ضخما [5] وقد وصف ابن عذارى ذلك بقوله : << وفي هذه السنة (507هـ/1113م) خرج الأمير مزدلي من حضرة مراكش إلى الأندلس وولاه علي بن يوسف مدينة قرطبة وغرناطة... فإستمد الأمير سير بن ابي بكر اللمتوني فأمده بعسكر ضخم... وانظم إليه

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 165 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 69 ؛ حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص 20.

[2] – ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1299 ؛ ويذكر الاستاذ عبد الله عنان أن الوباء قد دب في صفوف جيش المرابطين وهو ما اضطر علي بن يوسف إلى سحب قواته من أرض العدو والعودة هـ إلى قرطبة ثم مراكش . عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 69.

[3] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 85 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 52 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 247 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج1، ص 125.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 57 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 71 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 166.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 57 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 1308 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 167.

عسكر قرطبة وغرناطة ولمة من العدوة ولفيف من المطوعة خيلا ورجلا فعظم الجيش وأم به الأمير مزدلي أرض طليطلة فدوخها واكتسح أوديتها وأبلغ في نكايتها وصدر إلى قرطبة>>.[1]

أما ابن ابي زرع فوصف هذا التحرك بقوله : << وفي سنة سبع المذكورة غزا الأمير مزدلي طلطيلة وأنحاءها فدوخها وفتح حصن ارهينة عنوة وقتل كل من كان به من الرجال وسبى النساء والذرية، واتصل الخبر بالبرهانس ملك الروم فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم فسمع به مزدلي فقصد للقائه ففر أمامه ليلا ورجع مزدلي إلى قرطبة ظافرا غانما>>.[2]

وعلى ما يبدو أن القائد النصراني البرهانس حينما جاء لنجدة النصارى في جيش قوامه عشرة آلاف فارس نشبت بين جيشه وجيش المرابطين بقيادة مزدلي [3] عدة معارك أسفرت عن خسائر من الفريقين حيث بلغ قتلى القشتاليين نحو 700 قتيل [4] ورجعت بعدها القوات المرابطية منتصرة إلى قرطبة.[5]

توجه الأمير مزدلي فيما بعد بحملة عسكرية قاصدا وادي الحجارة حيث كان أميرها ابن الزند غرسيس[6] قد حاصر مدينة سالم وهاجمه مزدلي فتراجع هذا القائد النصراني القهقرة وترك أمتعته وقواته غنيمة للجيوش المرابطية [7]، وقد علق صاحب روض القرطاس على ذلك بقوله: << فقصد إليه مزدلي فاتصل الخبر بإبن الزند غرسيس فولى هاربا واقلع عن حصاره (حصار مدينة سالم) ولم

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 57.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162.

[3] هو الأمير مزدلي بن بولنكان بن حسن بن محمد بن ترجوت ، كان واليا على قرطبة وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، له جهود كبيرة في الدور الأول من تاريخ دولة المرابطين خاصة قبل المرحلة الأندلسية استولى على بلنسية عام 494هـ/1101م ، ثم توجه إلى غرناطة وقرطبة. وتوفي سنة 508هـ/1114م. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 60 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 74 ، هامش (3).

[4] – محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 127 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 71 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 167.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 57 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابقن ص 162 ؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 125 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 71 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 167.

[6] – هو الكونت رودريغو نوينيث (RODRIGO NUNEZ) .

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 168.

يكذب وترك جميع اسبابه وأثقاله ومضاربه، فإحتوى مزدلي على ذلك كله >>.[1] وما إن حلت سنة 508هـ/1114م حتى توفي الأمير مزدلي [2] حيث كان غازيا على مقربة من حصن مسطاطة [3] ومعه عدد كبير من زعماء لمتونة منهم الأمير محمد بن الحاج والأمير ابو اسحاق بن دانية والأمير ابو بكر بن واسينو.[4]

وفي سنة 509 هـ/1115م خرج محمد بن مزدلي أمير قرطبة الذي تولى القيادة مكان أبيه مع جيوشه لرد القوات القشتالية التي هاجمت ضواحي قرطبة حيث دارت هناك معارك انتهت بإستشهاد محمد بن مزدلي وجماعة من أعيان المرابطين ، [5] وكثير من جيش المرابطين [6] وعند وصول هذه الاخبار إلى أمير دولة المرابطين علي بن يوسف انزعج لها وتأسف غاية الأسف وعين على قرطبة ابن عمه الامير ابو بكر بن يحي بن تاشفين وكلفه بالهجوم على القوات القشتالية واستعد هذا الأمير وجهز جيشه وتوجه نحو مدينة بياسة [7] وهو في طريقه انضمت إليه قوات عبد الله بن مزدلي وتم الاشتباك مع القوى القشتالية في 28 جمادى الثانية من سنة 509هـ/ أواخر أكتوبر عام 1115 م ، حيث انتهت هذه المعركة بدورها بهزيمة جديدة لقوات المرابطين [8] .

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 60 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 74 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 60 . ويسميه الأستاذ عبد الله عنان حصن مسطانية الواقع قرب طريق قرطبة. عبد الله عنان: دولة الاسلام، ص 71.

[4] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 61 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام ، ص 72 .

[5] – ذكر ابن ابي زرع بعض هؤلاء بقوله: << والأمير محمد بن الحاج والأمير أبو اسحاق بن دانية والأمير أبو بكر بن واسينو ، ومات من الامراء نحو الثمانين وجوه المرابطين>> ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61.

[6] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 161 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق ، ج4، ص 61 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 125 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 72 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 168.

[7] – بياسة من مدن الأندلس بها أسوار وأسواق ومتاجر وهي مطلة على نهر يتجه نحو مدينة قرطبة، بها مزارع ومنتوجات الزعفران، ومن بين أهل بياسة الأديب التاريخي أبو الحجاج يوسف البياسي مصنف كتاب " الاعلام بحروب الاسلام" وغيره من التصانيف. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 518 ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ص 121-122.

[8] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 169 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 72.

علق على ذلك ابن عذارى بقوله:<< واستشهد خلق من المسلمين كرمهم الله بالشهادة في أعلى عليين وذلك يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة (أي 509هـ/1115م)>>.[1]

وفي سنة 509هـ/1115م ملك أمير المرابطين علي بن يوسف الجزائر البحرية من شرق الأندلس وهي المعروفة بجزر البليار.[2]

وفي سنة 511هـ/1117م قرر أمير المسلمين على بن يوسف الجواز إلى الأندلس وكان له ذلك[3] فجاز البحر واستراح في اشبيلية برهة من الوقت حتى وفدت عليه مزيد من جيوش المسلمين [4] وتوافد الفقهاء والعلماء على أمير المرابطين تلبية لنداء الجهاد ، وجاء المتطوعة من كل انحاء الأندلس خاصة اشبيلية وغرناطة وقصدت جيوش المرابطين مدينة قلمرية [5] وضرب حولها الحصار نحو عشرين يوما ثم انصرف إلى اشبيلية واستطاع في هذا الوقت كل من المنصور بن الأفطس وعبد الله بن فاطمة أن يشنان غارات على بعض الامصار النصرانية ويعودان إلى اشبيلية محملان بالغنائم [6] ، لكن فيما يبدو أن هناك تضارب في الآراء بين صاحب الحلل الموشية القائل بفتح قلمورية [7] وبين رأي ابن عذارى القائل بحصارها مدة 20 يوما دون اقتحامها.[8] ورغم أن هذا الحصار طال

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 81.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 86 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 205.

[4] – وفي ذات الوقت كانت هذه الاستراحة القصيرة في اشبيلية فرصة للجيوش الأندلسية أن تستعد أتم الاستعداد . ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 205

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 86.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 81 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 206.

[7] – وعن ذلك يفصل صاحب الحلل الموشية بقوله :<< وفي سنة احدى عشر وخمسمائة افتتح فيها مدينة قلمرية ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى وكان أثره بها عظيما >>. مجهول: الحلل الموشية، ص 86

[8] – يعلق ابن عذارى على ذلك بقوله :<< ثم تحرك أمير المسلمين بجميع العساكر من اشبيلية لغزو قلمورية فحاصرها عشرين يوما وضيق بها ثم انصرف عنها إلى اشبيلية >>. ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 64.

مملكة برتغال التي فصلنا فيها سابقا إلا أن الحراك العسكري المرابطي كان بمملكة قشتالة واقتصر فقط الحصار على مدينة قلمورية في جهة البرتغال.

وفي سنة 520هـ/1126م توفي الأمير تميم بن يوسف فقرر أمير المرابطين أن يعين مكانه الأمير تاشفين بن علي الذي جمع جيشا قوامه 5 آلاف فارس لغزو طليطلة [1] وعلق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله: << فلم يزل عليها إلى سنة عشرين (520هـ) فتوفي تميم وولى مكانه الأمير تاشفين بن علي، فجاز إلى الأندلس في جيش من خمسة آلاف فارس وبعث أجناد البلاد فأتوا فخرج بهم غازيا إلى طليطلة فدخل حصنا من حصونها بالسيف وهتك احوازها>>[2] ثم سار تاشفين إلى الغرب والتقى بالقشتاليين في موضع يعرف بـ "فحص الضباب" فهزم النصارى وقتلهم قتلا ذريعا وفتح نحو 30 حصنا من حصون بلاد المغرب وكتب بالفتح إلى أبيه علي بن يوسف.[3]

في سنة 522هـ/1129م غزت القوات القشتالية الأندلس في غزوة كبيرة حيث توغلوا حتى وصلوا إلى قلعة رباح[4] فتصدت لهم القوات المرابطية بقيادة تاشفين بن علي وردتهم القهقرة.[5]

وفي سنة 523هـ/1129م غزا واجدي بن عمر بن سير اللمتوني والي اشبيلية بجيشه مدينة طلبيرة فإنتصر بها وعاد محملا بالغنائم ، بَيْد أنه أثناء العودة غانما اعترضته حامية قشتالية قوامها نحو

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 170؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 61 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 133 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 170 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 206.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164.

[3] – نفسه ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 62 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 133 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 206.

[4] – قلعة رباح تقع بالقرب من جيان وهي بين قرطبة وطليطلة وهي محصنة جدا ويرجع بناؤها إلى عهد بني أمية في الأندلس ثم ملكها النصارى ولم تزل في ايديهم حتى استولى عليها الموحدون في وقعة الأرك المشهورة عام 591هـ/1195م. الحميري: الروض المعطار، ص 469.

[5] – وكان وصول قوات قشتالية الزاحفة إلى جبل الكرس على مقرة من قلعة رباح. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 133 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 170 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 206.

300 فارس[1] فألحقت به الهزيمة[2] فلما سمع أمير المسلمين علي بن يوسف بذلك ألزم والي اشبيلية واجدي بن عمر بدفع فدية الأسرى وعزله من منصبه وولى مكانه ابو زكريا يحي بن علي بن الحاج ومجوز[3] لإدارة الأمور[4] .

وعن هذه الحادثة يفصل ابن عذارى بقوله: << وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وعشرين أغزى واجدي بن عمر بن سير اللمتوني على طلبيرة بجيش اشبيلية فإكتسح ما بها وبالغ في النكاية وصدر بالسيقة فتبعه زهاء خمسين فارسا للعدو وفحض على صرف عدد يصيب منهم او يشردهم فتهاون بهم ، فلحقه عدد آخر فقيل له بددهم قبل تجمعهم فأعرض عن ذلك حتى تكامل للعدو زهاء ثلاثمائة فارس حمل على جيش المسلمين ، فإنهزم لهم وأصابوا من المرابطين جملة وافرة واسروا عدة، ورفع الأمر إلى علي بن يوسف فألزم واجدي فدية من أسر وأنفذ عزلته>>.[5]

في سنة 524هـ/1130 خرج الأمير تاشفين بن علي إلى حصن السكة (AZOKA) قرب طليطلة وحاصره ليتمكن من فتحه عنوة [6] حيث قتل من كان به وأسر قائده تليوفرنند (TELIO FIRNANDE) ومن كان معه من الفرسان ثم عاد ظافرا إلى غرناطة. [7] غير أن الأستاذ عبد الله عنان نقلا عن الرواية النصرانية يقول: وتزيد الرواية النصرانية على ذلك أن القتلى من حامية الحصن

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 80 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 133 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 206 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 170.

[2] – يذكر ابن عذارى أن سبب هذه الخسارة هو تهاون والي اشبيلية واجدي بن عمر بالقوات القشتالية وكان العدد الأولي50 فارسا ثم لحق بهم عدد آخر حتى وصل العدد الإجمالي إلى 300 فارس فكانت هزيمة واجدي بن عمر. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 80.

[3] – يعرف بإبن الحاج أوابن مجوز وتكتب كذلك مقوز. نفس المصدر ، ص 80 هامش(2).

[4] – نفس المصدر ، ج4، ص 80 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 133 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 170 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 206

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 80

[6] – ابن القطان : المصدر السابق، ص 216 ؛ ابن الخطيب : الاحاطة ، ج1، ص 451 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 206 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 171 . عبد الله عنان: دولة الاسلام ، ص 134.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص 541 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 134 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 208 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 171.

بلغوا 180 قتيل وأن تاشفين سار بعد ذلك إلى حصن (بارجاس) فقتل من رجاله 50 واستمر في تقدمه حتى وصل إلى (سان سرقاندو) من ضواحي طليطلة ثم توجه بعد ذلك بقواته جنوبا وعاد إلى غرناطة فإستقبله الناس أفخم استقبال.(1)

وعن ذلك يقول ابن الخطيب في الإحاطة : << خرج الامير تاشفين في رمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة بجيش غرناطة ومطوعتها واتصل به جيش قرطبة إلى حصن السكة من عمل طليطلة وقد اتخذ العدو ركابا لأضراره بالمسلمين... فاحدق به ونشر الحرب عليه فإفتتحه عنوة وقتل من كان به وأحيا قائده فرند ومن معه من الفرسان وصدر إلى غرناطة فبرز له الناس بروزا لم يعهد مثله>>.(2)

في سنة 526هـ/1132م اشتبك المرابطون مع القوات القشتالية حيث انتصر المسلمون وعادوا ظافرين إلى غرناطة (3)، وعن ذلك علق ابن عذارى بقوله: << وفي سنة ست وعشرين وخمسمائة اتصل الخبر بالأمير تاشفين...أن العدو خرج من طليطلة إلى جهة قرطبة فإستمد الإمداد واستعد غاية الاستعداد وخرج إلى الجهاد، فدارت الحرب على الروم وأخذ السيف مأخذه منهم وقبض على قائدهم وعلى عشرين من زعمائهم وامتلأت أيدي المسلمين من أسلحتهم وزيهم ودوابهم فأمر الأمير تاشفين بثقاف الأسرى والغنائم ونهض بهم إلى قلعة رباح لقبرها من المعترك فألفى أحوالهم مختلة وأمورهم معتلة ، فأصلح ما فسد وسد ما إختل وترك الأسرى عندهم ليفادوا بها من في دار الحرب من أسراهم وصدر إلى غرناطة ظاهرا وظافرا>>.(4)

---

1 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 134 .

2 ابن الخطيب: الاحاطة ، ج1 ، ص 451.

3 – ابن عذارى: المصدر السابق، ص 85 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة ،ج1، ص 451 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 209 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 135.

4 – ابن عذارى: المصدر السابق، ص ص 85-86 ؛ أما ابن الخطيب فعلق على هذا الانتصار بقوله:<< فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة ثم نهد (برز) إلى العدو... وأسرى الليل وواصل الركض وتلاحق بالعدو بقرية براشة فتراءى الجمعان صبحا وافتضح الجيش ونشرت الرماح والرايات وهدرت الطبول وضاقت المسافة وانتبذ العدو عن الغنيمة والتف الجمع فتقصرت الرماح ووقعت المسابقة ودارت الحرب على العدو وأخذ السيف مأخذه فأتى القتل على آخرهم وصدر إلى غرناطة ظافرا>> . ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 451.

وفي نهاية هذا العام خرج جيش من قوات قشتالة بقيادة الكونت رويدريغو كونثالث (DON RODRIGO GONZALES DO LARA) نحو اشبيلية وأغار على حصن القلعة الذي بجوارها وعاثوا فيه فسادا ثم اتجهوا إلى منطقة الشرق [1] وقتلوا من أهلها جموعا كثيرة فإنتقم منهم المرابطون حيث أخذوا بعض الأسارى من قشتالة وضربوا أعناقهم بالسيف، [2] فلما سمع بذلك القشتاليون هجموا على القوات المرابطية ودارت بينهم حرب كبيرة افضت إلى قتل جمع كبير من المرابطين فواصل القشتاليون هجومهم حتى صاروا على بعد فرسخين من اشبيلية فهاجمهم القائد تاشفين بن علي فهربوا محملين بالغنائم والسبي.[3]

في سنة 527هـ/1133م تروي مدونة الفونسو السابع أن ملك قشتالة المعروف باسم الفونسو ريمونديس سار في جيشه ومعه حليفه أبو جعفر أحمد سيف الدولة المستنصر الله بن هود وذلك لغزو أراضي المسلمين فأمر الفونسو احراق المزارع وكان ذلك وقت الحصاد ثم بدؤوا يخربون القرى والضياع ويدمرون المساجد ويحرقون المصاحف ويقتلون الرجال ويسبون النساء، ثم واصل القشتاليون عيثهم في كل المناطق الممتدة بين قرطبة واشبيلية حيث اهلكوا الحرث والنسل وعاد ملك قشتالة قافلا إلى طليطلة.[4]

في عام 528هـ/1134م وقع اشتباك بين الجيش المرابطي والقشتالي قرب اشبيلية وتعرف هذه الوقعة فحص البكار [5] حيث خرج الأمير تاشفين بجيوشه ومعه مجموعة من جيوش غرناطة وقرطبة وبعض المتطوعة وجاءه جيش من اشبيلية وبدأوا يترصدون العدو قرب فحص البكار ولما تقابل الجيشان انتظر العدو سدول الليل ليبدأ هجومه بأربعة آلاف من الجنود وانقضوا على معسكر

---

[1] – منطقة الشرف قرب اشبيلية تبعد عنها بنحو 3 أميال فقط، وعلة تسميتها بهذا الاسم أنها تقع على جبل يشرف على اشبيلية. الحميري: الروض المعطار، ص 340.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 226 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 135.

[3] – ابن الخطيب: الإحاطة ، ج1، ص 352 ؛ ابن القطكان: المصدر السابق، ص 227؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 136؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 172.

[4] – حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 173.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 90 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 241.

المسلمين فبددوا شملهم ووقع القتل والنهب وفر المرابطون. [1] وقد نصح أحد القادة تاشفين بن علي بالهروب فرد عليه قائلا : << لا أَسلم وأُسلِّم الأمة ولا أبرح أو تنجلي عما انجلت عليه هذه الكرة>>[2] في تلك اللحظة جاء شجعان من المرابطين والأندلسيين دون الأربعين رجلا فحالوا بينه وبين النصارى فوقع الضرب واشتدت الحرب [3] بينهما وحاول النصارى قتل تاشفين إلا أن أحد العبيد المسلمين تمكن من قتل قائد القشتاليين حينئذ تفرق النصارى ودائرة عليهم الدائرة.[4]

وكان من أسباب تحول المعركة لصالح المسلمين هو صبرهم وتجلدهم ودفاعهم المستميت [5] ويصف ابن عذارى حالة ذلك المشهد بقوله: << فكانت المحاجزة وانصدع الفجر فإنجلت الظلمة والحرب على افذاذ قتلى وأعداد جرحى...مبطوحة ودماء مسفوحة ولولا قدر الله السابق بثبوت الأمير الأحل تاشفين لحلت الفضيحة والآزفة التي ليست لها كاذبة، ورجع العدو في أخريات الليل إلى مضرب محلته فأقام إلى الضحى مع أخذ آل بلده>>.[6]

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 90 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 241 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 212.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 90 .

[3] – وكان حينها الأمير تاشفين متحشفا بسيفه ودرقته بيده يشد حملته فكان في علياء الشهامة ورباطة الجأش وقمة البسالة. نفس المصدر، ج4، ص 90.

[4] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 241 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 90–91 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 212 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 175 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 138.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 90 ؛ ابن القطان: المرجع السابق، ص 241 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 123.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 91 ؛ أما ابن القطان فيصف تفاصيل المعركة بقوله :<< وخرج تاشفين الزرجاني (أي المرابطي) ...واستنفر الناس...واجتمع عليهم بشر كثير فنزل المسلمون في موضع يعرف بالبكار ليكون اللقاء يوم آخر فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل فتخلخلت المحلة وخاف الناس وتخاذلوا فقتل من المسلمين ناس كثير ونهبت أسبابهم وأمتعتهم وفر المسلمون تحت ظلام الليل على وجوههم وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هناك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير وأصيب من النصارى هناك زعيم منهم وصد الله تعالى بلطفه النصارى ونكصوا على أعقابهم وأصبح تاشفين في موضع محلته فثاب الناس إليه وأقبلوا عليه>>. ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 241–242.

أما عن تاريخ المعركة فقد لاحظنا اختلافا فقد قال ابن عذارى بوقوعها في سنة 528 هـ/1134م واتفق معه مجموعة مؤرخين [1] غير أن ابن القطان ينفرد بتاريخ 529هـ/1135م [2] أما صاحب الحلل الموشية فيذكر الوقعة دون تسميتها أو ذكر تاريخها.[3]

وعلى أية حال فيبدو أن هذه المعركة قد مرت بمرحلتين حيث كان النصر بادئ الامر حليف النصارى لكن عزيمة وإرادة وثبات المسلمين قلبت المعركة لصالحهم [4] وبذلك كانت معركة فحص البكار نصرا جديدا لهم.[5]

بعد هذا الانتصار توجه تاشفين بن علي بجيوشه إلى حصن قرقش (CACERES)[6] أو المعروف كذلك بحصن قصرش [7] (جنوبي نهر التاجة وشمال شرق بطليوس) ليتوجه بعدها إلى قرطبة حيث أقيم له احتفال ومهرجان بهذا النصر.[8]

نقل لنا صاحب الحلل الموشية الابيات الشعرية التي نظمها الفقيه الكاتب أبو زكريا بن الصيرفي مدحا لانتصارات تاشفين بن علي : [9]

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 90 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 211 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع الساق، ص 174 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام بالأندلس، ص 138.

2 – ابن القطان: المصدر السابق، ص 241.

3 – مجهول: الحلل الموشية، ص 123.

4 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 90–91 ؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص ص 241–242 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 138 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص ص 174 –175 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص ص 211–212.

5 ويعرف هذا المكان أيضا بالنكار ويكتب أيضا فحص البكار وهو الموضع الذي يسمى الآن ALBACAR على بعد 20 كلم إلى الشمال من قرطبة.

6 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 91 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 175 ؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 138 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 212.

7 – ابن القطان: المصدر السابق، ص 242.

8 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 91 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 212 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 139.

9 – مجهول: الحلل الموشية ، ص 124. وتتمة القصيدة موجودة في الصفحات 125–129.

يآيها المـلأ الذي يتقنع   ممن منكم الطل الهمام الاروع

ومن الذي عذر العدو به دجى   فانفض وهو لا يتـزعزع

تمرضى الفوارس والطعان بصيدها   عنه ويدعـوها الوفاء فترجع

في عام 530 هـ/1135م حاصر تاشفين جبل القصر وهزم القوات القشتالية المتواجدة به، ولم ينج منهم سوى القليل وحرر المرابطون الأسرى المسلمين المتواجدين هناك [1] وعنها يقول صاحب الحلل الموشية :<< وكانت له أيضا بالأندلس (تاشفين) غزوة عظيمة وهي غزوة جمل القصر وذلك أن الروم اجتمعوا في جيوش وافرة وحشود متكاثرة فإكتسحوا البلاد وسبوا ما ألفوه من العباد فإستحضر الأمير تاشفين زعماء المرابطين ونظر ما عندهم في لقياء عدوهم...وخرج الجميع إلى الجهاد... فأخذ إلى الجبل(توجه) فتعلقت الخيل به ترهقه وتصيب منه وقد شرع القتل في الروم فهالهم الأمر وتردوا آخذين في غير طريق فأخذهم الطعن والضرب إلى عدة أميال فأتى على جلهم القتل وأفلت النزر وامتلأت ايدي المسلمين من دوابهم وأسلحتهم وفكت الاغلال عن الأسارى وصرفت المواشي إلى بلادها وكان هذا الفتح يربي على ما تقدم من نظرائه لاستئصال شوكتهم، ووصل الأمير تاشفين إلى قرطبة وقد صنع الله له بفضله ما غاظ به عدوه >>.[2]

وفي ذات العام انتصر تاشفين بن علي على جيوش قشتالة فهي وقعة " فحص عطية" وقتل منهم جموعا كثيرة وغنم منهم [3] غير أن السلاوي وابن ابي زرع يقولان بوقوع هذه المعركة في سنة

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص 122 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 94.

[2] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 123 . وقد نقلت لنا المصادر السالفة الحوار الذي دار بين تاشفين والوجهاء ومفاده أن تاشفين لما استحضر المرابطين فقالوا له: << الدولة لنا فأما تركها أو حمايتها لا يتقدمنا أحد إل بلقاء عدونا فإذا استشهدنا فالأمر لمن شاء الله بعدنا>> ثم دعا العرب فقالوا :<< ارم عدونا بنا ولا تشرك أحدا معنا وسيرى الله عملنا >> ثم استدعى زناتة والحشم فقالوا :<< لا جواب إلا الفعل وشرطنا أن نقول أيتامنا>> فأجابهم تاشفين. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 94 ؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص 123. وعلى أية حال فإننا نستشف من الحوار اتفاق الجميع على طلب الشهادة وحب المنية في سبيل الله.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 251 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 62 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 176 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 213.

530هـ/1135م [1] بينما ينفرد صاحب نظم الجمان بتاريخ 531هـ/1136م حيث يقول عن ذلك :<< وكان في هذه السنة بالاندلس (531هـ) غزوة تاشفين بن علي بن يوسف لخيل من النصارى فهزمهم على مقربة من قصر عطية واحتوى على أسلابهم وانهابهم>>.[2]

وفي سنة 531هـ/ 1136م غزا تاشفين بجيوشه أرض قشتالة واقتحم مدينة كركي القريبة من قلعة رباح ولم يجد فيها أحدا.[3]

في عام 532هـ/1137م هاجم تاشفين بن علي مدينة اشكونية [4] ودخلها عنوة وقتل كل من وجده بها واستولى على اسلابها ثم عاد ظافرا إلى قرطبة. [5] غير أن ابن القطان يجعل هذه الغزوة سنة 531هـ/1136م ويصفها بقوله : << وغزوته ايضا التي نازل فيها اشكونية فدخلها المسلمون بالسيف عنوة وقتلوا كل من فيها واسروا نساءهم واحتووا على اسلابهم وانهابهم ظافرين وساقوا جملة من نسائهم وغنائمهم...وكان يوم دخول ذلك كله بروز عظيم بقرطبة وسرور كثير >>.[6] وعاد بعدها تاشفين الى مراكش.[7]

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 62.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 251.

[3] – السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 62 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 142 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 176.

[4] – أشكونية بكسر النون وياء مفتوحة من نواحي الروم بالقغر. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 199 ؛ وهي من أراضي الأندلس مشهورة ببساتين التفاح والتين والرمان وغيرها، حيث أن الأرض تنبت من غير غراسة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 22.

[5] – وقدر ابن ابي زرع السبايا بـ 6 آلاف سبية. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 251 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 62 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 142 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق ، ص 176.

[6] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 251.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 62. وقد علق السلاوي على ذلك في ذات الصفحة بقوله :<< وفي سنة اثنتين وثلاثين ...جاز الأمير تاشفين من الأندلس إل بالمغرب، بعد أن غزا مدينة اشكونية ففتحها عنوة وحمل معه من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية فإنتهى إلى مراكش وخرج أمير المسلمين للقائه في ذي عظيم وسرور كبير>>.

يُذْكر ان تاشفين عند خروجه من قرطبة متوجها إلى مراكش ببلاد المغرب بلغه خبر مفاده أن النصارى غزوا منطقة جيان فإستعد للقائهم وكان القشتاليون قد خرجوا في جموع كبيرة وساروا نحو الوادي الكبير واقتربوا من بياسة وأبدة وعاثوا فسادا في تلك المنطقة واستعدوا لعبور النهر غير ان هطول الأمطار لمدة 20 يوما جعل النهر يفيض وهو ما صعب على الخيل عبوره، وقد قاموا بوضع معابر على الماء إلا أنها انكسرت بالخيل وغرق البعض، ثم تبعهم قائد جيان وأوقع بجماعة منهم فإنصرف النصارى إلى حصن شبيوطة [1] وعجزوا عن اقتحامه، وكان في كل ذلك تاشفين يترقب الأوضاع فلما بلغه انصراف النصارى مخذولين توجه نحو البحر وجاز إلى بلاد المغرب [2]، وكان جوازه في صدر جمادى الاولى ودخوله مراكش في أول رجب من ذات السنة.[3]

في سنة 533هـ/1138م خرجت قوات من قشتالة لغزو قلعة قورية [4] ولكن دون جدوى ، وفي العام التالي 534هـ/1139م نجح القشتاليون في انتزاع قلعة اورية من المسلمين والتي كانت قاعدة لعسكر المسلمين كما كانت تعتبر مفتاح طليطلة واعتبر افتتاحها نصرا عظيما [5]، غير أن المسلمين استردوا قلعة مورة المنيعة [6] حيث أغار عليها جيش مرابطي بقيادة الزبير بن علي والي قرطبة ونجح في ذلك.

---

[1] – حصن شبيوطة من عمل ابدة في الاندلس. ابن القطان: المصدر السابق، ص256 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 143.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 256 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 143 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 177.

[3] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 256.

[4] – قورية بالاندلس قريبة من ماردة وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتان. لها سور منيع وهي واسعة الفناء من أحصن المعاقل وأحسن المنازل وبها بواد شريفة خصيبة وضياع طيبة وأصناف متنوعة من الفواكه أكثرها العنب والتين. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 164.

[5] – حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،، ص ص 177–178

[6] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 192. وقد ذكر يوسف اشباخ في ذات الصفحة أن سقوط هذه القلعة الحصينة كان بإهمال حاكمها (مونيو الفونسين) وبذلك صارت قشتالة عرضة للغارات من جديد.

في عام 534هـ/1139م أفلح النصارى في انتزاع قلعة أورية من المسلمين حيث اتخذوها قاعدة لجيوشهم.[1]

في عام 536هـ/1141م استولى القشتاليون على قلعة قورية من جديد بعد حصارها لمدة شهرين.[2]

وفي سنة 537هـ/1142م قام القشتاليون بقيادة موينو الفونسيز حاكم مورة بغزو قرطبة فإكتسح المروج الخصبة الواقعة على ضفاف نهر الوادي الكبير وتمكن من ايقاع الهزيمة بقوة من المرابطين يقودها والي اشبيلية ووالي قرطبة حيث استشهدا في ساحة المعركة واستشهد معهما آلاف من المسلمين.[3]

بلغ ذلك المسلمين فإغتاظوا لذلك فأمر أمير المرابطين علي بن يوسف بتقليد يحي بن غانية واليا عاما على جميع أراضي الاندلس حيث هجم هذا الأخير على قلعة رباح وعاث في نواحيها وعندما اعترض القائد القشتالي موينو الفونسيز طريقه أوقع به هزيمة نكراء وسقط القائد القشتالي صريعا وفصل ذراعه ورجله اليمنى ورأسه وتم ارسالهما إلى قرطبة واشبيلية لأهالي الوالِيين عزاء لهما، ثم حملت إلى مراكش ثم ارسلت الجثة إلى قشتالة لمبادلتها برأسي الواليين المسلمين[4] .

---

[1] – حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 178.

[2] – يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 192 . ويذكر يوسف اشباخ أن النصارى أخذوا من المسلمين نحو 10 آلاف أسير ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 178.

[3] – يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 192 . ويذكر يوسف اشباخ في ذات الصفحة أن الهزيمة كانت ساحقة على المسلمين وكانت غنائم النصارى تفوق الخيال واستقبل موينو الفونسيز في طليطلة استقبال الفاتحين الرومان وتسلم رجال الدين عشر الغنائم برسم الكنيسة ورفع رأسي القائدين المسلمين على رمحين عاليين وتبعهما الأسرى من أكابر المسلمين والفرسان في الاغلال ووراءهم بقية الأسرى وتتبعهم غنائم النصارى وكل ذلك في موكب بهيج.

[4] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 193 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 178.

وفي عام 537هـ/1142م توفي الأمير المرابطي علي بن يوسف [1] ليخلفه تاشفين الذي اختلّت أحوال المرابطين في عهده والتحق بقتال الموحدين ببلاد المغرب التي كانت دعوتهم قد استفحلت بها ، حيث علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله: << فلما استفحل أمر الموحدين بالمغرب وجه عليه ابوه إلى الأندلس وولاه عهده وقدمه لمدافعهم ومباشرة حروبهم فكانت بينه وبينهم وقائع أكثرها عليه >> [2] وعلق على ذلك عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب بقوله: << فكانت ولاية تاشفين من يوم وفاة أبيه إلى أن قتل بمدينة وهران ثلاثة أعوام إلا شهرين...وكان طول هذه الولاية لا يستقر به قرار ولا تستقيم به حال تنبؤ به البلاد وتتنكر له الرعية>> [3]

اما ابن ابي زرع فعلق على ذلك بقوله :<< في معظم أيام الفتنة، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم وانتشر سلطانهم وملكوا كثيرا من بلاد العدوة، فكانت بينهم وبين عبد المؤمن بن علي حروب عظيمة ووقائع كثيرة>> [4] أما ان الخطيب فقال أن تاشفين لما تولى الأمر استقبل ذلك بمدافعة جيوش عبد المؤمن بن علي، ومقاومة أمر قضى الله ظهوره والدفاع عن ملك مداه. [5]

كما أسهب ابن عذارى في البيان الجزء الخاص بالموحدين في ذكر تغلب عبد المؤمن على تاشفين [6] ويتضح من خلال ما سبق أن انشغال المرابطين بمحاربة دعوة الموحدين التي انتشرت بقوة في المغرب كانت السبب الأول لعزوفهم على الجهاد في الاندلس. ورغم ذلك يشير يوسف اشباخ أن

---

[1] - مجهول: الحلل الموشية ، ص 120 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 165 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج4، ص 59 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج6، ص 251 ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج20، ص 125 ؛ التادلي: المصدر السابق، ص 119 ، هامش 5 ، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 143 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص 8.

[2] - مجهول: الحلل الموشية، ص 130 . وقد ذكر في ذات الصفحة صاحب الحلل الموشية ان بعد وفاة علي بن يوسف استقام الأمر لدعوة الموحدين وعلق على ذلك بقوله :<< ولما توفي ابوه وخلص له الأمر(تاشفين) كثر الطائع بعد المؤمن>>.

[3] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 143.

[4] - ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 165.

[5] - ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص ص 435-454.

[6] - ابن عذارى: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص ص 15-27.

القشتاليين اجتاحوا الاندلس في سنة 539هـ/1144م وعاثوا فسادا في قرطبة واشبيلية وقرمونة [1] وغرناطة، حيث أحرقوا الديار والقرى وساقوا الناس والدواب والقطعان، والتجأ المسلمون الناجون إلى الحصون وعاد القيصر إلى وطنه مثقلا بالغنائم ومن ذلك الحين دخل المرابطون أسوأ حالاتهم التي عجلت بانحلالهم.[2]

ثالثا : حروب المرابطين مع مملكة اراغون

1–سقوط سرقسطة :

تقع مملكة اراغون في شبه جزيرة ايبيريا وصفها الحميري بأنها بلاد غريسة بن شانجة وتشتمل على منازل وأعمال ، [3] ولم تكن هذه المملكة أفضل حالا في حروبها مع دولة المرابطين فقد كان شأنها شأن ممالك النصارى الأخرى في شبه جزيرة ايبيريا حيث كان الصراع العسكري حاضرا باستمرار.[4] وكانت العلاقات المرابطية مع بني هود في عهد يوسف بن تاشفين قد تميزت بالمهادنة. وقد أوصى يوسف ابنه علي بأن يهادن مملكة بني هود [5] لكن ما لبثت الأوضاع أن تغيرت بعد ذلك.

في سنة 503هـ/1110م دارت معركة بين دولة المرابطين ومملكة أراغون حيث على اثرها استشهد الأمير أحمد المستعين بن هود في معركة فالتيرة (VALTIERRA) [6] غير أن ابن الخطيب يقول باستشهاده في 501هـ/1108م حيث يقول: << واتصلت ايام المستعين بن هود إلى سنة

---

1 – قرمونة مدينة بالاندلس شرق اشلبيلية وهي مدينة كبيرة وهي في سفح جبل عليها سور بالحجارة وبها جامع حسن البناء فيه سبع بلاطات على أعمدة رخام وسوقها جامعة وبها حمامات ودار صناعة. الحميري: الروض المعطار، ص461

2 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص 193–194.

3 – الحميري: الروض المعطار، ص 27 ؛ الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص 12.

4– حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 182

5 – مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 82–83 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24،ص 149 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 74.

6 – ابن الآبار : الحلة السيراء، ج2، ص 248 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 53 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 174 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص 251.

501 هـ ففيها جدد البيعة لنفسه ولولده وتحرك إلى الجهاد في جمادى الآخرى فدخل على تطيلة إلى ارنيط ونازلها...ثم انصرف...فلما شارف بلاد الاسلام تلاحق به النصارى فإجتلد الفريقان أحر جلاد إلى أن استشهد المستعين بن هود وانهزم المسلمون فأتى القتل على كثير منهم-رحمهم الله- وذلك أول يوم من رجب من السنة المذكورة وولى بعده ابنه عبد الملك>> [1].

أما ابن عذارى فيفصل في ذلك بقوله: << نزل المستعين أحمد بن هود إلى مدينة سرقسطة ، وجدد البيعة عن أهلها لنفسه ولابنه...وعزم الغزو على بلاد الروم المجاورين له، فجمع وحشد وسار في جيش..فإجتاز بمدينة تطيلة [2] ودخل منها على ارنبة [3] فغلب بها على اراضيها واعتصم أهلها معه بكنيسة منيعة ثم صالحهم على مال يؤدونه إليه أخذ به رهائن منهم، ثم انصرف قافلا عنهم وشن في صدره الغارات على من بذلك الصقع من الروم وهدم وحرق وقتل وسبي وعاد إلى بلاده ، فلما شارف بلاد الإسلام لحقته خيل الروم ، وصبر الفريقان وطال الضرب واستشهد المستعين بن هود وانفض الجمع والحم السيف على كثير من المسلمين كرمهم الله بالشهادة أجمعين>>.[4]

بعد أن خلفه ابنه خاف على عرشه من المرابطين فإستنجد بملك أراغون [5] وبهذا التحالف أقدم المرابطون على الاستيلاء على سرقسطة وخلع ملكها حيث وصف ابن عذارى ذلك بقوله: << وولى عماد الدولة أحمد بن أحمد المستعين بن المؤتمن بن أحمد بن المقتدر بن سليمان المستعين بن هود الجذامي في غرة رجب من هذه السنة (503هـ/1110م) وأخرجه أهل سرقسطة كما تقدم ذكره في

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 174 ؛ لكن ابن الخطي يرجع بالقول أن قوات المرابطين دخلت سرقسطة في 543 هـ.

[2] – تطيلة من مدن الاندلس وهي من أكرم الثغور تربة يجود زرعها ويدر ضرعها وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها وأهلها لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلا ولا نهارا منفردة بذلك من بين سائر البلاد. الحميري : الروض المعطار، ص133.

[3] – والحقيقة هي مدينة ارنيط كما عند ابن الخطيب في اعمال الاعلام. وهي مدينة بالاندلس تبعد عن تطيلة ثلاثين ميلا وحواليها طاح طيبة المزارع وهي قلعة منيعة وبها بئر عذبة وهذه القعلة مطلة على أرض العدو. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 14.

[4] –ابن عذارى: المصدر السابق،ج4، ص 53

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 175 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 53-54 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 248 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى ، ص 24 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 74 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 182.

يوم السبت العاشر من ذي القعدة ودخلها عامل علي بن يوسف >> [1] وكان أهل سرقسطة قد كتبوا إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يدعونه إلى امتلاك بلادهم بعد أن اختار عماد الدولة الارتماء في أحضان النصارى ، فزحفت الجيوش المرابطية إلى سرقسطة [2] فتضرع لهم عماد الدولة بإبقائه في منصبه ولكن لم يكن له ذلك وعزل ودخلت سرقسطة تحت لواء المرابطين [3].

أورد صاحب الحلل الموشية نص الكتاب الذي بعث به صاحب سرقسطة عماد الدولة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف حيث قال : << وقد كان المستعين بالله خاطب أباك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى يسأل الدعة ويرغب في الهدو [4] والاستعانة على العدو، فأقام وأقمنا معه مريحين ومن تعب النفاق فرحين، فنعمنا بنور الهداية الساطع الاشراق واغتنمنا الدعة والأمن في هذه الآفاق...ولا يمكننا تسلم ما بأيدينا إليكم فيتحكم فينا الأذلال ويتمكن من محالنا الاستنقاص بالحقوق والاختلال، ولم تتقدم منا إليكم اساءة جهرت عليكم بالقول، ولا أشارت ولا أخلت بجانبكم ولا عدت ولا أضرت بل نفيض عليكم استمالتنا ونستعطفكم في كل حال بمقالنا، [5] وسيعلم مبرم هذا الرأي عندكم سوء مغبته وعظيم هيبته في الفساد ورتبته والله حسيب على من بغى...وحسبنا الله وكفى والسلام>>. [6]

أما ابن سعيد المغربي صاحب المغرب في حلى المغرب فينقل لنا تفاصيل انضواء سرقسطة تحت لواء دولة المرابطين بقوله : << ولما ولى علي بن يوسف امارة الملثمين قلد الأمور أعيان البلاد من الفقهاء...وزينوا لعلي أخذ بلاد الثغر من يد عماد الدولة فكاتبه في ذلك فرغب الله عماد الدولة أن

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 55.

2 – مجهول: الحلل الموشية، ص 99 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 175 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 248 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 74

3 – مجهول: الحلل الموشية، ص 99 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 74

4 – أي الهدنة.

5 – وهذا دليل استعطاف عماد الدولة لامير المرابطين علي بن يوسف حيث ترجاه ألا يخلعه من منصبه.

6 – مجهول: الحلل الموشيةن ص 99. ويذكر صاحب الحلل الموشية في ذات الصفحة أن أمير المرابطين علي بن يوسف لما وصله الكتاب رق قلبه وقرر ألا يدخل سرقسطة فبعث إلى قائده أبو بكر بن تيفلويت يأمره بالكف عن ذلك لكنه أرجع إليه الجواب أن الأمر قد فات وقد دخل المرابطون سرقسطة.

يجري معه على ما كان عليه سلفه مع سلفه [1] ويترك حاجزا بينه وبين النصارى، فأبى...فكان ذلك سببا إلى أن استعان عماد الدولة بالنصارى وخرج من سرقسطة، فملكها الملثمون>>.[2]

يتبين لنا من خلال المصادر التي بين أيدينا أن عماد الدولة صاحب سرقسطة اختار الذل والهوان وقرر الارتماء في أحضان النصارى، معطيا بذلك مثالا حيا عن الخيانة والتخاذل، غير أن يوسف أشباخ وصفه بالشجاع رغم أنه يعترف بأنه أقل ذكاء وفطنة من أبيه، ووصفه بأنه لم يقدر أن يوطد لنفسه نوعا من الاستقلال في تلك الفترة التي وصفها اشباخ بالعصيبة إزاء جيرانه الأقوياء من النصارى.[3]

ولما دخل المرابطون سرقسطة كان عماد الدولة قد غادرها في أهله وأمواله إلى حصن روطة المنيع (RUEDA) الواقع على نهر خالون (شلون) وبهذا انتهت مملكة سرقسطة وانتهى ملك بني هود وامتد بذلك سلطان المرابطين إلى الثغر الأعلى. وكان عماد الدولة تحت رعاية وحماية الفونسو الأول المحارب ملك أراغون.[4]

في عام 504هـ /1111م خرج ألفونسو المحارب في جيش ضخم رفقة عماد الدولة ابن المستعين وأصبحوا قريبين من سرقسطة محاولين مهاجمتها إلا أن القوات المرابطية استطاعت صد الهجوم حيث كان في قيادة جيش المرابطين كل من محمد بن الحاج والي سرقسطة ومحمد بن عائشة حيث أرغموا جيش النصارى على التولي والقهقرة والعودة أدراجه.[5]

---

1 – والقصد أن العلاقات كانت طيبة في عهد يوسف بن تاشفين من جهة المرابطين وبين المستعين بالله بن هود من جهة سرقسطة وهذا ما أشار إليه صاحب الحلل الموشية.قارن : ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 438 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 98.

2 – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 438.

3 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 147.

4 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 74 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 24.

5 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 55 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 88 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 85.

في سنة 505هـ/1112م خرج عماد الدولة بن هود من حصن روطة لمحاربة المرابطين المتواجدين في مدينة سرقسطة، لكن ابن الحاج تصدى له وأعاده على حصنه حيث علق على ذلك ابن عذارى بقوله :<< خرج عماد الدولة من مدينة روطة [1] برسم محاربة سرقسطة وخرج إليه واليها محمد بن الحاج بعسكرها فحاربه ثم بعد منه >>.[2] وقد ظل ابن الحاج واليا على سرقسطة يتولى حمايتها من اخطار النصارى إلى أن وافته المنية حيث استشهد أثناء عودته من غزواته في برشلونة عام 508هـ/1114م.[3]

في سنة 510هـ/1117م قاد والي سرقسطة الجديد الأمير أبو بكر بن تفلويت [4] حملة على حصن روطة فأحرق وبالغ في النكاية ، ثم تحرك إلى برجه وبها عماد الدولة بن المستعين بن هود فضيق عليها وبالغ في نكايتها حتى صالح أهلها ورجع عنها إلى مدينة سرقسطة.[5]

في سنة 511هـ/1118م اضطر أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الجواز بنفسه إلى الأندلس [6] بعد أن فقد اهم قادته العسكريين المجاهدين للنصارى حيث أقبل علي بن يوسف على قرطبة وعين محمد بن عبد الله مزدلي على رأس الجيش المرابطي في سرقسطة ودعمه بالجنود والمتطوعة.[7]

---

[1] كانت تابعة لمدينة سرقسطة في التقسيم الإداري الأندلسي وتعرف باسم روطة نهر الحالون وتعرف بالأجنبية باسم (RUEDA DE JALON) وهياليوم تابعة لمديرية وشقة (HUEBCA) وقد سقطت في يد الفونسو المحارب ملك اراغون في 512هـ/1118م. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 246 ، هامش (2).

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 56.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 160 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61 .

[4] – هو المشهور بإبن تفلويت تزوج أخت علي بن يوسف بن تاشفين فولاه غرناطة ثم سرقسطة، وقدكان مثلا رائعا في الشجاعة والجود توفي في 510هـ/1117م. نفس المصدر، ج4، ص 61، هامش 2.

[5] – نفس المصدر، ج4، ص 62 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 176.

[6] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 86 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64.

[7] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ج، ص 162 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64؛ حسين مؤنس: الثغر الاعلى ، ص 26

وفي هذا الوقت كان ألفونسو المحارب قائد مملكة أراغون قد أذاق أهل سرقسطة صنوفا من العذاب بعد أن حاصرها، فلم يزل محمد بن مزدلي يدافع عن سرقسطة حتى اضطر ألفونسو إلى رفع الحصار عنها.[1]

وصف ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس ذلك بقوله : << وفي سنة احدى عشر وخمسمائة ولى عبد الله بن مزدلي بلنسية وسرقسطة، فسار إليها من غرناطة فوجد ابن ردمير [2] قد أذاق أهلها شرا، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه واخرجه عن البلاد وأقام عبد الله بن مزدلي على سرقسطة عاما كاملا فتوفي فبقيت سرقسطة دون أمير>>.[3]

في عام 511هـ/1117م استغل ألفونسو المحارب الفرصة وجهز جيشا عظيما لغزو سرقسطة فبلغ الخبر أمير المرابطين علي بن يوسف فكتب إلى امراء غرب الأندلس يأمرهم بالسير إلى ناحية تميم حيث كان واليا على شرق الأندلس ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة.[4] وبهذا توافدت جيوش عسكرية ضخمة [5] لمواجهة جيوش النصارى التي كانت مكونة من الافرنج والقشتاليين والاراغونيين [6] حيث نشبت بين المرابطين والنصارى حرب انهزم فيها ألفونسو المحارب وفقد ما يربوا عن العشرة آلاف نفر واضطر إلى رفع الحصار عن لاردة وفي هذا الوقت تحديدا رجع

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 176 ؛ حسين مؤنس: الثغر الاعلى ، ص 26.

2 – والمقصود به الفونسو المحارب ملك اراغون.

3 ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 162

4 – لاردة بالراء المكسورة والدال المهملة مشهورة بالأندلس تقع شرق قرطبة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 7 ؛ وهي في ثغر الأندلس الشرقي مدينة قديمة سهولها خصبة تكثر بها المزارع والمراعي، يصد منها الكتان إلى سائر البلاد لا تخلو صنيعة منها أن يكون بها برج أو سرداب يمتنع فيه من العدو. الحميري: الروض المعطار، ص507.

5 – ابن ابي زرع: المصدر الساق، ص 163 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 26 ؛ حميد عبد المنعم: المرجع السابق، ص 187.

6 – ينقل لنا يوسف اشباخ حالة لاصراع بين تلك الجيوش في وقت مضى بقوله أنها كانت متصارعة بشكل كبير وصل إلى حد الاقتتال حيث أعلن ملك اراغون الحرب على قشتالة واستولى على ولاية (ريويا) والتي كانت تابعة لمملكة نافارة وبعدها سكنت الحرب بينهما حيث توحد الجميع لضرب المسلمين وانتزاع سرقسطة من ايديهم. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 163.

تميم إلى مراكش [1] حيث كانت الأمور مضطربة، وغداة ذلك استغل ألفونسو المحارب ملك اراغون الفرصة واستنفر النصارى وعاود المجيء في جيش ضخم [2] وضرب حصارا على مدينة سرقسطة .

وصف ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : << ورجع تميم إلى بلنسية فلما رأى ألفونسو الأول الاراكوني ذلك، بعث إلى طوائف الافرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا في أمم كالنمل والجراد فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها وصنعوا أبراجا من خشب تجري على بكارات وقربوها منها، ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ووقع طمعهم فيها فإستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفني أكثر الناس جوعا >> [3]. وتطابقت هذه الرواية تماما مع رواية صاحب الاستقصا.[4]

ويعبر لنا الأستاذ عبد الله عنان عن الروح الصليبية التي غلبت على هذه الحرب حيث يذكر أنه شارك فيها إلى جانب الفونسو المحارب كل من الكونت جاستون دي بيارن وأخوه سانتولو [5] والكونت دي تولوز وقوات أخرى كبيرة من البشكنس ومن قطلونية ومن اورقلة تحت إمرة سادة هذه المناطق [6] وكان كذلك في هذه الحرب كثير من الأساقفة ورجال الدين.[7]

---

[1] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

[2] – وصفهم صاحب روض القرطاس بأنهم أمم كالنمل والجراد أما صاحب الاستقصا فوصفهم بأنهم أمم كالنمل. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126 ؛ أما الحميري فقدر تلك الجيوش القادمة لحصار سرقسطة بنحو 50 ألف فارس. الحميري: الروض المعطار، ص 317 . وعلى اية حال فإن المصادر جميعها اتفقت على ضخامة الجيوش النصرانية.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163.

[4] – السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

[5] – وكان هذان القائدان قد شاركا في الحملة الصليبية الأولى على المشرق التي أفضت إلى قيام الامارات الصليبية في الشام وهذا دليل على أن الحرب الصليبية هي واحدة سواء في المشرق أو في الاندلس.

[6] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 90.

[7] – حمدي عبد المنعم: المرجع الساق، ص 187 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 90

بعد طول هذا الحصار ارسل أهل سرقسطة إلى ملك أراغون الفونسو المحارب يطلبون منه أن يتوقف عن القتال مدة من الزمن [1] وقد علّق كل من السلاوي وابن ابي زرع الفاسي على ذلك بقولهم : << فإن لم يأتهم من ينصرهم أخلوا البلاد واسلموها له >> [2] K وبعدها كتب قاضي سرقسطة ثابت بن عبد الله رسالة إلى الأمير تميم يستنصره فيها باسم الدين طالبين منه القدوم إلى سرقسطة لاستنقاذها من أيدي النصارى غير أن الأمير تميم تقاعس عن نصرة إخوانه وتركهم يواجهون مصيرهم التعيس[3] .

انتظر المسلمون المحاصرون في سرقسطة قدوم أية مساعدات لكن دون جدوى فقرروا الخروج عنها إلى مدينتي مرسية وبلنسية [4] وبعد دخول النصارى إليها لحقت جيوش المرابطين حيث قدرها صاحب روض القرطاس وكذا السلاوي صاحب الاستقصا بعشرة آلاف فارس لاستنقاذ المدينة من أيدي النصارى لكنهم وجدوا الأمر قد قضى وقد سكنها النصارى [5] ، وعلق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : << وبعد دخولها وتملك النصارى اياها وصل من العدوة جيش من عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين علي لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها>>.[6]

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى ، ص 27 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 95.

2 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق،ج1، ص 126.

3 – السلاوي: المصدر السابق،ج1، ص 126 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 163 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 188.

4 – وكان نص الاتفاق الذي عاهد به الفونسو المحارب اهل سرقسطة ينص على أنه اذا لم يأتي من ينصرهم أخلوا له المدينة وفسحوا له المجال لدخولها. ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

5 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

6 – ان ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ، قدم الأستاذ عبد الله عنان بعض التبريرات التي جعلت جيوش المرابطين تتخاذل عن نصرة أهل سرقسطة بادئ الامر ، وتتمثل في تفوق النصارى عسكريا خاصة وأنهم قرب معاقلهم وفقدان الأمير تميم لمعظم قادته العسكريين الذين حققوا لها انتصارات سالفة خاصة ابن عائشة ومحمد بان فاطمة ، وسير بن ابي بكر وكذلك بعد سرقسطة عن مراكز تموين الجيش المرابطي في بلنسية وقرطبة ومرسية . عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص99.

وقد وضعت شروط لاستسلام المدينة للنصارى [1] حيث تسلموها وصارت تحت حكمهم بعد أن عمرت طويلا تحت مظلة الإسلام ،وبهذا سقطت سرقسطة قاعدة الإسلام الكبرى في شرق الأندلس عام 512هـ/1118م وعجز المرابطون عن استردادها خاصة وأن المرابطين قد انشغلوا بأمر الموحدين الذين شكلوا حجر عثرة أمامهم.[2]

بدأ أمر النصارى يتعاظم في الاندلس بعد استيلائهم على سرقسطة ففي عام 513هـ/1120م استولى ألفونسو المحارب على مدينة طرسونة [3] ثم سار إلى برجة الواقعة جنوب تطيلة واستولى عليها وافتتح عدة حصون أخرى مثل " الاجون" و " مالن" و"مجايون" [4] ، وفي نفس السنة 513هـ/1120م استولى الاراغونيون على قلعة ايوب حيث [5] وصف ابن ابي زرع ذلك بقوله:<< وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة تغلب العدو الفونسو الأول ملك اراغون على بلاد

---

[1] – نقل لنا الاستاذ حمدي عبد المنعم شروط تسليم المدينة نقلا عن ابن الكردبوس وهي أن يسلموا المدينة لابن ردمير ومن أراد من المسلمين البقاء فعليه أداء الجزية ، ومن أراد أن يرحل منها بما شاء من ممتلكاته فله ذلك وله الأمان التام حتى يصل إلى البلاد الإسلامية، وأن كل أسير مسلم يفلت من ايدي النصارى ويصل إلى بلاد الإسلام فلا سبيل لمالكه غليه ولا اعتراض له عليه، وبعد مدة آثر جميع المسلمين مغادرة المدينة ولم يستطيعوا العيش تحت راية الكفر وقد قدرهم ابن الكردبوس بحوالي50 ألف نسمة، فلما ساروا من المدينة لحق بهم ابن ردمير بنفسه وطلب منهم أن يتخلوا عن ممتلكاتهم التي كانت كبيرة حيث وصفها ابن الكردبوس بقوله :<< فوقف عليهم وأمرهم أن يرزوا جميع ما لديهم من القليل والكثير فرأى أموالا لا تحصى كثرة ولا كان راجيا أن يرى جزءا منها دهرة>>. ولكنه استدرك لنفسه وسمح لهم بالمغادرة ومعهم كل املاكهم ولم يأخذ منها غير القلة القليلة. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص ص 189–190.

[2] – حسين مؤنس: الثغر الأعلى ، ص 27 ؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر في الاندلس، ط2، دار الرشادن القاهرة، 1997، ص 105.

[3] – طرسونة من مدن الأندلس صارت تابعة فيما بعد لمدينة تطيلة التي تبعد عنها بحوالي12 ميلا وهذا لتكاثر عدد سكانها لخصوبتها واتساعها. وقد كانت مقرا للقادة المرابطين في الثغور. الحميري : الروض المعطار، ص389 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 41 وما بعدها.

[4] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 102 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 190.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 103؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 90.

شرق الأندلس واستولى على أكثرها وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد المشرق أمنع منها والح بالغارات على بلاد الجوف>>.[1]

بلغ الخبر أمير المرابطين علي بن يوسف فكتب إلى أخيه الأمير أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف والي اشبيلية يأمره بالسير إلى مقاتلة الفونسو المحارب ، ثم كتب رسالة أخرى إلى قادة ورؤساء الأندلس يستحثهم ويستنفرهم بأن يسيروا بقواتهم إلى أخيه وأن يكونا تحت إمرته فإستنفر ابراهيم قواته وانضمت إليه قوات قرطبة وغرناطة ومرسية بقيادة ولاتها إضافة إلى جموع من المتطوعة والعلماء والقضاة>>.[2]

اشتبكت القوات المرابطية مع قوى النصارى في بلدة كتندة حيث دارت معركة كبيرة كان النصر فيها للنصارى والدائرة على المرابطين، وذلك في ربيع 2 لعام 514هـ/1120م [3] وقد وصف ابن الاثير ذلك بقوله :<< في سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الافرنج بالأندلس يقال له ابن ردمير، فسار حتى انتهى إلى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الأندلس، فحاصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كبير من المسلمين والأجناد المتطوعة فسيرهم إلى ابن ردمير فإلتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين>> [4].

---

1 – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 163.

2 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 103 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 191 ؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، ص 106.

3 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 308 ؛ ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 206 ؛ يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 153 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 103 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 191 ؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، ص 16 ؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص 731 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 28.

4 – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 206.

وقد كانت خسائر المسلمين فادحة حيث بلغت العشرين ألفا من الشهداء رحمهم الله [1] خلاف من استشهد من العلماء والفقهاء. [2] وفي العام الموالي أي 515هـ/1121م جاز علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس [3] لكي يأخذ بثأر الهزيمة لكنه لم يستطع التقدم نحو سرقسطة لأن الطريق إليها كان قد اقفل فإكتفى بغزو نواحي طليطلة والبرتغال [4]، ومن النتائج السلبية لموقعة كتندة هو استيلاء الفونسو على دورقة وأنشأ قربها محلة محصنة جديدة سماها قلعة " مونريال " لتكون حاجزا لصد الجيوش الإسلامية.[5]

2-غزوة الفونسو المحارب في الأندلس :

خرج الفونسو من سرقسطة في أول شعبان سنة 519هـ/1125م [6] في قوة من اربعة آلاف فارس[7] وقيل خمسة آلاف مع أتباعهم من الرجالة والرماة وقد بلغوا خمسة عشر ألفا وكان معه الكونت (جاستون دي بيارن) الذي اشترك في حملة سرقسطة ومعه رجال الدين والأساقفة. [8] وقد اخترق ألفونسو المحارب بلاد المسلمين مخربا ومدمرا كل ما قابله من قرى وحصون وسائر العمران

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 308 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 153 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 191 . عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 103

[2] – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 308 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 191 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 103.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص 86 ؛ ابن ابي زرع: المدر السابق، ص 164 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 126.

[4] – حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص 26.

[5] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 104.

[6] – مجهول: الحلل الموشية ، ص 91 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 69 ؛ أما ابن الأثير فيقول أنها في سنة 520هـ. ابن الاثير: المصدر السابق،ج9، ص 235.

[7] – مجهول: الحلل الموشية، ص 91.

[8] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 108 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 193. ويضيف الاستاذ عبد الله عنان أن هؤلاء النصارى تحالفوا بالأنجيل على ان لا ايفر أحد منهم وهكذا كانت للحملة طابعها الصليبي الذي طبع سائر الحملات والغزوات النصرانية. وهو ما يتفق مع رواية صاحب الحلل الموشية الذي قال<< وتعاقدوا وتحالفوا بالأنجيل أنه لا يفر أحد منهم على صاحبه>>. مجهول: الحلل الموشية، ص 91.

ويهلك الزروع والمحاصيل.[1] ومضت القوات الأراغونية ومن معها إلى أن وصلت إلى بلنسية في 20 رمضان فتصدت لها حامية مرابطية بقيادة واليها أبو محمد يدر بن ورقاء.[2]

بدأت جموع المعاهدين تتوافد على ألفونسو المحارب وتهرع إلى الانضمام إليه، حيث اجتمعت له جموع وفيرة كانت تدله على الطريق وتكشف له مواطن الضعف لدى المسلمين في المدن والحصون التي يمر بها وعلق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << وفي أثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين يكثرون سواده ويدلونه على الطريق وينبهون إلى المراشد التي تضر المسلمين وتنفعه >> [3] ووصل إلى جزيرة شقر [4] فقاتلها أياما، ولم يتمكن منها ثم رحل منها إلى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر وشق بلاد الشرق مرحلة مرحلة ومنزلة منزلة وشن الغارات على قطر يمر به واجتاز على فج شاطبة ومرسية والبيرة [5] وبرشانة حيث توقف أياما ثم سار إلى مدينة بسطة وحاول منازلتها وافتتاحها لسهولة موقعها وعلى ذلك علق صاحب الحلل الموشية : << ثم تحرك إلى مدينة بسطة فلحقه الطمع فيها لكونها في بسيط من الأرض وأكثر حاراتها غير مسوَّرة فلم يعنه الله عليها>>.[6]

---

[1] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 108 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 193.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص 91 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 70 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 108.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 91-92.

[4] – جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة وهي حسنة البقعة كثيرة الاشجار والثمار والأنهار بها جامع ومساجد واسواق وفنادق وحولها نهر وعنها يقول ابن خفاجة :

بين شقر وملتقى نهريها   حيث القت بنا الأماني عصاها

وتغني المكاء في شاطئيها   يستخف النهي وخلت حباها.

الحميري : الروض المعطار، ص 349.

[5] – بيرة بلدة قريبة من ساحل البحر بالأندلس لها مرسى وأهلا يغزون الروم والروم يغزونهم. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 526 ؛ وهي بين القبلة والشرق من قرطبة غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار فيها معادن كثيرة كالذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد . ابن غالب الاندلسي : المصدر السابق ، مجلد 1 ، ص 283 .

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 92-93.

توجه بعدها الفونسو المحارب إلى وادي آش [1] بجيوشه.[2] ثم توجه نحو غرناطة [3] فلما اقترب منها استبد الذعر والخوف بأهلها وكثر الجزع والارجاف وعلق ابن عذاري على هذا بقوله : << وانقطعت السابلة والواردة وقلت المرافق وتزاحم الناس في المدينة وسكنت المساجد والمصاطب والرحاب والخراب وكثر الجزع والارجاف ، والموجان بالنهار والليل، والاسوار معمورة بأهل البلدة وما نسي في الدور غير الصبية والنسوة وتوالت الأمطار وسالت الطرق وضاقت النفوس أشد ضيقة>>.[4]

لم يستطع الفونسو المحارب شن الهجمات ولبث في محلته بضعة عشر ليلة بسبب تكاثف الثلوج والجليد والأمطار [5] ، ويُذكر ان قوات المرابطين كانت متواجدة هناك رفقة قوات من بلنسية ومرسية وقد صلى الناس صلاة الخوف وهم في أسلحتهم [6] وفي هذا الوقت بالذات وقع خلاف بين

---

[1] – تقع شمال شرق غرناطة على نهر فردوس تبعد عن غرناطة بنحو 55 كلم ويصفها ابن الخطيب بقوله:<< هي مدينة الوطن ومناخ من عبر أو قطن...كثيرة الجداول والمذانب، مخضرة الجوانب، الفواكه الكثيرة ، والكروم الاثيرة...وهي دار احساب وارث واكتساب، وأدب وحساب >> ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص 112 ؛ لكن ابن الخطيب يعاود ويستدرك بالقول في مؤلفه الاخر خطرة الطيف بقوله عن وادي آش : << واستقبلنا مدينة وادي آش حرسها الله وقد راجعت الالتفاف واستدركت ما فات ، فتجلت المخدرات ، وقذفت بمن اشتملت عليه الجدرات وتنافس اهلها في العدة والعديد ... واختلط النساء بالرجال >> ابن الخطيب : خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2003 ، ص 53 ؛ غير ان الزجالي صاحب كتاب امثال العوام قدم وصفا مغايرا بتقليله شان الثمار بهذه المنطقة بقوله : ثمار وادي آش لا ظل ولا طعم . الزجالي القرطبي : امثال العوام في الاندلس ، تحقيق : محمد بن شريفة ، مطبعة محمد الخامس ، فاس ، 1975 ، ج2 ، ص 166 .

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 701 ؛ وقال صاحب الحلل الموشية أن وصوله إليها كان في يوم الجمعة اول ذي القعدة وقاتل المدينة من جهة المقابر إلى يوم الاثنين. مجهول: الحلل الموشية، ص93 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 109.

[3] – لمعرفة تفاصيل هذه الغزوة بأدق تفاصيلها راجع كتاب صاحب الحلل الموشية الذي نقل لنا ذلك عن مؤرخ غرناطي معاصر تقريبا للواقعة وهو أبو بكر ابن الصيرفي كاتب دولة المرابطين ومؤرخها في كتابه (الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية). وهو كتاب– للأسف الشديد– لم يصلنا ولم نتلق منه سوى مقتطفات يسيرة أوردها مؤرخون قريبون من حقبته أمثال ابن عذارى وابن الخطيب. أما عن الأخبار التي نقلها لنا ابن الصيرفي عن هذه الغزوة فقد نقل جزء منها صاحب الحلل الموشية، ص ص93 وما بعدها.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 70-71.

[5] –مجهول: الحلل الموشية، ص 94.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 70 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 49 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة ،ج1، ص 110 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 227.

الفونسو المحارب والمعاهدين بقيادة ابن القلاس [1] حيث تبادلوا التهم بإخلال شروط المعاهدة وبهذا قرر الفونسو المحارب العودة إلى بلاده بعد ان رأى حصانة غرناطة فتحرك متجها إلى بلاده فلحقت به الجيوش الإسلامية التي أحرزت النصر في بادئ الأمر لكنها سرعان ما حدث اختلالات في المحلة الإسلامية فتشجع ألفونسو المحارب وقرر العودة إلى غرناطة لمحاربتها من جديد.[2]

وصل الفونسو المحارب غرناطة بعد أن عاث فسادا في القرى التي مر بها فدمر أرباضها وحرق زروعها وجمع سبيها، وأقام على بعد ثلاثة فراسخ من غرناطة وأقام ثلاثة أيام [3] ، ويبدو أن حصانة غرناطة حالت دون اقتحامها حيث عزم الفونسو على الرجوع إلى بلاده وأثناء عودته كانت القوات المرابطية تتعقبه وتقتل الكثير من جنوده ومازاد الأمر سوءا هو تفشي الوباء بين جنوده حيث عجل في الرجوع إلى موطنه بعد أن عاث فسادا في المناطق التي مر بها وجمع الكثير من الغنائم. [4] وقد علق على ذلك صاحب الإحاطة بقوله : << وقد أصيب كثير من حاميته وطوى المراحل إلى الشرق فإجتاز إلى مرسية إلى جوف شاطبة والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله والتناوش يتخطر به والوباء يسرع إليه حتى لحق بلاده وهو ينظر إلى قفاه...يكاد الموت يستأصل محلته وحملته>>.[5]

كانت مدة هذه الغزوة سنة وثلاثة أشهر [6] ، وتأكد المسلمون من كيد جيرانهم المعاهدين حيث افتى ابن رشد بتغريبهم واجلائهم عن أوطانهم وهو أخف العقاب لهم، فأخذ علي بن يوسف

---

[1] – ابن عذارى: المصدر لسابق، ج4، ص 71 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 110 .

[2] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4 ، ص ص 70-71 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة ، ج1، ص 228-229 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص ص 195-196.

[3] –ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 72.

[4] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 96-97 . ويصف صاحب الحلل الموشية في الصفحة 97 أن الفونسو كان فخورا بما فعل حيث قال :<< وهو يفخر بما ناله في سفره من المسلمين وفتكه في بلادهم وكثرة ما اسر وغنم مع أنه لم يفتح مكانا مسورا صغيرا ولا كبيرا ، إلا انه أخلى ديار بادية الأندلس>>. ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص ص 112-113 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 72.

[5] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 113.

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص 97 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 229.

بفتواه ونفذها[1]، وعلى اية حال فقد باءت حملة الفونسو المحارب بالفشل لكنها كشفت ضعف الدفاعات الأندلسية وقصور خطط القادة العسكريين المرابطين [2] والأهم من ذلك هو أن النصارى المعاهدين الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية ثبت تواطؤهم مع العدو لذلك تم إجلاؤهم إلى غير موطنهم [3] إضافة إلى اكتشاف حقيقة هي ضعف أسوار الأندلس التي لم تعد قادرة على حماية المسلمين لذلك أصدر امير المرابطين أمرا يقضي بإعادة بناء الأسوار وتحصينها [4] وفرض على ذلك ضريبة عرفت بالتعتيب خصصت مواردها لترميم الأسوار وإصلاحها.[5]

3-وقعة القلاعة 523هـ/1129م :

لم تكن غزوة الفونسو لتحقق سوى اليسير من أهدافها لذلك عاود نشاطه العسكري وهجم على أراضي الثغور [6] حيث كانت المناطق الواقعة شرق سرقسطة مثل لاردة وافراغة ومكناسة والمناطق المجاورة لنهر ابوة حتى مصبه عند ثغر طرطوشة [7] وكانت رغبة الأراغونيين في الاستيلاء على ثغر طرطوشة بينة لما له من أهمية كبرى [8] ، لذلك جهز ألفونسو المحارب جيشا للاستيلاء على افراغة

---

[1] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص ص 113-114 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 97 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 72-73.

[2] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 113 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 230 ؛ حمدي عبد المنعم: ص 198.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص 97 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص 73 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 114.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 73 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 97 ؛ حمدي عبد المنعم : المرجع السابق، ص 199 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 231.

[5] – حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 199.

[6] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 116 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 199 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 232.

[7] – طرطوشة من مدن الأندلس تقع على سفح جبل ولها سور حصين لها اربعة ابواب ملبسة بالحديد، بها جامع كبير وحمامات واسواق وعمارات وضياع، يكثر بها خشب الصنوبر الذي منه تصنع الصواري لغلظته وصلابته. مجهول: ذكر بلاد الاندلس، ص ص 74-75؛ الحميري: الروض المعطار ، ص 391.

[8] – وتكمن هذه الاهمية لهذا الثغر في ربط مملكة الاراغونيين بالبحر المتوسط.

ولاردة، فلما بلغ الخبر إلى امير المرابطين علي بن يوسف خشي أن يعاود النصارى الكرة ويقوموا بتدمير كل الأمصار والأقطار التي وجدوها في طريقهم.[1]

أعطى يوسف بن علي الأوامر بتشكيل جيش لإرساله لمقاتلة النصارى ، وقد علق على ذلك ابن القطان بقوله: << فسقط على الرعية سودانا يغزون في العساكر، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم ففعلوا ومضت الحشود إلى مرسية وقائدها يدر بن ورقاء[2] وقائد العساكر كلها إبن مجوز[3] وابن ردمير بالقليعة بمقربة من جزيرة شقر>>.[4]

توجه بدر بن ورقاء وجيوشه إلى مرسية لدعم قوات المرابطين هناك التي كانت بقيادة ابي بكر بن محمد بن سير اللمتوني ووقع الاشتباك مع النصارى قرب موضع يسمى القلعة أو القلاعة [5] في الأندلس وكان ذلك في شهر رجب عام 523هـ/1129م [6] ، كانت أولى الاشتباكات توحي

---

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 152 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 117 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 200 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 232.

[2] – كان واليا على بلنسية سنة519هـ/1125م ايام حملة الفونسو المحارب على الأندلس. مجهول: مفاخر البربر ، ص192 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 152 ، هامش (3).

[3] – ويورده ابن عذارى باسم ابن الحاج أو ابن مجوز أو مقوز. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 80 . وهو من عائلة بني الحاج المشهورة التي انجبت عددا من أعظم قادة المرابطين واسمه الكامل ابو زكرياء يحي بن علي بن الحاج تولى حكم اشبيلية سنة 523هـ ليعزل بعدها سبة ثم يستشهد في احدى المعارك سنة 526هـ/1132م. ابن القطان: المصدر السابق، ص 153، هامش (1).

[4] – نفس المصدر ، ص 153.

[5] – وتعرف باسم قلييرة (CELLERA) وتقع على ساحل البحر المتوسط عل بمقربة من جزيرة شقر (JUCAR) مركز SUECA في بلنسية . ابن الدلائي: نصوصو عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار، منشورات معهد الدراسات الاسلامية مدريد، د.ت ، ص 146 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 153 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 118.

[6] – ابن القطان : المصدر السابق ، ص ص 152–153 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 118 .

بانتصار المسلمين وفق لما جاء في الرسالة التي أرسلها أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأمير أبو محمد بن ابي بكر[1] والتي أكدت أن قوات الجيوش الإسلامية أكبر من قوات النصارى.[2]

بَيْد أن الأمور لم تسر على ذلك النحو، إذ سرعان ما انتصر الاراغونيون على القوات الإسلامية وهو ما يؤكده ابن القطان بقوله: << وانهزم المسلمون وتبعهم العدو وذهب أكثر الرجالة قتلا وأسرا، وحاز العدو الأسلاب والأثاث والدواب وذهب من المسلمين ما يزيد على اثني عشر ألف بين قتيل وأسير وبلغ ذلك علي بن يوسف فغاظه>>.[3]

بعد أن وصلت الأخبار إلى أمير المرابطين علي بن يوسف كتب رسالة يلوم فيها القائد المرابطي أبو محمد بن ابي بكر حيث جاءت فيها عبارات اللوم والعتاب ومنها : << توافقتم مع عدوكم وأنتم أوفر منه عدة وأكثر جمعا ، وأحرى أن تكونوا أشد عن حريمكم منعا وأقوى دونه دفعا، فثبت وزللتم وجد وثكلتم وشد عقد عزيمته وحللتم وكنتم في تلك الوقيعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد>>.[4]

بعد هذا الانتصار للنصارى توجه الفونسو المحارب إلى ثغر بلنسية[5]، وذكر لنا ابن القطان أن الغارة التالية كانت على مدينة غليرة حيث يقول: << وأغارت النصارى على غليرة واكتسحت ما وجدت، ورصد النصارى ...صاحب قرطبة في بعض مخارجه، فالتفوا به فنكب المسلمون وأصيب منه جملة>>.[6]

---

[1] – والمعروف كذلك باسم قنونة نسبة إلى أمه أخت علي بن يوسف.

[2] – حسين مؤنس: الثغر الأعلى، ص ص 51-52.

[3] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 154.

[4] – حسين مؤنس: الثغر الاعلى ، ص 51 . ويذكر حسين مؤنس في ذات الصفحة نقلا عن الرسالة عبارات اللوم ومنها<< ليس بكم من تدفع به كريهة، ولا عندكم في الرشد رؤية ول ابديهة، فمتى واي وقت تفلحون، ولأي شيء بعد ذلك تصلحون ، وبحمد الله عز وجهه كثيرا، فقد دفع بفضله الأهم الأكبر، وأجدى بأكثر السلامة والقدر.>>

[5] – نقل لنا الاستاذ عبد الله عنان نقلا عن الرواية النصرانية ان الفونسو المحارب حاصر بلنسية في523هـ/1129م وهذا ما يعزز رواية المصادر الاسلامية التي تقول أن المعركة نشبت بين الاراغونيين والمسلمين قرب بلنسية.عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 118.

[6] ابن القطان: المصدر السابق، ص 154 .

اضطر قاضي بلنسية إلى الاستنجاد بأمير المسلمين علي بن يوسف حيث رد عليه برسالة يذكره فيها بالهزيمة المخزية وعن تخاذل المسلمين في الذود عن حمى بلاد الإسلام، لكنه يستدرك القول بطمأنة أهل بلنسية وتأكيده لهم أنه لن يتركهم لحال سبيلهم وفعلا كان ذلك حيث أمر علي بن يوسف سائر ولاته في الاندلس بإرسال قوات لنجدة بلنسية [1] ويبدو أن ألفونسو المحارب قد اكتفى بالتخريب والنهب والسلب دون اللجوء إلى اكتساح بلنسية.[2]

في سنة الموالية وهي 524هـ/1130م توفي صاحب بلنسية محمد بن يوسف بن بدر بن ورقاء[3] وتولاها ينتيان بن علي اللمتوني [4] وما أن استقر الوالي الجديد في منصبه حتى بدأ يفكر في الانتقام من مملكة اراغون فخرج على رأس جيش غازيا لأراضي النصارى حيث التقى مع أحد القادة وهو الكونت جاستون دي بيارن [5] ودارت المعركة التي انتهت بمقتل هذا الأخير وانتصار المسلمين وقد تم ارسال رأس الكونت جاستون (GASTON DEL BEARNE) إلى غرناطة ثم مراكش [6] وعلق على ذلك ابن عذارى بقوله: << وسيق رأس زعيمهم غشتون إلى غرناطة في شهر جمادى الآخرة فنصب على ذروة رمح وطيف به الأسواق والسكك وشهر بضرب الطبول واخذ به البشير إلى أمير المسلمين علي بن يوسف وهو بمراكش>>.[7]

---

[1] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلسن ص 120 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 202.

[2] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 120.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 81 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 236.

[4] ابن القطان: المصدر السابق، ص 215 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 81

[5] – ويسميه ابن القطان : القومس غشتون. ابن القطان : المصدر السابق، ص215. أما ابن عذارى فيذكر اسم غشتون فقط . ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 81.

[6] – ابن القطان : المصدر السابق، ص 251. ويستثني ابن القطان غرناطة ويذكر فقط مراكش ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 81 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 236 .

[7] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 81 . ونقل لنا ابن عذاري في ذات الصفحة شعرا ارتجاليا لتاشفين ابو بكر محمد بن يوسف ه<ه بعض ابياته :

بسعدك شبت في الاعادي لظى الحرب فجاءك ما تهوى من الشرق والغرب

وقد كنت بشرت الأمير بأنـها بعيد مسرات تجيء على قرب

فقد انجز الرحمن بالنصر وعـده وسهل أمرا كان في غاية الصعب

إلا أن النصر الذي أحرزه المرابطون بقيادة ينتيان والي بلنسية كان محدود الأثر لأنه لم يقترن باستعادة بعض الممتلكات الإسلامية التي استولى عليها نصارى اراغون.[1]

4–وقعة افراغة 528هـ/1134م :

عاد الفونسو المحارب إلى استئناف نشاطه الحربي ضد المسلمين ، وكان أهم ما يشغله هو الاستيلاء على ما بقي من قواعد الثغر الأعلى وإجلاء المسلمين عنها ففي عام 527هـ/1133 استولى على مدينة مكناسة [2] التي استسلمت بعد مقاومة شرسة ليتجه الفونسو بعد ذلك إلى الاستيلاء على مدينة افراغة ، حيث فرض عليها حصارا في رمضان 528هـ/1134م وعن ذلك يقول الحميري :<< وحاصرها العدو في جمع كثيف وآلى زعيمهم ابن رذمير [3] على نفسه ألا يبرح حتى يأخذها عنوةً وذلك سنة ثمان وعشرون وخمسمائة في رمضان منها>>.[4]

إلا أن هناك خلاف حول السنة فقد اتفق ابن القطان في السنة مع الحميري حيث قال :<< وفي هذه السنة (أي 528هـ/1134م) نازل ابن رذمير افراغة >>.[5] أما ابن الاثير فيجعل تاريخ وقوعها هو 529هـ/1135م [6] .

---

[1] – الهرفي: المرجع السابق، ص 236.

[2] – تقع عند ملتقى نهر سجري وابرة وهي قاعدة محصنة. عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص121.

[3] – والمقصود به الفونسو المحارب ملك اراغون وتذكره المصادر العربية باسم ابن ردمير كإبن ابي زرع وابن عذارى وتذكره تارة أخرى بإبن رذمير مثل السلاوي والحميري وابن القطان.

[4] – الحميري: الروض المعطار، ص 48 ؛ غير ان في كتابه وهو صفة جزيرة الأندلس قال بأن المعركة وقعت في 525هـ والراجح أنه خطأ مطبعي لان السنة وردت كتابتها أرقاما وليس أحرفا لذلك قد يكون محقق الكتاب أخطأ أو ربما المطبعة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 24.

[5] – ابن القطان: المصدر السابق،ص 235 ؛ **E.LÉVI-PROVENSAL :the encyclopaedia of islam , vol 1 , p:390 .**

[6] – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287، غير أنها رواية تفتقد للدقة إذ أن المصادر المغربية ذكرت سنة528هـ/1134 وحتى الدراسات الحديثة التي فصلت في المعركة مستندة إلى التاريخ الأخير. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص204 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 235 ؛ يوسف اشباخ: المصدر السابق،ج1، ص 174.

وقد تشكلت الجيوش الإسلامية استنادا إلى رواية ابن الأثير الذي قال بأن ألف فارس جاءت من قرطبة و 500 فارس جاء بها ابن غانية و200 فارس من لاردة. وهذا دون ذكر القوات المرابطية في افراغة [1] ، أما يوسف اشباخ فقد قدر عدد القوات الإسلامية بعشرة آلاف فارس [2] في حين كانت القوات النصرانية تقدر بإثني عشر ألف فارس [3] وقد أصر الفونسو على افتتاح افراغة مهما كلفه الأمر بل وأقسم على ذلك [4] ، وقد اشتبكت القوات النصرانية مع المسلمين إلا أن الفونسو تملكه الغرور واستهزأ بالمسلمين وعن ذلك علق ابن الأثير بقوله: << فإحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لأصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم>>.[5]

وكان في التصدي لهذه القوة النصرانية القائد عبد الله بن عياض والي لاردة وهزمهم وجاء الفونسو المحارب بنفسه على رأس جيشه فهجم عليه ابن غانية وابن عياض واشتدت المعركة وكثر القتلي النصرانيون، في هذا الوقت بالذات خرج أهل افراغة [6] جميعهم إلى خيان النصارى، فإشتغل الرجال بمن وجدوه من العساكر أما النساء فقد أوكلت إليهم مهمة جمع الأسلحة والاقوات وسائر ما وجدوه حيث حملوه إلى المدينة وبقي الحال على ذلك إلى أن لحق جيش إسلامي آخر بقيادة الزبير فكثر جنود الإسلام وانهزم النصارى.[7]

---

1 – ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 287.

2 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 173 .

3 – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287.

4 – وقد أقسم الفونسو المحارب كما أقسم أبوه سانشو قبل ذلك بأربعين عاما أن يفتتح افراغة أو يموت دونها واقسم مثله عشرون من اتباعه ، وليزيد الفونسو من الحماسة للجيش أمر أن يؤتى برفات القديسين إلى المعسكر وأن يتولى الاساقفة والرهبان قيادة الصفوف اسوة بالقواميس .يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 173.

5 – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287.

6 – وصف ابن الاثير خروجهم بقوله :<< وخرج في الحال أهل افراغة جميعهم ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم إلى خيام الافرنج>> ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287 . وهذا دليل على الهبة الواحدة لأهل افراغة لنجدة اخوانهم المجاهدين.

7 – الحميري: الروض المعطار، ص 49 ؛ ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 235 ؛ عبدالله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 123 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص 206 ؛ الهرفي: المصدر السابق، ص ص 238-239.

غير ان المؤرخ الألماني يوسف اشباخ يقدم لنا رواية مغايرة لما أوردته المصادر الإسلامية حيث يقول:<< وعلى اثر ذلك اشتبك النصارى مع المسلمين القادمين لنجدة المدينة (افراغة) في معركتين وهزم المسلمون في المرتين ولجأوا إلى الفرار فخارت عزائم سكان المدينة وعولوا على التسليم بشروط يسيرة ولكن الفونسو رفض كل عرض واعتزم أن يفتتح المدينة بالسيف، فإنقلب المحصورون إلى مقاومة اليأس>>.[1]

غير اننا لم نجد ذلك في المصادر الإسلامية التي طالتها أيدينا وهو ما يضع رواية اشباخ تحت دائرة الشك. وما يزيد من دحض مزاعم اشباخ هو ما عثرنا عليه في رواية ابن عذارى الذي قال :<< وفي هذه السنة (528هـ/ 1134م) خرج العدو ابن ردمير بشرق الاندلس . فكسره جيش ابن غانية صاحب مرسية ولم يسلم منه إلا بشر يسير...وأما الطاغية فبقي أياما ومات من مرض أصابه>> .[2]

ويذكر لنا يوسف اشباخ أن القوات الإسلامية لجأت إلى خديعة حينما ضعفت قواتهم حيث دبروا كمينا جذبوا إليه قوات النصارى حيث انقضت عليهم نخبة من المجاهدين وهلكت منهم جمهرة من الفرسان الفرنسيين واسقفين وحشم كبير من الجيش.[3]

أما عن مصير الفونسو المحارب فقد ذكر الحميري أنه فر إلى حصن على رأس جبل والمسلمون يتبعونه ثم هرب متسللا في الليل[4] أما ابن الاثير فيقول بأن الفونسو المحارب عاد إلى مدينة سرقسطة

---

[1] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 173.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93.

[3] يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 173.

[4] – الحميري : الروض المعطار، ص 49. وعلق على ذلك بقوله في ذات الصفحة<< وفر اللعين وسيوف المجهادين تأخذ منه وعزيمتهم لا تقلع عنه إلى أن آوى إلى حصن خرب في رأس جبل شاهق مع الفل الذي بقي معه لعد الامساء، واحذق المسلمون تلك الليلة بذلك الحصن يرقبونه ولما ايقن أنه سيصطلم إن أقام هناك تسلل في ظلمة الليل من ذلك الموضع واتخذ الليل جملا وإذا رأى غير شيء ظنه رجلا>> .

فلما رأى ما قتل من اصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما [1] وذكر ابن عذارى موته بعد الواقعة بأيام من جراء مرض أصابه دون مزيد من التفاصيل.[2]

ويتفق يوسف أشباخ مع روايتي ابن عذارى وابن الاثير القائلة بوفاة الفونسو المحارب بعد وقعة افراغة بأيام لكنه ينقل لنا رواية نصرانية تقول أن الفونسو المحارب لما رأى هزيمة جيشه حاول أن يلقي بنفسه إلى المعمعة ليموت فتودد إليه أحد الاساقفة أو الرجال بإسم الله أن ينقذ نفسه، فغادر ميدان المعركة رفقة 60 من فرسانه ثم ما لبث أن عاود الرجوع إلى قلب المعركة فإجتذبه المسلمون إلى كمين وقتلوه وذلك في 7 سبتمبر 1134م ومعه نحو 300 من فرسانه[3] وقد نقل لنا هذه الرواية الأستاذ عبد الله عنان نقلا عن الروايات النصرانية مثل رواية صاحب الأخبار الطليطلية وروديك الطليطلي وثوريتا وغيرهم.[4]

---

[1] – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9، ص 287. ويواصل ابن الاثير في ذات الصفحة قوله بأن هذا الملك النصراني كان أشد ملوك الافرنج بأسا وأكثرهم تجردا لحرب المسلمين وأعظمهم صبرا.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93 .

[3] – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص ص 173-174.

[4] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس،ص 124.

وعلى أية حال فقد كانت معركة افراغة نصرا للمسلمين [1] وانهزام آخر للنصارى الذين مات زعيمهم الفونسو المحارب وبذلك عاد شيء من الهيبة للمرابطين لكن الأستاذ عنان يتأسف لتخاذل المسلمين في استرداد سرقسطة وذلك لما حل بالنصارى من ضعف وتشتت لقواهم.[2]

[1] – نقل لنا الحميري صاحب الروض ابياتا للشاعر الأندلسي أبو جعفر بن وضاح يتغنى فيها بإنتصار المسلمين وهذه باقة منها:

شمرت برديك لما اسبل الواني ... وشب منك الاعادي نار غيّان

عقرتم بسيوف الهند مصلتة ... كأنما شرقوا منها بغدران

أودى الصميم وعاقت عن بقيتهم ... مقادر اغمدت اسياف شجعان

وقفت والجيش عقد منك منتثر ... إلا فرائد اشياخ وشبان

والخيل تنحط من وقع الرماح بها ... كأن نصالها ترجيع الحان

الحميري : الروض المعطار، ص 49.

[2] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 126. وهو نفس ما تحضر عليه الاستاذ حمدي عبد المنعم الذي وصف الفرصصة بالذهبية في استرداد سرقسطة. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق،ص 209.

الباب الثاني

الثورات والفتن الداخلية في دولة المرابطين

الفصل الاول : ثورة الموحدين على المرابطين .

الفصل الثاني : ثورات المريدين والقضاة بالأندلس .

الفصل الثالث : الفتن والتمردات الداخلية في دولة المرابطين .

الفصل الأول : ثورة الموحدين على المرابطين .

اولا : شخصية المهدي وتعاظم دعوته بالمغرب .

1-مولد المهدي ونسبه .

2-رحلته الى المشرق .

3-مبايعته بالمهدوية.

ثانيا : الصراع المرابطي الموحدي في عهد ابن تومرت .

1-مرحلة المناظرات الفقهية .

2-حروب المهدي مع دولة المرابطين .

3-حصار الموحدين لمراكش.

ثالثا : حروب المرابطين مع عبد المؤمن بن علي.

1-نسب عبد المؤمن ومبايعته .

2-حروب عبد المؤمن مع علي بن يوسف .

3-حروب عبد المؤمن مع المرابطين في عهدي تاشفين وابراهيم .

اولا : شخصية المهدي وتعاظم دعوته بالمغرب

لقد شكلت ثورة [1] الموحدين شوكة في حلق دولة المرابطين إذ منذ قيامها وهي تنخر جسدها ، واستطاعت أن تتحول من دعوة دينية إلى حركة سياسية افضت إلى أفول نجم المرابطين، وقبل التطرق إلى هذه الثورة يجب أن نتطرق إلى حياة المهدي بن تومرت الذي أسس لهذه الحركة ونتطرق إلى نشأته وأهم العوامل التي أدت إلى صقل مواهبه ومبايعته.

1-مولد المهدي ونسبه :

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحي بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] .

يتصل نسب المهدي بن تومرت بسلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووجد ذلك بخطه[3] ، غير أنه عند تفحص نسب المهدي بن تومرت في المصادر التي بين أيدينا نجد أن صاحب الحلل الموشية وإبن خلكان يضيفان اسم سيار بعد رباح [4] ، غير أن المؤرخ ابو بكر بن علي الصنهاجي

---

[1] - مصطلح ثورة يعني على التغيير العام للبنى الاجتماعية يترافق ذلك بحركات شعبية تكون عادة باستعمال العنف تهدف عادة للاستيلاء على السلطة ، ويمكن ان تؤدي الى اقامة نظام اجتماعي جديد . احمد سعيفان : قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، ط 1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2004 ، ص 114 . ومن خلال معايشتنا لمختلف الثورات في بحثنا هذا وجدناها تتقاطع مع ا المدلول او جزئية منه .

[2]- مجهول : الحلل الموشية، ص 103 .

[3] -ابن خلكان: المصدر السابق، ج5 ، ص45 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 126.

[4] – ونسبه الكامل عند ابن خلكان هو " محمد بن عبد الله بن ع الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما" ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص45 ؛أما ابن خلدون فيورد نسبه على النحو التالي: " محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بنحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي ادريس الأكبر، الواقع نسب الكثير من بيته في المصامدة وأهل السوس، وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به إلى المغرب وأن رباحا الذي في عمود هذا النسب إنما هو يسار العباس بن محمد بن الحسن". ابن خلدون:

المكنى بالبيذق وهو كاتب المهدي بن تومرت أورد نسبا فيه شيء من التغير حيث يقول:« هو محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن عبيد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم >> [1] وعرف أبوه بعدة أسماء تومرت وأمغار وأسافو[2] .

أما عن تاريخ ميلاده فقد كان محل خلاف بين المصادر الإسلامية أو حتى الدراسات الحديثة المستندة إلى تلك المصادر ، فقد ذكر الزركشي أن ميلاده كان سنة 491هـ/1098م [3] غير أن السلاوي قال بولادته عام 485هـ/1192م نقلا عن ابن خلكان[4].

أما ابن خلدون فقال بولادته أواخر القرن الخامس الهجري دون تحديد سنة بعينها بالنظر إلى قوله أنه إرتحل إلى طلب العلم على رأس المائة الخامسة للهجرة [5] ، وهو ما ذهب إليه كل من صاحب الحلل الموشية وعبد الواحد المراكشي صاحب الموجب وابن القطان والسلاوي وابن عذاري[6]

العبر، ج6، ص301؛ انظر كذلك النسب عند ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص172؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71.

[1] -البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للوراقة والطباعة، الرباط، 1971، ص12.

[2] -ومعناه بلسان البربر الضياء ، وذلك لأنه كان يوقد الضياء في المسجد. مجهول : الحلل الموشية، ص103 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص301.

[3] -الزركشي: المصدر السابق، ص4.

[4] -السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص71.

[5] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص301.

[6] -حيث ذكرت هذه المصادر أن رحلته للعلم كانت على رأس المائة السادسة دون تحديد تاريخ وفاته حيث قال صاحب الحلل الموشية أنه جاز لطلب العلم في سنة 500هـ/1106. مجهول : الحلل الموشية، ص 103؛ وذكر صاحب المعجب أنه رحل إلى المشرق سنة 501هـ/1107م وهذا لطلب العلم. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 127؛ أما ابن القطان فقال أنه رحل إلى المشرق والأندلس في سنة 501هـ/1107. ابن القطان: المصدر السابق ، ص 61؛ أما السلاوي فقال أنه رحل إلى بلاد المشرق طالبا للعلم على رأس المائة الخامسة. السلاوي : المصدر السابق، ج 2، ص71؛ أما ابن عذاري فقال بأنه رحل الأندلس في سنة500هـ/1106م طالبا للعلم.ابن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص303.

، وعلى أية حال يذكر الأستاذ رشيد بورو يبةأن تاريخ ولادة المهدي بن تومرت أثار جدلا كبيرا بين المؤرخين القدامى والمحدثين وأن تواريخ ولادته تراوحت بين 471هـ/1078م .

إلى غاية 491هـ/1098م[1] أما الأستاذ عز الدين موسى فقال بولادته سنة 475هـ/1082م[2]، بينما يرجح الأستاذ عبد الحميد النجار ولادته في سنة 473هـ/1080م[3]. بينما رجح (michel abitbol)ان تكون ولادة المهدي بين سنتي 1097 و 1105 م .[4]

أما كنيته فهي أبو عبد الله [5] ويلقب كذلك بالمهدي[6] ويذكر لنا صاحب الحلل الموشية أن هذا اللقب صار لصيقا به بعد مبايعته[7] وكان ميلاده في قرية تعرف بـ ايجلي[1] انوراغن وهو من قبيلة تسمى هرغة[2]. من قوم يعرفون بإسم ايسرغينن ومعناه الشرفاء بلسان المصامدة[3] .

---

1 –رشيد بوروبية: ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص13–14 ؛ RACHID BOUROUIBA : abd al-mu'min (flambeau des almohades) , 2 edition , sned , 1982 , p 9 ؛ غير ان الموسوعة الاسلامية باللغة الانجليزية رجحت الولادة بين 471 هـ / 474 هـ . **J.F.P HOPKINS :the encyclopaedia of islam , vol 3 , p:958 .**

2 –عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي–تنظيماتهم ونظمهم– ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص35.

3 –عبد الحميد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا، 1995، ص57.

4 MICHEL ABITBOL : HISTOIRE DU MAROC , PERRIN , France , 2009 , P 73 .

5 –مجهول: الحلل الموشية، ص103؛ عبد الحميد النجار، المهدي بن تومرت، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983، ص23.

6 –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 181؛ ابن القطان: المصدر السابق ، ص 62؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 103؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج5، ص45؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص71؛ الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر– قسم الفاطميين–، تحقيق، صلاح الدين المنجد، منشورات المعهد الألماني للأثار، القاهرة، 1961، ص445؛ الازدي: أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط 1، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ج2، ص438؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص303.

7 –مجهول: الحلل الموشية، ص103.

أما عن صفاته فيقول ابن أبي زرع: << كان ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عميق وكان مع ذلك عالما فقيها، راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حافظا له، عارفا بالأصول ، عالما في علم الإعتقاد والجدل، فصيح اللسان، مقداما على الأمور العظام، متيقظا في أحواله ظابطا لما يلي من سلطانة>> [4]

وصفه ابن خلكان بقوله :" كان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلوقا كثير الأطراق، بسّاما في وجوه الناس، مقبلا على العبادة، لايصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة [5] ، وكان شجاعا فصيحا في اللسان العربي والمغربي، شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لايقنع في أمر الله بغير إظهاره وكان مطبوعا على الإلتذاذ بذلك متحملا للأذى من الناس بسببه وناله بمكة - شرفها الله تعالى- شيء من المكروه من أجل ذلك فخرج منها إلى مصر [6] وبالغ في الإنكار فزادوا في أذاه"[7].اما ابن الكردبوس فيقول بان المهدي جاء به الله ليصلح ما افسد المرابطون " فاوضح من

---

[1] –ايجلي من بلاد السوس وتعرف أيضا بإيكلي وهي مدينة كبيرة وقديمة في سهل من الأرض على نهر كبير ، بها بساتين كثيرة وفواكه متنوعة وبها يصنع النحاس المسبوك ويتجهز به إلى بلاد السودان، ويقال أن عقبة بن نافع لما دخل هذه المدينة أخرج منها سبايا لم يرى مثلها في الجمال والحسن، حيث بيعت الواحدة منهن بألف دينار وأكثر. الحميري: الروض المعطار، ص71.

[2] –هرغة قبيلة كبيرة يمتد وجودها جنوب مراكش على ضفاف الأطلس الكبير شرق تارودانت، وقد إندثر هذا الاسم وحل محله عدد من اسماء القبائل التي سكنت هناك فيما بعد . محمد سليمان الطيب : المرجع السابق، ص1057.

[3] –ابن خلكان : المصدر السابق، ج5، ص46؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص126 ؛ COISSAC DE CHAVREBIERE : op , cit , p: 195 ؛ اما hardy georges فاكتفى بالقول انه من تينملل . hardy georges : le maroc , dar al aman ,2013 , p 153 .

[4] –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص181.

[5] –الركوة هي الإناء الصغيرالمصنوع من الجلد لشرب الماء. ابن منظور:المصدر السابق، ص1722.

[6] - قدم لنا ابن ابي الصلت (ت 528 هـ / 1134م) وصفا دقيقا عن مصر في كتابه الرسالة المصرية حيث قدم اليها من الاندلس ووصل الاسكندرية مع نهاية القرن الخامس للهجرة (489 هـ/1096م) فنقل لنا حدودها الجغرافية ووصفا دقيقا للنيل كما تناول بعض عجائبها وعادات اهلها وبعض علمائها وحكمائها وشعرائها .للاستزادة انظر : ابو الصلت امية بن عبد العزيز : الرسالة المصرية ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،1951 ، ص ص 11 – 56 .

[7] – ابن خلكان : المصدر السابق، ج 5، ص46؛ أما ابن خلدون فوصفه بالنجم والعالم الشهير. ابن خلدون: العبر، ج 6، ص301 ؛ بينما وصفه ابن القلانسي بانه كان غاية في التفقه والتدين مشهورا بالورع والزهد . ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، ط 1 ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1983 ، ص 454 .

الدين معالمه وجدد منه مراسمه واظهر آياته واشهد بيناته حتى عاد كما كان جديدا ...ويامر بالمعروف الناس اجمعين وينهى عن المنكر في كل حين ...حتى اعاد الله كلمته على رغم المجسمين "[1]

غير أن ابن أبي زرع يستدرك وصفه بنقل بعض الصفات الذميمة حيث يقول:" سفاكا للدماء، غير متورع فيها ولا متوقف عنها، يهون عليه سفك دم عا لم من الناس في هوى نفسه وبلوغ غرضه... ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه"[2] ، وهو ما يتوافق مع راي الفقيه ابن قيم الجوزية – رحمه الله – حيث قال عن مهدي المغاربة انه رجل كذاب وظا لم متغلب بالباطل ملك بالظلم والتحيل فقتل النفوس ، واباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم ، واخذ اموالهم ، وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ، وكان يضع اصحابه في القبور ليكلموا الناس بانه المهدي الذي بشر به النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم يردمهم ليلا لئلا يكذبوه بعد ذلك [3] .

ويتوافق ذلك مع رأي شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – في المهدي بن تومرت الذي قال فيه انه اظهر لاتباعه انواعا من المخاريق ليدعوهم بها الى الدين فصار يجيئ الى المقابر يدفن بها

---

1 - ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 1314-1317 .

2 –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص181. وينقل لنا صاحب روض القرطاس في الصفحة الموالية بعض أخباره عن سفك الدماء وعن دفنه الناس أحياء حيث يقول:" ومن تحيله وتهلونه بسفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم: إذا سألتكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة وعلو الدرجات التي نلنا باشهادة، فجدوا في جهاد عدوكم، فأن ما دعلكم إليه الإمام المهدي صاحبكم حق، وقال لهم: إذا قلتم ذلك أخرجتم وكانت لكم من المنزلة عندي أعلاها وأسناها ، وعاهدهم على ذلك، فأتى إلى موضع المقتلة ليلامع أصحابه ، فدفنهم بين القتلى ورد عليهم التراب"؛ وقد رصد الاستاذ عبد الكريم خيطان مجموعة ادعاءات وافتراءات عن المهدي بن تومرت . انظر : عبد الكريم خيطان : المهدوية والعصمة واثرها على خلفاء الموحدين – دراسة نقدية - ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، 2007 ، كربلاء ، العدد الاول ، ص 171 – 172 .

3 - ابن قيم الجوزية : المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تحقيق : يحي بن عبد الله الثمالي ، ط 1 ، دار علم الفوائد ، مكة المكرمة ، 1428 هـ ، ص ص 153 – 154 .

اقواما ويكلمهم ويشهدوا بمهدويته وان من تبعه افلح ومن خالفه خسر ، كما جعل يوما سماه الفرقان (التمييز) قتل فيه ما قتل ، واستحل اموال الناس .[1]

أما عن صفاته الجسمانية فهو حسن القد ، أسمر اللون، رقيق البشرة، أفلج، اقنا، غائر العينين، حفيف العارضين، له شامة سوداء في خده الأيمن[2].

كانت أسرته أهل نسك ورباط [3] وقد إشتهر بميله إلى حب التعلم منذ نعومة أظافره وعن ذلك يقول ابن خلدون:" وشب محمد هذا قارئا محبا للعلم" [4] وهو ما أورده أيضا السلاوي عن حبه للعلم منذ الصغر[5] أما عن المؤسسات العلمية التي درس فيها المهدي بن تومرت في هذه الفترة فإن المعلومات عنها شحيحة ، ومن المحتمل أنه درس في كتاب قريته، فحفظ القرآن وتعلم النحو وقد غادر ايجلي متوجها إلى مراكش التي لم يمكث بها طويلا حيث لم يكن المغرب ل يشفي غليله في نهل العلم من أكابر العلماء فكانت نفسه تواقة إلى التوجه إلى المشرق لأجل ذلك[6] .

2-رحلته الى المشرق :

كان ابن تومرت في أول أمره و ابتداء حاله فقيرا مشتغلا بطلب العلم و تحصيله [7] غير أن المشرق الإسلامي كان دوما هو محط الرحال لطلب العلم من لدن المغاربة ، لذلك لم يكن المهدي بن تومرت ليشذ عن هذه القاعدة خاصة و أن المشرق الإسلامي في عهده كان حقل فكري نشيط

---

[1] - ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم و ابنه محمد ، اصدارات وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد ، المدينة المنورة ، 1415هـ ، مجلد 11 ، ص ص 476 – 478 .

[2] - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص181.

[3] -ابن خلدون: العبر ، ج6، ص301؛ عبد الحميد النجار: المهدي بن تومرت، ص34.

[4] - ابن خلدون: العبر ، ج6، ص301.

[5] -السلاوي: المصدر السابق: ج2،ص71.

[6] - رشيد بوروبية : المرجع السابق، ص ص 18-19.

[7] - ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص172.

[1] ، لذلك قرر أن يشد الرحال إلى المشرق غير أن تاريخ بداية هذه الرحلة العلمية كانت محل خلاف بين مصادر التاريخ الإسلامي فصاحب الحلل الموشية يقول بانطلاق الرحلة في سنة 500هـ/1106م ويتفق معه كل من ابن عذارى المراكشي [2] وهناك من المؤرخين من قال بانطلاق هذه الرحلة العلمية على رأس المائة الخامسة دون تفصيل لذلك [3] وفريق آخر من مصادر تاريخ الإسلام قالت بان الرحلة كانت في 501هـ/1107م[4].

بينما الزركشي نجده يبتعد عن التواريخ سالفة الذكر حينما يقول انه رحل إلى المشرق وعمره ثمانية عشر سنة وإذا رجعنا إلى تاريخ ولادة ابن تومرت حسب الزركشي نجده في 491هـ/1098م وبذلك يكون المهدي قد هاجر إلى طلب العلم سنة 509هـ/1115م وهو ما يجعل رواية الزركشي[5] بعيدة نوعا ما عن ما أوردته المصادر السابقة.

واستنادا إلى ما ذكرناه من تواريخ فإننا نجد تقاربا بين الروايات التي ذكرت سنة 500هـ/1106م أو السنة التي بعدها 501هـ/1107م هما على الأرجح السنتان التي ارتحل ابن تومرت في واحدة منهما لطلب العلم [6] وقد كانت الوجهة الأولى لرحلة المهدي بن تومرت هي الأندلس حيث أقام بقرطبة [7] ثم توجه بعدها إلى المرية من بلاد الأندلس [8] ، وبعدها شد الرحال

1- رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص21.

2- مجهول: الحلل الموشية، ص103؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1،ص303؛ جورج مارسية، المرجع السابق، ص29.

3- ابن خلدون:العبر، ج6، ص301؛ السلاوي: المصدر السابق،ج2،ص71.

4- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص127؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص61.

5- الزركشي: المصدر السابق، ص4.

6 -مجهول: الحلل الموشية، ص103؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص303؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص301؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص61؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71.

7 -الزركشي: المصدر السابق، ص04؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص62؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص301. وقد علق ابن خلدون في ذات الصفحة على قرطبة واصفا إياه بأنها دار علم بقوله: " ودخل قرطبة وهي إذ ذاك دار علم" ؛ داوود عمر سلامة عبيدات : الموحدون في الاندلس ، دار الكتاب الثقافي ، الاردن ،2006 ، ص 15 .

8- ابن القطان: المصدر السابق، ص62؛ مجهول: الحلل الموشية، ص104.

إلى المهدية[1] في تونس [2] ، ثم توجه إلى الإسكندرية [3] بمصر[4] حيث اخذ العلم عن أبي بكر الطرطوشي[5] ليتوجه بعدها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج [6] ، ثم توجه إلى العراق حيث التقى بالإمام أبو حامد الغزالي [7] وأثناء تتبعنا لرحلة المهدي بن تومرت وتقفي أثره في المصادر وجدنا

---

[1]- مدينة محدثة بساحل إفريقية بناها عبيد الله المهدي وسماها باسمه في سنة300هـ وهي مدينة حسنة تأتيها السفن من المشرق والمغرب وبلاد الروم وغيرها بها ديار وحمامات حسنة وأهلها حسان الوجود نظيفو الثياب ، يحيط بها سور من الحجارة عليه من الحديد وفيها قال الشاعر:

بنيت بأرجاء المغارب دار   دانت لها الأقطار والأمصار

لاذت ببرد الماء لما أيقنت   أن القلوب على الحسين حرار

الحميري: الروض المعطار، ص562 ؛ وهي مستطيلة في البحر وهو دائرها غير مكان ضيق واحد ، جعلها عبيد الله المهدي حاضرة افريقية . ابن سعيد المغربي : كتاب بسط الارض في الطول والعرض ، ص78 .

[2]- وهذه المحطة من الرحلة وهي المهدية إنفرد بذكرها الزركشي وقال أنه أخذ العلم هناك عن المازري. الزركشي: المصدر السابق، ص04.

[3]- الإسكندرية مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه وهي على ساحل البحر وهي من قواعد مصر وهي تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها وإرتفاع مبانيها وسعة شوارعها وطرقاتها وفيها من النعم والأرزاق ما ليس ببلد مع طيب هوائها وتربتها. الحميري: الروض المعطار، ص ص 54-56؛ وقد قال ابن الوردي صاحب كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب ان الاسكندرية انها حصينة الاسوار عامرة الديار كثيرة الاشجار غزيرة الثمار وهي من الكثرة في الغاية ومن الرخص في النهاية . ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : انور محمد زناتي ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008 ، ص 81 ؛ وذكر المسعودي صاحب روج الذهب ومعادن الجوهر ان الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار ارضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندية . ابو الحسن المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تقديم : محمد السويدي ،اصدارات وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ،2007 ، ج 1 ، ص 479 ؛ وهي الميناء البحر التاريخي لمصر وكانت بها أشهر مكتبة في العالم. عبد الحليم عفيفي: المرجع السابق، ص ص47-48 ؛ وذكر الورثيلاني في رحلته الشهيرة ان فرعون قد عمر الاسكندرية واتخذ بها مصانع ومجالس ولما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام اتخذ بها مجلسا وبنى فيها مسجدا ، كما ملكها ذو القرنين وحطم غهدم ما كان فيها من بناء للفراعنة واستثنى بناء سليمان عليه السلام . الورثيلاني : الرحلة الورثيلانية – الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار – ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008 ، المجلد 2 ، ص 648 .

[4]- الزركشي: المصدر السابق، ص04 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 301 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71 ؛ عبد الحميد النجار: المهدي بن تومرت، ص69.

[5] – الزركشي: المصدر السابق، ص04.

[6]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص301 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71.

[7]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص302 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص104 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص04؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص71.

بعضها تهمل بداية الرحلة إلى غاية حجه في مكة المكرمة وتقتصر على بداية رحلته بالعراق والتقائه بمجموعة من العلماء[1].

وعن وصول المهدي بن تومرت إلى بغداد وتعلمه على مجموعة من المشايخ يقول ابن خلدون " ودخل العراق ولقي جملة من العلماء يومئذ ودخول النظار وأفاد علما واسعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده كما كان الكُهَّان والحزاء يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب، ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي"[2] .

يقول ابن أبي زرع عن ذلك:"فارتحل إلى المشرق في طلب العلم فرأى مشايخ وسمع منهم واخذ عنهم علما كثيرا وحفظ كثيرا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ونبغ في علم الأصول والاعتقادات ، وكان في جملة من لقي من العلماء الذين اخذ عنهم العلم الشيخ الإمام الأوحد أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه، لازمه لاقتباس العلم منذ ثلاث سنين فكان أبو حامد إذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة و الباطنة ،فإذا خرج عنه يقول لجلسائه ، لا بد لهذا البربري من دولة، أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فإن ذلك ظاهرا عليه في صفاته وبائن عليه في شمائله ، وردت بذلك الأخبار ودلت عليه العلامات والآثار"[3] .

بعد ذلك عاد المهدي بن تومرت من رحلته العلمية ليدخل الإسكندرية ويبدأ مرحلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حيث يعلق على ذلك صاحب المعجب بقوله :"و كر راجعا إلى الإسكندرية فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الطرطوشي الفقيه، وجرت له بها وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،أفضت إلى أن نفاه متولي الإسكندرية(حاكمها) عن البلاد ، فركب البحر، فبلغني أنه استمر في عادته في السفينة في البحر، فأقام أكثر من نصف يوم يجري في ماء

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص172؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص301-302.

[3] -ولما سمع المهدي هذا الكلام بعدما نقله إليه بعض الأصحاب وأخبره أن ذلك عند الشيخ الغزالي في كتاب، فلم يزل يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب إليه، حتى أطلعه على العلم الذي كان عنده فيه. فلما تحققت عنده الحال إستخار الله تعالى وعزم على الترحال. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص172.

السفينة لم يصبه شيء، فلما رأوا ذلك من أمره أنزلوا إليه من أخذه إلى ماء البحر و عظم في صدورهم و لم يزالوا مكرمين له إلى أن نزل من بلاد المغرب بجاية "[1].

نقل لنا ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان شيئا من التفصيل عن ذلك حيث يقول:"وناله بمكة شرفها الله تعالى شيء من المكروه من أجل ذلك فخرج منها إلى مصر و بالغ في الإنكار،فزادوا في أذاه و طردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون فخرج من مصر إلى الإسكندرية وركب البحر متوجها إلى بلاده" [2] . ومن خلال تفحصنا للمصادر الإسلامية المتتبعة للرحلة لاحظنا أن هناك مصادر لم تذكر مرور المهدي بمصر بل ذكرت مباشرة حلوله ببلاد المغرب[3] وهناك فريق آخر من المؤرخين ذكروا مروره ببلاد مصر قبل حلوله ببلاد المغرب ليبدأ في دعوته[4] ، وذكرت مصادر التاريخ أنه رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كان يشرب ماء البحر كرتين فلما ركب في السفينة شرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [5].

1- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127 ؛ ابو العباس الهنتاتي :مطالع التمام ونصائح الانام ومنجاة الخواص والعوام ، تحقيق : عبد الخالق احمدون ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية ، 2003 ، ص 125 ؛ داوود عبيدات : المرجع السابق ، ص 17 ؛ عبد الكريم خيطان : المرجع السابق ، ص 168 .

2- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

3-حيث ذكر ابن أبي زرع أنه حل ببلاد المغرب بدأ بإفريقية (تونس) ثم بجاية دون ذكر المهدية. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ أما ابن خلدون فقد قال بأنه حل بطرابلس وهي أول نقطة مغربية بدأ فيها رحلته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما إستطاع. ابن خلدون: العبر، ج6، ص302؛ أما ابن القطان فيهمل طرابلس والمهدية ويذكر حلوله مباشرة ببجاية. ابن القطان : المصدر السابق، ص76؛ وقال الزركشي أنه حل بالمغرب أو ربما بإفريقية . الزركشي: المصدر السابق، ص04 وبالتالي فرواية الزركشي بحلول المهدي بافريقية مبنية على الترجيح فقط .

4- فقد ذكر السلاوي أنه توجه إلى الإسكندرية قبل حلوله بالمهدية. السلاوي: المصدر السابق، ج 2، ص72؛ أما ابن الأثير فقال بأنه حل بالمهدية بعد ركوبه بالإسكندرية. ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص195؛ أما عبد الواحد المراكشي فذكر أنه حل بالإسكندرية وفصل فيها بشيء حيث ذكر أنه حضر مجلس أبي بكر الطرطوشي ثم نفاه حاكم الإسكندرية. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص127؛ أما ابن خلكان فيزيد عن ذلك بقوله أن حل بمصر قبل حلوله بالإسكندرية التي رحل منها متوجها إلى المهدية. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

5- السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص72؛ أما ابن خلكان فذكر أنه شرب ماء البحر دون تحديد عدد ذلك من الكرات. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

وقبل التطرق إلى تفاصيل عودة المهدي بن تومرت إلى بلاد المغرب تجدر الإشارة إلى ذكر بعض الاختلافات حول رحلة الحج التي أكد ليفي بروفنسال أن المهدي أثناء تواجده بالحجار لم يكن ليحج ، غير أن الأستاذ رشيد بورو يقبأكد على أن المهدي قد عرج على مكة لأداء فريضة الحج[1] .

أما عن تاريخ عودة المهدي إلى بلاد المغرب من رحلته المشرقية فقد وجدنا صعوبة في تحديدها بالضبط فقد قال ابن خلكان بأن عودته كانت سنة 505هـ/1111م ، غير أنه يقول بأنها قد تكون عودته من مصر سنة 511هـ/1117م نقلا عن القاضي ابن القفطلي وزير حلب [2] .

أما ابن الأثير فقال بأن وصوله إلى المهدية فكان في سنة 505هـ/1111م حيث قال:"حتى انتهى إلى المهدية و سلطانها حينئذ يحي بن تميم سنة خمسة و خمسمائة فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقر أون عليه أنواع العلوم" [3] ، أما ابن أبي دينار صاحب المؤنس في أخبار افريقية و تونس فيؤكد أن عودة المهدي إلى بلاد المغرب كانت سنة 510هـ/1116م حيث يقول:"فقفل إلى بلاد المغرب سنة عشر وخمسمائة فلما اجتاز ببلد إلا وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[4].

[1]–قدم رشيد بوروبية مجموعة مبررات تحدض إدعاء ليفي بروفنسال القائل بعدم حج المهدي بن تومرت وأول هذه المبررات أن رحلة الحج هذه ورد ذكرها عن مجموعة مؤرخين وهم ابن خلدون وابن الأثير وابن خلكان، زد على ذلك أن ورع وتقوى المهدي بن تومرت يزيد أن من فرضية ذهابه إلى الحج لتدينه حيث أنه كان متواجدا ببلاد المشرق ونحن نعرف بعد بلاد المغرب عن المشرق، لذلك فهي فرصة ثمينة قلما تتاح لأهل المغرب لبعدها عن مكة المكرمة، وقد تحجج بروفنسال أن المهدي بن تومرت لم يلقب بالحاج فأكد بوروبية أن ذلك ليس كافيا وإستدل على ذلك بالغزالي الذي حج ولم يلقب بالحاج وكان مع المهدي بن تومرت ، وأضاف بوروبية أن المهدي بن تومرت لم يكن يولي إهتماما بلقب الحاج وهو يطمح للقب المهدي والإمام. رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص ص27-28.

[2]– ابن خلكان: المصدر السابق، ج 5، ص47 ؛ عبد العزيز شاكي : ثورة الموحدين في العهد المرابطي ، مجلة وقائع تاريخية – مركز البحوث والدراسات التاريخية – ، 2012 ، القاهرة ، عدد يوليو ، ص 197 .

[3]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195.

[4] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، طبعة تونس، 1286هـ/1869م، ص107.

أما ابن القطان فقال بـأن العودة كانت سنة 514هـ/1120م وفيها يقول:"لأن وصول الإمام المهدي – رضي الله عنه من رحلته إلى بلاده- رضي الله عنه [1] كان سنة أربع عشرة"[2] وهو نفس ما قال به الزركشي حيث يقول:" فتوجه إلى المغرب بعد أن أقام بالمشرق خمسة أعوام وقيل بافريقية سنة أربع عشرة وخمسمائة ومر بالمهدية فغير المنكر بها وذلك في مدة علي بن يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي "[3] .

وبعد المهدية الواقعة بتونس توجه إلى مدينة المنستير [4] مع جماعة من الصالحين [5] ثم توجه إلى تونس [6] وبها علم الناس والتف حوله طلبة العلم [7] .

ثم توجه نحو قسنطينة [1] حيث نزل بها عند الفقيه عبد الرحمان الميلي و يحي ابي القاسم [2] وواصل السير إلى بجاية حيث نزل بمسجد الريحانة [3].

---

[1]– لاحظنا أن المؤرخ ابن القطان كان يكثر من عبارة رضي الله عنه للمهدي بن تومرت وكان يسميه بالإمام وهذا دليل على حسن الظن به وأنه كان من ممتدحيه.

[2]– ابن القطان: المصدر السابق، ص62.

[3]– الزركشي: المصدر السابق، ص04؛ E . FAGNAN : extraits inédits relatifs au maghreb , jules carbonel imprimeur libraire-eriteur , alger , 1924 , p 182 .

[4]– المنستير منطقة في افريقية قرب سوسة وقد بني القصر الكبير بها هرثمة بن اعين سنة180هـ/796م. بها حصن عال متقن البناء والصنعة، وفيها مسجد يكثر به الصالحون الذين حبسوا أنفسهم للعبادة وفي وسطه حصن آخر كثير المساكن والمساجد وعلى القبلة منه حصن تتعبد فيه النساء المرابطات، وبالمنستير تكثر الملاحة والسفن . الحميري: الروض المعطار.

[5]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195 ؛ وقد ذكر العبدري في رحلته ان بالمنستير من الرباطات المشهورة تحكى لها فضائل كثيرة وبها من قبور الصالحين ما لا يعد كثرة . العبدري البلنسي: المصدر السابق ، ص153 .

[6]– في هذه النقطة من الجغرافيا يبدأ المؤرخ أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق التأريخ للمهدي بن تومرت وعن حلول المهدي بتونس يقول البيذق: " وكان طلبتها يأتون إلى الامام المهدي رضي الله عنه يأخذون عنه العلم . البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص11 .

[7]– وقد ذكرت المصادر أن المهدي بن تومرت ذاعت أخباره وهو في المهدية قبل وصوله إلى تونس حيث بدأ بتغيير المنكر وإظهار التقشف والتقوى فإلتف حوله الناس. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص11-12؛ الزركشي: المصدر السابق، ص04؛ وذكر ابن خلكان أنه كسر آلات الملاهي وأواني الخمر. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص47.

وقد رصد لنا البيذق ب عض ما قام به المهدي بن تومرت أثناء حلوله على بجاية سنة 511هـ/1117م[4] بقوله: "وذلك أن المعصوم رضي الله عنه لما دخل بجاية نزل بمسجد الريحانة وكان ينهى الناس عن الاقراق الزرارية (تشبه الخف) وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات ويقول لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام ، وكان يبيح الطيب للرجال و النساء وكان الفقهاء يأتونه ...وذلك في شهر رمضان فلما كان يوم الفطر اختلط الرجال و النساء...فلما رآهم الإمام رضي الله عنه دخل فيهم بالعصى يمينا و شمالا حتى بددهم"[5] .

بعد توجه المهدي إلى قرية ملالة حيث التقى بعبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي [6] حيث كان راحلا إلى المشرق لطلب العلم فطلب منه المهدي بن تومرت البقاء معه بل ومرافقته فكان له ذلك[7] ثم ارتحلا وصحبها رجل يسمى الونشريسي صار من أجل أصحابه ثم دخلوا تلمسان[8] ،

---

[1]– قسنطينة من أشهر مدن افريقية بين تيجس وميلة وهي مدينة كبيرة آهلة فيها آثار الأولين خصبة أراضيها رخيصة أسعارها أهلها مياسير بها أسواق يكثر بها السمن والعسل ومنه يصدر إلى سائر البلاد. وهي في غاية الحصانة والمنعة. الحميري: الروض المعطار، ص480.

[2]– ينفرد البيذق بذكر محطة قسنطينة في رحلة عودة المهدي بن تومرت من المشرق. البيذق: أخبار المهدي، ص12.

[3]– الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ البيذق: أخبار المهدي، ص13؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص47 ؛ E . FAGNAN : op , cit , p 182

[4]– لكن ابن أبي زرع يجعل ذلك سنة 510هـ/1116م.

[5]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص13.

[6]–ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص13؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص203-303؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص196 ؛ ZAHIR IHADDADEN : op , cit , p 134 ; E . FAGNAN : op , cit , p 182

[7]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص14؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص196. وقد نقل لنا ابن خلكان الحوار الدائر بينهما لأول وهلة بقوله: " فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد وقد تجاوزه: ما إسمك يا شاب؟ فقال : عبد المؤمن. فرجع إليه وقال له: الله أكبر. أنت بغيتي، فنظر في حليته فوافقت ما عنده، فقال له: ممن أنت ؟ فقال: من كومية، قال أين مقصدك؟ فقال: الشرق. فقال ما تبغي؟ قال أطلب علما وشرفا، فقال: وجدت علما وشرفا وذكرا. إصحبني تنله فوافقه على ذلك ".ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48.

[8]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص20؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص129؛ ذكره صاحب الحلل الموشية لكنه ذكر التوجه مباشرة إلى فاس. مجهول: الحلل الموشية، ص107.

وقد وصف ابن خلكان لقاؤه مع الونشريسي بقوله:"وكان محمد (المهدي) قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم الموافقة، وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقها، وكان جميلا فصيحا في لغة العرب وأهل المغرب، فتحدثا يوما في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب فقال محمد لعبد الله :أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس و تظهر من العجز واللكن والحصر و التعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس، لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه، فنصدق فيما نقول، ففعل عبد الله ذلك" [1] وقد ذاع أمر المهدي في تلمسان حتى صار يهابه كل من يراه وعلق على ذلك المراكشي صاحب المعجب بقوله:"ولم يزل مقيما بتلمسان وكل من بها يعظمه من أمير ومأمور"[2] .

بعدها توجه الى مدينة فاس حيث أظهر علمه ووقعة مناظرة وبين الفقهاء المناوئين له [3] وقد ذكر صاحب روض القرطاس أن وصوله إلى فاس كان سنة 514هـ/1120م حيث نزل بمسجد طريانة وأقام يدرس العلم هناك ومنها رحل الى مراكش واتفق معه السلاوي في ذلك[4] .

3-مبايعته بالمهدوية :

وصل المهدي بن تومرت إلى مدينة مراكش[1] حيث قابل أمير المرابطين على بن يوسف وعن ذلك يقول البيذق:"وذلك أنه لما دخل مراكش نزل بها بمسجد صومعة الطوب، فمكث بها إلى يوم

1- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48.

2- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص129-130؛ وقد ذكر البيذق أنه المهدي لما حل بتلمسان هرع الفقهاء إلى المهدي المعصوم ومنهم زيدان ويحي اليرناني ويوسف بن سمغون وعبد العزيز السوسي. فكان المهدي يأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص21.

3-عبد الواحد المراكشي: المصد السابق، ص130؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص23؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ مجهول: الحلل الموشية، ص107 ؛ A.LE CHATELIE : l'islam dans l'afrique occidentale , g.steinheil éditeur , paris , 1899 , p 44 .

4-ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص173؛ السلاوي: المصدر السابق ، ج2 ، ص75 .

الجمعة ثم اقبل إلى جامع على بن يوسف، فوجد عليا بن يوسف قاعدا أعلى غفارة ابن تيزمت والوزراء واقفون فقال: له الوزراء ردَّ الخلافة على الأمير فقال له م و أ ين الأمير؟ إنما أرى جواري منقبات، فلما سمع ذلك علي بن يوسف حط النقاب على وجهه وقال لهم: صدق، فلما رآه المعصوم[2] قال له الخلافة لله وليست لك يا علي بن يوسف" [3] ، وقد اتفقت المصادر التي بين أيدينا أن المهدي بن تومرت أثناء نقاشه مع علي بن يوسف أمير المرابطين كان قد أغلظ له القول على غير ما ألفته الناس من محادثة الملوك و الأمراء [4] ، وكان اللقاء في سنة 515هـ/1121م[5] .

وأثناء مكوثه بمراكش استدعاه أمير المرابطين علي بن يوسف إلى مجلسه حيث دار بينهما نقاش من خلاله ذكر المهدي بن تومرت بالمنكرات والبدع التي حلت بدولة المرابطين [6].

مكث المهدي بن تومرت في مراكش مدة من الزمن ، ثم توجه إلى اغمات أن وايلان حيث يقول البيذق:"اعلم أن المعصوم لما خرج من مراكش الى اغمات أن وايلان[7] نزلنا عند عثمان المعلم

1- ابن خلدون: العبر، ج6، ص303 ؛ السلاوي، ج2 ، ص75؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05، ووصف الزركشي ذلك في ذات الصفحة قائلا " فلحق بمراكش في منتصف ربيع الأول عام خمسة عشر وخمسمائةواقام بها أميرها علي بن يوسف اللمتوني بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه واغلظ له القول"، وقد ذكر البيذق أن المهدي قد حل بمكناس ثم حل بمراكش ؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص52-27 ؛ HENRI BASSET : ibn toumert chef d'tat , actes du congres international d'histoire des religions , paris , octobre 1923 , t2 , p 438 .

2-لاحظنا أن أبو بكر بن علي الصنهاجي دائما يورد لفظ المعصوم وهو دلالة على منتهى وفائه لزعيمه المهدي بن تومرت وإخلاصه له.

3- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27.

4-الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص75؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 303.

5- الزركشي: المصدر السابق، ص05.

6- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 303؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص49؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 196؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص75.

7- اغمات أن وايلان تقع جنوب مراكش وإلى جنوبها اغمات وريكة والاولى أشهر وأكبر بنيتها قبيلة هوارة قبل الإسلام ثم فتحها عقبة بن نافع أو موسى بن النصير على إختلاف الروايات وكانت مركزا لمذهب الخوارج حين ظهوره ببلاد المغرب لكنها سرعان ما عادت إلى الحظيرة السنية. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص29، هامش(1).

فمكثنا عنده ثلاثة أيام...ثم نزلنا اغمات وريكة وذلك يوم الجمعة وكان (المهدي بن تومرت) يقرئ الطلبة بجامع وطاس بن يحي"[1] .

وذكر ابن خلدون أن المهدي دخل اغمات وغيَّر بها المنكرات حيث يقول:"وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه باغمات وغير المناكير على عادته وأغرى به أهلها علي بن يوسف وطيروا إليه بخبره فخرج عنها هو وتلميذه الذين كانوا في صحابته" [2] ، ويتضح من رواية ابن خلدون أن المهدي خرج من اغمات خروج الهارب الفار وليس خروج الهادئ المخير على عكس ما قاله به البيذق حيث أخبرنا أنه"انصرف منها بالسلامة "[3].

بعدها توجه المهدي بن تومرت الى مسقط رأسه بقرية ايجلي فنزل على قومه حيث ابتنى رابطة للعبادة واجتمع عليه الطلبة والقبائل فعلمهم التوحيد [4] وكان ذلك سنة 515هـ/1121م وبدأ أتباعه يتضاعفون في العدد .

شاعت في الجبل تنبؤات مفادها أن قوة جديدة قد نشأت في جبل السوس الأقصى لمناهضة دولة اللمتونيين ومقارعتها مما جعل أحد قضاة علي بن يوسف وهو مالك بن وهيب يحذره من هذا الخطر المتفاقم خاصة و أنه صاحب علم ودين [5] وعلق على ذلك الزركشي بقوله :"وكان قاضي مراكش مالك بن وهيب حذر منه الأمير علي بن يوسف بأنه كان ينظر في النجوم وقال له احتفظ على الدولة من الرجل و اجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك طبلا لأنه ا ظهر صاحب الدرهم المربع

1-نفس المصدر، ص ص29-30.

2-ابن خلدون: العبر ، ج6، ص303.

3 قارن البيذق: المصدر السابق، ص30؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص303.

4- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص51؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص303؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05.
ويفصل البيذق في هذه الرحلة منذ خروجه من أغمات وصولا إلى ايجلي حيث يقول أن المهدي غادر اغمات متوجها إلى ايكولان وجاب عدة قرى إلى أن وصل إلى تينملل ثم نحو ابن ماغوس ثم صودة وجاب قرة أخرى كثيرة حتى وصل إلى ايجلي مسقط رأسه. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص31-32.

5- الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص303-304 ؛ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص 455 .عن ترجمة مالك بن وهيب انظر السملالي : المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 276 – 277 .

فبعث علي بن يوسف الخيل في طلبه ففاتهم وادخل عامل السوس وهو أبو بكر بن محمد الل م توني بعض أهل هرغة في قتله ونذر بهم إخوانهم فنقلوه إلى معقل امتناعهم وقتلوا من دخل في قتله"[1] .

بعد ذلك دخل المهدي المرحلة الأهم في دعوته الناشئة حيث بايعته قبائل المصادمة [2] وقد كانت البيعة يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان سنة 515هـ/1121م [3] وقد علق على ذلك الزركشي بقوله :"ثم دعوا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين(المرابطين) ف بويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشرة فأول من بايعه أصحاب العشرة تحت شجرة خرنوب ثم بايعه من هنتاته ...وجميع قبيلة هرغة...ولما كملت البيعة لقبوه بالمهدي" [4] أما صاحب الحلل الموشية فذكر نفس التاريخ واخبرنا أن المهدي تبعته أمم كثيرة من البربر وقد قام فيهم خطيبا مذكرا إياهم بان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالإمام المهدي الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا،كما ملئت جورا وظلما[5] .

أما ابن أبي زرع فيقول عن ذلك :"فدعا الناس إلى بيعته فكان أول من بايعه أصحابه العشرة المذكورين، وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخمس عشر من شهر رمضان عام515هـ/1121م فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان خرج من المسجد بتينمل مع أصحابه العشرة مقلدين سيوفهم فصعد المنبر وخطب الناس ، وأعلمهم أنه الإمام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا واظهر دعوته على بيعته ، فبايعه كافة

---

[1]–الزركشي:المصدر السابق، ص ص5–6؛ وعلق ابن الأثير على تخوف مالك بن وهيب من من تعاظمدعوة المهدي بقوله:" وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين إن هذا والله لايريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انما يريد إثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فأقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك، فقال إذا لم تقتله فأحبسه وخلده في السجن وإلا أثار شرا لايمكن تلافيه" ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص196.

[2]–البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص34؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص23؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ الزركشي: المصدر السابق، ص06؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص51؛ مجهول: الحلل الموشية، ص107؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص77؛ عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص132.

[3]–الزركشي: المصدر السابق، ص06؛ مجهول: الحلل الموشية، ص107؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176.

[4]– الزركشي: المصدر السابق، ص06؛

[5]– مجهول: الحلل الموشية، ص107.

أهل تينمل[1] ومن جاورهم بها من الناس ،وبقي على ذلك يستجلب القبائل وفرق من يثق بسياسته من تلاميذه في البلاد القاصية و الدانية يدعون إلى بيعته ويثبتون عند الناس إمامته" [2] .

أما ابن خلدون فقد اتفق مع المصادر السالفة الذكر في السنة دون تحديد الشهر و اليوم حيث يقول:"ثم دعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين دونه سنة خمسة عشر وخمسمائة فتقدم إليها رجالتهم من العشرة و غيره ا، وكان فيهم من هنتاته ...ومن تينملل ...هرغة فدخلوا في أمره كلهم ،ثم دخل معهم كدميوة و كنفيسة، ولما اكتملت بيعته لقبوه بالمهدي " [3] أما ابن القطان صاحب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان فيقول بأن بيعة المهدي كانت إما في سنة 514هـ/1120م على قول أو 515 هـ/1121م على قول آخر [4] أما ابن الأثير فيقول بأن المهدي التحق بقبيلة هرغة عام 514هـ/1120م

وقد اقام المهدي نحو سنة وهو يعلمهم ويذكرهم بشرائع الإسلام فبايعوه وسمى أتباعه الموحدين و هو ما يعني أن البيعة قد تكون سنة 515هـ/1121م[5] . وهناك مصادر اخرى ذكرت بيعته لكنها لم تحدد تاريخها أمثال البيذق أو السلاوي [6].

1-ويسميها ياقوت الحومي باسم يتنملل وهي جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر، وبها كان أول خروج محمد بن تومرت المسمى بالمهدي الذي أقام الدولة ومات فصارت لعبد المؤمن بن علي. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص69.

2-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص176-177.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص304.

4-ابن القطان: المصدر السابق، ص123. ثم يفصل ابن القطان في البيعة في الصفحة 124-125 نقلا عن يسع بقوله: " ولما استوثق الامام المهدي رضي الله عنه من قبيلته ومنعه موضعه لأنه مكان لايصل إليه أحد... قصد إلى قرية ايجيليز تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند إجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت ايجيليز قام فيهم خطيبا... لما فرغ الامام المهدي رض الله تعالى عنه من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا فقلت له هذه الصفة لتوجد إلا فيك فأنت المهدي فبايعناه على ذلك والعشرة المذكورون".

5-ابن الأثير: االمصدر السابق، ج9، ص ص198-199.

6-البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص34؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2،ص77.

أما ابن عذارى فيذكر أن تسمية ابن تومرت بالمهدي كانت في 518هـ/1124م ونحن نعرف أن هذا اللقب جاء بعد المبايعة [1] ومن خلال المصادر التي بين أيدينا يمكن القول بـأن مبايعة المهدي كانت سنة 515هـ/1121م على الأرجح وذلك من شهر رمضان .

وتذكر المصادر التاريخية أن أول من بايع المهدي هم أصحابه العشرة وهم : عبد المؤمن بن علي وعمر بن علي ازناق وإسماعيل بن مخلوف وأبوا إبراهيم وإسماعيل بن موسى وأبوا يحي أبو بكر بن تنجيت وأبو عبد الله بن سليمان وعبد الله بن ملويات و أبو حفص عمر بن يحي الهنتائي وأبو محمد عبد الله البشير[2] ، أما صاحب روض القرطاس فيورد بعض التغيير لقوله عن أصحابه العشرة وهم : عبد المؤمن بن علي وعبد الله بن البشر وعمر(ابوحفص)بن يحي و عمر بن علي اصناك وسليمان بن مخلوف، وإبراهيم بن إسماعيل الهزرجي ،وعبد الواحد الحضري ، وموسى بن تمارى، وأبو عثمان بن يخلف ،وأبو يحي بن يجيت[3] .

إلا أن أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق والذي كان مرافقا وملازما للمهدي بن تومرت أورد أكثر من عشرة من أصحابه تخ تلف قليلا عن رواية صاحب الحلل الموشية وقد تكون فقط اختلافات في الكنى و التسميات حيث يعددهم البيذق بقوله: " ثم بعد ذلك رحل الى تينملل فبايعوه بها وذلك تحت شجرة الخروب فأول من بايعه المعصوم الخليفة عبد المؤمن بن علي ثم أبوا إبراهيم ثم بعده عمر اصناك [4] ثم عبد الواحد الشرقي ،ثم عبد الله بن محسن الوانشريسي [5] المكنى بالبشير، وبعده أبو موسى الصودي ، وبعده الفقير المؤلف (أي البيذق صاحب هذا الكتاب)،وبعده أبو محمد

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص68.

[2]- مجهول: الحلل الموشية، ص108.

[3]-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176. وقد وصفهم ابن أبي زرع في ذات الصفحة بأن هؤلاء العشرة هم أصحاب المهدي السابقون إلى دعوته المصدقون بإمامته المنقادون لإمارته المسارعون إلى بيعته.

[4]-يذكره صاحب الحلل الموشية باسم عمر بن علي ازقان. مجهول: الحلل الموشية، ض108؛ لكن البيذق يتفق مع ابن أبي زرع في الاسم مع اسقاط اسم علي. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176.

[5]- يورده ابن خلكان باسم الونشريسي.

وسنار وبعده عبد الله اهلاط ،وبعده اغوال،وبعده يبورك ايم سكين وميمون الصغير وميمون الكبير ويحي المسمع وعبد السلام اغِيِ ومسلم الجناوى ومكرار وملول بن إبراهيم و أولاده" [1] .

ويتضح أن رواية البيذق أن المبايع ين كانوا أكثر من عشرة ولربما ذكر من أصحاب الخمسين الذين بايعوه فيما بعد ، وبعد ذلك بايعه أصحابه الخمسون وسماهم آيت الخمسين [2] ، غير أن ابن القطان يزيد عن ذلك بقوله:"وهؤلاء العشرة المسمون بأهل الجماعة ...وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا فسموا أهل الخمسين ثم تابعهم سبعون رجلا فسموا أهل السبعين، واختص المذكورون بهذا الاختصاص و انعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن تسمع بقية عوامهم منهم وتطيع "[3] .

بايعه بعد ذلك بقية المصامدة و مجموعة من القبائل [4] وعن انتشار دعوة المهدي بن تومرت وتسارع القبائل لمبايعته يقول ابن أ بي زرع :"فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم بها من الناس وبقي على ذلك يستجلب القبائل وفرق من يثق بسياسته من تلاميذه في البلاد القاصية والدانية يدعون إلى بيعته ويثبتون عند الناس إمامته ويزرعون في قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات ويصفونه به من الزهد في الدنيا وإظهار الحق ،فقصد الناس إليه من كل جهة ومكان يبايعونه ويتبركون

---

[1]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص34-35، أما ابن القطان فيذكر أن المبايعين الأوائل كانوا عشرة فقط وهم: " عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير وأبو ابراهيم المزرجي وأبو حفص عمر بن علي الصنهاجي وأبو الربيع سليمان بن الحضري وأبو عمران موسى بن تمار وأبو يحي أبو بكر بن يجيت وأبو عبد الله محمد بن سليمان وأبو حفص عمر بن يحي وكان عاشرهم عبد الله بن ملوية وهؤلاء العشرة هم المسمون بأهل الجماعة" ابن القطان: المصدر السابق، ص ص126-128؛ أما الزركشي فأورد العشرة على النحو التالي: عبد المؤمن بن علي والشيخ أبو عمر علي الصنهاجي والشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي واسماعيل بن مخلوف وابراهيم بن اسماعيل الهرغي واسماعيل بن موسى، وأبو يحي بن مكيث ومحمد بن سليمان وأبو محمد عبد الله بن مالوتات وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المكنى بالبشير. الزركشي: المصدر السابق، ص6.

[2]–ابن خلدون: العبر، ج6، ص304 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص78.

[3]- ابن القطان:المصدر السابق، ص128، ويزيد عن ذلك ابن القطان بقوله عن تلك الزمر التي بايعت المهدي بقوله في ذات الصفحة " وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلونبالعشرة لايحضر معهم غيرهم فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا وفي مادون ذلك لايتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه"

[4]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص304-305؛ الزركشي: المصدر السابق، ص06؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص78.

برؤيته فيأخذ عليهم البيعة ويعلمهم انه المهدي المنتظر حتى علا أمره و قوي سلطانه ،وسمى كل من دخل في طاعته وبايعه وتابعه على طريقته بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري"[1] .

أما صاحب الحلل الموشية فيقول بان مبايعة المهدي تمت من طرف أهل هرغة وتينم لل وهنتاتة وجدميوة وهكسورة وصنهاجة وبايعوه على ما أمرهم به والتزموا نصره [2] ، وعلى أية حال فقد بايعته مجموعة كبيرة من القبائل لتتسع دعوته وتصبح قادرة على مقارعة المرابطين.

وقد تمت البيعة تحت شجرة الخروب [3] في منطقة تينملل [4] بَيْد أن ابن القطان ذكر أن البيعة تمت في ايجيليز ، غير أن محقق هذا الكتاب رجح أن تكون هذه الكلمة مقصود بها الجبلين . [5] وقد وصف لنا ابن القطان حصانة الموقع الذي عقد فيه البيعة بقوله :" ولما استوثق الإمام المهدي رضي الله عنه من قبيلته ومنعه وموضعة ،لأنه كان مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشيها إلا راكب [6] بعد راكب فيفسد خللها اقل عصبه من الناس ولما فيه من التوعر في نفسه قصد إلى قرية ايجيليز تحت ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه ... قام فيهم خطيبا " [7] وقد ألف

[1]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176-177. وعلق على ذلك الزركشي بقوله: " ولما كملت بيعته لقبُوه بالمهدي وكان قبل الامام وانتقل بعد بيعته بثلاث سنين إلى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم حوالي منبع وادي نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا" الزركشي: المصدر السابق، ص06.

[2]– مجهول: الحلل الموشية، ص109.

[3]–البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص34؛ الزركشي: المصدر السابق، ص06.

[4]– مجهول: الحلل الموشية، ص109؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 34؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص132.

[5]– ابن القطان: المصدر السابق، ص124.

[6]–يبدو من خلال وصف المؤرخ ابن القطان لموضع البيعة أنه ابن تومرت كان حريصا على صعوبة وصول أي اطراف أخرى إليه قد تنغص عليه أمر البيعة وبذلك يكون في هذا الموضع أكثر أمانا، وفي رأينا أيضا أن إختيار هذا الموضع كان سببه هو أنه مسقط رأسه وبالتالي يضمن ولاء الناس له ولدعوته الناشئة حديثا.

[7] –ابن القطان: المصدر السابق، ص124. وينقل لنا ابن القطان خطبته في الصفحتين 24 و25 بقوله: " الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء لاراد لأمره ولامعقب لحكمه وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. يبعثه الله إذا انسلخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور مكانه المغرب الأقصى، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء (

المهدي بن تومرت عدة تآليف بالعربية و البربرية ليقرب إليهم المقاصد و يجذب نفوسهم إليه و يستجلب قلوبهم [1].

ثانيا : الصراع المرابطي الموحدي في عهد ابن تومرت .

1-مرحلة المناظرات الفقهية :

بعد عودة المهدي بن تومرت من المشرق وحلوله بمراكش التقى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين ومجموعة من فقهاء المالكية ، فدخل عليه المسجد وهو مع وزرائه وكان علي بن يوسف واضعا اللثام على وجهه فلم يتعرف عليه المهدي بن تومرت إلا بعد نزعه اللثام ، فخاطب الوزراء المهدي بن تومرت وقالوا له رد الخلافة على الأمير [2] بعد ذلك خاطب المهدي بن تومرت أمير المرابطين علي بن يوسف[3] قائلا له: "يا علي قم عن هذه المغيرة تكون إماما عدلا ، ولا تقعد على هذه الغفارة المغيرة فأزالها وأعطاها لمولاها[4] وقال له ما تغيرها؟ قال له لأنها تقعد بالنجابسة،ثم خرج المعصوم(المهدي) إلى باب المسجد ودخل مع الفقهاء بالمذاكرة حتى قهرهم القهر الكلي"[5].

يقصد المرابطين) وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل " وقد أشار ابن أبي زرع إلى أن هذه الخطبة كانت يوم السبت 16 رمضان 515هـ/1121م بمسجد تينملل. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص176.

[1] - عن هذه التصانيف انظر: مجهول: الحلل الموشية، ص ص 109-110؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص132. وقد علق ابن أبي زرع على انقياد أصحابه وأتباعه إليه بقوله: " فإيتهواهم بكيده وغلبهم بعذوبه ولفظه ولسانه ومكره حتى كانوا لايدركون غيره ولايمتثلون أمرا إلا أمره، يستغيثون به في شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ، ويقولون هذا الامام المعلوم والمهدي المعصوم وعلى منابرهم ، فدخل الناس في طاعته أفواجا وإتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ". ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص177.

[2] -والمقصود بها واجبات الخلافة وما صحبها من طقوس وتشريفات ألفها الناس.

[3] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص75.

[4] -أي صاحبها ، ولايزال هذا التعبير متداولا حتى الآن بالمغرب الأقصى .

[5] - البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27.

ذكر لنا صاحب روض القرطاس أن التقاء أمير المرابطين بالمهدي كانت علته أخرى حيث أن المهدي كان يجوب أسواق المدينة وشوارعها ويريق الخمر ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المرابطين أو القضاة أو الأمراء ، فأرسل علي بن يوسف لإحضاره فدار بينهما الحوار الآتي:" فلما مثل بين يديه نظرا إلى تقشفه ورثاثة حاله ، فاستحقره ، وهان عليه أمره، وقال له : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ قال: وما بلغك أيها الأمير ؟ إنما أنا رجل فقير طالب للآخرة ولست بطالب دنيا ولا حاج ة لي بها [1] ، غير أني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أولى من يعرف ذلك ، فإنك المسؤول عنه وقد وجب عليك إحياء السنة وإماتة البدعة وقد ظهرت بملك المنكرات وفشت البدع وقد أمرك الله بتغييرها و إحياء السنة بها.إذ لك القدرة على ذلك[2] ...فلما سمع أمير المرابطين علي بن يوسف من مقالته هابه وأطرق برأسه إلى الأرض مليا يفكر في أمره ومقالته و ينظر إلى حاله ثم رفع رأسه إلى وزرائه فأمرهم بإحضار الفقهاء إلى مناظرته و اختباره "[3] .

أما عبد الواحد المراكشي فأخبرنا أن أمير المرابطين علي بن يوسف التقى مع المهدي بن تومرت ، وحدثت مناظرة بين هذا الأخير و مجموعة فقهاء فتغلب عليهم المهدي فلم يكن فيهم من

---

[1]-وهو ما يتوافق مع ما وجدناه في عديد المصادر التي تحدثت بإسهاب عن ورع المهدي بن تومرت ونسكه متقشفا ومخشوشنا مقبلا على العبادة ، لايصحبه من متاع الدنيا سوى عصى وركوة. وأنه كان شديدا على الناس في كل ما يخالف الشرع ولايقنع في أمر الله بغير اظهاره وكان يتلذذ بذلك . ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص46؛ غير أن ابن أبي زرع يمدحه تارة بقوله أنه عالما فقيها روايا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عارفا بالأصول عالما في الإعتقاد ثم يرجع إلى ذكر صفاته الذميمة تارى أخرى بقوله أنه سفاكا للدماء دفن الناس وهم أحياء لأجل إظهار كرامات زائفة له لكي يصدقه الناس . ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص181.

[2]-واستدل المهدي بن تومرت على ذلك من القرآن الكريم وتلا قوله تعالى" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " سورة المائدة ، الاية 79 ، وقد عثرنا في احد النصوص الادبية القريبة من عصر المهدي بن تومرت حيث تعود الى صاحبها ابي زيد الفازازي الاندلسي (توفي 627 هـ / 1230م) والذي اكد ان المهدي بن تومرت هو مصلح وداعية وهو ما يتماشي مع سيق موضوع بحثنا هذا حيث يقول : ((والرضى على الامام المهدي مبيد المبطلين بعد اشتداد اهوائهم وامتداد مهاويهم ومعيد الحقائق الى اهلها حين احتياج مناياهم واقتراح امالهم ، والدعاء لسادتنا ... المقتفين لسنته الواضحة)) . ابو زيد الفازازي الاندلسي : آثار ابي زيد الفازازي الاندلسي – نصوص آدبية من القرن السابع الهجري جمعها بعض تلاميذه في حياته – ، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط 1 ، دار قتيبة ، بيروت ، 1991 ، ص 136 .

[3]-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174.

يعرف ما يقول إلا رجلا واحدا اسمه مالك بن وهيب [1] ، الذي ألف كتابا مشهورا عن اللئام من العرب في الجاهلية والإسلام [2] وله تصانيف أخرى عن الفلسفة [3] ولما سمع مالك بن وهيب كلام المهدي استشعر حده نفسه وذكاءه وخطره واتساع عباراته فأشار على أمير المرابطين بقتله [4] وقال" هذا رجل مفسد لا تُؤمن غائلته ولا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه و إن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شر كثير"[5].

أما ابن الأثير فقال أن سبب استدعاء أمير المرابطين علي بن يوسف للمهدي بن تومرت هو أن هذا الأخير ضرب دابةً رأى راكبتها كاشفة عن وجهها ، فاستنكر ذلك فلما ضرب الدابة سقطت أخت أمير المرابطين ، لذلك تم استدعاء المهدي إلى أمير الدولة وعلق على ذلك بقوله :" فبينما هو (المهدي) في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة منهن مسفرات...فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن ، وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فأحضره وأحضر الفقهاء ليناظروه"[6].

---

[1]-وهو اشبيلي كان من أهل الفلسفة ظاهر الزهد والورع إستدعاه أمير المرابطين علي بن يوسف إلى محضره مراكش وصار جليسه وأنيسه وفيه قال بعض أعدائه

دولة لإبن تاشفين علي   ظهرت بالكمال من كل عيب

غير أن الشيطان دس إليها   من جناياه مالك بن وهيب.

المقري: المصدر السابق، ج3، ص479.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131. وقد قال ابن خلدون أن مالك بن وهيب كان حزاء ينظر في النجوم (التحزي هو التكهن. ابن منظور: المصدر السابق، ص862، ونقل عنه ذلك السلاوي. ابن خلدون: العبر ، ج6، ص304؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص76).

[3]-قال المراكشي رأيت بام عيني كتاب بخطه هو الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة(الفلك) وعليه حواش بتقييده. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131.

[4]- غير أن ابن خلدون لم يشر إلى قضية القتل وإكتفى بالقول: " إحتفظوا بالدولة من الرجل فإنه صاحب القرآن". ابن خلدون: العبر ، ج6، ص304.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131.

[6]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص198؛ ويتفق معه ابن خلدون في هذه الرواية. ابن خلدون: العبر، ج6، ص303.

من خلال المصادر التي بين أيدينا و التي تكلمت عن أول لقاء بين علي بن يوسف والمهدي يتضح لنا مدى الشجاعة الأدبية لدى المهدي والتي تجعله في موضع العا لم المتفقه المتيقن ذو العقل الراجح ، كما تكشف لنا عن مدى تواضع أمير المرابطين علي بن يوسف وحكمته وتوقيره واحترامه للفقهاء ، وتعكس أيضا مدى تقبله للآخر والتزام آداب الحوار البناء معه ويدل كذلك على مدى تدين علي بن يوسف الذي أخبرتنا بعض المصادر أنه رق قلبه وبكى من موعظته المهدي بن تومرت له[1].

تم عقد مناظرة أخرى حيث استدعى أمير المرابطين الفقهاء من كل حدب وصوب وكانت الغلبة للمهدي بن تومرت [2] ، ولما رأى الفقهاء من قوة المهدي وتغلبه عليهم قالوا لأمير المرابطين "هذا رجل خارجي مسعور أحمق ، صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس وإن بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها وينشر ذلك عن الناس حتى يرسخ ذلك في قلوب أكثر العامة"[3] .

لقد أشار مالك بن وهيب على أمير المرابطين بقتله إلا أن ورعه وتقواه منعاه من ذلك[4] ، ثم أشار عليه بسجنه[5] ، حيث علق على ذلك البيذق بقوله:"فقال الفقيه ابن وهيب لعلي بن يوسف

---

[1]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص50 ؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص76.

[2]- وصف البيذق ذلك بقوله "ودخل مع الفقهاء بالمذاكرة حتى قهرهم القهر الكلي". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص27.

[3]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175.وقد وصف ابن أبي زرع حالة الفقهاء في هذه المناظرة بقوله في ذات الصفحة " فبهرهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم وعجزوا عن جوابه، ولم يفهموا له معنى خطابه، فلما رأوا باهر علمه وإصابة معرفته أخذتهم فضيحة العجز، وركنوا إلى ظلمة الجحد والإنكار".

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131.

[5]-البيذق: المصدر السابق ، ص28 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص131؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ ابن خلكان: المصدر السابق،ج5، ص50؛ السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص76. وعلق على ذلك السلاوي في ذات الصفحة بقوله: " فلما سمع الملك (علي بن يوسف) كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء...فقال له وزيره يقبح بك أن تبكي من موعظة رجل ثم تسيء إليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لايملك سد جوعته".

ثقفه يا أمير المرابطين لأن هذا هو صاحب الدرهم المركن واجعل عليه كبلا (أغلالا) كي لا تسمع له طبلا"[1] ، فأمر أمير المرابطين علي بن يوسف أبا بكر بن تيزمت [2] أن يحمله إلى السجن.

قام ينتيان بن عمر وسيرين وربيل وقالا له:"يا أمير المسلمين ماذا يقال عنك في البلاد وأنت تسجن رجلا يعرف الله وهو اعرف أهل الأرض بالله ؟ فغضب أمير المرابطين علي بن يوسف وخرج عنهم ، فقام ينتيان بن عمر وحمله إلى داره ، ورجع هذا الأخير إلى أمير المرابطين معاتبا إياه على سجن عالم من علماء المسلمين"[3] ، فقال له علي بن يوسف يا عمر لقد اخبرني الفقهاء إن خراب دولتنا يكون على يديه ، فرد عمر على أمير المرابطين قائلا له:"يا أمير إن كان خراب دولتنا على يديه فقد خرجت قبل رؤيتنا إياه، ثم قال علي بن يوسف لعمر :مره أن يخرج من بلادنا [4] .

يبدو أن أمير المرابطين علي بن يوسف قد استشعر خطر المهدي بن تومرت خاصة بعد أن اتهمته بالتقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [5] وكذلك عقيدة التوحيد [6] ، التي جاء بها

1- البيذق: المصدر السابق ، ص27.

2- وعند سقوط مراكش بيد الموحدين حمل أبو بكر بن تيزمت إلى أميرها عبد المؤمن بن علي فقال له لماذا تقتلني قال لأنك يوما من الأيام أردت أن تحمل المهدي بن تومرت إلى السجن وثم قتله سنة 541هـ/1146م. ابن عذاري: المصدر السابق، ج5(قسم الموحدين) ص29.

3- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص28.

4- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص196؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص28؛ الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر- قسم دولة بني أيوب-، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، منشورات المعهد الألماني للآثار ، القاهرة، 1972؛ ص23 ؛ أما ابن أبي زرع فإكتفى بالقول أن علي بن يوسف أمر المهدي من الخروج من مراكش. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175؛ غير أن ابن خلدون أخبرنا أن علي بن يوسف طلب المهدي مرة اخرى ففقده وهذا دليل على رحيله من مراكش. ابن خلدون: العبر، ج6، ص304.

5- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص157؛ رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص54.

6- وهي المعروفة بالعقيدة التومرتية وتقوم على 4 أركان أولها التوحيد حيث تكلم عن التوحيد في القرآن الكريم والتوحيد وفق ما جاء به عقيدة المهدي ، وقد أورد دلائل على وحدانية الله عزوجل وعارض الاشاعرة القائلين بالضفات الأزلية لله عزوجل وإتفق معهم في قضية رؤية الله عزوجل يوم القيامة ، أما الركن الثاني فيتطرق إلى نظرية الإله والنبوة حيث تطرق إلى خلود الله وكماله وقدرته وحكمه ، وتطرق أيضا إلى نظرة النبوة حيث يتفق المهدي مع أهل السنة في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما الركن الثالث فهو القضاء والقدر حيث خالف المعتزلة القائلين بأن الإنسان هو خالق أفعاله دون تدخل الله عزوجل في ذلك ، أما الركن الرابع فهو وجوبالإتقاد بالإمامة حيث تطرق إلى مصطلح المهدوية عند السنة والشيعة وتناول عصمة الامام التي هي واجبه

المهدي بن تومرت لم تكن لتتوافق مع أراء فقهاء المالكية الذي ناظروا المهدي لذلك صار خروج المهدي من مراكش أمرا ضروريا تفاديا لأي ضرر قد يلحق به وبدعوته. فخرج المهدي فبنى خيمة بإحدى المقابر وقعد بها وعن ذلك يقول ابن أبي زرع:" فخرج منها فبنى خيمة بالجبانة (مقبرة) [1] بين القبور بقرب المدينة وقعد بها.فكان يأتيه بعض الطلبة فيقر أون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع و اجتمع عليه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس وامتلأت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيما ... واخذ يطعن على المرابطين ويقول:هم كفرة مجسمون وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالى واحد في ملكه اوجب من غزو الروم والمجوس ، وتابعه على ذلك ما يزيد على ألف وخمسمائة ، فرفع خبره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف وعرف أنه يطعن في دولته ويكفرهم وأنه قد كثر أتباعه على مذهبه"[2].

أرسل إليه أمير المرابطين طالبا منه الخروج من مراكش [3] وقال له ألم أنهك عن بلادي فأخبره المهدي أنه في مقبرة الموتى وليس بالمدينة [4] ، فلا تسمع أقوال المظلين فأغلظ له أمير المرابطين القول وتوعده بالنكال وهم بالقبض عليه ، فعصمه الله منه، وأمره بالانصراف[5].

أما ابن خلكان فأكد أن المهدي هو من أشار على أصحابه بالخروج عن مراكش التي لم تعد آمنة حيث قال لهم:" لا مقام لكم هنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن أن يعاود الملك

عنده ، وبذلك فهو يتقاطع مع الشيعة في هذه الجزئية ، كما تطرق إلى ظهور المهدي وواجبات المسلمين نحوه وأهم الدوافع الموجبة للإيمان بالمهدي وطاعته. للإستزادة حول عقيدة المهدي انظر مؤلفه. المهدي بن تومرت: اعز ما يطلب ، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1997، ص211ومابعدها هنا وهناك؛ وعن حركة التغيير الموحدية التي جاء بها المهدي بن تومرت(المضامين والمنهج) انظر: عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص ص 79-109.

[1]- سماها البيذق جبانة ابن حيدوس. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص28.

[2] -ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175.

[3]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص28؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175.

[4]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص29.

[5]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص175-176؛ غير أن البيذق قال أن ينتيان بن عمر جاء إلى المهدي وطلب منه الرحيل وقال له: " سر حيث شئت وأمرك لله ولاتجعلنا نهلك على يديك" وأقبل المهدي على أصحابه طالبا منهم الرحيل في الغد. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص29.

في أمرنا فينالنا منه مكروه وإن لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا "واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم من فقهاء المصامدة [1] وهو نفس ما قال به السلاوي صاحب الاستقصا [2] الذي نصحهم بأن تينملل هي أحصن المواقع أهم وعليهم بالسير إليها[3] ليتوجه المهدي بعد ذلك إلى مسقط رأسه حيث تمت له البيعة [4] ومن هناك بدأ يحشد أنصاره وأتباعه استعدادا للمرحلة التالية من فصول الصراع بين المهدي ودولة المرابطين الذي أخذ منحى خطيرا وهو الصراع المسلح.

2-حروب المهدي مع دولة المرابطين :

انتشرت دعوة المهدي بين المصامدة وأطاعوه وصاروا تحت إمرته [5] حينها تأكد علي بن يوسف أمير المرابطين أنه ارتكب خطأ جسيما بإطلاقه على حريته لنشر دعوته وأفكاره[6] ، وقد كان أول نِزالٍ عسكريٍّ بين المهدي بن تومرت و دولة المرابطين يعرف بغزوة تاودزت وكان يقود جيش المرابطين بنتيان بن عمر وعلق على ذلك البيذق بقوله "اعلم أن أول غزوة غزاها المعصوم غزاة يقال

---

[1]- ابن خلكان : المصدر السابق، ج5، ص ص50-51.

[2]- السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص77.

[3]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص30؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج5، ص51؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص77.

[4]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص34؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 123؛ الزركشي: المصدر السابق، ص34؛ ابن خلكان : المصدر السابق، ج5، ص51؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص ص196-197. حيث علق ابن الأثير أن أهل المصامدة من تلك النواحي وفدوا عليه هم وأعيانهم فجعل يعظهم ويذكرهم و ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص ص196-197. حيث علق ابن الأثير أن أهل المصامدة من تلك النواحي وفدوا عليه هم وأعيانهم فجعل يعظهم ويذكرهم ويحذرهم من المرابطين بل ويؤلبهم عليهم إستعدادا لقتالهم.

[5]- وعلق على ذلك عبد الواحد المراكشي بقوله: " ولم تزل طاعة المصامدة لإبن تومرت تكثر وفتنتهم به تشتد وتعظيمهم له يتأكد، إلى أن بلغوا في ذلك حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو إبنه لبادر إلى دلك من غير إبطاء. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135؛ أما ابن أبي زرع فوصف ذلك الإنقياد بقوله:" حتى كانوا لايدركون غيره ولايمتلثون أمرا إلا أمره، يستغيثون به في شدائدهم ويتبركون بذكره على موائدهم". ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص177.

[6]- حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص101؛ رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص69 ؛ عبد العزيز شاكي : ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،2013 ، الجزائر ، عدد 20 ، ص 156 .

لها تاودزت وكان جمع المعصوم مع الحشم وكان قائدهم بنتيان بن عمر فلما تصففت الصفوف نظر الناس للمعصوم ثم نظر المعصوم فيهم فقال لا تفزعوا فإنهم هاربون،وكذلك كان فعلهم إنما كان هروبا"[1] .

أما ابن أبي زرع فقال أن أول غزوة كانت في 06 شعبان 516هـ/1122م وقد كانت مغايرة لما روى البيذق حيث قال ابن أبي زرع أن جيوش الموحدين بلغت 10الاف رجل بقيادة البشير توجهوا إلى اغمات فسمع بهم أمير المرابطين فبعث إليهم جيشا بقيادة الأحول كلثوم فانهزم المرابطون و قتل الأحوال وفر المرابطون حتى وصلوا مراكش ثم حاصرها الموحد ون أياما لكنهم انفضوا بعد أن تكاثرت جيوش لمتونة[2] ، غير ان ابن القطان قال إن والي السوس أرسل جيشا بقيادة علي بن تابشا اللمتوني فغزا بني وارتانك وقبض على مائة رجل منهم فأرسلوا إلى صاحب السوس الذي سجنهم وبعد ذلك انطلقت هذه القوة المرابطية نحو الموحدين فدارت بينهما حروب انهزم فيها المرابطون وغنم الموحدون[3].

---

[1] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص35.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص177.

[3] –ووصف ابن القطان أولى الغزوات بقوله: " وهناك وقائع كانت في أول أمره... منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر بن وربيل في جملة من الانجاد... فقبضوا على مائة رجل منهم... ثم مشت الحصة التي فعلت هذا من اللمتونيين ليضربوا على الملت آن ورغن(أي هرغة) حيث كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه قبل هذا... فخرجت كمائن عليهم واشتد حربهم وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم وقتل أكثرهم وقتل من هرغة نحو خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرغة، فجمعوا غنائمهم وطلعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين". ابن القطان : المصدر السابق، ص ص129–130.

وبعدها وقعت المعركة الثانية حيث سمع ابن تومرت أن جيش المرابطين أ تى لقتالهم بقيادة سليمان بن يكلد وابن أبي فراس وعبد الرحمان قاضي السوس ،فتجهّز الموحد ون لقتالهم بقيادة ابن تومرت و انتصروا على المرابطين [1].

وصف البيذق هذه المنازلة بقوله " لما بلغه (أي المهدي) أن جيش المجسمين أتاه يقدمهم سليمان بن يلكد وابن أبي فراس و....قال لنا المعصوم لا تجزعوا فإنكم تقبلون منهم الهدية ، فقلنا يا سيدنا وكيف يهدي لنا أعداؤنا ؟ قال لنا :الرعب الذي يرمي الله في قلوبهم ويردهم فلما وصلوا أمرنا المعصوم أن نخرج إليهم ونكثر من ذكر الله وقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلما التقى الجمعان كبّر المعصوم فيهم وقال لنا الله ينصركم عليهم ثم قبض قبضة من تراب ورماها في وجوههم فانهزموا وتركوا الخيل والبغال والذخر والسلاح وانقلبوا خاسرين "[2] .

أما ابن الأثير فيذكر لنا تفاصل هذه المعركة بقوله إن المهدي بن تومرت لما سمع بقدوم المرابطين جهز جيشا وأرسلهم لمقاتلتهم عند الجبل [3] ثم بشرهم المهدي بالنصر وكان ذلك فعلا حيث انهزم المرابطين وولوا أدبارهم [4] ، أما ابن القطان فاخبرنا بأن المهدي كان متحصنا مع أصحابه في ايجليز فلما جاءهم عسكر المرابطين خرج المهدي وجيشه فوعظهم وأمرهم بالقتال وكان إذا جاءه

1- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص35؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص197؛ مجهول : الحلل الموشية ، ص112؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص 131.

2- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص35.

3- أورده صاحب الحلل الموشية باسم جبل كيك. مجهول : الحلل الموشية ، ص112.

4- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص197. وكان وصفه للمعركة بقوله : " فإنتهى خبره (المهدي) إلى أمير المسلمين (علي بن يوسف) فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم إليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه... فقال المهدي اشيروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا أسلابهم وقوى ظنهم في صدق المهدي".

جريح من أصحابه رغبة في الشهادة ويقول لأصحابه لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم فيعظموا في أعينكم فنزل أصحاب المهدي من الجبل وقاتلوا المرابطين حتى هزموهم واستولوا على أسلابهم [1].

بعد هذا النصر عظُم أمر المهدي بن تومرت وجاءته القبائل من كل جهة تبايعه[2] ، فدخلت قبيلة هنتاتة [3] في طاعته واطمأن إليهم [4] ، وبدا أمره بالتعاظم كل يوم ثم كتب إلى عدة قبائل منها جزولة ولمطة وهنكيسة ودرع ة وصنهاجة القبلة ، وجميع من جاوره يدعوهم إلى دخول طاعته والانضمام إليه لمحاربة المرابطين [5] ، بعدها جاء معركة رابعة اخبرنا بها البيذق وسماها معركة "تالات آن ميزك " حيث انتصر فيها الموحدون[6].

دارت معركة رابعة بين المرابطين والموحدين وكانت هنتاتة مع الموحدين [7] ،إضافة إلى انضمام عدة قبائل أخرى للموحدين مثل هرغة ومكسالة وسجتانة واهل تينملل [8] ، وقد وصف البيذق مجريات المعركة وصفادقيقا بقوله :"اعلم يا أخي أن سيدنا المعصوم لما أراد الله أن يخرجه للغزو وخرج لموضع يقال الله له"تيزي آن ما سئت" وكان يقدُم جيش الزراجنة (المرابطين) رجلان يقال لأحدهما

---

[1]– ابن القطان : المصدر السابق، ص131. وقد وصف ابن القطان ذلك النصر للموحدين بقوله في ذات الصفحة : " فإنهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم وأتى القوم على جميع أموالهم وإستحوذوا عليها وقد كانوا لا درع لهم ولاعدة. ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى عنه في أعين الموحدين...فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه حتى يأمرهم ، وشاع ذكر الهزيمة في جميع البلاد فهيب أمره".

[2]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص197؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص131، وعلق ابن القطان على توافد القبائل إلى مبايعة المهدي بعد هذا النصر بقوله: " فهيب أمره وكثر المهاجرون إليه ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه وأقاموا يفاتن بعظهم بعضا ومصامدة الفحص مع المجسمين وعلي بن يوسف".

[3]– هنتاتة اسم يطلق على مجموعة من القبائل تقطن الأطلس الكبير في عصر الموحدين بين جبلي كيك وتينملل، لكن هذا الاسم إندثر منذ عهد دولة الاشراف السعديين وكان لهذه القبيلة دور في حروب الموحدين من المرابطين وإليها ينسب أنصار المهدي بن تومرت وكبيرهم أبو حفص الهنتاتي. محمد سليمان الطيب: المرجع السابق، ص1058.

[4]– ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص197.

[5]–ابن القطان : المصدر السابق، ص132.

[6]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص35.

[7]– ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص197؛ رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص71.

[8]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص37؛ رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص71.

يانتو وللثاني أكري بن موسى فوصل لنا الخبر فأمرنا المعصوم بالخروج فلما اجتمعنا معهم ، اخذ علما أبيضا فدفعه للخليفة الإمام عبد المؤمن بن علي واخرج معه كدميوة [1] وأخذ علما ثانيا أصفر فدفعه لأبي إبراهيم وقدمه على هرغة و أخذ علما ثالثا احمرا ودفعه لعبد الله بن ملوية وقدمه على أهل تينملل ، ثم اخذ علما خامسا لعمر آينتي وتقدم لهنتاتة ثم سائر القبائل على هذا الترتيب ، ثم قال لا تهبطوا للوطاء [2] واتركوهم ليصعدوا إليكم ففعلنا ذلك فقال خذوهم على بركة الله فهزمناهم بإذن الله و الله مع الصابرين" [3].

بعد ذلك جاءت الغزوة الخامسة بين المرابطين والموحدين حيث أمر أمير المرابطين علي بن يوسف جيوشه لمهاجمة الموحدين فلما بلغ الخبر إلى مسامع المهدي بن تومرت استنفر قواه وبلغ قبيلة هنتاتة ودارت بينهما معركة انتهت بانتصار الموحدين [4] ، و وصف ابن القطان هذه الو قيعة بقوله:"واتصلت الأنباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن أنضاف إليهم من بني واوزجيت (من افخاذ تينملل) وغيرهم يتبعونهم فتربصوا بتادرارت (إحدى مدن السوس) حتى اجتمعوا بهم فكانت بينهم وقيعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لأوليائه الموحدين أعزهم الله تعالى وهزموهم وقتلوا جميعهم ومات في تلك الوقيعة العمران [5] ، وعمر بن ديان ووصل الموحدين أعزهم الله تعالى إلى

---

[1] – كدميوة إحدى بطون صنهاجة تسكن جنوب غرب مراكش. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص36، هامش(3).

[2] –أي لاصعود فيها ولاإنخفاض. ابن منظور: المصدر السابق، ص 4864.

[3] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص36-37.

[4] – ابن القطان : المصدر السابق، ص137؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص37. ووصف البيذق هذه المعركة في نفس الصفحة بقوله: " اعلم يا أخي أن الله تعالى لما أراد غزوة "أنسا آن يماديدن" قدر الحق سبحانه أن أزعج عمر بن ديان من مراكش ثم وصل إلى أنس (موضع المعركة) بجيش كبير ، فبلغ الخبر المعصوم ، فلما بلغه ذلك. قال سيروا إليهم على بركة الله فلما إلتقى العين بالعين، قاتلناهم قتالا شديدا وقاتلوا كذلك حتى سقط فيها المعصوم ورد عليه كثير من الناس حتى قام وإنهزم المجسمون بفضل الله ورحمته وصلى الله على محمد وآله".

[5] – لم يهتد محقق الكتاب ولانحن لهذان العمران اللذان ذكرهما ابن القطان ، حتى البيذق نفسه لم يشر إليهما.

آنسا [1] ، والتقوا مع الحشم هناك واستشهد من الموحدين أعزهم الله من كتبت عليه الشهادة وجاز الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل درن "[2] .

ثم جاءت المعركة السادسة التي دارت بين الموحدين والمرابطين والتي دار فيها القتال على أشده حتى ركن الفريقان إلى الراحة وسماها البيذق غزوة تيفنوت حيث قدم المرابط ون بقيادة أبو بكر وخرج من ورائهم الموحدون حتى إذا وصلوا إليهم أمرهم المهدي بن تومرت قائلا لهم خذوهم على بركة الله فدار بينهم قتال شديد فلما رأوا ما لا يطيقون افترق الجمعان دون هزيمة أو انتصار لأي من الفريقين [3] .

بعد ذلك جاءت الغزوة السابعة والتي كانت الغلبة فيها للموحدين [4] ، ثم جاء الغزوة الثامنة والتي استولى فيها الموحدون على مدينة تزاكورت [5] ، واسروا من المرابطين ما سماهم المهدي بن تومرت عبيد المخزن. [6] ثم جاءت المعركة التاسعة التي لم تسفر على منهزم ومنتصر حسب رواية البيذق [7] .

من خلال تتبعنا لمختلف المعارك التي دارت رحاها بين المرابطين والموحدين لاحظنا أن الانتصار في غالبه كان للمهدي بن تومرت وأتباعه .بعد ذلك قرر المهدي بن تومرت التوجه إلى مدينة

---

[1]- ويسميها البيذق آنسا آن يماديدن .

[2]- ابن القطان : المصدر السابق، ص ص 137-138.

[3]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص37-38.

[4]- ويخبرنا البيذق عن تفاصيلها بقوله أنهم أخرجوا إلى موضع يقال له آزليم فدارت هناك معركة حامية الوطيس بين الموحدين والمرابطين حتى شج فيها رأس المعصوم فأوصله أصحابه إلى بيته ورجعوا إلى القتال بمن فيهم البيذق نفسه حيث إنتصر الموحدون على المرابطين مدة أخرى ثم رجعوا إلى ديارهم فوعظهم المهدي من جديد وخطب فيهم وحثهم على قتال المرابطين. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص38.

[5]- يرجح محقق الكتاب أنها قد تكون المدينة المعروفة اليوم باسم زاكورة من إقليم ورزازات بالمغرب الاقصى .

[6]- البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص38.

[7]- وفيها ذكر البيذق بأن المرابطين لقبوا الموحدين بالخوارج فلما بلغ ذلك المهدي قال سبقونا بالقبيح ثم تلا قوله تعالى: " فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ " سورة البقرة ، الآية 194 ، وبعدها قال لهم المهدي سموا المرابطين بالمجسمين وبعدها إشتدت المعركة ليفترق الفريقان فيما بعد.البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ص 38-39.

تينملل[1] ، حيث بني داره ومسجده [2] وقد برّر صاحب الحلل الموشية عودة المهدي إلى تينملل بقوله "وأما المهدي توجه إلى تينملل لما رأى من منعتها وحصانه موضعها ... وأدار على المدينة سورا أحاط بها من كل جانب وبنى على رأس الجبل سورا وافرد في قمته حصنا يكتشف على ما وراء الجبل ، ولا يعلم مدينة أحصن من تينملل لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها "[3] .

بعد ذلك قاتل المهدي كل من تخلف عن الانضمام إليه وبيعته من المصامدة حتى صار الكل يتبعه[4] ، وقبل حصار مراكش أقدم على استنصال كل المعارضين له وهو ما يعرف بالتمييز[5] حتى يتأكد من أتباعه ويتخلص من مناوئيه[6] ونقل لنا ذلك البيذق بقوله:" ثم أقام أياما عدة فأكرم الله المهدي بدعوة البشير (البشير الونشريسى) فأمر بالميْز فكان البشير يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب[7] ، ورأى الناس الحق عيانا وازداد الذين آمنوا إيمانا وذاق

---

[1]- ابن القطان : المصدر السابق، ص140؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص39؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص113؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص304؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص78.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص78؛ أما ابن القطان فإكتفى بالقول أنه إستوطن تينملل. ابن القطان : المصدر السابق، ص139.

[3]- مجهول: الحلل الموشية ، ص ص112-113؛ وهو ما قال به ابن القطان. ابن القطان : المصدر السابق، ص140.

[4]- ابن القطان : المصدر السابق، ص141؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص78.

[5]- أي تمييز الناس بمعرفة أهل ثقة المهدي بن تومرت وأهل معارضته وعلق على ذلك ابن الأثير بقوله: " سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز وسمعت منهم من يقول أن ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد في أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم : إنكم لايصح لكم دين ولايقوى إلا بالإمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخراج المفسد من بينكم فأبحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فأنهوهم عن ذلك فإن إنتهوا وإلا فأكتبوا اسماءهم وارفعوا إلي لأنظر في أمرهم ... وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز". ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199 .

[6]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص39؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص304؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص141؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص80؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص103 ؛ محمد المغراوي : الموحدون وازمات المجتمع ، ط 1 ، مؤسسة جذور للنشر ، الرباط ، 2006 ، ص 19 .

[7]- وكان ممن قتلوا الفقيه الإفريقي الذي كان من أصحاب العشرة الذي أشار إليهم ابن القطان . ابن القطان : المصدر السابق، ص142.

الظالمون النار " [1] أما من بقي من أصحاب المهدي وأهل دعوته فقد آخى بينهم ليكونوا يدا واحدة ضد أعدائهم المرابطين[2].

3-حصار الموحدين لمراكش :

استفحلت دعوة المهدي بن تومرت وكثر أتباعه وتكررت انتصاراته على دولة المرابطين وكتب رسالة إلى أتباعه الموحدين يدعوهم فيها إلى القدوم إلى تينملل حيث كانوا في أتم الاستعداد وقوة الإمداد[3] وأعد جيشا عظيما [4] من المصامدة معظمهم من أهل تينملل مع من أنضاف إليهم من أهل السوس وقال لهم :" اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين فأدعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم مالهم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم"[5].

لكن هذه المرة لم يكن المهدي بن تومرت ليسافر مع هذه الجيوش لحصار مراكش [6] وارجع ذلك صاحب الحلل الموشية إلى مرض قد أصابه[7] ، حيث أمَّر المهدي على هذا الجيش كل من عبد المؤمن بن علي ومحمد البشير[8] ، وقد كانت قوات الموحدين زهاء الأربعين ألف فرسانا و راجلين أما

1- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص39.

2- ابن القطان : المصدر السابق، ص141.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص305؛ مجهول: الحلل الموشية، ص114؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ ابن القطان : المصدر السابق، ص156 ؛ عبد العزيز شاكي : ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين ، ص 159 .

4- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ص52؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص80.

5- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135.

6- مجهول: الحلل الموشية، ص114؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص52.

7- مجهول: الحلل الموشية، ص114.

8- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ مجهول: الحلل الموشية، ص114؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص52؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص80.

جيش المرابطين فقد بلغ المائة ألف حسب تقديرات صاحب الحلل الموشية[1] بينما قدر ابن خلكان والسلاوى قوات الموحدين بعشرة الآلاف فقط [2] ، وكان المهدي بن تومرت قد خطب في أصحابه ليعلمهم بأن أميرهم الجديد هو عبد المؤمن بن علي حيث قال لهم :"أنتم المؤمنون وهذا أميركم فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم إمرة المؤمنين"[3] .

نزلت جيوش الموحدين لمحاصرة مراكش وكان ذلك سنة 524هـ/1130م[4] غير أن عبد الواحد المراكشي يجعل ذلك سنة 517هـ/1123م [5] وهو تاريخ فيه شيء من البعد عن الحقيقة حسب اعتقادنا [6] ، وقبل التوجه إلى موقعة البحيرة نقل لنا البيذق-منفردا بذلك- إن جيوش الموحدين توجهت إلى موضع يسمى تاغزوت ثم إلى مكان يسمى "مشرا كماربيران تغرذايين" حيث قتل فيه عمر بن يملوك [7] وبعدها توجهت قوات الموحدين إلى منطقة تسمى البحيرة [8] ،لذلك

---

[1]- مجهول: الحلل الموشية، ص114. بينما وصف صاحب المعجب جيش المرابطين بالضخم. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135. وإكتفى الزركشي بتقدير قوات الموحدين بأربعين ألفا. الزركشي: المصدر السابق، ص07.

[2]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص52 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص80.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135.

[4]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص41؛ الزركشي: المصدر السابق، ص07؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135.

[6]- وذلك لأن المصادر المعاصرة للمهدي بن تومرت أو التي لازمته كالبيذق تورد تاريخ524هـ/1130م ضف إلى ذلك أن وفاة المهدي بن تومرت كانت وراء هذا الحصار بقليل، وكل المصادر المعاصرة للمهدي أو التي جاءت بعده ذكرت أن وفاته كانت سنة 524هـ/1130م وهذا ما يجعلنا نطعن في صحة التاريخ الذي أورده عبد الواحد المراكشي، بل أن عبد الواحد المراكشي نفسه يعترف بموت المهدي سنة 524هـ وذلك في الصفحة 137.

[7]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص39.

[8]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص135؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص39؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص7.

تعرف هذه الوقعة بوقعة البحيرة [1] ، ومكثت هناك جيوش الموحدين ما يربو عن 40 يوما [2] ،ثم توجهت إلى مراكش.

يصف لنا البيذق الذي كان حاضرا في هذه المعركة ذلك بقوله :"فلما كان بعد أربعين يوما أقبلت العساكر نحو مراكش ودخل أبو بكر بن الجوهر لعسكر هكسورة ودخل البلد و دخل يحي قال بن ساقطن بعسكر صنهاجة ،فدخل المدينة فأقبل ياسين بن فيلو بعسكره واقبل بعسكر الغرب ودخل مراكش ونزل بجانبها في البحيرة فق يل له أدخل فقال:لا ، فلما أصبح الصباح قاتلناهم قتالا شديدا وكان معنا أهل "أيلان" عن بكرة أبيهم وهزمونا بالعشي ونجا الموحدون، ومات من مات وافترق الناس، وجاز الخليفة مع طلبة أغمات على هيلانة فأصبح لنا الصباح بموضع يقال له أيمي ن الزات [3] فطلعنا... حتى وصلنا لدرن وهزرجة يسبوننا ، فلم نزل كذلك حتى وصلنا تيفنوت فأقبل على الخليفة الرضا عبد المؤمن بن علي وقال لي يا أبا بكر أسرع بنا نحو المعصوم فأسرعت (أي البيذق) حتى وصلت المعصوم فأعلمته "[4] .

أما صاحب الحلل الموشية فيصف لنا هذه الموقعة بقوله :"وحاصروا مراكش مدة أربعين يوما فتوالت الحروب واشتعلت نارها كل يوم في قتال وهزائم وأعراس للطيور وولائم ...وخلال الحصار كان رجل من رؤساء الثغور بالأندلس يعرف بعبد الله بن همشك ...كان بداخل مراكش مع أهل البلد ، وهي محصورة (محاصرة) ...فقال يوما لأمير المسلمين علي بن يوسف ما لغير إلا بالمقام تحت الحصار ، فضحك أمير المسلمين من قوله وحمله على السلامة والأنفة ...وخرج ابن همشك بمن تجمع له من

---

[1] – وتعرف كذلك ببحيرة الرقائق أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش حيث توجد اليوم بها حدائق اكدال الحالية، وبها جرت وقعة البحيرة التي كانت يوم السبت12 أفريل 1130م الموافق لـ 02 جمادى الأولى 524هـ . البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص40، هامش(1) ؛ كما أوردها ابن القطان باسم بحيرة الرقائق وقال بأنها أمام باب الدباغين وباب إيلان. ابن القطان: المصدر السابق، ص159.

[2] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص 40؛ الزركشي: المصدر السابق، ص07؛ مجهول: الحلل الموشية، ص114.

[3] – وتعرف بفم الزات وأما اسمها بالشلحية(لهجة معروفة بالمغرب الأقصى) فهو " ايمي ن ازات ". البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص40، هامش(2).

[4] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص40.

أصحابه من الأندلس لقتال الموحدين فتشوف على أحوالهم (أي أطلع عليهما) ، وكيفية قتالهم فرأى لهم عوالي كثيرة في الطول ، فعند ذلك أشار على أصحابه أن يقصروا رماحهم وأن يردوها من ستة أذرع وبرز إليهم أول النهار فما انتصف حتى أدخل البلد منهم ثلاثمائة رأس ، ولما دخل بالرؤوس نشط الناس بمراكش وساروا بذلك إلى أمير المسلمين ، فأمر في الحين بخروج العسكر و قدم عليه الشيخ "أبا محمد بن وانو دين " فالتقوا لقاء ثبت الله فيه أقدام المرابطين وهزم الموحدين وسائر المصامدة ، و قتل منهم في ذلك اليوم أزيد من أربعين ألف ولم يسلم منهم إلا نحو أربعمائة ما بين فارس و راجل"[1].

لقد اتفقت المصادر التي بين أيدينا على أن الموحدون انهزموا بعد حصارهم لمراكش شر هزيمة[2] ، غير أن ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس لم يتطرق إلى الهزيمة بتاتا مكتفيا بالقول أن الموحدين بعد حصارهم مراكش رحلوا إلى تينملل حيث التقوا مع زعيمهم المهدي بن تومرت الذي رحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم [3].

وصف ابن القطان هذه هزيمة الموحدين بقوله :"فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق فاستشهد من استشهد من الموحدين وإنحاز بلقيهم إلى التم نُّع بداخل البحيرة "

---

[1]– مجهول: الحلل الموشية، ص116ومابعدها. ويبدو أن ابن همشك كان له دور في هذا الإنتصار فقد كانت له خبرة في قتال الروم في الأندلس حيث ذكر صاحب الحلل الموشية في الصفحة 115 أن هذا القائد كانت له جماعة من الفرسان الشجعان في الأندلس تتميز بالخفة وسرعة القتال فطلب من أمير المسلمين علي بن يوسف أن يخرج ومعه300 فارس ففعل ذلك وأثبت جدارته.

[2]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص40؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص305؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص161؛ الزركشي:المصدر السابق، ص07؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص200؛ مجهول: الحلل الموشية، ص116؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص136؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص81.

[3]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179. وعلق عن ذلك في ذات الصفحة بقوله: " واتصلت الهزيمة إلى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم فحاصروهم بها ثلاثة أيام ثم إرتحلوا عنها إلى تينملل... فلما رجع الموحدون إلى تينملل خرج المهدي إلى لقائهم فسلم عليهم ورحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم".

[1]، أما صاحب الحلل الموشية فوصف ذلك بقوله:"وابتعهم المرابطون من حاضرة مراكش إلى أغمات فامنعوا القتل فيه م ولم ينجُ منهم إلا اليسير" [2] ، أما ابن خلكان فوصف هذه الهزيمة على الموحدين بقوله:"فنزل القوم لحصار مراكش (يقصد الموحدين) وأقاموا عليها شهرا ، ثم كُسروا كسرة شنيعة ، وهرب من سلم من القتل" [3] .

كان من ضمن الموتى في هذه المعركة البشير الونشر يسى الذي كان من أصحاب العشرة [4] أما عبد المؤمن بن على فقد نجا من الموت [5] وكانت هذه النجاة قد أسرَّت كثيرا المهدي حيث علق على ذلك ابن القطان بقوله :" وكان سيدنا الخليفة قد وجه رقاصا (حامل البريد) للإمام المهدي رضا الله تعالى عنهما بالخبر فوصل إليه ، فاستجلاه واعلمه بالحقيقة فقال له :عاش أبو محمد عبد المؤمن ، قال نعم ، قال له كأنه لم يمت أحد و البركة في بقائه ولأنكم بالفتح "[6].

أما البيذق فعلق على فرحة المهدي بنجاة عبد المؤمن بقوله :"فأسرعت حتى وصلت المعصوم فأعلمته ، فقال لي : عبد المؤمن في الحياة ؟ قلت نعم ، قال لي : الحمد لله رب العالمين ، قد بقي أمركم " [7] ، أما عبد الواحد المراكش فعلق على ذلك بقوله "ونجا عبد المؤمن في نفر من أصحابه

---

[1]- ابن القطان: المصدر السابق، ص160. وقد نقل لنا ابن القطان في الصفحة الموالية أن علي بن يوسف تعجب لما رأى الموحدين يصلون صلاة الخوف جمعا للظهر والعصر وقال: إن هذا لعجب غلبوا فصلوا وغلبناهم فعطلناها، ما أظن هؤلاء إلا على حق.

[2]- مجهول: الحلل الموشية، ص116.

[3]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53.

[4] - مجهول: الحلل الموشية، ص116؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص305؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53 ؛ الزركشي:المصدر السابق، ص07؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص161؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص200 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص81.

[5]-ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص179؛ ابن خلدون: العبر ، ج6، ص305؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص40؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص200؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص163؛ الزركشي:المصدر السابق، ص07؛ مجهول: الحلل الموشية، ص116؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص81.

[6]- ابن القطان: المصدر السابق، ص163.

[7]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص40.

فلما جاء الخبر لابن تومرت قال :أليس قد نجا عبد المؤمن ؟ فقالوا :نعم ، قال لم يفقد أحد " [1] ، أما صاحب الحلل الموشية فقال " فقال لهم (المهدي) اسلم عبد المؤمن قالوا :نعم ، قال منذ عاش عبد المؤمن بقي الأمر " [2] ، ويبدو من خلال هاته المصادر أن نجاة عبد المؤمن بن علي كانت تشكل حجز الزاوية لاستمرار دعوة الموحدين .

لما رجع الموحدون إلى ابن تومرت و هو في مقامه بالجبل ، جعل يهوّن عليهم أمر الهزيمة و يذكرهم بأن قتلاهم شهداء لأنهم ماتوا مدافعين عن السنة فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم وحصرها على لقاء عدوهم [3] ،وقد ذكر ابن أبي زرع أن المهدي بعد هذه الهزيمة أبلغ أصحابه بأنه سيموت في هذه السنة فبكوا لذلك وأسفوا [4] ، ثم بدأ المرض يشتد بالمهدي بن تومرت وقرُبت نهايته [5] وعلق على ذلك صاحب الحلل الموشية قائلا "وبعد ذلك اشتد المرض بالمهدي و خرج من داره ليودع أصحابه و جمع الناس ليسمعوا كلامه ويشهدوا وداعه فقال لهم: إن صاحبكم راحل عنكم فبكى الناس وودعوه ، ثم دخل داره واتصل به المرض إلى أن توفي " [6].

وقد ذكر ابن القطان أن هذا الوداع للناس كان بعد العصر وأوصاهم بالصلاة في أوقاتها و بقي يعظهم إلى المغرب فاتصل به الألم [7] وقد رأى المهدي في منامه أنه سوف يموت وأنه يحاوره رجل يقف ببابه ودار بينهما حوار بالأشعار ، غير أن البيذق ذكر هذه الأشعار دون الإشارة إلى

1- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص136.

2- مجهول: الحلل الموشية، ص116.

3- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص136؛ أما ابن الأثير فذكر أن المهدي وعظ أصحابه وشكرهم على صبرهم. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص200.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179.

5- مجهول: الحلل الموشية، ص117؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص41؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص167؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص201.

6- مجهول: الحلل الموشية، ص117

7- ابن القطان: المصدر السابق، ص167.

الحلم [1] ، وقد مات المهدي بن تومرت في سنة 524هـ/1130م وقد اتفق أغلب المؤرخين على السنة والشهر واختلفوا على اليوم [2] .

أخفى أصحاب المهدي بن تومرت خبر وفاته ولم يخبروا بذلك أحدا حتى تمت مبايعة عبد المؤمن بن علي [3] ودُفن في الجبل وقبره هناك مشهور يزار. [4] وبعد وفاة المهدي بن تومرت تدخل

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص179-180؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص ص 42-43.
وقال هذا الرجل للمهدي:

كأني بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله

فأجاب المهدي قائلا:

كذلك أمور الناس يبلى جديدها وكل فتى حقا ستبا محاسنه(خصائله عند البيذق)

فأجاب الرجل:

تزود من الدنيا فإنك راحل وانك مسؤول فيما أنت قائله

فأجاب المهدي:

أقول بأن الله ق شهدته وذلك مقال لاتحصى فضائله(تخفى فضائله عند البيذق)

فأجاب الرجل:

فخذ عدة الميت إنك ميت وقد أزف الأمر الذي أنت نازله

فأجاب المهدي:

متى ذاك خبرني هديت فإنني سأفعل ما قد قلته وأعالجه

فأجاب الرجل:

بقيت ثلاثا بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر فما أنت كامله

ثم أخبرنا البيذق أن المهدي مات بعد ذلك ستة أيام، أما صاحب روض القرطاس فقد قال أنه لبث 28 ليلة ثم مات.

[2]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص42؛ مجهول: الحلل الموشية، ص117؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص180؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص167؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53؛ الزركشي:المصدر السابق، ص07؛ مجهول: مفاخر البربر، ص207؛ ابن قنفذ: المصدر السابق، ص273؛ غير أن ابن خلدون يجعل وفاته سنة 522هـ/1128م. ابن خلدون: العبر، ج6، ص305؛ داوود عبيدات : المرجع السابق ، ص 38 ؛
ATALLAH DHINA : les états de l'occident musulman aux 13 , 14 et 15 siècles , office des publications universitaires , Alger , 1984 , p : 31 ; J.F.P HOPKINS **:the encyclopaedia of islam , vol 3 , p:959 .**

[3]- مجهول: الحلل الموشية، ص117؛ وقد ذكر يوسف أشباخ أن المهدي ربما يكون مات سنة 524هـ/1130م أو ربما يكون عاش بعد هذا التاريخ حيث أن أصحابه أوهموا الناس بموته. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص203-204.

[4]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53.



دولة المرابطين مرحلة جديدة في حربها مع عبد المؤمن بن علي الذي تمكن من القضاء على المتونيين و التمكين للموحدين [1].

ثالثا : حروب المرابطين مع عبد المؤمن بن علي .

1-نسب عبد المؤمن ومبايعته :

اتفق المؤرخون القدامى أن المهدي بن تومرت لم يفتح شيئا من البلاد والمدائن أو يملكها [2] وإنما رتَّب الأمور ومهد القواعد ووطدها[3] لعبد المؤمن بن علي الذي إنتقلت فيه الدعوة الموحدية من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة التي وحَّدت المغرب والأندلس ، وإستطاعت فرملة حركة الإسترداد المسيحي.فيا ترى من هو عبد المؤمن بن علي ؟وما هي حيثيات صراعه مع دولة المرابطين ؟وكيف إستطاع أن يقوض وجودها ويساهم في أفول نجمها؟

أورد البيذق نسب عبد المؤمن بن علي على الشكل التالي:"هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن الحسن بن كنونة بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب رضي الهر عنه" [4] ، أما صاحب الحلل الموشية فأورد نسبه على هذا النحو : هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبو موسى بن عبد الله بن يحي بن ورزايغ بن صطفور بن ينور بن مطماط بن خزرج بن قيس بن عيلان بن مضر " ، وبهذا نجد شيئا من الإختلاف بين روايتي البيذق وصاحب الحلل

[1] – عبد العزيز شاكي : ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين ، ص 162 .

[2] – لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 2009، ص136.

[3] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص55.

[4] – البيذق: كتاب الأنساب، ص13.

الموشية حيث أن هذا الأخير كان اكثر تفصيلا ، أما عبد الواحد المراكشي فإكتفى بالقول عن نسبه أنه عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي [1] وعبد المؤمن ليس من المصامدة وإنما هو من كومية[2] .

ولد عبد المؤمن حسب المصادر التاريخية سنة 487هـ/1094م [3] أما وفاته فكانت سنة 558هـ/1163م[4] ، وكنيته هي أبو محمد [5] ولقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين [6] وُلد بقرية تاجرا قرب تلمسان [7] كان عدد أولاده ستة عشر ولدا [8] وكان أبوه صانعا للفخار وصار عبد المؤمن مثل والده في ذلك وقد أجمعت المصادر على أنه أبيض جميل تعلوه حمرة معتدل القامة أسود الشعر، جهوري الصوت ، فصيحا عذب المنطق، لا يراه أحد إلا أحبه وكان ملكا عادلا سايسا

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص173؛ أما ابن خلكان فأورد نسبه بقوله أنه محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص237.

[2]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص183؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص89، ويذكر السلاوي في ذات الصفحة أن كومية يعرفون قديما بصطفورة وهي بطن من بطون فاتن بن تامصيت بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الأبتر، فهم بنو عم زناتة يجتمعون في ضرى بن زجيك ، غير أن بعض المؤرخين– حسب رأي السلاوي– يرفعون نسب عبد المؤمن إلى قيس عيلان بن مضر وهو ضعيف.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص139؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص366، أما ابن خلكان فرجح أن تكون ولادته سنة 500هـ/ أو 490هـ . ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص239 ؛ RACHID BOUROUIBA : op , cit , p 9 .

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص139، ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت ، 1986، ج6، ص305؛ ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص154. وقد علق على وفاته ابن صاحب الصلاة بقوله: " ولم يزل الألم والوجع يشتد به وهو يذكر الله تعالى... فلما كانت ليلة الجمعة خلع محمد عن العهد وولى أمير المسلمين أبو يعقوب رضي الله عنه ... وحمل أمير المؤمنين إلى مدينة تينملل ودفن بجانب قبر المهدي"؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص375؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص205.

[5]– مجهول: الحلل الموشية، ص142.

[6]– نفس المصدر، ص142؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص366.

[7]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص16؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص183؛ رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص64 ؛ عادل نويهض : معجم اعلام الجزائر – من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر – ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980 ، ص 218 .

[8]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص139؛ أما صاحب الحلل الموشية فيقول بأن عدد أولاده نحو السبعين. مجهول: الحلل الموشية، ص142.

عظيم الهيبة عالي الهمة محاسنه كثيرة [1] وكان المهدي بن تومرت كلما يرى عبد المؤمن بن علي ينشد قائلا:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط

فالسن ضاحكة والكف مانحة و الصدر منشرح والوجه منبسط[2]

وكان المهدي بن تومرت قد إلتقى أول مرة بعبد المؤمن بن علي وهو راجع من الرحلة العلمية من المشرق إلى المغرب [3] ومنذ ذلك الحين لازمه حتى وفاته [4] ،وبعد وفاة المهدي بن تومرت تمت مبايعة عبد المؤمن بن علي مبايعة خاصة حيث بايعه أصحاب العشرة وأخفوا موته [5] إلا أن بعض المؤرخين يقرون بوجود خلافات قُبيل البيعة حيث أن أصحاب العشرة كل واحد منهم كان توّاقاً لخلافة المهدي بن تومرت وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها وأن لا يلي عليها أحد من غيرها ، فتنافسوا في ذلك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتآمروا بينهم وخافوا النفاق وأن تفسد كلمتهم ويتفرق جمعهم ليستقر أخيرا رأيهم على تقديم عبد المؤمن بن علي للخلافة درء للفتنة وما رأوا من محبة المهدي بن تومرت له [6] ، خاصة وأن عبد المؤمن بن علي كان قد أبلى البلاء الحسن أثناء مرافقته للمهدي بن تومرت في حروبه وكان هو المنقذ عند المحنة وهو الظافر دائما

---

[1]– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص367. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص237. ابن عماد الحنبلي: المصدر السابق، ج6، ص305.

[2]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص140؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص238؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص184؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص90.

[3]– البيذق: أخببار المهدي بن تومرت، ص13؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173؛ الزركشي: المصدر السابق، ص05، ابن خلدون: العبر، ج6، ص303؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص196؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص368.

[4]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص14؛ وقد نقل لنا المقري أن عبد المؤمن بن علي كان مكرما عند المهدي. المقري: المصدر السابق، ج2، ص27.

[5]– مجهول: الحلل الموشية، ص143؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص184؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص90.

[6]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص184؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص305؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص91.

كلما تولى قيادة الجيش. كل هذه الأوصاف جعلته مؤهلا للزعامة بعد وفاة المهدي بن تومرت، حيث أجمع الحاضرون في الحال على إختياره زعيما للموحدين ولقبوه بالخليفة وأمير المؤمنين[1].

غير أن بعض المؤرخين قالوا أن المهدي لما توفي أخفى موته عن الناس وبقي هذا الخبر طي الكتمان مدة ثلاث سنوات ولم يعلم به إلا عبد المؤمن وأصحابه العشرة. وبقوا هم يدبرون الأمر [2] ، وقد علق على ذلك إبن خلدون بقوله:"وكتموا موته، زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه، ويقيمون سنته في الصلاة والحزب الراتب، يدخل أصحابه إلى البيت كأنه اختصهم بع ئاهته، فيجلسون حوالي قبره ويتفاوضون في شؤونهم بمحضر أخته زينب ثم يخرجون لإنفاذ ما أبرموه ويتولاه عبد المؤمن بتلقينهم حتى إذا إستحكم أمرهم وتكمنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم"[3] غير أن ابن الأثير أخبرنا أن المهدي بن تومرت أوصى أصحابه بإتباع عبد المؤمن بن علي وتقديمه وتسليم الأمر إليه والانقياد له وسماه أمير المؤمنين ثم مات[4] .

وقد نقل لنا ابن أبي زرع أن عبد المؤمن بن علي قد ربَّى شبل أسد وطائر ودربهما كما أراد حتى صار الأسد أنيسا له وعلم الطائر النطق باللسان العربي حتى صار يقول: النصر والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المسلمين ، فلما إنتهى من ذلك امر أشئاخ الموحدين أن يحضروا مجلسا له ثم أعلمهم بموت المهدي بن تومرت وقال لهم اختاروا من يكون خليفة بعده ونصحهم بالوحدة وعدم التفرق والتنازع حينئذ نطق الطائر بلسان فصيح قائلا النصر والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير

---

[1]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص204.

[2]- ابن القطان: المصدر السابق، ص170؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص368؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص184؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص306؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص91. مجهول: الحلل الموشية، ص117، ويوافقهم الطرح المؤرخ الألماني يوسف أشباخ الذي يزيد على ذلك فرضية أخرى تتمثل في أن المهدي ربما يكون قد عاش بعد تاريخ 524هـ وأوهم أصحابه الناس بموته. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص 303-304.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص305-306. أما ابن أبي زرع فقال عن ذلك نقلا عن ابن صاحب الصلاة " المهدي الموحدي لما توفي أخفى موته ولم يعلم به أحد إلا عبد المؤمن وأصحابه العشرة ، فبقي موته مكتوما ثلاث سنين وهم يدبرون الأمر وذلك بسياسة ظاهرة من عبد المؤمن في ذلك الوقت" ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص184.

[4]- ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص200.

المسلمين ثم جاء الأسد فزأر وكشر عن أنيابه فهرب الناس إلا عبد المؤمن حيث جلس إلى جانبه، فلما رأى الموحدون ذلك اتفقوا على تقديم عبد المؤمن خليفة عليهم [1] .

وقد تمت البيعة لعبد المؤمن بن علي، وعنها يقول البيذق :" وتوفي رضي الله عنه (المهدي) يوم الأربعاء وقيل يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة وبويع الخليفة يوم السبت الأقرب من هذا التاريخ " [2] أما ابن القطان فقال أن البيعة تمت سرا بعد وفاة المهدي بن تومرت حيث اجتمع عبد المؤمن وأصحابه مع أخته التي أخفت الخبر عن زوجها وبايعوا عبد المؤمن سرا[3] .

أما ابن أبي زرع فيقول عن البيعة " وكانت بيعة عبد المؤمن يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمائة وهي البيعة الخاصة بايعه العشرة أصحاب المهدي أما بيعته العامة فكانت يوم الجمعة الموفى عشرين لربيع الأول سنة ست وعشرين وخمسمائة (526هـ/1132م) بعد وفاة المهدي بسنتين بجامع تينملل بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور" [4] غير أن صاحب كتاب مفاخر البربر قال بالبيعة يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان عام 524هـ/1130م[5].

أما صاحب الحلل الموشية فيقتصر على ذكر السنة حيث يقول : "ولما كمل اجماعهم في تقديمه سنة أربع وعشرين وخمسمائة(524هـ/1130م) وبايعه أهل الخمسين وسائر الموحدين تشاور

---

[1] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص184–185. ويذكر ذات المؤرخ في الصفحة 185 أن الموحدون لما رأوا ذلك قالوا: " ما على هذا من مزيد وليس أحد أولى بخلافة الإمام المهدي من عبد المؤمن الذي ظهرت له هذه الكرامات، يدعو له الطائر ويبصبص بين يديه الأسد. وسيتخلفه الإمام للصلاة وهي أصل الإسلام فنقده نحن للخلافة... فبايعوه وتمت له البيعة".

[2] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص43.

[3] – ابن القطان: المصدر السابق، ص170.

[4] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص185.

[5] – مجهول: مفاخر البربر، ص208.

معهم على أي جهة ت كون حركته " [1] أما الزركشي فقد قال عن البيعة أنها تمت سنة 524هـ/1130م[2] ، غير ان ابن خلدون انفرد بتاريخ مغاير وقال بأن بيعة المهدي كانت سنة 525هـ/1131م على إعتبار أنه قال بأنها تمت بعد وفاته بثلاث سنين وأن موته كان سنة522هـ/1128.[3]

من خلال ما سبق تبين أن مبايعة عبد المؤمن بالخلافة كانت محل خلاف بين المؤرخين فمنهم من قال بأنها كانت سنة 524هـ/1130م على غرار صاحب مفاخر البربر والبيذق وابن القطان وصاحب الحلل الموشية والزركشي ويدعمهم من المؤرخين المحدثين يوسف اشباخ [4] وهناك فريق قال ببيعته سنة 525هـ/1131م على غرار ابن خلدون مستندا إلى وفاته التي قال أنهاسنة522هـ/1128م[5] ، أما الفريق الثالث أمثال ابن أبي زرع و السلاوي فقالا بأن بيعته الخاصة كانت سنة 524هـ/1130م وبيعته العامة كانت سنة 526هـ/1132م[6].

---

[1] - مجهول: الحلل الموشية، ص143.

[2] - الزركشي: المصدر السابق، ص7. وعنها يقول : " فبويع(عبد المؤمن) وملك كثيرا من بلاد المغرب وقام بأمر الموحدين".

[3] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص305. وعن ذلك يعلق ابن خلدون في الصفحتين 305و306 بقوله: " لما هلك المهدي سنة إثنتين وعشرين وخمسمائة... عهد بأمره من بعده بكبير صحابته عبد المؤمن بن علي الكومي... فقبره بمسجد لصق داره من تينملل ، وخشي أصحابه من إفتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المؤمن بن علي لكونه من غير جلدتهم، فأرجأوا الأمر إلى أن تخالط بشاش الدعوة قلوبهم وكتموا موته زعموا ثلاث سنين يوهمون بمرضه...حتى إذا إستحكم أمرهم وتمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع... فأظهروا للناس موت المهدي وعهد لصاحبه وإنقياد بقية أصحابه لذلك".

[4] - البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص43؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص170؛ مجهول: الحلل الموشية، ص143؛ مجهول: مفاخر البربر، ص208؛ الزركشي: المصدر السابق، ص7؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص204.

[5] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص306.

[6] - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص185؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص92.

2-حروب عبد المؤمن مع علي بن يوسف :

بعد بيعة عبد المؤمن بن علي بالخلافة رأ ى أن يمكن لسلطانة بمباشرة الأعمال الحربية [1] وقد كانت أول حروب الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي مع المرابطين قد دارت عند مدينة تادلى [2] وكان ذلك في عام 526هـ/1132م حيث توجهت جيوش الموحدين من تينملل إلى تادلى وهو ما قال به ابن خلدون [3] ،أما صاحب روض القرطاس فقد قال بأن أول حروب عبد المؤمن بن علي ضد المرابطين كانت في شوال عام 526هـ/1132م حيث توجهت جيوش الموحدين من معقلها في تينملل إلى تادلى ودار القتال هناك أياما [4] ونجد إتفاقا نسبيا بين ابن أبي زرع وكذا ابن خلدون وابن القطان القائل بأن أول معارك الموحدين توجهت نحو تادلى غير أنها قبل ذلك كانت قد توجهت إلى تاسغيموت[5] وذلك سنة 526هـ/1132م[6].

1- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص206.

2- تادلى من بلاد المغرب وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار الأولين بنى فيها الملثمون حصنا منيعا صار معموراوفيه أسواق وجامع، وهذه المدينة كثيرة الخيرات والأرزاق وفيها قال الشاعر :

يا إبن السبيل إذا مررت بتادلى — لاتنزلن على بني غفجوم

قوم طووا طنب السماحة بينهم — لكنهم نشروا لواء اللوم

ياليتني من غيرهم ولو أنني — من أهل فاس من بني الملجوم.

الحميري: الروض المعطار، ص ص127-128.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص306. غير أن ابن خلدون يجعل تاريخها سنة 524هـ/1130م أي بعد البيعة بعامين لأن ابن خلدون جعل البيعة في 522هـ/1128م وقد فصلنا في ذلك آنفا.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص186، ويختلف معه ابن الأثير في السنة حيث جعلنا سنة 1134/528هـ. ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص201.

5- ذكر هذه الغزوة البيذق لكن دون تحديد تاريخها وقال عنها " كسرنا فيها ميمون بن ياسين وأتينا بأبوابها وغنائمها وركبت أبوابها على تينملل وهي المعروفة بباب الفخارين ثم أقمنا أياما". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص45.

6- ابن القطان: المصدر السابق، ص223.

أما البيذق فقال بأن أول غزوات عبد المؤمن بن علي هي التي دارت مع المرابطين بقيادة تاشفين بن علي ومعه الشنيور[1] غير أن الجيشان إفترقا ورجعت جيوش الموحدين إلى تينملل [2] وقد غزا عبد المؤمن مدينة درعة [3] وذلك في سنة 526هـ/1132م[4] وقد قدر ابن أبي زرع القوات التي هاجمت تادلا ثم درعة بحوالي الثلاثين ألف مقاتل حيث تمكن أخيرا من فتح درعة وضمها لسلطان الموحدين[5] .

توجهت قوات الموحدين إلى حصن تازاجورت حيث قتلوا واليها المسمى يحي بن مريم الزرجاني فضربت عنقه وكانت خسارة المرابطين فيها ما يربو عن العشرين ألف قتيل على رواية ابن القطان [6] وقد كانت قوات المرابطين المدافعة عن الحن بقيادة بدر بن ولكوط[7] وقد تم سبي زوجة الوالي المذكور آنفا واسمها ميمونة بنت ينتيان بن عمران[8].

1- الشنيور كلمة إسبانية معناها السيد وربما يكون الشنيور هذا إسبانيا يعمل ضمن الجيش المرابطي كقائد. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص45، هامش(2).

2- نفس المصدر، ص45.

3 - درعة بالمغرب من جهة سجلماسة وتعرف بواديها الذي ينبع من جبل درن وعليه عنائر متصلة وهي مدينة عامرة بها جامع واسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة . الحميري : الروض المعطار ، ص235 ؛ وقد وصف ابي عبد الله القيسي (الملقب بابن مليح) وادي درعة واهله بقوله : ((ياله من واد ما احسنه ، ومنزل خصب ما اطيبه ، وسكانه رقاق القلوب وغيوث الجدوب ، محبون لمن ينتسب لعلام الغيوب ، كرام السجايا رحاب العطايا)) . ابو عبد الله القيسي : انس الساري والسارب من اقطار المغارب الى منتهى الامال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب ، تحقيق : محمد الفاسي ، اصدارات وزارة الثقافة والتعليم الاصلي ، المملكة المغربية : ، 1968 ، ص 26 .

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص223؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص186؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص306.

5- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص186.

6- ابن القطان: المصدر السابق، ص224؛ وربما هذه هي الغزوة التي أوردها البيذق باسم " تيزغور" حيث قال البيذق أن الموحدين مكثوا هناك نحو 60 يوما حتى إستنفذوا الغنائم ثم دارت حرب مع المرابطين كانت الغلبة لهم أولا وللموحدين آخرا وبعد ذلك توجهت قوات الموحدين إلى تينملل وقوات المرابطين إلى مراكش. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص46-47.

7- حمدي ع المنعم: المرجع السابق، ص112.

8- ابن القطان: المصدر السابق، ص224.



وفي ذات العام 526 هـ/1132م مضى عبد المؤمن بقواته وفتح حصن هزرجة حيث اقتحمه وأحرقه وقتل من أهله ثم دخل مدينة جشجال وأحرق وقتل من فيها ثم توجه بعدها إلى بلاد أجلاحال من غجدامة.[1] ولما عاد عبد المؤمن بن علي إلى تينملل وجد فتنة قد نشبت وكادت تشق صفوف الموحدين[2] وفي ذات السنة انظم أحد القادة المرابطين واسمه الفلاكي الأندلسي وكان من قطاع الطرق ثم تاب وأحسن إليه أمير المرابطين علي بن يوسف وبعد ذلك فسدت علاقته مع المرابطين فآثر أن ينضم إلى الموحدين وفتح لهم حصونا في بلاد السوس[3] .

وفي سنة 528هـ/1133م غزا إبراهيم بن يوسف بن تاشفين [4] ضد الموحدين حيث قتل وانهزم المرابطون[5] وتم افتتاح مدينة تارودانت وهي أعظم معاقل المرابطين في بلاد السوس حيث فرت بقايا جيوش المرابطين (حوالي 400 فارس) بقيادة القائد المعروف باسم الروبوتير [6] ويحدد ابن القطان السنة الموالية لذلك وهي سنة 529هـ/1135م حيث علق ابن القطان على ذلك بقوله:"

1- نفس المصدر، ص ص225-226. وقد ذكر ابن القطان أن القتلى من أهل هذه المنطقة قد بلغ نحو 300 رجل والسبب هو أن أهل هذا المكان قتلوا أحد أصحاب المهدي وزوجته يوم عيد الأضحى واسمه أبو محمد عطية.

2- وقد كانت هذه الفتنة مردها إلى أن عبد الله بن يعلي الزناتي الشهير بابن ملوية كان من أصحاب العشرة لكنه عارض خلافة عبد المؤمن لذلك إغتنم غياب عبد المؤمن بجيشه وسار إلى مراكش ليتفق مع أميرها علي بن يوسف على مهاجمة تينملل معقل الموحدين فأمره غلي بن يوسف على قوة من المرابطين وقد أراد ابن ملوية أن ضم قبيلة كنفيسة غير أن أحد زعمائها (عبد الله بن وسيدرن) إستطاع أن يقنع قبيلته بالعدول عن ذلك والوقوف إلى جنب الموحدين ثم أرسلوا رجلا يسمى أبو سعيد يخلف ومعه غلامه حتى تمكنوا من قتل ابن ملوية وحملوا جثته إلى تينملل وتم إخماد الفتنة في مهدها ولما عاد عبد المؤمن شكر أهل قبيلة كنفيسة وقسم عليهم الغنائم. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص226.

3- ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 223-224؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص227؛ حمدي ع المنعم: المرجع السابق، ص114.

4- ويسميه ابن القطان باسم ابراهيم بن يوسف الزرجاني.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص234.

6- ويعرف بالأجبية باسم REVERTER ويكنى كذلك بالعلج الأعرج وكان هذا القائد في البداية نصرانيا ثم أسره المرابطون ونقل إلى مراكش عند علي بن يوسف فأسلم وأخلص الخدمة له فعينه على قيادة الجيش ورئيس فرقة الجند النصراني المرتزق وقد أبلى بلاء حسنا في الدفاع مع المرابطين ضد الموحدين وكان مقتله سنة 539هـ/1144م. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص47، هامش(2)؛ ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص193، هامش(2)؛ ويسميه ابن عذاري الربرتير ويفصل في قتله مع أكثر أصحابه. للإستزادة أنظر، ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص ص20-21.

وذلك أن فيها فتح السوس... من أوله إلى آخره ومن فوقه إلى أسفله فقتل أهله وانجل ى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق مما حواليه من هنكيسة وجزولة وبعضهم قد انحصر مع الملثمين... فكان آخر هزائمهم"[1].

وفي نفس السنة سار عبد المؤمن إلى بني ييغز[2] لأنهم قتلوا أحد أصحاب المهدي[3] فلما نزل الموحدون هناك حزم أهل ييغز الحطب على ظهر الجمال وأضرموا فيها النار ليلا وأطلقوا الجمال في المحلة ففر الناس وأراد هؤلاء الوصول إلى خيمة عبد المؤمن لقتله لكنهم لم يجدوه فسلم من القتل[4] .

في سنة 530هـ/1136م كانت وقعة مصكروطن بين الموحدين بقيادة عبد المؤمن والمرابطين بقيادة سير بن علي وانتهت بهزيمة المرابطين [5] ،وقد وصف لنا ابن القطان مجريات هذه المعركة بقوله:"إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل عام أحد وثلاثين (يقصد 530هـ) إلى أجر فرجان ومصكروطن، وخرج المجسم سير بن علي ... وسيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالمال يطاول في حروبه فإذا رأى ضالته وثب عليها وثوب الليث على الفريسة فإلتقوا على مصكروطن فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين شيء عظيم"[1] .

1- ابن القطان: المصدر السابق، ص237. وقد علق في ذات الصفحة على هروب الروبوتير بقوله: " ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى إستدراجا ومكرا فقام المخذول العلج الأعرج (الروبوتير)... فإقتحم بنفسه في طريق ليغيران تطوف في حال غفلة من الموحدين ... حتى جاز عليهم ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين فإتبعهم الموحدون حتى ولوا إلى بلاد السوس".

2- ويسميها صاحب روض القرطاس بلاد تيغز. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص186.

3- واسمه أبو محمد عبد العزيز الغيغائي. ابن القطان: المصدر السابق، ص239؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص229.

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص239. وقد أبلغنا ابن القطان أن عبد المؤمن بن علي أخذ إحتياطاته منذ ليلتين خلتا من الحادثة حيث غير موضع إقامته وأخفى موضع مبيته، عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص229 ؛ حمدي ع المنعم : المرجع السابق، ص116.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص249 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص229.

وفي سنة 531هـ/1137م لم نجد من غزوات تذكر حيث علق على ذلك ابن القطان بقوله:" لا أدري ما كان فيها (اي سنة 531هـ/1137م) من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غير أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال وأمره في غاية الاستفحال"[2] .

في سنة 532هـ/1138م اشتبكت قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي مع قوات المرابطين بقيادة سير بن علي مدعومة من قبيلة زناتة التي يقودها يحي بن فانو حيث وقع القتال قرب جبل غياثة[3] إلا أن أحد شيوخ زناتة [4] انقلب على المرابطين وإنضم إلى الموحدين حيث وقعت الهزيمة على زناتة[5] .

في سنة 533هـ/1139م دارت معركة بين الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي والمرابطين بقيادة تاشفين بن علي وكان ذلك في بلدة تسمى منانة حيث زحف تاشفين رفقة الروبوتير بعسكرهما ودام القتال شهر وثلاثة أيام وكان النصر حليف الموحدين [6] وقد ذكر لنا ابن عذارى تفاصيل هذه المعركة وأخبرنا بأن العسكرين التقيا قرب بني ملول ببلد منانة فكانت بينهما محاربة عظيمة انجلت

1- ابن القطان: المصدر السابق، ص249.

2- نفس المصدر ، ص251.

3- ذكر ابن أبي زرع فتح الموحدين لبلاد غياثة دون تحديد الكيفية أو التاريخ. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص186.

4- يسمى زيرى بن ماخوخ. ابن القطان: المصدر السابق، ص254.

5- وكان زيرى بن ماخوخ قد إنفصل عن الزناتيين ولحق بخدمه الموحدين وفي ذات الوقت خادع المرابطين بتظاهره بحسن خدمتهم، وبعده أمره عبد المؤمن بن علي بالهجوم على الزناتيين التي قدرت قواتهم بخمسة آلاف فارس وألحقت بهم الهزيمة. نفس المصدر، ص253 وما بعدها؛ حمدي ع المنعم: المرجع السابق، ص117.

6- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص96 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص263.

بهزيمة تاشفين فاتبعه عبد المؤمن إلى منطقة تسمى ايمى تانورت[1] وعموما كان النصر لصالح الموحدين في هذه الجولة[2] .

وفي سنة 534هـ/1140م خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة لقتال الموحدين وقد انضم إليه الروبوتير[3] وجيشه واستمرت المعارك قرابة الشهرين كاملين ووقعت المعركة الأخيرة بينهما في شوال لذات السنة وقتل فيها الكثير من العسكرين وعاودت قوات المرابطين الرجوع إلى مقرها في مراكش [4] أما قوات الموحدين فقد رجعت هي الأخرى إلى مقرها في تينملل[5] .

وفي سنة 535هـ/1141م خرج جيش المرابطين من مراكش[6] وخرجت جيوش الموحدين من تينملل، وكان عبد المؤمن بن علي قد استخلف على تينملل صهره أبو عمران موسى بن سليمان [7] حيث وقع القتال في موضع يسمى أمسميص وعلق على ذلك البيذق بقوله:" ثم رجعنا ورجع بعدما رد الله كيده في نحره"[8] .

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص96 ، ويواصل القول في ذات الصفحة أن تاشفين قد أرسل إلى جزولة ليغيثوه فلما وصلوا إليه وجدوه مهزوما فإتبعوا مؤخرة جيش عبد المؤمن فإنقلب عليهم وقتل جزولة عن آخرهم وأخذ أسلحتهم ودوابهم وكانوا آلافا من الفرسان والرجالة.

[2]- وذكر لنا ابن القطان أن علي بن يوسف كان قد قتل في وقت سابق بعض أعيان منانة لذلك إرتدوا ثلاث مرات. ابن القطان: المصدر السابق، ص263.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص98 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص231.

[4]- غير أن ابن عذاري يزيد على هذه الحوادث قوله أن تاشفين لما أراد الرجوع إلى مراكش قتل من جنوده الكثير حيث يقول في ذلك نقلا عن ابن حمادة " يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال إلتقى تاشفين مع الموحدين وقتل له خلق كثير وحينئذ رجع إلى مراكش". ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص98.

[5]- نفس المصدر، ج4، ص98 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص231.

[6]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 4 ، ص98.

[7]- عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص234 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص119.

[8]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص47. وكان يقصد قوات المرابطين بقيادة الروبوتير ويتضح من رواية البيذق أن الفريقان إنفصلا إلى مواقعهم دون قتال.

بعدها اتجه جيش الموحدين–حسب رواية البيذق– إلى مكان يسمى اكظرور ويصف لنا البيذق ذلك بقوله:" وخرج سيدنا أمير المؤمنين حتى وصل اكظرور فتقاتل بها مع الشقي الابرتر [1] فهزمه الموحدون حتى ما بقي من رجاله شيء وخرج الشقي الابرتر مجروحا ثم رجع نحو مراكش ورجعنا نحو تينملل وذلك عام خمسة وثلاثين وخمسمائة"[2] .

توجه جيش الموحدين في ذات السنة إلى مكان يسمى وانزال ثم موضع يسمى وفاد ثم إلى اشبار جنوب مراكش[3] وكانت القبائل المغربية التي يمر بها جيش الموحدين تدخل في طاعته وتعلن الولاء له[4] حتى وصلت جيوش الموحدين إلى المكان المسمى واويزغت [5] ووصل جيش المرابطين إلى مكان يسمى موران ووقعت المعركة قرب مكان يسمى تيزي حيث كان النصر للموحدين[6]، ويؤكد ابن عذاري أن المعركة انتهت بجرح الروبوتير وعودته إلى مراكش[7] .

وفي ذات السنة أي 535هـ/1141م عسكرت قوات المرابطين والموحدين قرب مدينة فاس وكان الوقت شتاء حيث عصفت الأمطار وإشتد البرد ويبدوا أن قوات المرابطين لم تأخذ حيطة لذلك، حيث أقاموا شهورا دون حطب ولا فحم حتى أنهم إضطروا لحرق أوتاد أخبيتهم وخشب أبنيتهم ومات منهم الكثير بردا في هذه الأثناء خرجت قوة مرابطية من فاس ومكناسة ومعها الميرة والمؤن قاصدة محلة المرابطين غير أنهم إختلفوا في طريقهم ووصل الأمر إلى حد الاقتتال حيث فر البعض منها والتحق أحد قادتها وهو يحي بن علي ومن معه من جنود إلى محلة الموحدين واعترضا

1– يقصد به الروبوتير.

2– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص48.

3– نفسه.

4– عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص234.

5– تبعد حاليا بحوالي 27 كلم عن بني ملال في المغرب الأقصى.

6– وعلق البيذق على هذا النصر بقوله " ثم إلتقى الجيش بالجيش بموضع يقال له تيزى فهزمنا الفئة الباغية (يقصد المرابطين) فأيد الله الذين آمنوا (يقصد الموحدين) على عدوهم فأصبحوا ظاهرين". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص50.

7– ابن عذاري: المصدر السابق، ج4 ، ص98.

الموحدون قوة أخرى يقودها ابن ولحوط على طريق مكناسة وفتكوا بها وقتل معظمها وغنموا متاعها وعتادها.[1]

بعد هذا عبر الموحدون إلى جبال الأطلس الوسطى وهاجموا القواعد المرابطية [2] ، ودخل القادة المرابطيون في طاعتهم وعندها شعر والى سجلماسة أبو بكر بن صارة بقدوم الموحدين فخرج بنفسه وقصد عبد المؤمن وأعلن خضوعه وبذلك صرف الموحدون النظر عن مهاجمة سجلماسة.[3] .

في سنة 536هـ/1142م خرجت قوات موحدية بقيادة عبد الرحمان بن زجو [4] أحد أهل الخمسين وهاجمت منطقة صفروى[5] ،حيث إقتحمتها واستولت على غنائمها، وكان عندها تاشفين بن علي قد غادر فاس وعسكر في جبل العرض الواقع شرقها وبعث الروبوتير إلى منطقة الفلاج فخرج إليه الموحدون بقيادة يحي اغوال ونشبت بين الفريقين معركة هزم فيها الموحدون وقتل قائدهم واحتز رأسه وأرسل إلى فاس[6].

بعد ذلك تقدمت القوات الموحدية نحو أرض غياثة الواقعة شرقي فاس وهاجموا الجيوش المرابطية[7] ولم يمض وقت طويل حتى حل فصل الشتاء و كان قاسيا جدا حيث تعر ضت المنطقة خلال أسابيع لعواصف عاتية و سيول مدمرة اكتسحت ال سهول و القرى والأودية و قاس ى منها

1- عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ص 235-236 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص112.

2- وكانت هذه القواعد في غريس الواقعة جنوبي آزور حيث بسط نفوذه على كل المناطق الواقعة جنوب آزور. نفس المرجع ، ص122.

3- عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص236 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص112.

4-يورده ابن عذاري باسم زجو. ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص99 ؛ بينما يورده البيذق باسم زكو. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص50.

5- يسميها ابن عذاري باسم صفروي. ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص99؛ أما البيذق فيوردها باسم صفروى وقال محقق الكتاب أنها تقع جنوب فاس بنحو 27 كلم. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص52.

6- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص99؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص52؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص236 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص112.

7- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص236 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص122 ؛ الصلابي: دولة الموحدين، دار ابن الجوزي، القاهرة ، 2007، ص75.

الجيش المرابطي خاصة و لقي معاناة شديدة ، فقد تساقطت الخيام لأن الأرض صارت رخوة من كثرة الأمطار وغرقت الديار وهلك العسكر بسبب البرد القارس وقلة الوقود والمؤونة [1] ، وقد علق ابن عذاري على هذه الشدائد و المعاناة بقوله :"و كان وصوله اليها في زمن المشتى (الشتاء) فروت الارض بنزول الغيث و توالت الأمطار و الغيوم و حملت الوديان واشتد البرد الى أن هلك كثير من عساكر تاشفين بردا و جوعا لانقطاع الطرق عنهم ، و كان اقامة تاشفين بظاهر فلس أياما ، ثم رحل عنها و نزل بالنواطز من ناحية تازا [2] و انتهى حال عسكر تاشفين حتى احرقوا السرج و صحاف العود و لم تتمسك أ وتاد الأخبية لرخاوة الأرض و غرقت الدواب في مرابطها الى بطنها و كثر الموتى في الضعفاء فكانت شرائط الاخبية مربوطة في جيف الموتى (جثثهم) و توالى عليها المطر نحو خمسة عشر يوما بلياليها ، ثم رفع الله ذلك عنهم بعد ي أس من الدنيا "[3] و قد اسفرت هذه العواصف العاتية على غلاء المعيشة في البلاد حيث عزت الاقوات و الوقود في المعسكرين و ارتفعت الاسعار ارتفاعا رهيبا ولم تنفرج هذه الغمة الا مع دخول الربيع[4] .

وقد نقل لنا البيذق وصفا دقيقا عن ذلك الشتاء القاسي و ما نتج عنه من غلاء في المعيشة حيث يقول :"و نزلنا نحن بموضع يقال له عفرا عام ستة و ثلاثين و خمسمائة ، فنزل علينا الهواء خمسين يوما بخمسين ليلة و لم يفتر ، و حملت الوديان و اكل وادي فاس باب السلسلة و فتقت جزيرة مليلة و أكل البحر طنجة حتى إلى الجامع و أكل وادي سبو مع وادي ورغة أخبية لمطة و هذا كله في عام ستة وثلاثين وخمسمائة ، وكان الخليفة أمير المؤمنين في غياثة قي جبل يسمى لعفرا

[1]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص ص 99–100 ؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص53 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ص 236–237 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص122؛

[2]– تازا من بلاد المغرب، وأول بلاد تازا حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة وغيرهما. الحميري: الروض المعطار، ص128؛ ويصفها صاحب كتاب الإستبصار بأنها جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه وأكثر شجرها الجوز ويسكنها قبائل من البربر يعرفون بغياثة. مجهول: الإستبصار، ص186.

[3]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص ص 99–100؛

[4]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص53؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 237 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص123.

وكان تاشفين تحتنا في النواظر، وبلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل و بلغ الحطب عند تاشفين دينارا للرطل من شدة تلك السنة ، ثم فتح الله بالغياث و الخيرات"[1].

عند حلول فصل الربيع من عام 536هـ/1142م قصد عبد المؤمن بن علي قلعة الولجة شمال شرق فاس و تقدم في اثرهم جيش المرابطين بقيادة تاشفين بن علي ومعه الروبوتير إلى أن جرت معركة بينهم في منطقة "تازغدرا" أسفرت عن مقتل العديد من الفريقين [2] ورجع بعدها الروبوتير الى منطقة تاودة ، بينما سار الموحدون الى "تاغزروت" ثم الى بني مزكلدة ثم الى ايلانة ثم ايجن حيث مرض الشيخ ابو حفص عمر بن علي ازناج [3] ، فلما شعر بدنو أجله وعظ اشياخ الموحدين ونصحهم بالتزام الصبر والتماسك والاخلاص لمبادئ المهدي بن تومرت وطاع ة عبد المؤمن بن علي حيث توفي و دفن في موضع يسمى "بجدار نمض"[4] .

توجهت قوات الموحدين بعدها لتتوغل في الريف ويتعقبهم المرابطون بقيادة الروبوتير حتى وصلوا الى منطقة تطوان [5] في الوقت الذي وصلت فيه قوات الموحدين إلى قلعة باديس المطلة على

---

[1]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص 52-53.

[2]- وعلق البيذق على تفاصيل هذه المعركة بقوله: " وقلع تاشفين ونزل تحتنا فقلعنا من صنهاجة غدرا إلى تاز غدرا متاع لجاية وقلع أيضا تاشفين مع الأبرتير إلى بني تاودا فكان بيننا وبينهم الوادي متاع ورغة فميز الأبرتير جنوده وخرج إلينا إلى تاز غدرا وكان بيننا وبينهم قتال شديد يومين بليلتين فمات هؤلاء وهؤلاء". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص53.

[3]- وهوأحد أصحاب العشرة ويورده صاحب الحلل الموشية باسم عمر بن علي أزقان. مجهول: الحلل الموشية، ص108 ؛ أما صاحب روض القرطاس فيورده باسم عمر بن علي اصناك. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص176.

[4]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص 53-54. وقد علق على مرض عمر بن ازناج وموته بقوله في ذات الصفحتين " فخرج لنا الشيخ عم اصناك وهو مريض، فأخذ الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه بيده اليمنى وأمر أن يضرب له قيطون فضرب له... فجس أمير المؤمنين بيده اليمنى وجس أبو ابراهيم بيده اليسرى ووقفاه فكان يعض الموحدين، وكانت وصيته إياهم من ضحوة النهار إلى الظهر وكان يأمرهم بالطاعة للخليفة، ثم إفترق مجلس الموحدين ... وإنصرف أبو حفص عمر بن علي اصناك في ذلك النهار وإلى الليل توفي رحمه الله رحمة وأسقى ورحمنا بعده، وقلعنا به إلى موضع يسمى " بجدار نمض" ودفناه فيه"؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 238 ؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص123.

[5]-تيطوان من مدن المغرب كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء. الحميري: الروض المعطار، ص145؛ مجهول: الإستبصار، ص137؛ وقد اورد ابن زاكور الفاسي بيتين من الشعر يتغنى فيهما بمدينة تطوان اثناء رحلته حيث يقول:

تطوان تطوان لا شيئ يضاهيها غنت بلابلها اذا سال واديها

البحر المتوسط ومكنت نفوذها في تلك الأنحاء ثم توجهت إلى جبل "تمسامان" حيث توجهت قوة الموحدين بقيادة ابن زكو لغزو مليلة فغنمت غنائم وفيرة [1] وفي هذه الأثناء قتل أخو عبد المؤمن من طرف ابناء أصحاب العشرة [2].

توجهت قوات الموحدين بعدها إلى ندرومة من بلاد كومية ومنها تقدموا نحو تاجرا ومنها وجه ثلاث حملات الأولى إلى وهران بقيادة ابن زكو حيث إقتحمتها وإستولت عليها.والثانية توجهت إلى قبائل بني وانوان بقيادة الشيخ أبي ابراهيم اسماعيل ، والحملة الثالثة توجهت إلى جبال مديونة من احواز تلمسان بقيادة يوسف بن وانودين وقد خرج إليها المرابطون من تلمسان بقيادة أبي بكر بن الجوهر ومحمد بن يحي بن فانو ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة في وادي الزيتون حيث كانت الدائرة على المرابطين وهزموا وقتل القائدان المرابطيان[3] .

وقد علق على هذه الفتوحات ابن عذاري بقوله:" ورحلوا إلى ندرومة بلاد كومية ورحل إلى موضع تاجرا وميز بها عسكره وهو قد تقوى أمره وعظم شأنه وذكره، فبعث ابن زجو إلى جهة الساحل فأتى بغنائم وهران وترادفت الفتوحات في كل مكان" [4] ، أما البيذق فكان أكثر تفصيلا

والفجر والليل لولا بعض من فيها   لما نويت رحيلا عن مغانيها

ابن زاكور الفاسي : نشر ازهار البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011 ، ص 79 .

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص100؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص55؛عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 138؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص ص123-124.

[2]- نقل لنا البيذق خبر هذه القصة بقوله أن ابراهيم أخو عبد المؤمن وفد على الخليفة فأكرمه وغمره وأعطاه الخيل والعبيد وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر وكان أبو بكر هذا من أصحاب العشرة. فلما جاء محمد هذا قتل ابراهيم أخو الخليفة فغضب الخليفة وطالب بقتل محمد بن أبي بكر فإعترض عليه جماعة وقالوا له ألم يقل المهدي بن تومرت " بأن أهل الجماعة وصبيانهم، عبيدهم كل من في الدنيا" فصمت الخليفة عندئذ وتراجع عن قرار القتل. البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص55.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص100؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص55؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ص240-241؛ حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص124.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص100.

لهذه الحملات الموحدية حيث يقول:"فرحلنا منها إلى ندرومة [1] بلاد كومية فوحدوا فرحلنا الى تاجرا فميزنا فيها ، وخرج منها ثلاثة عساكر اولهم ابن زكو مشى الى جهة الساحل وكسر وهران وساق غنائمها وخرج الشيخ أبو ابراهيم إلى ويسعد لبني وانون وساق غنائمها وخرج أيضا يوسف بن وانودين بعسكر ثالث إلى مديونة. فخرج إليه أبو بكر بن الجوهر من لمتونة ومحمد بن فانو من تلمسان، أرادا قتال يوسف فغزاهما يوسف في خندق الجمر يسمى بوادي الزيتون وقتلهما الإثنين"[2].

بعد ذلك جاء زيري بن ماخوخ الزناتي مطيعا للموحدين فوصل إلى عبد المؤمن بن علي يعلن دخوله في طاعته فأرسله إلى غياثة فقبض عليه بنو مكود وقتلوه وحزوا رأسه وحملوه إلى فاس وعلق على باب السلسلة[3] .

وقد ذكر البيذق أن عبد المؤمن لما إستولى على كومية قتل من أشياخها [4] ثم وفد على الخليفة عبد المؤمن زعماء قبائل مجاورة وأعلنوا خضوعهم له ولدولة الموحدين [5] ، ثم رحل عبد المؤمن من تاجرا إلى تيفسرت من أرض مديونة وخرجت قوة موحدية إلى غرب وجدة وغلبت على قبائل تلك الناحية وإستولت على غنائمهم وكانت قوات الموحدين في هذه الناحية بقيادة الشيخ أبو حفص ويسلاصن بن المعز[6] وفي هذه الأثناء كانت قوات المرابطين بقيادة تاشفين والروبوتير قد تراجعت إلى

---

[1] – ندرومة عند جبل تاجرا مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه، رخيصة الأسعار، بها بسائط خصيبة ومزارع كثيرة بينها وبين البحر نحو 10 أميال وبساحلها نهر ما يسيل وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون مقصود، وعليه رباط حسن قيل أنه من أتى به منكرا لم تتأخر عقوبته. مجهول: الإستبصار، ص135.

[2] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص55.

[3] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص100؛ لكن البيذق يسوق الرواية على أنها غدر لهذا القائد الزناتي إذ يقول عن ذلك: " وجاء زيري بن ماخوخ بثقله إلى الخليفة ووحد، فدفعه الخليفة إلى غياثة فغدره بنو مكود وقتلوه وقطعوا رأسه ويديه وحملوها إلى فاس وعلقوها في باب السلسلة ". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص55.

[4] – نفس المصدر، ص55.

[5] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 241.

[6] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص 56-57؛

فاس وبقي الموحدون عند احواز تلمسان [1] في هذا الوقت توفى أمير المرابطين علي بن يوسف وكان ذلك سنة 537هـ/1143م بمراكش[2] ليدخل الصراع مرحلة أخرى في عهد ابنه تاشفين بن علي.

3–حروب عبد المؤمن مع المرابطين في عهدي تاشفين وابراهيم :

لما توفي علي بن يوسف خلفه ابنه تاشفين بن علي [3] ولكن كان كثير من أهل المغرب قد دخلوا في طاعة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي [4].

نزلت قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي من جبال تادلا وجبال غمارة وهي تقتل وتسبي وتغنم وقد سلكوا في ذلك الطرق الجبلية بين فاس وتلمسان وقد تبعه الأمير تاشفين بن علي فكان الموحدون يسيرون في الجبال المنيعة حيث الأرزاق الواسعة وكان تاشفين يمشي في البسا ئط بعسكره[5].

بعد ذلك توجهت قوات الموحد ين من منطقة جبال غمارة إلى تلمسان وبايعته أكثر قبائل زناتة المستوطنة بأحواز تلمسان. في هذا الوقت بالذات وصلت إمدادات من ملك افريقية ابن حماد

---

[1] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 241.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص120؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص165؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص59؛ ابن الخطيب:أعمال الإعلام، ص247؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص251؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص125؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص100؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص267؛ السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص126.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص130؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص143؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص101؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص202؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام ، ص247؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص306.

[4] – علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله: " كثر الطائع لعبد المؤمن". مجهول: الحلل الموشية، ص130، وأضاف معلقا عن تغلب الموحدين عليه في الصفحة 121 بقوله: " فلم تقم له قائمة وتبدد عسكره ولم يكن له جوازا إلى الأندلس في مدنه بسبب إشتغاله بحرب الموحدين".

[5] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187؛ مجهول: الحلل الموشية، ص130 . وقد وصف صاحب الحلل الموشية إنصراف الناس عن تاشفين وإعراضهم عنه بقوله في ذات الصفحة: " فلايجد (تاشفين) من البرابرة من يواصله ولامن يستعين به ويداخله وذلك بسبب الادبار وإنقطاع الدولة والأنصار"؛ يوسف أشباخ: المصدر السابق، ج1، ص208.

الصنهاجي لدعم تاشفين بن علي وبذلك تعزز موقف تاشفين وامتلأ حصن تلمسان بالخيل والعساكر ورغم ذلك هجم عليهم الموحدون وأوقعوا منهم الكثير من القتلى عند ذلك كتب تاشفين إلى الأقطار يستدعي مزيدا من القوات[1] وبذلك إجتمعت للمرابطين حشود ضخمة مع من انضاف إليها من قوات الروبوتير وبذلك صارت قوات المرابطين أكثر تنظيما وقوة[2] .

وقد علق صاحب الحلل الموشية على ذلك بقوله:" وإجتمعت عيه العساكر المذكورة بتلمسان وأمر بعرض الجيوش وسائر الوفود والجنود والتمييز [3] عليهم فميزوا وبرزوا وعجب الناس من كثرة عددهم واحتفالهم في الزينة، حتى زعموا أنهم لم يروا مثل تلك الجيوش حسنا وجمالا وعدة وكمالا"[4].

لما رأى عبد المؤمن هذا التفوق لجأ إلى خطة حربية جديدة مبتكرة هي خطة المربع الموحدي الذي إشتهر فيما بعد[5] وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية فحوى هذه الخطة عن ابن اليسع الذي رواها له أحد الموحدين بقوله:" فصنعنا دائرة مربعة في البسيط [6] جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال والطوارق المانعة وورائهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من ورائهم، ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة وورائهم الرماة بقوس الرجل وفي وسط المربعة الخيل ، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت إليهم لا تجد إلا الرماح الطويلة الشارعة والحراب والحجارة والسهام

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص ص130-131 وأبلغنا صاحب الحلل الموشية أن توافد قوات إفريقية الصنهاجية كانت على مرأى ومسمع الموحدين فما هالهم أمرهم ولا أفزعتهم كثرتهم.

2 – نفس المصدر، ص131؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 246.

3 – التمييز في الغرب معناه عرض الجيوش عند المشارقة.

4 – مجهول: الحلل الموشية، ص131.

5 – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 246.

6 – يتضح من خلال هذا الوصف أن قوات الموحدين كانت في منطقة منبسطة وهو ما يعني أنها مكشوفة وبالتالي يسهل معرفة تحركاتها من طرف الخصم.

الناشرة، فحينما تولي من الدفع وتُدبر، تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها، وفرج أعدوها فتصيب من أصابت ، فإذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا"[1].

هجم المرابطون على أعدائهم بشدة لكنهم لم يستطيعوا إختراق صفوف الموحدين المنيعة التي إشتهرت حرابها في وجوه المرابطين وقابلتهم بوابل من القذائف، ولما استنفذ المرابطون قواتهم، برز إليهم فرسان الموحدين من الصفوف الداخلية لمربعهم الحربي وانقضوا عليهم بشدة فإرتدوا بلا نظام ودارت الحرب ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحرز الموحدون نصرا على المرابطين[2].

وقد علق ابن عذارى على هذا النصر للموحدين وغنمهم من المرابطين بقوله:" وكانت الغنائم التي استاقوها كثيرة ، زعموا أنها كانت نحو ثلاثين ألف من الغنم واثنا عشر ألف من البقر" [3] أما صاحب الحلل الموشية فاكتفى بالقول أن المرابطين فقدوا من الجيوش مالا يحصى [4] في هذا الوقت بالذات ولما كانت جيوش الموحدين تحمل الغنائم وراجعة إلى تلمسان اعترض طريقهم الروبوتير مع قواته وهاجمهم بشدة واسترد منهم معظم الغنائم [5] وقتل من كومية نحو الأربعمائة رجل ووصل الروبوتير بجيوشه إلى تلمسان ليلتحق بالأمير تاشفين بن علي[6].

في هذا الوقت بالذات وهو سنة 538هـ/1144م وصلت قوات مسيحية نورمانية عددها 150 سفينة إلى ساحل سبتة فخرجت إليهم قوات المرابطين بقيادة أمير البحر ابن ميمون ووقع بين

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص132.

[2] – مجهول : الحلل الموشية ، ص132؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 246 ؛ يوسف أشباخ: المصدر السابق، ج1، ص210.

[3] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج5 ، ص19.

[4] – مجهول: الحلل الموشية، ص132.

[5] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص57 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص19 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 246.

[6] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص19 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 246.

الفريقين معركة شرسة أدت إلى مقتل الكثير من الفريقين [1] وهذا ما أثر سلبا على تفرغ المرابطين لقتال الموحدين – في رأينا- حيث أن تعدد جبهات القتال يضعف من قوة الجيش.

في سنة 539هـ/1145م كان مقتل الروبوتير وهو ما شكل ضربة قاسية للمرابطين غير أن الروايات تختلف حول كيفية مقتل الروبويتر حيث ذكر ابن عذارى أن مقتل الروبوتير كان إثر خروجه لقتال الموحدين سنة 539هـ/1145م ومعه جيش من الحشم واللمتونيين حيث قتل الروبوتير وتبدد جيشه ولم يكن معه في هذه المعركة تاشفين بن علي الذي كان في محلته في منطقة تسمى سطسيف[2].

أما البيذق فيذكر لنا نهاية الروبوتير بقوله أن عبد المؤمن بن علي وجه حشود جزولة لقتال الروبوتير الذي إنهزم فكتب إلى عبد المؤمن يحذره من إرتداد جزولة عنه فعمد عبد المؤمن إلى تجريدهم من الخيل والسلاح وقتلهم إلا صبيانهم عفا عنهم، فلما علم الروبوتير بذلك عمد إلى التوجه لقتال الموحدين واستخلاص الغنائم منهم فلم يعترض تاشفين على رغبته لكنه لم يخرج معه لقتال الموحدين وبعدها وقعت معركة بين الروبوتير والموحدين في موضع يسمى "تاكوط ن تيفسرت" حيث انهزم جيش الروبوتير وقتله الموحدون ولم يسلم سوى 06 من جنوده وكان ذلك سنة 539هـ/1145م.[3]

---

1 – ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص103 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 247.

2 – ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص103. وقد ذكر ابن عذاري في كتابه البيان المغرب القسم الخاص بالموحدين ص20 نقلا عن ابن صاحب الصلاة أن هذا الروبوتير كان من أكبر الطغاة بالأندلس نجدة وظهورا. غير أننا لم نعثر على ذلك في كتاب ابن صاحب الصلاة وهو المن بالامامة. وعند معرفتنا أن ابن صاحب الصلاة كان مقربا جدا من الموحدين وعايشهم (ت 594هـ/1198م) نعرف سبب تسميته للروبوتير بالطاغية ذلك أن الروبوتير كان في خدمة المرابطين متفانيا لذلك نعته بهذا النعت نكاية في المرابطين- والله أعلم-.

3 – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص57-58 ، وينقل لنا البيذق في الصفحة 57 عن الحيلة التي لجأ إليها عبد المؤمن لنزع الأسلحة من عسكر جزولة حيث يقول: " فعمل بهم الخليفة ... يعظهم فقال لهم: هل وحدتم؟ فقالوا له نعم ، فقال لهم: إن كان ماتقولون حقا فسوقوا أسلاحكم إلينا. فلم يرى منهم شيئا ووعظهم يوما ثانيا وقال لهم جيئوا إلينا بأولادكم وسلاحكم، فقالوا له نعم، فلما كان يوم ثالث جاؤوا بأولادهم وسلاحهم وأمر الخليفة عبيد المخزن وأوصاهم أن يفرقوا بينهم وبين خيلهم

أما ابن خلدون فيروي لنا رواية مغايرة حيث يقول أن تاشفين بعث الروبوتير ومعه جيش ضخم فأغار على زناتة وبني سندم ولما كان راجعا بالغنائم إعترض الموحدون طريقه وقتلوه ومن معه وبعد قتل الروبوتير صلبوه[1].

على اية حال كان مصرع الروبوتير ضربة قاسية للمرابطين لذلك استدعي تاشفين الجنود من كل ناحية[2]، أما الموحدون فتوجهوا شمال غرب تلمسان عند المنطقة المسماة الصخرتين[3] ونشبت معارك بين الفريقين واستمر الحال على ذلك قرابة الشهرين وبعد جاءت الحشود لدعم تاشفين ومنها حشود بجاية التي اشتبكت مع الموحدين في معركة عنيفة وبعدها بعث قائد هذه القوة إلى عبد المؤمن سرا يعده بالتوحيد والدخول في طاعته [4] ، وقد علق على ذلك البيذق بقوله:" وعند ذاك جاءت المحلة من بجاية[5] وقائدها ميمون بن المنتصر فطلعوا إلى قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين إلى باب المدينة، وقتلنا منهم الذي وعد الله بقتله ، فأصبحوا هاربين ولحق القائد ابن ميمون إلى متيجة فبعث إلى الخليفة رضي الله عنه بالتوحيد وقال له : "إن أنت استفتحت المغرب فتجيء إلى المشرق ت صربه مفتوحا وأنا قائده"[6].

وسلاحهم. فقال لهم عبيد المخزن: امشوا إلى الخليفة يعطيكم الدعاء ، فجاؤوا إلى الخليفة يريدون الدعاء، فلما إنفصلوا عن دوابهم ركب العبيد خيولهم وأخذوا سلاحهم، وأمر الخليفة فضرب الطبل وقتلهم جميعا إلا الصبيان الصغار وسقنا غنائمهم".

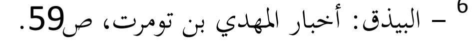
1 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص308؛ وهو نفس ما قال به السلاوي. السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95.

2 – وذكر صاحب الحلل الموشية أن ذلك الإستعراض للجيوش المرابطية هو آخر جيش إحتفل به المرابطون. مجهول: الحلل الموشية، ص131.

3 – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص58؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص103؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص210.

4 – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص 58–59؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 249.

5– بجاية قاعدة المغرب الأوسط مدينة عظيمة على ضفة البحر. وهي على جرف حجر، وهي عين بلاد بني حماد والسفن إليها متكررة والسفر إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير، لها بواد ومزارع يكثر بها الشعير والحنطة والتين وسائر الفواكه. بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير. الحميري: الروض المعطار، ص ص80–81.



6 – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59.

بعد ذلك ضعف مركز تاشفين فقرر التوجه نحو مدينة وهران وأمر محمد بن ميمون أن يقدم بأسطوله إليها [1] وكان المرابطون قبل مغادرتهم لوهران سنة 539هـ/1145م قد ألحقوا هزيمة بالموحدين بعد أن نصبوا كمينا لهم وقتلوا القائد ابن زجو [2] مما زاد في سخط الموحدين فلحقوا بالمرابطين إلى مدينة وهران وقد إنضمت قوات كبيرة إلى الموحدين في طريقهم حيث عسكروا فوق الجبل المطل على وهران وكان المرابطون يترقبون تحركات الموحدين والخوف يتوجسهم وكان ترائي الفريقين لبعضهما واضح[3] ، وقد غادر عدة قواد من المرابطين وتركوا تاشفين لمصيره وعلق على ذلك ابن عذاري بقوله:" وبقي تاشفين بعسكره مشتت ، والقائد ابن ميمون في الأسطول في البحر برسم أن يطلع تاشفين فيها. أن رأى مالا طاقة له من قتال الموحدين"[4].

وفي الصباح توجه الموحدون إلى عين الماء التي يشرب منها أهل وهران فسقوا دوابهم دفعة واحدة، ثم قاد الشيخ أبو حفص قواته وإقتحم المحلة المرابطية حتى أشرف على محل إقامة تاشفين فوقع الإضطراب في معسكر المرابطين ولجأ تاشفين ومن معه من قادته إلى الحصن ليختبأوا فيه فجمع الموحدون الخشب وأضرموا النار حول الحصن وما كاد الظلام يحل حتى علت ألسنة اللهب فخشى تاشفين الهلاء فخرج[5] من الحصن فوق فرسه في جنح الظلام فهوت به فرسه (تسمى ريحانة) من فوق الجبل فوقع ميتا[6] .

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية، ص132؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص202؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص308؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص104؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95.

[2] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 249.

[3] – علق على ذلك البيذق بقوله: " والكل منهم العين بالعين، هؤلاء ناظرون لهؤلاء". البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص59.

[4] – ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص104.

[5] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص308 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص104 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص133.

[6]– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص104؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص308 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،

وقد وصف لنا ابن الخطيب مصرع تاشفين بقوله:" وجاء القدر من اتيان الهزائم عليه وتنكب السداد إياه بخلاف ما جرى أيام إمارته وجهاده بالأندلس ، ليقضى الله أمرا إلى أن هلك في السابع والعشرين لرمضان سنة 539هـ/1145م "[1] .

أما القائد المرابطي صندل فقد وقع في النار وإحترق وإستطاع ابن مزدلي أن يجوز إلى أسوار المدينة غير أنه فقد رشده ومات بعد ثلاثة أيام[2] ولم يعلم عسكر المرابطين بموت أميرهم تاشفين بن علي وقطع عنهم الماء ومات أكثرهم عطشا وحمل السيف على من بقي ضحى يوم عيد الفطر سنة 539هـ/1145.[3] أما الموحدون فقد قطعوا رأس تاشفين وأرسلوه إلى عبد المؤمن الذي أرسله بدوره إلى تينملل[4]. وقد إستولى الموحدون على وهران بعد أن أثخنوا فيها قتلا وسقطت في أيديهم بعد ثلاثة أيام[5].

في هذا الوقت بالذات كان المرابطون قد بايعوا ابراهيم بن تاشفين بالخلافة في مكان والده. غير أن عمه اسحاق بن علي بن يوسف إعترض على هذه البيعة ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتناحر بينهما مما أدى إلى ضعفهم وتقوى الموحدين عليهم[6].

ص202 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95؛ مجهول: الحلل الموشية، ص133، غير أن عبد الواحد المراكشي يقول أن تاشفين إقتحم البحر حتى هلك، ويزيد على ذلك فرضية أخرى هي أنهم أخرجوه من البحر وصلبوه ثم أحرقوه. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص143؛ ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952، ص9.

[1] – ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص ص247–248.

[2] – عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص250.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص133–134؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95.

[4] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59؛ ابن خلدون: العبر، ج9، ص309؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص188.

[5] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص59؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص188؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص202؛ ابن خلدون: العبر، ج9، ص309؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص22؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص210؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص251.

[6] – مجهول: الحلل الموشية، ص135؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص105.

بعد ذلك توجه الموحدون إلى تلمسان لفتحها وكان الفزع يسودها فلما إقترب الموحدون منها خرج أعيانها يسعون للقاء عبد المؤمن وإلتماس ال عفو منه لكنهم جردوهم من ثيابهم وقتلوا جماعة منهم ثم عفا عن أهلها[1]. غير أن صاحب الحلل الموشية نقلا عن ابن اليسع ذكر أن قتلى المرابطين في تلمسان بلغ 100 ألف وأنهم أخذوا فيها من الأموال مالا يحصى [2] .

وفي عام 540هـ/1145م توجه الموحدون لفتح مدينة فاس وحاصروها نحو تسعة أشهر وأهلها يقاتلون الموحدين خارج البلاد بعد ذلك عمد الموحدون إلى خطة حيث سدوا الواد الداخل إلى فاس حتى إحتبس الماء وتحول إلى سد كبير صارت تجري فيه السفن ثم هدموا السد ليغمر سد المدينة ويهدمه[3] وإستمر الموحدون في محاصرة فاس إلى أن تمكن متولى المدينة محمد الجياني (ابن علي بن يوسف) من الخروج من فاس[4] ، حيث دخلها الموحدون وإستولوا عليها. وذكر ابن أبي زرع إستيلاء الموحدين على فاس حيث قال :" ثم خرقه (أي السد خرق السور) فهبط الماء عليهم دفعة واحدة فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على ألفي دار، وهلك به خلق كثير وكاد الماء أن يأتي على أكثرها فدخل عبد المؤمن مدينة فاس وأمَّن أهلها إلا من بها من المرابطين فإنهم لا يمضى لهم أمان وقتلهم قتلة كفر"[5].

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص135؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص309؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص22؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص203 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص95.

2 – مجهول: الحلل الموشية، ص135.

3 – مجهول: الحلل الموشية، ص136؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص61؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص24 ؛السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص96 .

4 – وقد ذكر ابن عذاري وصاحب الحلل الموشية أنه تمت مراسلات بين الموحدين وبين محمد الجياني وطلبوا منه مالا لم يقدر على سداده وتمكن أخيرا من مخادعتهم والخروج من المدينة. مجهول: الحلل الموشية، ص136؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص24.

5 – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189.



وقد وقع خلاف بين المؤرخين حول تاريخ إفتتاح فاس فهناك من قال بفتحها سنة 540هـ/1146م امثال البيذق وابن عذاري وابن أبي زرع [1] وهناك فريق من المؤرخين قال بفتحها عام 541هـ/1147م أمثال ابن خلدون والسلاوي [2] وهناك فريق إكتفى بذكر الفتح دون ذكر التاريخ أمثال صاحب الحلل الموشية والزركشي وابن الأثير [3] وبعد فتح فاس توجه عبد المؤمن إلى مكناسة على رواية البيذق ليأتي ماهواهم بالسنية للموحدين وهو فتح مراكش معقل المرابطين وعاصمتهم[4] .

غير أننا وجدنا في بعض المصادر أن الموحدون توجهوا إلى مدينة سلا ففتحوها [5] وقد علق صاحب الحلل الموشية على فتح سلا بقوله:" ولما وصل إلى سلا تغلب عليها من ساعته [6] وفتحها قبل نزوله وطاعت له قصبتها"[7] ، كما أخبرنا ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس أن الموحدين قبل فتح مراكش توجهوا إلى أغمات وفتحوها صلحا دون قتال وذلك في منتصف محرم سنة 541هـ/1147 ثم توجهوا إلى مدينة طنجة التي فرغها المرابطون وذلك في ربيع الثاني من سنة 541هـ/1147م[8].

1– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص63؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص23؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج1، ص211 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص258.

2– ابن خلدون: العبر، ج6، ص309 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص96.

3– مجهول: الحلل الموشية، ص136 ؛ الزركشي: المصدر السابق، ص08 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص203.

4– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص63.

5 – مجهول: الحلل الموشية، ص137؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج5، ص25؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص303؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 309–310 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص97.

6 – وهو ماعلق عليه ابن خلدون بقوله عن سهولة فتح سلا بقوله: " ومر على سلا فإفتتحها بعد مواقعة قليلة" ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 309–310.

7– مجهول: الحلل الموشية، ص137.

8– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189.

في سنة 541هـ/1147م توجه الموحدون إلى مراكش معقل المرابطين وتموقعوا بجبل جليز [1] ثم نزلت كل قبيلة في موضعها وإرتقى الموحدون على السور ودخلوا المدينة عنوة من باب ايلان وقتلوا ما أدركوا من المرابطين ثم تحصن الأمير اسحاق مع أعيان المرابطين في القصبة حتى أدركهم المرابطون فعفوا عن سير بن ينتيان لقوله خيرا في المهدي ووجدوا الأمير اسحاق قد إختبىء في أحد الغرف فسيق إلى عبد المؤمن الذي أشفق عليه لصغر سنه (16سنة) لكن أشياخ الموحدين عزموا على قتله وكان لهم ذلك ، ليتملَّك الموحدون مراكش عاصمة المرابطين[2].

أما صاحب الحلل الموشية فقد ذكر أن الموحدين لما حاصروا مراكش وضعوا كمائن ثم تظاهروا بالإنهزام فهجم عليهم المرابطون فثارت الكمائن وهجموا على المرابطين وقتلوهم ثم طال الحصار على البعض الآخر حتى فنيت مخازنهم ووصل بهم الحد إلى أكل لحم دوابهم ومات منهم جوعا ما يقارب 120 ألف وبذلك فتح الموحدون مدينة مراكش[3].

وكان فتح الموحدين لمراكش سنة 541هـ/1147م[4] ضربة قاصمة للمرابطين الذين فنيت دولتهم ، وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الموحدين لما أحضروا الأمير اسحاق ومعه مجموعة من

---

[1] – ذكر صاحب الحلل الموشية أن الموحدين بنوا بهذا الجبل الصغير مسجدا وصومعة طويلة. مطلة على مراكش لمراقبتها. مجهول: الحلل الموشية ، ص137.

[2] – ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص27–28 ؛ RACHID BOUROUIBA :op , cit , p 34

[3] – مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 137–138. وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية إشتداد الجوع على المرابطين من أهل مراكش في الصفحة 138 بقوله:" ولما طال عليهم الحصار وإشتدت أحوالهم، هلكوا جوعا حتى أكلوا الجيف وأكل اهل السجن بعضهم بعضا وعدمت الحيوانات كلها والحنطة بأسرها واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء وعجزت عساكر اللمتونيين حينئذ عن الدفاع والإمتناع" ؛ **E.LÉVI-PROVENSAL :the encyclopaedia of islam , vol 1 , p:80 .**

[4] – البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص65 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص28 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص138 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص143؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص190؛ الزركشي: المصدر السابق، ص8 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6، ص310 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص205؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص98 ؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1،ص231 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص263 ؛

ALFRED BEL : documents récents sur l'histoire des almohades , revue africaine , 1930 , alger , volume 71 , p : 121 ; **E.LÉVI-PROVENSAL :the encyclopaedia of islam , vol 1 , p:80 .**

أعيان المرابطين فقرر الموحدون إعدامهم فأخذ الأمير اسحاق يبكي هلعا ويرتعد خوفا ويدعوا لعبد المؤمن فقام إليه الأمير سير بن الحاج وبزق في وجهه و قلل تبكي على أبيك وأمك إصبر صبر الرجال وتم إعدامهم[1] ، أما البيذق فأخبرنا أن الأمير اسحاق كان يقول لأمير المؤمنين عبد المؤمن : يا أمير المؤمنين مالي في الرأي شيء ، فيقول ل هـ طلحة أصمت عنا. هل رأيت ملك يتضرع لملك مثله، وضربت عنق اسحاق.[2]

وبعد إستيلاء الموحدين على مراكش وفدت جميع القبائل من المصامدة بأسرها وإستوثق أمر المغرب لعبد المؤمن بن علي ولم يبق له منازع[3].

يبدوا أن ثورة الموحدين كانت شوكة في حلق المرابطين وكانت تقض مضاجع حكامهم إلى أن إستطاع الموحدون أن يعصفوا بحكم المرابطين ويقيموا دولتهم مكانهم. وتلك الأيام دول بين الناس.

---

[1] –ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص205 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص139؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص231.

[2] –البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص65.

[3] –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص189.

الفصل الثاني : ثورات المريدين والقضاة بالأندلس .

اولا : ثورة المريدين في الأندلس

1-ثورة المريدين وإشكالية المصادر

2-أصول حركة المريدين

3-مراحل ثورة المريدين

أ-المرحلة السرية ب-مرحلة النشاط العلني

4-نتائج ثورة المريدين

ثانيا : ثورات القضاة في الأندلس

1- ثورات القضاة في وسط وجنوب الأندلس

أ-ثورة ابن حمدين

ب-ثورة ابن حسون في مالقة

ت-ثورة وادي آش

ث-ثورة ابن ضحى في غرناطة

2-ثورات القضاة في شرق الأندلس

أ-ثورة ابن عبد العزيز في بلنسية

ب-ثورة أبو جعفر في مرسية

اولا : ثورة المريدين في الأندلس

1–ثورة المريدين وإشكالية المصادر :

يعد أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى أحد الأعلام البارزين في تاريخ التصوف بالغرب الإسلامي وزعيم أول ثورة للمتصوفة ضد المرابطين [1] ، غير أن أهم إشكال يواجه الدارسين لهذه الثورة يتمثل في قلة المادة العلمية التي تكفي لكشف النقاب عن هذه الثورة وأبعادها الحقيقية ، حيث تحامل عليها البعض من المؤرخين ، ومن ذلك وصف عبد الواحد المراكشي لزعيمها ابن قسي بأنه من دعاة الفتنة ورؤوس الضلالات وأنه استفز عقول الجهول واستمال قلوب العامة [2] ، كما قال عنه ابن الخطيب بأنه من تبعه واتصل به من كانوا من الأشرار[3] ، بل إن هناك من المؤرخين من تجاوز في ذمه متهما إياه بالجرأة على الله سبحانه وتعالى.[4]

لقد حاولنا الحصول على مؤلف ابن قسي والمعروف بكتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين الذي صار في حكم المطبوع حيث ان هذا المؤلف يساعدنا على رسم صورة للفكر الصوفي الاندلسي في النصف الاول من القرن السادس الهجري ، حيث نجد فيه ملامح اشراقية ذات مرجعيات شيعية ومبادئ اعتزالية مزجها ابن قسي بآيات قرآنية واحاديث نبوية وفق تصوره الخاص

---

[1] - بوتشيش: المغرب والاندلس في عصرالمرابطين، ص 163 ؛ مصطفى بنسباع : الجانب الاديولوجي لثورة المريدين ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، 1995 ، مراكش ، العدد 12 ، ص 95 ؛ محمد الامراني : ثورة المريدين – ابن قسي ملامح من حياته السياسية والصوفية– ، مجلة كلية الادابو العلوم الانسانية ،1995 ، مراكش ، العدد 12 ، ص 107 .

[2] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148، ويسترسل في ذمه في ذاته الصفحة بقوله : <<كان في أول أمره يدعي الولاية وكان صاحب حيل ورب شعبذة (شعوذة) وكان مع هذا يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة ثم ادعى الهداية، بلغني ذلك عنه من طرق صحاح>>.

[3] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250 ، كما يسرد لنا ابن الخطيب نادرة عنه في الصفحة الموالية حيث قال :<< أن رجلا من البادية قال لبعض أصحابه وقد أعطاه عجبا لهذا المال الذي يصل الامام من السماء كيف عليه طابع المرابطين ، ولم يكن عليه طابع غير ذلك >>.

[4] – حيث ذكر عبد الواحد المراكشي أن ابن قسي وصل به الحد إلى الجرأة على الله عز وجل والتهاون بأمر الولاية، وأن عبد الواحد المراكشي قد امتنع عن ذكر هذه التجاوزات لصرف العناية إلى ما هو أهم منها . عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148.

[1]. وقد افرد له ابن عربي الحاتمي [2] ، مؤلفا خاصا به لشرحه واسم هذا المؤلف شرح كتاب خلع النعلين [3] .

إن الحديث بإنصاف عن ثورة المريدين يبقى رهينا بالحصول على مؤلفات تطرقت لها بإسهاب ، غير أن هذه المؤلفات باتت في حكم المفقود ولم نعرف عنها شيئا سوى من خلال إشارات المؤرخين لها ومنها :

-كتاب ثورة المريدين لإبن صاحب الصلاة.[4]

-السفر الأول من كتاب المن بالإمامة لإبن صاحب الصلاة.

-كتاب احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن ابن عميرة المخزومي توفي 656 هـ / 1163 م.

-كتاب الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية لإبن الصيرفي ابو بكر يحي بن محمد الانصاري الغرناطي توفي 557 هـ / 1174 م .

-كتاب تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء لابن الصيرفي.

---

[1] احمد ابن قسي : كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين ، تحقيق : محمد الامراني ، ط1 ، مطبعة IMBH ، آسفي (المغرب) ، 1997 ، ص 9 .

[2] هو الامام الشيخ الاكبر سلطان العارفين سيدي محمد بن علي بن محمد محي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي ، ولد بمرسية سنة 566 هـ / 1170 م ، وسكن اشبيلية ، تعلم القرآن ارتحل الى عدة بلدان كالقاهرة وتونس والقدس الشريف ومكة والموصل وبغداد وحلب الى ان وافته المنية في شهر ربيع الثاني رسنة 638 هـ / 1240 م بدمشق . عبد الله التليدي : المطرب بذكر بعض مشاهير اولياء المغرب ، مطابع الشمال ، طنجة ، 1980 ، ص ص 118 – 120 ؛ ابو العلا عفيفي : الفلسفة الصوفية عند محي الدين بن عربي ، ترجمة : مصطفى لبيبي عبد الغني ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ،209 ، ص ص 25 – 26 ؛ غير ان مجموعة من علماء الاسلام الفوا مجموعة رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي من بينهم شيخ الاسلام ابن تيمية . للاستزادة ، انظر : رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق : موسى بن سليمان الدويش ، ط1 ، اصدرات وزارة الاعلام السعودية ، المدينة المنورة ، 1410 هـ .

[3] ابن عربي الحاتمي : شرح كتاب خلع النعلين ، دراسة وتحقيق : محمد الامراني ، ط1 ، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 2013 .

[4] – جاء الحديث عنه عند كل من ابن الآبار وابن عذارى. ابن الآبار: الحلة السيراء،ج 2، ص 208 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج5، ص 35 ؛ غير أننا لم نعثر عن اشارات لهذا المؤلف عند عبد الواحد المراكشي صاحب الموجب رغم معاصرته لدولة الموحدين.

- عبرة العبر وعجائب القدر في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية بعد فساد الدولة المرابطية لمحمد ابن احمد بن عامر السالمي توفي 559 هـ / 1163 م .

- الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالاندلس سنة اربعين وما يليها قبلها وبعدها . لمحمد بن احمد بن عامر السالمي .

- في تاريخ الفتنة التي انقرضت بها دولة الملثمين لابي عمرو حمزة بن علي الغرناطي .[1]

كما نجد الحديث عن هذه الثورة في بعض المصادر الإسلامية التي نقلت عن هذه المصادر مثل ابن الخطيب أو ابن الآبار الأندلسي ، او نجد بعض الإشارات المقتضبة عند ابن عذارى في القسم الخاص بالموحدين ، وقد أشار البيذق إلى ابن قسى مكتفيا بالقول أنه من الثائرين في الأندلس[2] ، أو ما وجدناه عند عبد الواحد المراكشي في المعجب [3] ، كما تطرقت إلى ذلك بعض المراجع الحديثة أمثال يوسف أشباخ في كتابه تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين [4] أو دراسات أخرى أمثال الأستاذ عبد الله عنان أو ابراهيم القادري بوتشيش أو عصمت عبد اللطيف دندش، وهناك عدة دراسات أجنبية منها ڤيلار(VILLAR) الذي اعتبر ثورة المريدين حركة قومية دينية حركها الشعور بالإنتماء للجنس الاسباني وكره الأجنبي ، بينما رأى فيها لاغاردير (LAGARDERE) وبالنثيا استمرارا للحركة السرية التي شهدتها الأندلس في نهاية القرن الثالث للهجرة وبداية القرن الرابع [5]وهناك من الدراسات من أرجعها إلى رفض ابن قسي استخدام النصارى [1] من طرف علي بن يوسف في البلاط والجيش.[2]

---

1 احمد ابن قسي : المصدر السابق ، ص 30.

2 - البيذق: اخبار المهدي بن تومرت، ص 87.

3 - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 148.

4 - يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 215 وما بعدها.

5 - بوتشيش: المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص 164 ؛ بينما يرى الاستاذ مصطفى بنسباع ان المريدين وظفوا بعض عناصر الفكر الشيعي الباطني في بناء ايديولجيتهم التي استهدفوا من خلالها معارضة الدولة المرابطية السنية . مصطفى بنسباع : المرجع السابق ، ص 105 .

2–أصول حركة المريدين :

بعد مصرع الأمير تاشفين سنة 539هـ/1145م [3] بدأت الأمور تختل في دولة المرابطين خاصة في الأندلس حيث تعاظمت الفتن [4] وكأن هؤلاء الثوار انتظروا هذا التوقيت حتى تقوم حركتهم الاحتجاجية الثائرة بعد مقتل تاشفين بن علي.[5]

بَيْد أن الغريب في هذه الثورة على المرابطين ليس في تسارع اندلاعها إنما كذلك في تسرُّع ثائريها دون التفكير في عواقبها او النظر إلى ما يحيط بالأندلس من مخاطر حقيقية محدقة بالإسلام والمسلمين هناك ، وترصد النصارى لهكذا فرص بغية الانقضاض على البلاد الإسلامية ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله : << ولما اضطرب أمر المرابطين من لمتونة بالأندلس وضعفوا وكثرت الفتن والثوار واغتنم العدو ذلك فإستولى على البلاد واشتهر ظهور الدولة المؤمنية والطائفة المهدية بالمغرب وافتتحوا دارا لملك مراكش واستأصلوا ارباب الأمر تعلقت آمال المسلمين بهم واستصرخهم الناس وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين سوء جوار وحبا في الادالة وتبدل الملوك>>.[6]

---

[1] – ذكر صاحب الحلل الموشية أن أمير المرابطين علي بن يوسف هو أول من سمح للنصارى بالخدمة عنده في البلاط والجيش حيث يقول عن ذلك :<< وهو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم في جباية المغارم>>. مجهول: الحلل الموشية، ص ص 84–85.

[2] – حيث اختزل كودير (GORERA) أسباب ثورة المريدين في رفض ابن قسي مبادرة أمير المرابطين علي بن يوسف التي تقضي بالسماح للنصارى في استخدامهم في بلاطه وجيش المرابطين. بوتشيش: المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص164.

[3] –هو أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني،كنيته أبو المعز وقيل أبو عمر وقيل أبو محمد تولى الحكم بعد وفاة أبيه علي سنة 537هـ/1143م كانت معظم أيامه فتن خاصة فتنة الموحدين الذين استفحلت ثورتهم، وقد كان يسلك طريق الشريعة ولاه أبوه في عهده على الأندلس فقدو الحصون وسد الثغور وقوى جيشه فإستكثر الرماة وآثر الجند وقلد الأسلحة. عن حياة تاشفين وأيامه ومصرعه انظر: ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 165 وما بعدها ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص ص 121–134 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4، ص 100–14 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة،ج1، ص ص 446–454.

[4] – وما زاد على ذلك هو التناحر في البيت الحاكم حيث وقع الخلاف والتدابر بين ابراهيم بن تاشفين وعمه اسحاق بن علي بن يوسف وهو ما أدى إلى انقطاع دولتهم وتقهقر نفوذهم. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 105.

[5] – دندش: المرجع السابق، ص 49.

[6] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 265.



وقد يكون الأندلسيون ضاقوا بالروح الدينية التي تمسك بها المرابطون كثيرا كونها دولة مجاهدة [1]، خاصة بعد أن تعودوا حياة التحلل الديني والاخلاقي أيام زمن ملوك الطوائف، فصعب عليهم هذا الوضع الجديد، رغم أن المرابطين لم يكونوا ليتعرضوا للأندلسيين في حياتهم الخاصة أو العامة بل كان شغلهم الشاغل هو الجهاد ونشر الدعوة وتخليص المسلمين الأندلسيين مما حاق بهم من تحرشات نصرانية.[2] وكان أمر الأندلسيين قد زاد سوءا حيث انغمسوا في لهوهم وشرابهم تاركين أمر الدفاع عن بلادهم لغيرهم ، وكان من نتائج هذا الإنحلال هو لجوء فريق منهم إلى التزهد والتصوف [3] بعيدا عن كل ما يجري خلاف ذلك في الاندلس.

---

1 – كما أن هذه الدولة قبل تبلورها إلى مشروع سياسي كانت دعوة صادقة ومنهجا للتغيير والاصلاح الاجتماعي والديني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خاصة إذا علمنا حجم الفساد والانحراف الذي انتشر وسط المنطقة. مجهول: الحلل الموشية، ص ص 19-20 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 08.

2 – وهذا ما لمسناه في تتبع سيرة قادة دولة المرابطين في مرحلتي الدعوة والدولة ولعل من أمثلتها ما أورده المؤرخون في وصف علي بن يوسف– مثلا– بالرجل المجاهد المدافع عن الاسلام المقتدى بأوامر الفقهاء والمعظم لهم. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 250 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج 4، ص 59 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص ص 84-85 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص 124.

3 – التصوف هو ترك الدنيا والزهد فيها والاعراض عنها. أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلا باذي: كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق ارثرجون أريري، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1994 ،ص 7 ؛ والعكوف على العبادة والانقطاع لله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة. ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 225 ؛ وقد نقل الامام كمال الدين الادفوي المصري (ت 748 هـ/ 1347م) نقلا عن نقلا عن ابي عثمان سعيد بن اسماعيل (احد اكابر هذه الطائفة) قوله ان التصوف هو الصحبة مع الله بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم . كمال الدين الادفوي المصري : الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ، تحقيق : محمد عيسى صالحية ، ط 1 ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، 1988 ، ص 35 . وينقد هذا الكتاب التصوف والصوفية .للاستزادة انظر بقية صفحات الكتاب ؛ وهو عموما اتجاه سلوكي مضمونه التقشف والانقطاع عن الدنيا . رفيق لعجم : موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1999 ، ص 24 ؛ ويضيف الكلاباذي أنهم سمو بالصوفية لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم ، وقال بعضهم الصوفي من صفت لله معاملته، وقال البعض أنما سموا صوفية لوجودهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همسهم إليه، وقال آخرون أنهم سموا كذلك لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون إنما أسهم كذلك للبسهم الصوف. الكلاباذي: المصدر السابق، ص 5 ؛ ومنهم من قال بانهم منسوبون الى سوفيا اليونانية أي الحكمة اليونانية. محمد بن احمد بن علي الجوير : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية ،ط 1 ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، 2003 ، ج 1 ، ص 48 ؛ وقد ذ كر القاشاني ان هناك زهد العامة وهو التنزه عن الشبهات بعد ترك الحرام حذرا عن المعتبة كراهة مساواة الفساق . عبد الرزاق القاشاني : لطائف الاعلام في اشارات اهل الالهام ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط 1 ، مطبعة دار

ومن المعلوم أن المراكز الصوفية قد انتشرت في بلاد الأندلس في القرن السادس للهجرة، حيث ظهرت هذه الحركة في عدة مدن من أهمها مدينة المرية [1] حيث كان أبو العباس ابن العريف [2] من أهم روادها.

كانت مدينة المرية من أشهر مدارس الصوفية حيث تعد من أهم موانئ الأندلس ومنها يسافر إلى المشرق كل أطياف الناس من سكان وتجار وطلبة علم وحجاج وغير ذلك ، وبها ينزل كل من قدم من المشرق على اختلاف مذاهبهم ومناهلهم ومدارسهم ، لذلك كانت مدينة المرية ملتقى لجميع التوجهات والأفكار ، إضافة إلى ذلك أن فقهاء هذه المدينة كان لهم موقف من حادثة احراق كتب الغزالي [3] ولم يتغير موقفهم.[1]

الكتب المصرية ، القاهرة ، 1995 ، ج 1 ، ص 510 ؛ وقد اورد العز بان عبد السلام في كتابه زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز فصلا عن صفاء الاحوال . للاستزادة انظر : العز بن عبد السلام : زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز ، تحقيق : احمد عبد الرحيم السايح و توفيق علي وهبة ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2009 ، ص ص 172 – 174 ؛ غير ان بعضا من علماء مالكية المغرب ممن كانوا قريبين زمنيا من دولة المرابطين ومنهم ابو فارس عبد العزيز محمد القيرواني (ت 750 هـ/ 1349 م) الذي له عدة مآخذ على الصوفية . للاستزادة انظر الى نص الفتاوي . ابو فارس عبد العزيز محمد القيرواني : الفتوى المالكية في افعال الصوفية ، تحقيق : ابو احمد علي الكندي المرر ، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع ، ابو ظبي ، 2009 ، ص ص 15 – 26 .

1 – دندش: المرجع السابق، ص 51 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 166 ؛ عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والاندلس ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990 ، ص 262 ؛ V. LAGARDERE : la révolte des muridun , revue de l'occident musulman et de la méditerraneé , 1983 , aix-en-provence , numéro 35 , p : 161 .

2 – هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، أبو العباس، ابن العريف، أصل أبيه من طنجة تعلم القرآن وطالع الكتب منذ صغره ، تولى الحسبة ببلنسية وذاع صيته في الزهد والعبادة وكثر أتباعه على طريقته الصوفية، وقيل أن فقهاء بلده أنكروا مذهبه، كثرت كراماته، قيل أنه مات مريضا وقيل قتل بالسم وهو في طريقه من الأندلس إلى مراكش حيث مات بها وهو مقبور هناك . ابن الآبار: المعجم ، ص ص 27–28 ، انظر عن سيرته كذلك إلى ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 168 وما بعدها ؛ التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص ص 118–122 ؛ عن نكبة ابن العريف انظر : ابو العباس ابن العريف : مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، تحقيق : عصمت عبد اللطيف دندش ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1993 ، ص ص 36 – 39 ؛ عبد الحميد حسين احمد السامرائي : مدرسة المرية الصوفية بين الواقع والخيال (503 – 546 هـ) ، مجلة سر من رأى ، 2008 ، (د.م) ، العدد 10 ، المجلد 4 ، ص ص 144 – 145 .

3 هو محمد بن محمد الطوسي المكنى بأبي حامد والملقب بزين الدين ، ولد سنة 450 هـ / 1058 م ، برع في علوم كثيرة كان من الأذكياء ، درس ببغداد وبلاد الحرمين ، وقد كان يرتزق من النسخ ، رحل إلى الشام والقدس وقد رحل إلى طوس وأقام بها وبنى رباطا وبستانا ودرج على قراءة القرآن ، وحفظ الأحاديث وقد توفي في الإثنين 14 جمادي الآخرة من سنة 506 هـ /

وكان من أبرز رجال الصوفية بمدينة المرية الزاهد الصوفي ابن الاقليشي وأبو بكر بن نمارة وأبو القاسم عبد الجبار البجاني الاستاذ العددي وبعدها امتدت مراكز الصوفية فشملت مرسية [2] وجزيرة شقر[3] ومالقة وجيان وكذلك غرناطة التي كان بها أحد أكبر شيوخ المريدين وهو أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي.[4]

كما كثر الصوفية والزهاد بمدينة قرطبة ومن بينهم أبو الحسن بن غالب حيث وجه له ابن العريف أكثر من 20 رسالة يخاطبه فيها بالأخ الودود والصديق الوفي وغيرها من عبارات الود التي

1112 م ودفن بطوس ، وقد قال له أحد أصحابه أوصني ، قال عليك بالإخلاص ولازال يكررها حتى مات رحمه الله . ابن كثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص . ص 311 – 312 ؛ وقد وصفه الإمام القرضاوي بأنه أحد أعلام الفكر الإسلامي والفكر الإنساني بوجه عام ،كما أنه أحد العباقرة الذين تعددت جوانب نبوغهم وعطائهم ، الجامعين للمعرفة الموسوعية التي شملت العلوم الشرعية في عصره ، وقد شملت معارفه الفقه والأصول والكلام والمنطق والفلسفة والتصوف والأخلاق وغيرها ، وصنف في كل منها تصانيف تشهد له بالعمق والأصالة والتفوق وطول الباع ، وهو من ناحية أخرى أحد أقطاب التصوف ، والمجاهدة الروحية ، ورجال التربية والدعوة إلى الله تعالى . يوسف القرضاوي : الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ، ط 4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 ، ص 11.

1 – دندش: المرجع السابق، ص 51 . ، وقد اصدر القاضي ابن حمدين أمرا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، 59 ؛ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 70 ؛ حيث أصدر فتوى تقضي بأن كلام الإمام أبو حامد الغزالي في كتبه منحرف عن الإيمان الصحيح ، وانه لابد لهذا من صيانة عقيدة الناس بالحيلولة بينهم وبين قراءتها بإعدامها وتحريم تداولها وتهديد من لديه شيء منها . حسين مؤنس : نصوص سياسية في فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000 ، ص 15 .

2 – من أهمهم عبد الرحمان بن جعفر ابن ابراهيم بن أحمد المعافري أبو محمد بن الحاج اللورقي ذو الوزارتين من أهل لورقة لكنه سكن مرسية برع في الآداب حيث كانت بضاعته وصناعته استدعاه المرابطون للكتابة بحضرة مراكش في عهد علي بن يوسف ، ثم استعفى عن ذلك فعفي وانصرف إلى مرسية هاجرا خدمة الأمراء وراغبا في صحبة الفقراء زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة وجعل يؤذن بمسجده. ابن الآبار: المعجم : ص 238 وما بعدها.

3 – ومن أهم زهادها أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي أبو بكر والذي كان مصاحبا للاقليشي وقد كان يعرف بالعابد كثرة محبته للفقراء وإقباله على أعمال الجد والصلاح. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 267.

4 – هو محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشر الانصاري، أبو عبد الله وأبو بكر المعروف بالميورقي وكان يسكن غرناطة التقى بجملة من العلماء في رحلته للحج وهو ما كان له تأثير بالغ على فكره وتنشئته العلمية. ابن الآبار: المعجم، ص ص 146- 147.

تنم عن عمق الصداقة بينهما ومن هذه الرسائل يتضح أهمية ومكانة ابن غالب حيث كان يقوم بتوزيع الرسائل التي تأتي من ابن العريف إلى المريدين [1] في الاندلس عامة وقرطبة خاصة.[2]

ومن أهم صوفية غرب الأندلس على الإطلاق هو أبو القاسم أحمد بن قسي [3] وأبو الوليد بن المنذر وأبو عبد الله محمد بن سالم ، حيث يُلاحظ أن معظم زعماء المريدين بالغرب هم من أثرياء المولدين الذين تولوا مناصب قضائية أو وظائف مخزنية حيث يذكر ابن الآبار في الحلة السيراء أن ابن قسي كان قد << نشأ مشتغلا بالأعمال المخزنية >> [4] وأنه قد ابتنى رابطة من ماله الخاص وكان يجتمع فيها مع أصحابه كما أنه كان متصدقا بماله.[5]

نشأت رابطة الصداقة بين كل من ابن قسي وابن المنذر ومحمد بن سالم ثم اتصلوا بابن العريف، حيث ذكر إبن الآبار الأندلسي أن ابن العريف التقى بابن قسي بالمرية لكن دون تحديد تاريخ ذلك.[6]

وعلى أية حال فقد كان هؤلاء المريدين ليسوا على درجة واحدة في الغلو بل كانوا على درجات متفاوتة . فقد كانت غالبيتهم ممن يلتزمون بالكتاب والسنة وعلى رأس هؤلاء ابن العريف [7] وأبو الحسن بن غالب وأبو محمد عبد الجليل المعروف بالقصري وأما الجناح الثاني فكان يميل إللى

---

1 - اورد ابن عربي جزء من كتابه رسائل ابن عربي حول احوال المريد مع الشيخ وما هو الصاحب والمصحوب والمحب والمحبوب . للاستزادة انظر : ابن عربي : رسائل ابن عربي – شرح مبتدأ الطوفان و رسائل أخرى– ، تحقيق : قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، ط 1 ، أبو ظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، 1998 ، ص ص 171 – 192 .

2 – ابن العريف : المصدر السابق ، ص ص 111 – 148 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 52.

3 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 248 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج2، ص 197 ؛ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 87 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148 ؛ يوسف أشباخ : المرجع السابق، ج 1، ض 215 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 307.

4 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197.

5 – ابن قسي : المصدر السابق ، ص 22 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249 .

6 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197. وقد لمح إلى هذا اللقاء ابن الخطيب بقوله :<< واستقر جد نحلتهم بالمرية وكان بها رئيس هذا الشأن ودخلته والمشهور فيه الشيخ أبو العباس بن العريف>> ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

7 – وهذا ما لمسناه عند تتبعنا لسيرة ابن العريف من خلال كتب التراجم والسير والطبقات حيث اتفقوا على صلاحه وتدينه وتحدثوا عن كراماته وزهده . التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، ص 118-122 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص ص 27-28 ؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 168 وما بعدها.

المذهب الظاهري ويتزعمه أبو بكر بن محمد بن الحسين الميورقي وأبو عبد الله محمد بن خلف [1] المعروف بأبي عبد الله الشبوقي.[2]

أما الجناح المتطرف والذي يشكل الجناح الثائر في هذه الحركة فكان يتزعمه بعض صوفية غرب الأندلس وعلى رأسهم ابن قسي وهو الذي يمثل الاتجاه الباطني لهذه الحركة حيث قال عن ذلك ابن الخطيب : << وكثر خوضهم في الكتب التصوفية وموضوعات الغلاة من الباطنية والكلف برسائل اخوان الصفا [3] وأمثال ذلك >> [4] وعن ذلك قال ابن الآبار في الحلة السيراء : << ثم انصرف إلى قريته وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر، وهو يستجلب أهل هذا الشأن محرِّضاً على الفتنة وداعيا إلى الثورة في الباطن>>.[5]

وقد حاول الشيخ أبو الحكم بن برجان التقريب بين هذه التوجهات والموازنة بينها ، وقد استطاع الجناح المعتدل من هذه الحركة كبح الجناح الثائر على الاقل إلى حين ، وقد أدى ذلك إلى نشوب خلاف بين ابن برجان وابن العريف قد تكون لأسباب عقدية بحتة أو ربما هو الصراع الخفي

---

[1] دندش: المرجع السابق، ص ص 57-58.

[2] – هو محمد بن خلف بن أحمد بن علي بن حسين اللخمي المعروف بأبي عبد الله بن الشبوقي، كان محدثا وفقيها ظاهري المذهب وهو من غرب الأندلس واعتقل بمراكش أيام علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وقد كتب عن التصوف وهو في سجنه بمراكش. ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق احسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1973، السفر السادس، ص ص 181-182.

[3] – اخوان الصفا جمعية فلسفية سرية قامت على المحبة والالفة كتبوا سلسلة من الرسائل سموها رسائل اخوان الصفا بثوا فيها آراءهم وافكارهم وتعد هذه الرسائل موسوعة فلسفية صاغوها في قالب آدبي جذاب ، فقدموا اثنين وخمسين رسالة تكلموا فيها عن جميع العلوم والمعارف في زمانهم والعلوم السابقة عن زمانهم ، كما لخصوا افكارهم في رسالة سموها الرسالة الجامعة . علي هادي طاهر : التعليم عند اخوان الصفا والغزالي — دراسة مقارنة – ، مجلة دراسات البصرة ، 202 ، البصرة ، العدد الاول ، ص 98 ؛ وقد اشتق اسم جماعة الصفا من الصفاء لان غايتها السعي الى سعادة النفس الانسانية ، وقد ظهرت هذه الجماعة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . محي الدين ابن عربي : شجون المسجون وفنون المفتون ، تحقيق : علي ابراهيم كردي ، ط 2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005 ، ص 96 ، هامش 3 . وقد اورد ابن عربي جانبا من بعض رسائل اخوان الصفا في الصفحتين 96 و 97 حيث جاء فيها ان ((سريان قوى النفس في مفاصل الجسد واختلاف اعضائه ، كسريان اجناس الملائكة ... فكما ان حياة الابدان بالتنفس ، فكذلك حياة النفوس بالتفكر)) .

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197.

بين أجنحة هذه الحركة، ومهما يكن السبب فيبدوا أن الأمر كان يتعلق بتمسك ابن العريف [1] بالالتزام بالكتاب والسنة وتفرغ المريد للعبادة والزهد ، وأن يكون تغيير المنكر على الحاكم بالشرط وما في معناه ، وعلى العلماء بالنصيحة والتبيين وعلى الأصدقاء بالرفق والنصيحة والأهم من ذلك كله هو إصلاح الإنسان لنفسه بنفسه.[2]

3–مراحل ثورة المريدين

أ–المرحلة السرية :

لقد تميزت هذه المرحلة عمواما بالنشاط السري غير أن الاغتيالات طالت العديد من المريدين كما سنعرف فيما يأتي ، وقد تعرض شيوخ المريدين للمراقبة الشديدة من قبل سلطات المرابطين فقد تعرض أبو بكر بن نمارة إلى السجن وكان صديقا لابن العريف حيث قال عن ذلك ابن عبد الملك:<< وامتحن بالسجن سنة ثلاث وثلاثين وكتب هنالك " شرح مقدمة ابن باب شاذ" وكتبت

---

[1] – وقد ذكر ابن خلكان أن أتباع ابن العريف كانوا كُثرا وعلق على ذلك بقوله: << وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته>>. وزاد على ذلك أن ابن العريف كانت له كرامات وأن الناس قد احتفلوا بجنازته لدرجة أن علي بن يوسف قد ندم على استدعائه لمراكش. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 169.

[2] – دندش: المرجع السابق، ص ص 59–61 ؛ وقد تكلم ابن العريف في مؤلفه الموسوم كتاب النفائس ومحاسن المجالس عن الزهد عن طريق حبس النفس عن الملذوذات ومخالفة داعي الهوى وترك ما لا يعني من كل شيئ . ابن العريف : كتاب النفائس ومحاسن المجالس ، اخرجه وقدم له : نهاد خياطة ، (نشر ضمن مجلة المورد) ، مجلة المورد ، 1980 ،(د.م) ، العدد الرابع ، المجلد 9 ، ص ص 688 – 689 ؛ كما ذكر العلامة عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ / 1565م) ان المريد من شانه مجاهدة نفسه دائما بترك الشهوات ، وان الخير في الاتباع والشر في الابتداع . عبد الوهاب الشعراني : الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تحقيق : طه عبد الباقي سرور و السيد محمد عيد الشافعي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1988 ، ج 1 ، ص ص 80–81 . وقد استرسل ذات المؤلف في ذكر آداب المريد بالتفصيل في جزء الكتاب الاول ص ص 51 – 166 ؛ للاستزادة حول اهم المراسلات بين ابن برجان وابن العريف انظر : ابن العريف : المصدر السابق ، ص ص108 – 110 .

له المقدمة به >> [1] كما تعرض لنفس المصير الشيخ أبو عبد الله الشبوقي حيث تغرَّب عن الأندلس ليتم نقله إلى مراكش وسجنه.[2]

استطاع بعض المريدين الإفلات من مراقبة السلطة الحاكمة واللجوء إلى أماكن بعيدة عن الشبهات وقد وصل الأمر إلى تعرض إحدى النساء للتعذيب وربما يكون ذلك من أجل استنطاقها لمعرفة أسماء بعينها أو لإدلاء بمكان البعض الآخر ، وقد صبرت هذه المرأة وثبتت إلى درجة أنهم اقتلعوا عينيها ومع ذلك لم تبح لهم بشيء.[3]

وقد بدأت الرقابة تشتد على هذه النواحي من غرب الاندلس ربما يرجع ذلك إلى الهجمات المتكررة للنصارى هناك غير أن في هذا الوقت بالذات كان الأمير تاشفين بن علي واقفا عى جهاد النصارى في تلك الأنحاء وقد نقل لنا ابن الخطيب وصفه نقلا عن ابن الصيرفي بقوله : << وكان بطلا شجاعا أحبه الناس خواصهم وعوامهم وحسنت سياسته فيهم وسد الثغور وأذكى على العدو العيون وآثر الجند ولم يكن منه إلا الجد ولم تنل عنده الحظوة إلا بالعناء والنجدة>>.[4]

كما نقل لنا ابن عذارى أنه كان نشطا في جهاده للنصارى وانتصر في معظم حروبه في الاندلس حتى أحبه أهل قرطبة الخاص والعام ، فذاع صيته وساس أهل الاندلس سياسة جعلته مضرب الامثال في الاستقامة واتباع أمور الشريعة [5] ، أو ربما كانت الرقابة الشديدة على المريدين لمراقبة تحركاتهم لدرجة أن الرقابة اشتدت حتى على الخطابات التي صارت تتعثر في الوصول إلى

---

[1] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، ص 17.

[2] – وعن ذلك يقول ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :<< وهو ممَّن غُرِّب عن الأندلس (أي نفي وصار غريبا) واعتقل بمراكش أيام الأمير أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني ، وقفت على مجموع في التصوف ذكر أنه كتبه بسجن مراكش وفرغ منه آخر يوم من رمضان تسع وعشرين وخمسمائة>>. نفس المصدر، ص 182.

[3] –دندش: المرجع السابق، ص 61.

[4] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 446 . ويواصل ابن الخطيب وصفه بتفرغه للجهاد بقوله في ذات الصفحة << وبذلك حمل على الخيل وقلد الاسلحة وأوسع الارزاق واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام همتهم للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب ففتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو>>.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 79.

أصحابها حتى أن ابن العريف نفسه وضعوه تحت المراقبة وصار لا يدوّن في رسائله اسم المرسل أو المرسل إليه ، ورغم ذلك كان ابن العريف وغيره من زعماء المريدين يحاول الاطمئنان على إخوانه رغم التضييق عليهم.[1]

أو ربما يكون اغتيال القاضي ابي عبد الله محمح بن الحاج قاضي الجماعة [2] بقرطبة [3]علاقة بما حدث للمريدين حيث أن الأمير المرابطي علي بن يوسف أرسل ابنه تاشفين إلى قرطبة للسهر على أمور البلاد والعباد حيث نقل لنا ابن عذارى وصية علي بن يوسف لابنه وهذا جزء مما جاء فيها : << وأول ما نوصيك به تقوى الله ، فإجعلها بردة شعارك وعقد اضمارك وعهدة ايرادك واصدارك ، ثم اعتمد المعدلة في عباد الله فإنما أنت واحد منهم وكلنا عبيد الله إلى التراب انتسابنا وإلى الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال وإنما يتميزون بالمساعي والأعمال>>.[4] وقد وصف النباهي مقتل القاضي محمد بن الحاج بقوله : << إلى أن قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة وهو ساجد لاربع بقين من صفر من سنة 529هـ/1134م>>.[5]

---

[1] – دندش: المرجع السابق، ص 62. وقد نقل لنا صاحب هذا المؤلف رسالة أحد المريدين لابن العريف حيث أخبره أنه نزل في كنف ابن برجان في اشبيلية غير أنه يفكر في الرحيل إلى شرق الأندلس لأن حالة الأمن لم تعد كما كانت. وهذا دليل واضح على حالة اللاأمن التي صارت تؤرق المريدين بغرب الأندلس.

[2] يسمى بقاضي الجماعة أي جماعة القضاة وهو يستمد اختصاصاته مباشرة من أمير المسلمين ؛ لمعرفة اختصاصات قاضي الجماعة انظر : فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي ، جمع وتحقيق : محمد أبو الأجفان ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2000 .

[3] –ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة، 1990، ج3، ص 845 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93 ؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 102 51 ؛ للاستزادة حول قضاة قرطبة انظر : الخشني : قضاة قرطبة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة 1989 .

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 87 ، كما أوصاه بقوله :<< واجعل قرطبة دار سكناك وقرارة مثواك وعلى مقدار ما زدناك من العمل فإزدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسعاك واستعن بالله في إعلانك واسرارك>>.

[5] – النباهي: المصدر السابق، ص 102. وقد ذكر النباهي بعض أوصاف هذا القاضي بقوله أنه كان من كبار العلماء معدودا في المحدثين والأدباء ، بصيرا بالفتيا، راسما في الشورى ، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه ، لمعرفته وثقته وديانته وكان كثير الخشوع والذكر لله تعالى وبقي متوليا القضاء إلى أن قُتل.

كما وصف ابن عذارى مقتله نقلا عن أبو بكر يحي بن محمد الأنصاري بقوله: << وقتل في هذه السنة (529هـ/1134م) قاضي قرطبة أحمد بن خلف التجيبي رحمه الله أكب رجل عليه وهو في المسجد الجامع وهو في السجدة الاولى من ركعتي الجمعة فضربه بخنجر فصرخ، وقطعت الصلاة وبطش بالضارب وحز رأسه فرفع في عصا وشهر(اي أشهَر) رجل آخر سيفا فقتل به وألحق بصاحبه وهرج الناس في الجامع ، لا يعلم أكثرهم ماذا حدث فيه ثم انزعجوا إلى المقصورة فسدت أبوابها ومنعوا منها ، وشهر المرابطون أسلحتهم وأخرجوا أميرهم تاشفين على باب الساباط وحمل القاضي في نعش فقضى عند العصر، والتطخت قرطبة بما لم يشتمل عليه ديوان ولا بدر في زمان من اغتيال قاض عدل فقيه خير جامع لأعمال البر قتل مظلوما ساجدا في صلاة الجمعة >> .[1]

أما ابن شكوال فنقل لنا مقتله ودفنه بقوله : << ولم يزل آخر مدته يتولى القضاء بقرطبة إلى أن قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة ، وهو ساجد ، لأربع بقين من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ودفن عشي يوم السبت بمقبرة أم سلمة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم، وشهده جمع عظيم من الناس، واتبعوه ثناء حسنا >>.[2]

غير أن من يسرد تفاصيل وفاته من خلال ما رأينا هو ابن عذارى الذي أوضح لنا أن القاتل هناك من كان يترقبه لحمايته وتسهيل الفرار له حيث أنه عندما قتل الجاني أشهر سيفه ثم وقع الهرج في الجامع ، لكن من المحتمل أن يكون المقصود بالقتل هو الأمير تاشفين بن علي ، فقد يكون القاتل قد ظل طريقه وأخطأ الضحية ، ومازاد في تعقيد القضية هو مقتل الجاني وصاحبه لذلك ذهب السر معهما،[3] ، وعلى أية حال فقد أخبرنا ابن عذارى أن قرطبة دخلت في هرج خاصة عندما ثارت

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93.

[2] – ابن شكوال: المصدر السابق، ج 3، ص 845 . وقد أثنى عليه ابن شكوال بجميل الصفات حيث يقول في الصفحة التي قبلها ما يلي :<<كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء معدودا في المحدثين والأدباء وبصيرا بالفتيا، رأسا في الشورى...وكان معتنيا بالحديث والآثار جامعا لها، مقيدا لما أشكل من معانيها، ضابطا لأسماء رجالها ورواتها... وعالما بمعاني الاشعار والسير والأخبار، قيد العلم عمره كله وعني به عناية كاملة، ما أعلم احدا في وقته عني به كعنايته>>.

[3] دندش : المرجع السابق، ص 64.

العامة واقتحموا حيا لليهود وانتهبوا أموالهم بعدما اقتحموا منازلهم وزاد على ذلك مقتل البعض منهم [1].

انتقلت بعد ذلك حالة اللاأمن هذه إلى اشبيلية حيث هاجم بعض الأشخاص [2] القاضي أبو بكر بن العربي قاضي اشبيلية واعتدوا عليه وذلك لأنه كان له حزمٌ في معاقبة الجناة والمخالفين للشرع ، حيث أنه كان صارما في أحكامه ،[3] ولعل ذلك يتوافق مع ما أورده النباهي في كتابه قضاة الاندلس من شدة وحزم القاضي ابن العربي حيث يقول : << وكان من أهل السرابة في الحق والشدة والقوة على الظالمين والرفق بالمساكين >> [4] ، فهل كان الاعتداء على هذا القاضي له علاقة بالمريدين خاصة وأن هذا القاضي عرف عنه ميله للسلطة المرابطية وسيره في فلكهم ، فقد ذكر أبو عبد الله بن المجاهد الاشبيلي شيخ الصوفية أنه انقطع عن حضور مجالس ابن العربي بعدما كان يتردد عليها مدة ثلاثة أشهر وقال عن سبب ذلك << وبلغته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان>>.[5]

إذا كانت هذه الحوادث من فعل بعض المريدين فهم لا شك من الجناح المتطرف الميَّال إلى العنف ، وتزامن هذا مع انتشار الفكر التورمرتي بالمغرب وانتصارات الموحدين هناك خاصة إذا علمنا

---

[1] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 93.

[2] وصفهم ابن عذارى بالسفلة.

[3] – وقد ذكر ابن عذارى أن القاضي ابن العربي كانت له في عقاب الجناة اختراعات منها ما يهلك ومنها ما يضحك حيث عثر أعوانه مرة من المرات على حامل خمر فباغته وتخفى بسؤاله وتلمس طريقا يخرجه إلى ثقاته وطمس ذلك الرجل وأبهم الأمر وقال عندي خادمة رومية فشريت الخمر وحملته لها فذكره العربي باللعن لبائع الخمر وحاملها وعاصرها ومبتاعها، فأمر بلعنه وعرضه على الحامل ثم خلى سبيله ، فإنطلق عليه اللعن في كل مكان ومن كل إنسان حتى رحل عن البلد. وقد ظل ابن العربي يوالي التشدد والتسلط حتى ثقل على الفساق والأشرار فهاجموه . نفس المصدر، ج4، ص ص 93-94.

[4] –النباهي: المصدر السابق، ص 106 ، ويزيد عن ذلك قوله في ذات الصفحة نقلا عن أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير أن القاضي ابن العربي نفع الله به العباد لصرامته ونفوذ أحكامه والتزامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله.

[5] – ابن عبد الملك: المصدر السابق ، السفر الخامس ، ص 666.

أن المهدوية قد أعلنها ابن قسي هو الآخر على غرار مهدوية ابن تومرت [1] ، وقد فرضت حالة اللأمن هذه التشدد في الرقابة على كل من خارج منطقة غرب الأندلس أو اشبيلية أو قرطبة كما أنه يبدو أن حدة الصراع قد اشتدت بين أجنحة المريدين بسبب تورط البعض في أحداث تسببت في مطاردة السلطة لهم.

وقد تم مهاجمة ابن العريف ومن سار على توجهاته وأفكاره وكادت تحدث فتنة تقضي على الجماعة كلها ، وازداد اللَّغطُ والكلام حول المريدين وارتفعت الأصوات المحذرة منهم وهو ما قال به ابن الخطيب في أعمال الأعلام << وكثر جمعهم ووقع الحديث بهم وحذروا صاحب الدولة، فتفرقوا، واستقر حد نحلتهم بالمرية >> [2] ، وبذلك بدأت دولة المرابطين في تتبع أقطاب هذه الحركة التي ستصبح ثورة فيما بعد خاصة في غرب الاندلس وهو ما أدى بإبن قسي إلى التواري عن الأنظار حيث اختفى في قرية الجوزة [3] في منطقة ميرتلة.[4] ليتم القبض على ثلة من اصحابه منهم محمد بن عمر بن المنذر أبو الوليد [5] ، وصارت السلطات المرابطية تشك في أي تجمع ينسب إلى المريدين وانقطعت الرسائل تقريبا من جهة اشبيلية وقل التواصل بينهم [6] ، ومما زاد في تحامل دولة المرابطين على ابن العريف خصوصا وعلى المريدين عموما هو تهجم ابن العريف على طبقة القضاة والفقهاء خصوصا شرق الأندلسة ، وهو ما ألَّب الفقهاء والقضاة عليه ومنهم خاصة أبو بكر محمد بن اسود

---

[1] – محمد العمراني: حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العصر المرابطي في القرن السادس الهجري– الثاني عشر الميلادي– ، دار أبي رقراق، الرباط، 2006، ص 77.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[3] – نفس المصدر، ص 250 ؛ غير أن ابن الآبار الأندلسي في كتابه الحلة السيراء قال أنه << طلب فاستعفي >> دون الإشارة إلى مكان الاختفاء ثم ذكر في الصفحة الموالية أنه كان يوجه أنصاره من موضع استخفائه. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 197–198.

[4] – ميرتلة مدينة بالأندلس شرقي مدينة باجة ، بينهما أربعون ميلا وهي على وادي آنة بمقربة من شاطئ البحر مرسى هاشم ، وهو حصن أولي به آثار قديمة وكنيسة عظيمة بنيت أيام قسليان قيصر الذي بنيت في أيامه كنيسة طليطلة المعروفة بكنيسة الملك. الحميري: صفة جزيرة الأندلس ، ص 191.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 203 . وعن ترجمته وحياته أنظر إلى نفس المصدر، ص ص 202–211.

[6] – دندش : المرجع السابق، ص 67.

[1] ، وقد شكى هؤلاء الفقهاء أمر ابن العريف إلى أمير المرابطين وعن ذلك يقول ابن الابار في كتابه المعجم << وتصدر بالمرية للإقراء وقد أقرأ بسرقسطة ووُلي الحبسة ببلنسية وكان ينوع خطبه فيجيد ، وبعد صيته في الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على طريقته الصوفية، حتى نمي ذلك إلى أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين>>.[2]

رغم أن آراء ابن العريف كانت معتدلة ، وكان مشهورا عنه تمسكه بالكتاب والسنة وهو ما قاله التادلي في كتابه التشوف إلى رجال التصوف حيث قال عنه <<كان متناهيا في الفصل والدين منقطعا إلى الخير وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته ، ويسعى به السلطان فأمر بأشخاصه إلى حضرة مراكش>> [3] ، ويتوافق هذا الراي مع ما قال به المقري في النفح حيث ذكر أنه من صلاحه وزهده كان يُتبرك به في تلك الديار وأنه أحضره السلطان المرابطي علي بن يوسف إلى مراكش وأنه كانت له كرامات شهيرة ومقامات كبيرة [4] ، وبذلك قرر المرابطون إيقاف ابن العريف واستطاع عامل المرية أن يقبض على ابن العريف بإيعاز من القاضي ابن الاسود الذي تمكن من مقابلة أمير المرابطين وأذكى في نفسه فكرة القبض على ابن العريف وسجنه للتخلص منه ومن افكاره.[5]

وعند وصوله إلى حضرة الأمير المرابطي علي بن يوسف أمر بإطلاق سراحه بل وأكرمه تقديرا لصلاحه وتقواه وزهده حيث ذكر ابن الآبار في المعجم أن علي بن يوسف << أنكر عليه تسرعه

---

[1] – هو محمد بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر بن أسود الغساني القاضي أبو بكر وهو من أهل المرية تولى القضاء لدولة المرابطين شرق الأندلس دهرا طويلا ثم صرف عنه منكوبا وحمل إلى مراكش وهو من جلة الفقهاء المشاورين وله تآليف في تفسير القرآن واعتناء بالحديث. ابن الآبار: المعجم، ص ص 134–135.

[2] – ابن الابار : المعجم ، ص 27.

[3] – التادلي: المصدر السابق، ص 118.

[4] – المقري: المصدر السابق، ج3، ص 230.

[5] – التادلي: المصدر السابق، ص ص 118–119. ويذكر لنا التادلي في الصفحة 119 و 120 أنهم أساؤوا إلى ابن العريف إلى درجة تكبيله غير انهم فكوا قيوده فيما بعد بعد أن وصل إلى سبتة ببلاد المغرب حيث أكرمه أمير المرابطين غير أن خطة دنيئة حيكت لقتله بوضع السم في الأكل فمات.

إليه وقدَّر فضله وصلاحه لديه فورد أمره بتخلية سبيله >> [1] ، ولم يكن ابن العريف وحده الذي تم احضاره إلى بلاد المغرب بل كان معه في نفس السفينة الشيخ ابن برجان الذي تم احضاره من اشبيلية ومعهم كذلك الشيخ أبو بكر الميورقي الذي أُرسل من غرناطة.[2]

لقد قام أمير المرابطين بتسريح ابن العريف بل وأكرمه لما رأى فيه من صلاح [3] بل وندم على استدعائه لما رأى منه [4] ، وهناك اختلافات حول وفاة ابن العريف حيث ذكرت بعض المصادر موته بمرض وهو ما قال به ابن الآبار في المعجم [5] ، وهناك من ذكر موته دون تفصيل في ذلك [6] ، بينما هناك رواية أخرى تفيد بتعرضه لتسمم من طرف شخص ما أدى إلى قتله. [7] وقد ذكر التادلي قصة موته متسمما بقوله : << فلما رأى القاضي [8] ما حصل له من الحظوة لديه (أي لدى أمير المرابطين علي بن يوسف) سأل عن أحب الطعام إليه فقيل له الباذنجان فصنعه وعمل فيه السم واحتال عليه إلى أن أكله فمات >> [9] ، وكان موت القاضي ابن العريف سنة 536هـ/1142م حيث دفن بمراكش [10] .

---

[1] – ابن الآبار: المعجم، ص 28.

[2] –ابن عبد الملك: المصدر السابق ، السفر السادس ، ص 170. حيث ذكر ابن عبد الملك أن أبو بكر الميورقي وابن العريف وابن برجان كلهم تم حملهم إلى أمير المرابطين علي بن يوسف في مراكش.

[3] – التادلي: المصدر السابق، ص 120 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 28.

[4] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 169.

[5] ابن الآبار: المعجم، ص 28.

[6] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 169.

[7] – التادلي: المصدر السابق، ص 120 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 28. حيث ذكر ابن الآبار أنه إما مات مسموما أو مات مقتولا كما وضحنا قبل قليل في الهامش رقم (3).

[8] – أي القاضي ابن أسود.

[9] – التادلي: المصدر السابق، ص 120.

[10] – ابن الآبار: المعجم، ص 28 ؛ التادلي: المصدر السابق، ص 120 ؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 169 ؛ المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 230 ؛ غير أن ابن الخطيب يجعل وفاته سنة 537هـ/1143م. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

وبعد ذلك بشهور راود الشك أمير المرابطين في وفاة ابن العريف حيث شك في ابن اسود فأمر أن يموت بنفس الطريقة. [1] أما مصير ابن برجان فلم يكن أحسن حالا فقد كان مصيره مثل سابقه وهو ما يدل على وجود أدلة قاطعة في تورطه في أحداث المريدين خاصة بعد مبايعته بالإمامة في عدد كبير من مدن الاندلس، فلم يكن ليطمئن له ساسة المرابطين فقد توفي في ذات السنة وهي 536هـ/1142م [2] ، غير أن ابن الخطيب يجعل وفاته سنة 537هـ/1143م [3] .

وقد ذكر التادلي أن ابن برجان بعد وفاته أمر السلطان أن يطرح على المزبلة ولا يصلى عليه،[4] أما مصير أبو بكر الميورقي فقد كان خلاف ذلك حيث أمر أمير المسلمين بجلده ووضعه في السجن وعن ذلك يقول ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة << وامتحن من قِبَل علي بن يوسف (يقصد أبو بكر الميورقي)... وضرب بالسوط عن امره وسجنه وقتا ثم سرحه وعاد إلى الأندلس وأقام بها يسيرا ثم انصرف إلى المشرق فتوفي بالجزائر في شهر رمضان سبع وثلاثين وخمسمائة>>.[5]

إن المعاملة الطيبة لأمير المرابطين علي بن يوسف لزعماء الصوفية رغم تورط بعضهم في فتن وزعزعة لأمن الدولة جعلهم يستغلون ذلك في إذكاء الثورة ، وهذا يرجع إلى طيبته وتسامحه خاصة مع

---

1 – التادلي: المصدر السابق، ص 120. وفي ذلك يفصل التادلي بقوله :<< فلما علم السلطان بما كان من ابن اسود في جانب ابن العريف قال لأعذبنّه ولا سُمّنّه كما فعل بإبن العريف ، فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقى سما هنالك فإمتثل ما أمر به فمات هنالك >>.

2 – ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 237.

3 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

4 – التادلي: المصدر السابق، ص 170. ويضيف التادلي في ذات الصفحة أن أحد الرجال اسمه ابن حرزهم وهو رجل أسود حضر إلى مجلس علي بن يوسف وأخبره بما فعل السلطان فقال له علي بن يوسف اذهب ونادي في الأسواق والطرق وقل للناس أن يحضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله. وهذا دليل واضح على احترام علي بن يوسف للفقهاء وأهل العلم حتى وأن خالفوا أمره.

5 – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر السادس، ص 170.

العلماء والفقهاء وهذا ما لمسناه لدى كثير من المصادر التي تناولت سيرة علي بن يوسف [1] حتى أن الرسالة الصادرة من الأمير تاشفين بن علي في أوائل جمادى الأولى سنة 538هـ/ 1142م تخلو من أي إشارة إلى حركة المريدين وإنما كان فيها الإلحاح على الالتزام بالمذهب المالكي في القضاء والفتوى وكل ما يتعلق بالأحكام بين الناس ، [2] وبعد اختفاء ما يوصفون بالتيار المعتدل من حركة المريدين خلا الجو نهائيا للتيار المتطرف لإعلان الثورة [3] وبذلك تبدأ المرحلة الموالية والتي هي أشد وأخطر.

ب-مرحلة النشاط العلني (مرحلة الثورة) :

بوفاة ابن العريف وابن برجان وأبو بكر الميورقي خلا الجو للتيار المتطرف من حركة المريدين وكان عميد هذا التيار هو أحمد بن الحسين بن قسي [4] وهو رومي الأصل من مدينة شلب [5] في الاندلس [6] وكان << شيخا من مشايخ الصوفية المسمى أتباعهم بغرب الأندلس بالمريدين وقدره في تلك الطريقة معروف >>.[7] وقد نشأ ابن قسي مشتغلا بالاعمال المخزنية ثم تزهد وباع ماله

---

[1] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 124 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24 ، ص 150 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص 99 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 84.

[2] – دندش: المرجع السابق، ص ص 43-44.

[3] – بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 168.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2 ، ص 197 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 248 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148 ؛ البيذق: أخبار المهدي، ص 87 ؛ يوسف اشباخ: المصدر السابق، ج1، ص 215 ؛ عبد الله عنان : دولة الاسلام في الأندلس، ص 307 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 70 ؛ محمد العمراني: حواضر الأندلس بين التمرد والثورة، ص 84 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 168 ؛ هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان، 1984، ص 70.

[5] – سكب بكسر الشين وهي مدينة بالأندلس لها سبائط فسيحة وبطائح عريضة ولها جيل عظيم كثير المياه وأكثر ما ينبت فيه التفاح وهي في بسيط من الأرض عليها سور حصين بها جنات وغلات ، يبعد البحر عنها إلى الغرب ثلاثة أميال ، وهي حسنة الهيئة بديعة البناء مرتبة الاسواق، وسكان قراها عرب اقحاح كلامهم بالعربية الصريحة وهم فصحاء يقولون الشعر. الحميري: الروض المعطار، ص 342.

[6] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197.

[7] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص ص 248-249.

وتصدق بثمنه وساح في البلاد وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي [1] وكان قد ابتنى رابطة للعبادة بقرية جلة من قرى شلب كان يجمع بها دائرته وأنصاره.[2]

جذبت مواهبه إليه كثيرا من المريدين الذين كانوا على شاكلته أو المريدين الذين انخدعوا بمظهره [3] فكانوا في الظاهر طائفة دينية او فرقة صوفية وفي حقيقة الأمر أداة سياسية استخدمها ابن قسي في تحقيق مطامحه الثورية [4] ، خاصة وأن ثورة الموحدين كانت في هذا الوقت قد بلغت مبلغا كبيرا في إنهاك قوى الدولة المرابطية.[5]

وقد ادعى ابن قسي المهدوية [6] كما ادعاها أمام الموحدين المهدي بن تومرت وعلق على ذلك ابن الآبار : << وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر وهو يستجلب أهل هذا الشأن محرضا على الفتنة وداعيا إلى الثورة في الباطن ثم ادعى الهداية مخرقة وتمويها على العامة وتسمى بالإمام>>.[7]

---

1 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197.

2 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

3 – حيث ادعى المهدوية وكثرت مخاريفه واشتهر عنه أنه حج من ليلته ويناجي بما شاء وتتابع إليه الناس بالرحيل. نفس المصدر، ص 249.

4 – دندش: المرجع السابق، ص 70.

5 – علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << فشت دعوة المهدي، واتصلت طاعته وكثر أتباعه، وتكررت هزائمه للمرابطين المرة بعد المرة >>. مجهول: الحلل الموشية،ص 114.

6 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249 ؛ بولس نويا اليسوعي : رسائل ابن العريف الى اصحاب ثورة المريدين في الاندلس ، مجلة الابحاث (تصدر عن مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الاوسط بالجامعة الامريكية في بيروت) ، 1978 – 1979 ، بيروت ، العدد 26 ، ص 45 .

7 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 197.

وقد اتخذ من الرابطة التي بناها مكانا ومقرا لاجتماعه بمريديه وأتباعه وقد وصف ابن الخطيب ذلك بقوله : << وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب كان يجمع بها دائرته التي دارت بها على الاندلس دائرة السوء وادعى الولاية>>.[1]

أخذ ابن قسي يحرض اتباعه المريدين والناس من حوله على الثورة على دولة المرابطين. فإستجابوا لدعوته وقاموا بالثورة وهرع بعض أشياخ الجند والعشائر في تلك النواحي للإنضمام للثورة [2] ، وكان من هؤلاء أبو الوليد بن المنذر [3] وابو محمد سيد راي ابن وزير من يابرة [4] وآخرون من غرب الأندلس.[5]

مع نهاية سنة 538هـ/1144م كانت حركة المريدين قد اقتربت من مرحلة العنف الثوري وقد حاول ابن قسي أن يجس نبض القوة المرابطية في الاندلس في منطقته ، فأمر أحد أصحابه [6] بالهجوم على حصن منتيقوط في شوال من عام 538هـ/1144م وتغلب على الحصن لكن القوات المرابطية سرعان ما انقضت عليه وقتلته.[7]

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[2] – نفس المصدر، ص 249 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 70 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 71 ؛ بوتشيش: المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، ص 169.

[3] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 203.

[5] – ذكر ابن الخطيب بعض هؤلاء الثائرين الذين اتصلوا بإبن قسي ومنهم ابن عنان فارس، محمد بن عمر، عبد الله بن أبي حبيب. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[6] – لم يذكر ابن الخطيب اسم هذا الثائر.

[7] – علق على ذلك ابن الخطيب بقوله :<< وأوعز أبو القاسم بن قسي إلى أحد من طائفته أن ينتهز الفرصة في حصن منتقوط فإهتبل الغرة فيه وتغلب عليه في شوال من عام 538هـ وبادره المرابطون بجهته قبل أن يستعد فأنزلوه منه وقتلوه>>. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249-250.

بعدما فشل ابن قسي في هذه المحاولة وعلم بمقتل صاحبه دب الخوف في نفسه فهرب إلى قرية الجوزة من قرى ميرتلة واختبأ هناك.[1]

غير أن ابن قسي رأى بأن الفرصة صارت مواتية نظرا لما لحق بالمرابطين من هزائم في بلاد المغرب من جراء هجمات الموحدين الثائرين وبذلك انقطعت الإمدادات من المغرب نحو الاندلس، [2] واستغل ذلك النصارى الذين وثبوا على عدة مناطق في الأندلس وبذلك صار الأمن منعدما في بلاد الأندلس حيث علق على ذلك ابن الخطيب بقوله : << واللمتونيون في أثناء هذا الحال قد انقطعت عنهم مواد الغرب بما دهمه من فتنة المهدي وأجحفوا بالناس بسبب اجتياح جندهم بالاندلس ، وتحاملت عليهم الناس وتوفرت دواعي الشتات بفترة الخوف واستهدفوا الخلع وكثرة التعدي في الطرق والدوابر في السبل والفتك بالرفاق >>.[3] وبذلك صار المرابطون في وضع سيء للغاية إذ تكالبت عليهم قوى النصارى في الأندلس وتعاظمت ثورة الموحدين بالمغرب التي ألبت عليهم كثيرا من القبائل وصار الجو في الأندلس مناخا خصبا للقيام بأي ثورة أو تمرد في ظل انشغال المرابطين بما طالهم من النصارى والموحدين.

تعتبر سنة 539هـ/1145م بداية الانطلاقة الفعلية لثورة المريدين حيث علق على ذلك ابن الآبار : << السنة القارضة ملك اللمتونيين >>. [4] وهو وصف دقيق على تهاوي سلطان المرابطين وتعاظم أمر الثائرين ، حيث أشار ابن قسي من موضع استخفائه على أصحابه المريدين أن

---

[1] – ابن عربي : شرح كتاب خلع النعلين ، ص 19 ؛ وقد وصف ذلك ابن الخطيب بقوله :<< ثم خاف ابن قسي عند القبض على المذكور (يقصد صاحبه المقتول) فخرج إلى جهة ميرتلة من حصون الغرب بكورة شذونة فإستقر عند قوم يعرفون ببني السنة >>. ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص 250.

[2] – علق ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس على تعاظم أمر الموحدين في عهد تاشفين بن علي بقوله :<< في معظم ايام الفتنة وقد قام الموحدون وظهر أمرهم وانتشر سلطانهم وملكوا كثيرا من بلاد العدوة ، فكانت بينهم وبين عبد المؤمن بن علي حروب عظيمة ووقائع كثيرة >>. ابن اي زرع: المصدر السابق ، ص 165 ؛ أما صاحب الحلل الموشية فلخص ذلك في قوله :<< فلم تقم له قائمة وتبدد عسكره ولم يكن له جواز إلى الأندلس بسبب اشتغاله بحرب الموحدين>> مجهول: الحلل الموشية، ص 121.

[3] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

[4] ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 198 ؛ عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 263 ؛ **A.FAURE :the encyclopaedia of islam , vol 3 , p:816 .**

يسيروا مع محمد بن يحي الشلطيشي [1] إلى حصن ميرتلة أحد القلاع الحصينة بغرب الأندلس وكان معه زهاء السبعين رجلا وتم الاستيلاء عليه.[2]

ويتضح من خلال المصادر التي بين أيدينا أن السيطرة على هذا الحصن كانت وفق خطة مدروسة ، حيث تم اختيار الليل موعدا للهجوم ويصف لنا ابن الخطيب مجريات ذلك بقوله مفصلا فيه : << فخرج إليها من المكان الذي اختفى فيه ابن قسي بقرية الجوزة من قطر ميرتلة في سبعين رجلا من المريدين ، وكان قائد حصن ميرتلة قد واعد رجلا من أهلها على الإتيان إليه في الليل برشوة على حال استتار من أهل الحصن [3] ، وقدم الوصاية بذلك إلى بوابه ونمى إليهم الخبر فأوهموا بإتخاذ رفقة صعد بها بعضهم إلى الحصن، ولم يشك صاحبه أنها رفقة ميعاده الخبيث ففتح الباب ، واقتحم القوم الحصن فملكوه ، وبادر محمد بن القابلة إلى تسكين الناس وضبط الحصن >> [4] ، أما ابن الآبار فينقل لنا رواية مغايرة ومقتضبة دون الإشارة إلى الخيانة التي قال بها ابن الخطيب حيث قال : << فمكنوا بالربض وهم نحو سبعين رجلا وتغلبوا عليها سحر ليلة الخميس الثاني عشر من صفر [5] منها بعد أن قتلوا بواب القلعة وأعلنوا بدعوة ابن قسي >> [6] ، وقد زحفت القوات المرابطية بتلك الجهات بغية تحرير الحصن بيد أنهم لم يستطيعوا ذلك.[7]

---

[1] – ويعرف كذلك بإبن القابلة. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250 ؛ ابن الآبار: الحلة لاسيراء، ج2، ص 198 ، وذكر ابن الآبار أنه كان يسميه بالمصطفى لاختصاصه بكل كتاباته واطلاعه على كل اموره.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 198.

[3] – أي خفية في الليل ودونما علم أي أحد.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250.

[5] – وذلك سنة 539هـ/1145م.

[6] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 198.

[7] – علق على ذلك ابن الخطيب بقوله : << وزحف إليه المرابطون بتلك الجهة فلم يغنوا شيئا وارتحلوا بعد تخريب قطر ميرتلة وتداعت عامة ما يجاورها إلى الثورة>>. ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 250.

في غرة ربيع الأول من سنة 539هـ/1145م وصل إلى الحصن جمع كبير من المريدين ومعهم ابن قسي وكان شعارهم التهليل والتكبير فصعد ابن قسي إلى قصبة مرتلة واحتل قصرها وشرع في مخاطبة أعيان البلد فإستجاب له كثير من أهل يابرة وشلب.[1]

نقل لنا ابن خلدون إن ابن قسي أرسل كذلك برسالة إلى قائد الموحدين وهو عبد المؤمن بن علي لما كان في تلمسان وكان رسول ابن قسي اسمه أبو بكر بن جيس [2] وكانت الرسالة تتضمن نعت عبد المؤمن بالمهدي ولم يجاوب ابن قسي.[3]

وقد تسمى ابن قسي بعد ذلك بالإمام وخاطب أعيان البلاد وحرض الناس على الثورة واستدعاهم لذلك حيث استجاب له أهل يابرة بزعامة سيد رأي بن وزير [4] ، كما انضم إليهم أهل شلب بزعامة ابن المنذر [5] ، وقد ذكر ابن الآبار الأندلسي أنه قوات اخرى انضمت إلى المريدين وكانت هذه القوات من منطقة اكشونية وقوات يوسف بن أحمد البطروجي أحد مردة الثوار من هؤلاء المريدين.[6] ، وبدأ الناس يلتفون حول ابن قسي فأجزل لهم العطاء فكان أصحابه يقولون للناس أن المال يتكون عنده إذا فرغ.[7]

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 198 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 74 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 84 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 71 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 69 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص308 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 216.

[2] وفي النسخة الباريسية ابن جيش.

[3] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 312.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 198 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 250؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1،ص 216.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 199 . وكان ابن المنذر هذا من أعيان شلب وكبرائها وتعلم في صغره في اشبيلية حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية ثم تزهد وانطوى ورابط على ساحل البحر وتصدق بماله على الفقراء. المصدر السابق، ج2، ص ص 202–203؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 216.

[6] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 203–204.

[7] – وعلق على ذلك ابن الخطيب بقوله :<< واتصل به الأشرار وأجزل العطاء من غير عمل ولا خراج وكان إذا أعطى يحثو بيده من غير عدد ، وكان أصحابه يقولون للناس أن المال يتكون عنده إذا فرغ ، ومن النوادر في ذلك أن رجلا من البادية قال لبعض

رأى محمد بن عمر بن المنذر أن يطرد بقية القوات المرابطية من غربي الاندلس فسار بقواته واستولى على حصن مرجيق من اعمال شلب وتغلب على المرابطين وقتلهم عن آخرهم. ثم سار إلى مدينة باجة [1] وطلب العون من سيد راي ابن وزير فأمده بقوات يقودها أخوه احمد بن وزير وخاله عبد الله بن علي بن الصميل ، ولما سمع المرابطون بذلك طلبوا الامان من أهل باجة واستسمحوهم بالمسير إلى اشبيلية فإستجاب أهل باجة للمرابطين وبذلك دخل ابن المنذر ومن معه من المريدين إلى باجة واحتلوها.[2]

بعد ذلك جمع ابن المنذر أنصاره من المريدين وعسكر اكشبونة وشلب وتوجهوا نحو ميرتلة فقدموا الولاء والطاعة لإبن قسي [3] ، وأبدوا الاستعداد لفتح البلاد بإسمه ، حيث أحسن ابن قسي استقبال هؤلاء الوفود ، ولقب ابن المنذر بلقب العزيز بالله ، بعد ذلك هاجم ابن المنذر ومن معه مدينة ولبة واستولى عليها، ثم هاجم مدينة لبة [4] فإستولى عليها بمساعدة أحد المريدين اسمه يوسف

أصحابه وقد أعطاه عجبا لهذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين ؟ ولم يكن عليه طابع غير ذلك >>. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص ص 250-251.

[1] – باجة مدينة بالاندلس وهي من أقدم المدن بها بينها وبين قرطبة مائة فرسخ وتفسير كلمة باجة هو الصلح عند العجم وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة. وهي غير باجة التي تقع بافريقية(تونس حاليا). الحميري : الروض المعطار، ص 75 ؛ وهي ارض زرع وضرع وخطتها واسعة ، ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل . ابن غالب : المصدر السابق ، مجلد 2 ، ص 290 .

[2] –ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 203 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 72-73 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 74 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 309.

[3] – وصف ذلك ابن الآبار بقوله : << فسلما عليه بالغمارة (أي ابن المنذر وابن وزير) وأذعنا له بالطاعة فأقر ابن وزير على باجة وما والاها أميرا وابن المنذر على شلب وما والاها كذلك >>. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 203.

[4] – لبة من مدن غرب الأندلس القديمة بها ثلاث عيون شهيرة وبها كثير من الآثار القديمة وبها سور قد عقد على اربعة تماثيل وهي مدينة مسنة متوسطة القدر بها نهر يأتيها من ناحية الجبل، بها أسواق تبعد عن الحر المحيط (المحيط الأطلسي) بنحو ستة أميال، بها ضروب متنوعة من الأشجار والثمار. الحميري: الروض المعطار، ص ص507-508 .

بن أحمد البطروجي وبعدها بلغ الثوار إلى مدينة اشبيلية وفي الطريق استولوا على حصني القصر والزاهر.[1]

وصل خبر قدوم قوات المريدين نحو اشبيلية إلى مسامع المرابطين الذين ارسلوا جيشا بقيادة ابي زكرياء بن غانية أمير الأندلس ، والتقى الجيشان في ظاهر طريانة من ضواحي اشبيلية فنشبت معركة بين الطرفين فكانت الهزيمة والدائرة على ابن منذر الذي ولّى القهقرة إلى مدينة لبة وأقام بها يومين يحصنها ، ثم التحق بمدينة شلب وترك يوسف البطروجي بها.[2]

وقد ذكر ابن الآبار الأندلسي أن ابن المنذر قد تملكه الغرور لذلك كانت الهزيمة قد حاقت به وعلق على ذلك قائلا: << وطمح به الاغترار إلى اشبيلية وقد نمي إليه أنها حينئذ دون أمير يضبطها>>.[3]

قرر القائد المرابطي يحي ابن غانية القضاء نهائيا على هؤلاء الثوار فسار بقواته من قرطبة وحاصر مدينة لبلة ثلاثة أشهر غير أنه لم ينل منها وقد يكون ذلك لقساوة الشتاء وحدته،[4] غير أن ابن غانية بلغه قيام ابن حمدين بالثورة على المرابطين في قرطبة فتراجع بقواته تاركا مدينة لبلة متوجها إلى اشبيلية التي ثار عليه أهلها.[5]

انتهز ابن قسي فرصة ثورة أهالي قرطبة على المرابطين فقرر أن يبسط نفوذه وسيطرته عليها حيث كان له أتباع هناك ، لذلك أرسل ابن قسي إلى قائديه ابن المنذر وابن القابلة طالبا منهما

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 204 ؛ هشام أبو رميلة : المرجع السابق،ص 73 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلسن ص 309 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 217.

[2] –ابن الآبار: الحلة السيراء،ج 2، ص ص 205-206 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام يف الأندلس، ص 309 ؛ يوسف اشباخ : المرجع السابق، ج1، ص 217.

[3] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 204.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 306 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 310 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 74 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص ص87.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء،ج2، ص 306 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 310 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 74.

الاستيلاء على قرطبة ، غير أن المحاولة فشلت رغم الاتباع الموجودين هناك لإبن قسي [1] فقد طرد أهل قرطبة ابن حمدين واستدعوا سيف الدولة ابن هود لتولي أمرهم.[2]

بعد ذلك تصدعت حركة ابن قسي حيث دب الخلاف بينه وبين قادته حيث خرج ابن وزير عن طاعة ابن قسي [3] وقد وصف ذلك إبن الخطيب بقوله: << ثم إن بعض أصحاب ابن قسي اختلفوا عليه ، وفسد مابينهم وبينه ، فنازعه ابن وزير شلب واخوه بباجة وصرفوا الدعوة إلى ابن حمدين بقرطبة >>.[4]

أما ابن خلدون فنقل بعض هذا الانشقاق بقوله : << وكان سدراتي بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب الأندلس قد تغلب على ابن قسي هذا وغلبه على ميرتلة>>.[5]

لما حدث هذا الانشقاق بعث ابن قسي قائده ابن المنذر بقواته لقتال قائده الآخر الخارج عن طاعته وهو ابن وزير، غير أن الدائرة الهزيمة كانت على ابن المنذر الذي وقع في الأسر واعتقل في باجة [6]، بعد ذلك بعث ابن وزير خاله عبد الله بن الصميل والي بطليوس إلى باجة ليقوم بسمل عيني [1]

---

[1] – قدم لنا ابن الآبار وصفا دقيقا على ذلك بقوله : << ولما سمع ابن قسي بقيام ابن حمدين أمر ابن المنذر هذا أن يعسكر ويسير هو ومحمد بن يحي – المعروف بابن القابلة كاتب ابن قسي وصاحبه- إلى قرطبة طمعا في دخولها وخاطب معهما أهلها يرغبهم في أمره، ويحرضهم على القيام بدعوته وكان بالربض الشرقي من له حرصٌ عليه ورغبةٌ فيه ، كأبي الحسن ابن مؤمن وغيره ، فتحرك ابن المنذر وصاحبه بعسكر شلب ولبلة فوجدوا احمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة قد جاء به أهل قرطبة من بعض ثغورها المجاورة لها وملكوه عليهم >>. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 306.

[2] – نفس المصدر: ص 306 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 310 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 74.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج 5، ص 34 ؛ ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 312 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 207. وقد ذكر عبد الواحد المراكشي هذا الخلاف والانشقاق دون تحديد أطرافه. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251.

[5] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 312.

[6] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 207 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 310 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 74.

ابن المنذر وكان له ذلك ، [2] ثم دخلت ثورة المريدين مرحلة أخرى بخلع ابن وزير طاعته لإبن قسي سنة 540هـ/1146م حيث سار بقواته إلى شلب مستوليا عليها ثم ميرتلة، [3] فهرب ابن قسي ليعبر البحر ويتصل بالموحدين طلبا للنجدة.[4]

إن هذا الانشقاق الحاصل في حركة المريدين وما آلت إليه ثورتهم أدى بإبن قسي إلى التواصل مع الموحدين طالبا منهم المساعدة ، غير أن المصادر التي بين أيدينا اختلفت في تاريخ ذلك ومنها من ذكر هذا الاتصال ولم يذكر التاريخ فإبن الخطيب ذكر أن ابن قسي اتصل بعبد المؤمن بن علي في ربيع الثاني سنة 540هـ/1146م وعن ذلك يقول: << فعزم ابن قسي على اللحاق بأمير المؤمنين، فخاطب الأمير عبد المؤمن بن علي فلم يجد عنده قبولا لتعاليه في الخطاب عليه ، وجعل الحظ لنفسه بوصف الهداية بضاعة القوم فأعاد واعتذر وتحرك في عقبها فكان لقاؤه في ربيع الآخر من عام 540هـ/1146م وتحفى عبد المؤمن به، وأكرم وفادته>>.[5]

وقد أيده في ذلك ابن عذارى صاحب البيان- قسم الموحدين- الذي قال بنفس التاريخ وهو 540هـ/1146م [6]، أما ابن خلدون فيجعل لقاء عبد المؤمن بإبن قسي سنة 541هـ/1147م

---

[1] – سمل العين أي فقؤها، يقال سملت عينه أي فقئت بحديدة محماة ، قال أبو عبيد : السمل أن تفقأ العين بحديدة محماة أو بغير ذلك، كما قد يكون السمل فقأ العين بالشوك وعن ذلك قال الشاعر:

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع.

ابن منظور: المصدر السابق، ص 2101 ؛ ويقول كل من ابن دريد وكذا الجوهري ان سمل العين اذا احميت لها حديدة فكحلتها بها . ابن دريد : كتاب جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ،ط 1 ، دار العلم للملايين ،بيروت، 1987 ، ج 2 ، ص 859 ؛ الجوهري : المصدر السابق ، مجلد 5 ، ص 1732 .

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 207.

[3] – هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص ص 74-75.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 207 ؛ عبد الواحد المراكشي: المرجع السابق، ص 148 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص 312 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص 35.

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج 5، ص ص 34-35. ووصف ذلك بقوله في الصفحة 35 << وأجازه (ابن قسي) في غراب هو وأصحابه المختصون به من ميرتلة إلى سبتة...فأعان ابن مخلوف ابن قسي في المشي لعبد المؤمن حتى وصله بجبل العرض في شعبان من العام المذكور(540هـ/1146م)>>.

وعن ذلك يقول : << فأجاز أحمد بن قسي البحر إلى عبد المؤمن من بعد فتح مراكش لمداخلة علي بن عيسى بن ميمون ونزل بسبتة ، فجهزه يوسف بن مخلوف ولحق بعبد المؤمن ورغبه في ملك الأندلس>>.[1] أما عبد الواحد المراكشي فذكر بعض تفاصيل هذا اللقاء دون ذكر تاريخ ذلك.[2]

أما عن نهاية ابن قسي فقد كانت موضع خلاف بين المؤرخين ، حيث ذكر كل من ابن خلدون والسلاوي وابن عذارى ان نهايته كانت عقب رفض ابن قسي أداء البيعة لعبد المؤمن الذي بايعه الثائرون في الأندلس ، وأعلنوا طاعتهم للموحدين عدا ابن قسي الذي تخلف عن ذلك وهو ما كان سببا في اغتياله سنة 545هـ/1151م.[3]

أما ابن الآبار الاندلسي فقال إن مقتل ابن قسي كان سنة 546هـ/1152م حيث عاد إلى شلب وظهر منه ما أدى إلى قتله من طرف أهل شلب وعن ذلك يقول إبن الآبار : << وبعد عوده إلى شلب ظهر منه غير ما فورق عليه ، إلى أن صرح بالخلاف وداخل الطاغية ابن الريق صاحب قلنبرية [4] في إعانته وإمداده ، فأظهر إجابته إلى مراده وبعث إليه بفرس وسلاح فأنكر ذلك أهل شلب وفتكوا به في قصر الشراجب منها موضع سكناه>>.[5]

---

1 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 312.

2 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148 ، وذكر بعض تفاصيل اللقاء في ذات الصفحة بقوله : << فعبروا به إلى العدوة (أي ابن قسي) فأتوا به عبد المؤمن– رحمه الله– فقال له بلغني أنك ادعيت الهداية، فكان من جوابه أن قال: أليس الفجر فجران ؟ كاذب وصادق، فأنا كنت الفجر الكاذب، فضحك عبد المؤمن وعفا عنه>>.

3 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 215 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج5، ص 38 ؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 107.

4 – المراد هنا الفونسو هنريك (ALFONSO HENRIQUE) ملك البرتغال. ابن الآبار: الحلة لاسيراء، ج 2، ص 200، هامش (1).

5 – نفس المصدر، ج 2 ، ص 200 ؛ **A.FAURE :the encyclopaedia of islam , vol 3 , p:816 .**

أما عبد الواحد المراكشي فيذكر أن أصحابه هم من قتلوه وبعدما استقبله أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي وعفا عنه ،[1] أما البيذق صاحب أخبار المهدي بن تومرت فلم يذكر شيئا عن كيفية قتل ابن قسي أو ظروف ذلك مكتفيا بذكر اسم قاتله الذي قال إنه عبد الله بن سليمان.[2]

4-نتائج ثورة المريدين :

كانت ثورة المريدين من أهم معاول الفوضى في بلاد الأندلس نهاية عصر المرابطين ، فقد جعلت هذه المنطقة تعيش فترة من الاضطرابات بسبب الحروب التي خاضتها مع جيش المرابطين أو حتى الانشقاقات الواقعة بين أجنحة هذه الحركة [3] ، كما أن سك عملة من قبل ابن قسي تعتبر دليلا واضحا على استقلال كيانه عن سلطات المرابطين ومظهرا جليا من مظاهر الدولة المستقلة [4] ، وتكشف عن نيته المبيَّتة بالانفصال عن حكم المرابطين ، غير أن هذه الثورة في نهاية المطاف آلت إلى الفشل وقبل الحديث عن بعض نتائجها لا بأس أن نذكر أهم عوامل تلاشي هذه الثورة واندثارها.

من أهم العوامل التي أدت إلى اندثار هذه الثورة ، هو افتقار ابن قسي إلى عصبية قوية تحميه وتشد ازره [5] ، كما أن أنصاره كانوا من مشارب ومناهل وعصبيات متباعدة . [1] مما أدى بقيام

---

[1] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 148. وعلق على ذلك في ذات الصفحة بقوله :<< ولم يزل بحضرته (أي ابن قسي بحضرة عبد المؤمن بن علي) إلى أن قتله بعض أصحابه الذين كانوا معه بالاندلس>>.

[2] – البيذق: اخبار المهدي بن تومرت، ص 87.

[3] – ويشتمل ذلك في خروج ابن وزير عن طاعة قائده ابن قسي. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 207 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج5، ص 34 ؛ أما ابن الخطيب فعلق على ذلك بقوله :<< ثم إن بعض أصحاب ابن قسي اختلفوا عليه وفسد ما بينهم وبينه فنازعه ابن وزير بشلب وأخوه بباجة >>. ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 251.

[4] – أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، منشور ضمن صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، المجلد 6، العددان 1 و2ن مدريد، 1958، ص 49. حيث ذكر حسين مؤنس أنه عثر على نصف قيراط ضربه أحمد بن قسي الثائر على المرابطين في ميرتلة بالأندلس وقد كتب في وجهه << الله ربنا ومحمد نبينا والمهدي إمامنا>>. داخل مربع.

[5] – وعن ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته عن وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض وأن الالتحام والاتصال موجود في طبائع البشر ، وأن أهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا إلى ان يكونوا لحما لحما وقرابة قرابة. ابن خلدون: المقدمة،ج2، ص 55.

الخلافات بين أقطاب هذه الحركة [2] ، ضف الى ذلك هشاشة مبادئ قائد هذه الثورة ابن قسي وافتقاره إلى وجود تنظيم دقيق ومحكم ينظم هذه الثورة ويسيرها ويحدد اهدافها ، وعن ذلك يقول عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب لما تكلم عن اللقاء الدائر بين عبد المؤمن بن علي وابن قسي الذي اعترف بنفسه أنه كاذب حيث قال عبد الواحد المراكشي: << فأتوا به عبد المؤمن- رحمه الله- فقال له (أي لابن قسي) بلغني أنك ادعيت الهداية فكان من جوابه أن قال : أليس الفجر فجران ؟ كاذب وصادق، فأنا كنت الفجر الكاذب>>.[3]

وهذا اعتراف صريح من ابن قسي بضبابية أهدافه، كما أن العديد من مصادر هذه الثورة أجمعت على أن ابن قسي إدعى المهدوية [4] ، وهو ما يتوافق مع قول ابن الآبار الذي اقل بأن ابن قسي << ادعى الهداية مخرقا وتمويها على العامة وتسمى بالإمام >>.[5]

بل إن عبد الواحد المراكشي تجاوز ذلك إلى ما هو أخطر حيث قال أنه ذو اخبار قبيحة مضمونها الجرأة على الله سبحانه وتعالى والتهاون بأمر الولاية ، [6] إن تلك الصفات لم تكن لتصنع من شخصية ابن قسي العالم الجليل أو الفقيه العريف لذلك ساهمت في انصراف الناس عن دعوته.

---

[1] – بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 171.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 207.

[3] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148، وهو ما يتوافق مع الوصف الذي أورده هذا المؤرخ في ذات الصفحة حيث قال في سياق حديثه عن ابن قسي أنه من دعاة الفتن ورؤوس الضلالات وأنه استفز عقول الجهال واستمال قلوب العامة كما وصفه بأنه صاحب حيل ورب شعبذة وأنه كان يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة وانه ادعى الهداية.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 249 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج 2 ، ص 197 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج2 ، ص 197.

[6] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148. وقد ذكر عبد الواحد المراكشي في ذات الصفحة أن هناك أخبار قبيحة تتعلق بالجرأة على الله غير أنه امتنع عن التفصيل فيها وسبب ذلك صرف العناية إلى ما هو أهم منها .

كما أن من أسباب فشله هو قوة الجيش المرابطي الذي كان أقوى من ثوراه وتمكن من تشتيت دعوته وملاحقة أنصاره غير أن أهم عنصر – في نظرنا – أدى إلى اندثار هذه الثورة هو انفصال قادة ابن قسي عليه واختلافهم معهم بل ودخوله في حرب معهم.(1)

وما زاد في تسارع هذه الانهزامات هو اعتقال ابن منذر الذي بعثه ابن قسي لمقاتلة ابن وزير الخارج عن طاعة ابن قسي ، حيث تم أسر ابن المنذر وسُملت عيناه (2) وبفقد أحد أركان ثورة ابن قسي كانت النقطة الفاصلة في تلاشي هذه الثورة واندثارها.

أما عن نتائج هذه الثورة فقد أدت إلى مقتل كثير من الفريقين سواء من الثائرين أو جيوش المرابطين على السواء ، وهو ما أدى إلى تراجع القوة الديمغرافية في شبه الجزيرة الايبيرية (اي الاندلس). (3) كما أن الخراب قد طال مناطق عديدة من الاندلس من جراء الاقتتال الدائر بينهم ومن ذلك ما قاله ابن الآبار : << فوافي اشبيلية وابن المنذر يعيث في نواحيها ، فعين من اصحابه لإتباعهم وعبور الوادي نحوهم من هزمهم وطردهم، وقتل عدد وافر منهم>>.(4)

كما أن انشغال المرابطين بإخماد هذه الثورة جعل النصارى في الاندلس يستسهلون الوثوب على أراضي المسلمين أو التحالف مع البعض ضد الآخر وهو ما حدث فعلا بعد تحالف ابن قسي مع نصارى قلمرية (5) ، حيث ذكر ابن الخطيب ذلك صراحة بقوله : << واضطر إلى مداخلة

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 207 ؛ هشام أبو رميلة : المرجع السابق، ص 74 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 310.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 207.

[3] – لمعرفة أهم معارك المريدين مع جيوش المرابطين وما نجم عن ذلك من قتلى راجع: ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص ص ص249–251؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 198–207 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص 216–218.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 206.

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام،ص 251 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 200.

صاحب قلمرية من النصارى المعروف بإبن الرنق وألطف مهادنته وواصل التعلق بحبله على ديدان أمثاله من الثوار فقبل صاغيته وبعث له بفرس من مراكبه وترس ورمح >>.[1]

أما ابن الآبار فكان وصفه للمحادثة بقوله : << وبعد عوده إلى شلب ظهر منه غير ما فورق عليه إلى أن صرح بالخلاف وداخل الطاغية ابن الريق صاحب قلنبرية في إعانته وإمداده فأظهر إجابته إلى مراده وبعث إليه بفرس وسلاح >> [2]، وهذا دليل واضح على تعاون ابن قسي مع هذا النصراني وهو ألفونسو هنريك ملك البرتغال وعلى أية حال فقد كان غرق الأندلس في الفوضى سببا واضحا في تعاضم حملات النصارى على الاندلس.[3]

كما أن من أهم نتائج هذه الثورة هو الفوضى التي طالت الاندلس والخراب الذي عمها وقد نقل لنا ابن سعيد في كتابه المغرب في حلى المغرب رسالة ابن القابلة إلى أحد المسؤولين في دولة المرابطين [4] والتي توحي إلى خراب كبير قد طال الاندلس حيث استهل رسالته بقوله تعالى : << ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ >>.[5] ، ثم تحدث عن بعض الذي حل بالأندلس. [6]

---

1 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 251.

2 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 200.

3 – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 233.

4 – وهو والي غرب الأندلس يحي ابن غانية.

5 – سورة الروم، الآية 41.

6 – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب،ج1، ص 352. ومما جاء في هذه الرسالة في الصفحة الموالية ما يلي << أنه قد عمت الزرايا والمصائب وشملت الفتن المشارق والمغارب، وهلك فيها إلا ما شاء الله الشاب والشائب، وعادت زاهرات الأمصار موحشة خرائب، وعامرات الاقطار مقفرة سباسب، بما كسبت أيدي الناس، ولولا حلم الله وإمهاله ليتوب إليه عبيده، ويرجع عما يكرهه إلى ما يريده، لكان الإبلاس ولرفع من رحمة المساس>>.

ورغم قصر عمر هذه الثورة إلا أنها زعزعت دولة المرابطين وجعلت قوتها تتشتت خاصة وأن ثورة الموحدين في بلاد المغرب كانت قد بلغت مراحل متقدمة في انتقال ثورة الموحدين إلى مرحلة الدولة واستولوا على معظم البلاد ، وبذلك صار افول نجم المرابطين قاب قوسين او ادنى .[1]

كما كشفت هذه الثورة على شيء مهم وهو غياب التأطير المالكي في الأندلس وهو ما أدى إلى شيوع ظاهرة التصوف والزهد [2] ، حيث أن ظاهرة المتصوفة شكلت معلمة هامة في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس إبان الحقبة المرابطية ، وقد جاء ظهورها نتيجة للأزمات التي طالت المجتمع في المرحلة الأخيرة من العصر المرابطي بسبب نضوب موارد اقتصاد المغازي وكثرة المجاعات واشتداد الغلاء والفتن.[3]

كما كشف لنا تواطؤ ابن قسي مع ملك البرتغال مدى انزعاج أهالي شلب من هذا التعاون وهو دليل واضح على أن طبيعة المسلم تأبى التعاون مع العدو ضد الأخ ، حيث ذكر ابن الآبار الاندلسي أن أهل شلب لما علموا بتعاون ابن قسي مع النصارى ثاروا عليه وفتكوا به [4] واختاروا الإنضمام إلى دولة الموحدين بدل الانضمام لنصارى الاندلس.[5]

ومن الآثار الإيجابية لهذه الثورة هو بعض الانجازات العمرانية التي ساهم بها المريديون في تعمير الاندلس [6] حيث قال عن ذلك ابن الخطيب :<< وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب>> [7] ، كما تكلم ابن الآبار عن رباط الريحانة الذي كان على ساحل البحر ورابط فيه ابن المنذر [1]

---

1 - مجهول: الحلل الموشية، ص 135.

2 - محمد العمراني: المرجع السابق، ص 92.

3 - بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 171-172. وقد برر الأستاذ ابراهيم القادري بوتشيش بروز التصوف والزهد في المغرب والأندلس نتيجة تلك الأزمات حيث أعاد هؤلاء المتصوفة التوازن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فلعبوا أدوارا متنوعةً في كل المجالات كما تبنوا معارضة تراوحت بين الصامتة والثائرة.

4 - ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 200.

5 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج5، ص 45 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص 315 .

6 - ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 203 .

7 - ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 249.

حيث تبقى تلك الانجازات العمرانية إظافة من المريدين إلى العمران بالغرب الإسلامي ، إضافة إلى ذلك مختلف الاسهامات العلمية والفقهية التي جاء بها بعض فقهاء المريدين الذين كانوا منبر علم على حد وصف مصادر التاريخ الإسلامي أمثال ابن العريف [2] و ابن برجان [3] وأبو بكر الميورقي.[4]

ثانيا : ثورات القضاة في الأندلس

1-ثورات القضاة في وسط وجنوب الأندلس

شهدت دولة المرابطين حركة عصيان اخرى بلغت حد الثورة من قبل النخبة الدينية ، اذ ثار كثير من الفقهاء على دولة اللمتونيين في الجغرافيا الاندلسية فما هي اهم تلك الثورات ؟ وما حيثياتها ؟

أ-ثورة ابن حمدين :

من اهم القضاة الثائرين بالاندلس هو ابن حمدين واسمه كاملا هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي [5] بينما أورده النباهي بقوله << هو أحمد بن محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي قاضي الجماعة بقرطبة >> [6] وقد تولى القضاء بقرطبة سنة 529هـ/1134م على إثر مقتل

---

1 -ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 202-203.

2 - التادلي: المصدر السابق، ص 120 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 28.

3 - ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 236.

4 - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر السادس، ص 170.

5 - ابن الخطيب: اعمال الاعلامن ص 252.

6 - النباهي: المصدر السابق، ص 103 ، ونقل لنا النباهي بعض تفاصيل نشأته نقلا عن ابن شكوال بقوله : << يُكنى أبا القاسم أخذ عن أبيه وتفقه عنده وسمع من أبي عبد الله محمد بن فرج وأبي علي الغساني...وغيرهم وتقلد القضاء بقرطبة مرتين وكان نافذا في أحكامه جزلا في أفعاله وهو من بيت علم ودين وفضل وجلاله>>.

قاضيها أحمد بن خلف التجيبي في المسجد وهو ساجد لله عز وعلا [1] ، لكن مدة قضاء ابن حمدين لم تدم طويلا إذ تم عزله سنة 532هـ/1137م وذلك بعد اختلافه مع حكام الدولة المرابطية في قرطبة لذلك عزله الأمير المرابطي علي بن يوسف [2] .

بعد عزله عُيِّن في مكانه ابن رشد وعاد ابن حمدين مكانه مرة أخرى وذكر ذلك ابن الخطيب صراحة بقوله :<< ثم صرف ابن حمدين بأبي القاسم بن رشد سنة 532هـ، واستعفى إبن رشد فأعفي، وأعيد هو ثانية ثم صرفت إليه الرياسة عند اختلال أحوال المرابطين>>.[3]

بعد اندلاع ثورة المريدين في الاندلس- بزعامة ابن قسي [4] وجد أهل قرطبة الفرصة المواتية للثورة فنادوا برياسة القاضي أبي جعفر بن حمدين الذي بويع بالإمارة في المسجد الجامع حيث بايعته الخاصة والعامة وذلك في الخامس من شهر رمضان 539هـ/1144م.[5]

أقام ابن حمدين بقصر الخلافة وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين [6]، وقد كانت قرطبة منشقة في تأييدها فبعضها كان يؤيد القاضي ابن حمدين والبعض الآخر مازال على ولائه لدولة المرابطين والبعض الآخر يؤيد ثورة ابن قسي [7]، وفريق آخر آثر استدعاء سيف الدولة إبن هود الذي

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 93 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص 102 ؛ ابن بية : المرجع السابق، ص 265 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 312.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 252 ؛ بينما ذكر النباهي عزله دون ذكر السبب. النباهي: المصدر السابق، ص103.

[3] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 252.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2 ، ص 197 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 252 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 148.

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص 103 ؛ الضبي: المصدر السابق، ص 42 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 313 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 78 ؛ عصام سالم سيسالم : جزر الاندلس المنسية – التاريخ الاسلامي لجزر البليار - ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984 ، ص 308 ؛ محمد بن ابراهيم بن صالح الحسين ابا الخليل : جهود علماء الاندلس في الصراع مع النصارى –خلال عصري المرابطين والموحدين 483-640 هـ/ 1090-1242 م- ، ط 1 ، دار اصداء المجتمع ، القصيم (السعودية) ، 1998 ، ص ص 214 – 215 .

[6] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص 103 ؛ الضبي: المصدر السابق، ص 42.

[7] – دندش: الاندلس في نهاية المرابطين، ص 78.

حاول إغراء أهل قرطبة بالتخلي عن دعوة ابن حمدين وأمده ملك قشتالة بقوة من النصارى [1] ، حيث تمكن من خلع ابن حمدين الذي لزمه الأمر إلى الفرار وبقي يترقب الأحداث [2] وصار سيف الدولة هو حاكم قرطبة . لكن هذه الإمارة لم تدم حيث سرعان ما تغير أهل قرطبة وهاجموا القصر وقتلوا ابن شماخ وزير سيف الدولة وعددا من أصحابه ففر سيف الدولة ناجيا بنفسه.[3]

يبدو أن ابن حمدين كان يترقب هذه الاحداث عن كثب ، فأنصار إبن حمدين ومنهم القاضي الفقيه أحمد بن الحصين [4] مازالوا يشكلون الأغلبية في قرطبة وما كاد ابن هود يغادرها حتى عاد إليها إبن حمدين الذي بدأ في تشكيل دولته الجديدة حيث دوَّن الدواوين ورسم الخطط وجند الأجناد.[5] وقد وصف إبن الخطيب ذلك بقوله:<< وعاد إليها إبن حمدين (أي قرطبة) من مستقره ببعض الحصون [6] فإستقام له الأمر ودون الدواوين وجند الأجناد ورسم الخطط وخاطب العصاة بالأندلس فإستقلوا ببلادهم واعترفوا ببيعته >>.[7]

وقد كاتب إبن حمدين القضاة في الاندلس يدعوهم إلى خلع بيعة المرابطين ومبايعته وإعلان التبعية له، وقد استجاب لدعواه هذه مجموعة من الثوار في مرسية بقيادة أحمد بن الحاج اللورقي الذي بايع ابن حمدين ثم تنازل ، فقدَّم أهل مرسية القاضي أبا جعفر بن أبي جعفر الذي بدوره سار في

---

[1] - يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص 220.

[2] - وقد وصف ابن الآبار ذلك بقوله : << فوجدوا أحمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة قد جاء به أهل قرطبة من بعض ثغورها المجاورة لها وملكوه عليهم، وطردوا ابن حمدين فإنحاز إلى الحصن المعروف " بفرنجولش" . ان الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص ص 206-207.

[3] - ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 207 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص 220.

[4] - هو أحمد بن الحصين بن عبد الملك بن اسحاق بن عطاف العقيلي سكن غرناطة ثم قرطبة << فلما كانت الفتنة التي أثارها ابن حمدين داخله في بعض أموره وتصرف معه تصرفا أنكره بعض الناس عليه والله أعلم بنيته >>. ابن ع الملك: الذيل والتكملة، السفر1 ، ص ص 97-98.

[5] - ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ وقد أشار الضبي صاحب بغية الملتمس إلى عودة ابن حمدين إلى قرطبة دون ذكر الأعمال التي قام بها لتكوين دولته. الضبي: المصدر السابق، ص42.

[6] - واسم هذا الحصن حسب ابن الآبار هو " فرنجولش". ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 207.

[7] - ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

فلك إبن حمدين [1] ، وممن استجاب كذلك لدعوة ابن حمدين القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى الذي أعلن تبعيته لإبن حمدين ، حيث أرسل إليه هذا الأخير قوات بقيادة إبن أخيه علي بن أبي القاسم المعروف بإبن أم العماد لمساعدته في حروبه ضد المرابطين المحاصرين له في غرناطة.[2]

بدأ الصراع يشتد على غرناطة لموقعها الهام لذلك شدد المرابطون هجماتهم عليها وفي هذه الأثناء توفي ابن ضحى فخلفه ابنه أبو بكر اوائل عام 540هـ/1145م.[3]

في هذا الوقت وصلت إمدادات من قوات أبي جعفر بن أبي جعفر قاضي مرسية غير انهم هزموا أمام قوات المرابطين.[4]

بعد انتصارات المرابطين كان ابن ضحى الإبن يتردد في ولائه لإبن حمدين وسيف الدولة، غير أن هذا الأخير لم يستمر طويلا في حكم غرناطة حيث تكاثرت عليه الشكاوي من الناس حيث قال ابن الآبار عن ذلك : << ولم يقم ابن هود بعد ذلك إلا نحو شهر في مظالم وتنويع مغارم >>.[5] وبعدها فر سيف الدولة متجها إلى مرسية أو جيان.[6] وبعد فرار سيف الدولة استقل ابن ضحى [7] بأمر غرناطة لكن آل به الأمر إلى الفرار بعد ثمانية أيام لذلك تصالح أهل المدينة مع المرابطين.[8]

كتب بعض خصوم ابن حمدين إلى يحي ابن غانية طالبين منه القدوم إلى قرطبة لاستعادتها فسار ابن غانية بقواته وأنزل الهزيمة بإبن حمدين ودخل قرطبة سنة 540هـ/1145م [9] ووصف

---

1 – وصف ابن الآبار ذلك في المعجم بقوله : << ووجدت في ما قيدت من أخبار هذه الفتنة عن الثقاب أن ابا جعفر بن أبي جعفر جنح أول مرة إلى ابن حمدين عند ثورته بقرطبة ، وخاطبه مشايعا له ومتابعان ومصوبا رأيه فيما أتاه فتلقى ذلك منه بالاستحسان وقدمه إلى خطة القضاء بمرسية واقطارها >>. ابن الآبار: المعجم، ص 239.

2 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 212 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 220 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 79.

3 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 215.

4 – يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 221 ؛ دندش: الاندلس في نهالية المرابطين ، ص 80.

5 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 215.

6 – رواية ابن الآبار مبنية على الترجيح << وفر ليلا إلى مرسية وقيل إلى جيان>> . نفس المصدر ، ص 215.

7 – المقصود به الأبن أبو بكر.

8 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 215.

9 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ الضبي: المصدر السابق، ص 42.

ذلك ابن الخطيب بقوله : << واستمرت أيامه أحد عشر شهرا [1]، ثم دبر حساده المكيدة عليه فكتبوا إلى يحي ابن غانية عميد العصابة اللمتونية وهو بدار ملكهم اشبيلية فتحرك إليهم في جمادى الآخرة من عام 540هـ/1145م>>.[2]

هرب ابن حميدن إلى بطليوس محتميا بصاحبها عبد الله بن الصميل أحد ثوار غربي الاندلس ثم سار إلى حصن اندوجر الواقع شرقي قرطبة فتحصن بداخله وأخذ يحاول بسط نفوذه على ما جاوره من مناطق [3] ووصف ابن الخطيب ذلك بقوله :<< وفر إبن حمدين إلى بطليوس فأجاره صاحبها ثم تدرج إلى أن لحق بحصن اندوجر المجاور لقرطبة >>.[4]

سار ابن غانية بقواته لمحاصرة ابن حمدين ، غير ان ابن حمدين اضطر إلى الاستنجاد بملك قشتالة [5] وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله : << وواصل حصاره نحوا من شهر، إلى أن استصرخ ابن حمدين طاغية الروم ووعده بما أطمعه فحث إليه السير وتخلصه >>.[6]

اضطر ابن غانية إلى العودة بجيوشه إلى قرطبة فتبعه كل من ملك قشتالة وابن حمدين ودخلا مدينة قرطبة سنة 540هـ/1145م. فتحصن ابن غانية بالقصبة فعاث النصارى في المدينة الفساد واستباحوا المسجد الجامع ومزقوا المصاحف واحرقوا الأسواق ، ولا يزال إبن غانية صامدا أمام النصارى يدافع عن القصبة بمنتهى البسالة والشدة.[7]

سمع القشتاليون بقدوم قوات اسلامية موحدية فرأوا مهادنة ابن غانية وعقد الصلح معه واستقر هذا الأخير بقرطبة وبدأ بتحصين القلعة ، وقد علق ابن الخطيب على هذا الصلح بقوله :<<

---

[1] – لكن النباهي صاحب المرقبة العليا قدر هذه المدة بـ 14 شهرا على خلاف ابن الخطيب. النباهي: المصدر السابق، ص 103.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

[3] – النباهي: المصدر السابق، ص 103 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 79.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

[5] – والمقصود به الفونسو ريمندس. دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 81.

[6] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

[7] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص ص 314-315.

اتصلت الأخبار بصاحب قشتالة بما كان من جواز جيش الموحدين إلى الأندلس وظهور دعوتهم بإشبيلية ، فإقتضى رأيه ورأي أرباب الشورى من قومه ان يستبقي ابن غانية ويهادنه>>.[1]

أما ابن حمدين فقد غادر قرطبة مع النصارى وسار إلى حصن فرنجلوش فأقام به مدة ثم عبر إلى المغرب وقابل عبد المؤمن بن علي طالبا معونته [2] ، وبعدها عاد إلى مالقة في ضيافة حليفه القاضي ابن الحكم بن حسون وحاول أن يسترد سلطانه دون جدوى وقد علق على ذلك ابن الخطيب بقوله : << فعاد إلى مالقة أدراجه وساعد ابن حسون بها على مخالفة الموحدين فدعا لنفسه>> ، أما النباهي فعلق على ذلك بقوله : << فخرج إلى العدوة الغربية في قصص طويلة واقام هناك وقتا ثم رحل إلى الأندلس فإستقر منها بمالقة...إلى أن توفي عفا الله عنه>>.[3]

ب–ثورة ابن حسون في مالقة :

قامت في مدينة مالقة ثورة أخرى بقيادة أبو الحكم بن حسون [4] الذي دعا لنفسه في 13 رمضان 539هـ/1145م [5] بعدما تولى القضاء بعد عَمى القاضي أبي محمد الوحيدي سنة 538هـ/1144م فخلفه وقام بالدعوة لنفسه عندما تكاتب القضاة [6]، لكن ابن حسون خلع

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 254 . ويواصل ابن الخطيب في ذات الفحة ذكر بعض تفاصيل المهادنة بقوله : << وينصبه سدا في وجه القوم ، فترددت بينه وبين ابن غانية المحاورة وتم له الغرض على شروط من مال وبلاد التزمها له ابن غانية واقلع عنه >>.

[2] – نفس المصدر، ص 254 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 315 ؛ دندش: الاندلس نهاية المرابطين، ص 82.

[3] – النباهي: المصدر السابق، ص 103، وذكر النباهي على اختيار ابن حمدين لمالقة بقوله :<< ومن أسباب انحياشه إليها (يقصد مالقة) المواصلة القديمة التي كانت بين سلفه وبين بني الحسن من أهلها فأقام بها إلى أن توفي>> .

[4] – وصفه ابن الخطيب بقوله :<< هو الحسين بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الكلبي بن حسون... كان ابو الحكم قد نشأ على مهيع سلفه (أي طريق سلفه) من الوجاهة والنباهة وعلو المكانة وشرف الذات وبعد الصيت وطلب العلم >>. ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 255.

[5] – أما الضبي في بغية الملتمس فقد أشار إلى نفس التاريخ وهو 13 رمضان 539هـ/1145م لكنه لم يسمي قائدا لثورة مكتفيا بالقول :<< وقام عليهم الثوار بمالقة في يوم السبت الثالث عشر من رمضان المذكور>> . الضبي : المصدر السابق، ص 42 .

[6] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 255.

طاعة المرابطين واستبد بمالقة حيث ثارت مناطق عدة بالاندلس وقد تمكن من محاصرة المرابطين في قصبة مالقة قرابة ستة أشهر حتى أنزلهم منها وتملكها وتسمى بالأمير [1] ، وعلق على ذلك ابن الخطيب مدققا في الوصف بقوله :<< واستبد وحاصر اللمتونيين بالقصبة إلى أن أنزلهم منها بعد ستة أشهر وتملك القصبة وانتقل إليها وتسمى بالأمير وأقام سالكا طريقة القضاء مع الإمارة>>.[2]

عين ابن حسون أخاه أبا الحسن قائد للجيش وعهد إليه بولاية قرطبة، لكن المرابطين بدأوا يشنون الغارات على القصبة لاسترداد مالقة [3] ، فعجز ابن حسون عن مقاومتهم فإضطره الأمر إلى الاستنجاد ببعض المرتزقة النصارى ففرض المزيد من المغارم على رعيته لدفع نفقات الجند ، مما ولد حقدا عليه من طرف رعيته التي ثارت عليه وانتهى أمره إلى الانتحار. [4] حيث وصف ابن الخطيب ذلك بقوله :<< فلما أيقن بالهلكة...ذهب إلى قتل من بداره من بناته ، غيرة عليهن ، فإمتنعن منه في الغرف والبيوت، واشتد الأمر فأطلق النار في كتبه وذخيرته فأحرقها ثم شرب سما ، فلم يفعل فيه ، فذلق رمحا وتحامل على سنانه إلى أن خرج من ظهره...ثم مات ليومين >>.[5]

ت–ثورة وادي آش :

كما قامت ثورة أخرى بوادي آش قرب غرناطة حيث تزعمها أحمد بن ملحان الطائي بعد أن دعا ابن حمدين لنفسه فإستولى على القصبة وحصنها ودعا لنفسه وتلقب بالمتأيد بالله ولم يكل أمره

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 255 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 318 ؛ دندش: الأندلس نهاية المرابطين، ص 82 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 76.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 255.

[3] – ذكر ابن الخطيب أن الغارات كانت على حصن انتقيرة وهو حصن بين مالقة وغرناطة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1 ، ص 259.

[4] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 255 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 319 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 72.

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 255.

إلى غيره وتعرض عديد الناس إلى القتل ونهب الأموال [1] ، واستولى على العديد من الحصون والمدن مثل مدينة بسطة [2] ، لكنه في الأخير لم يستطع مجابهة ابن مردنيش متولي شرق الأندلس فإلتحق بالمغرب لخدمة الموحدين فيما بعد إلى أن مات بمراكش.[3]

ث-ثورة ابن ضحى في غرناطة :

رغم أن الحديث عن هذه الثورة كان متضمنا ثورة ابن حمدين لكن لا بأس من إعطاء بعض الجزئيات المتفردة بهذه الثورة.

قام بهذه الثورة ابن ضحى [4] بعد أن راسله ابن حمدين داعيا إياه إلى الثورة وعلق على ذلك ابن الآبار بقوله : << خاطب أبا الحسن بن أضحى يحضه على اتباعه وهو إذ ذاك بغرناطة >> [5] وبدأ بمحاصرة قوى المرابطين المتحصنة بقصبة المدينة والتي كانت بقيادة علي بن أبي بكر المعروف بإفن فنو [6]، وقد بدا أن إبن ضحى وأتباعه من الثوار لم يستطيعوا التغلب على قوات المرابطين المتحصنة فطلب النجدة من ابن حمدين بقرطبة ، ومن قاضي جيان المسمى ابن جُزَى. [7] وقد أرسل ابن حمدين قوات بقيادة ابن أخيه المعروف بإبن أم العماد [8]، لكن أهل غرناطة استنجدوا بإبن هود واختاروه لقيادتهم.[9]

---

[1] - فصل في ذلك ابن الخطيب بقوله :<< وأخذ بالحزم ولم يكل أمره إلى غيره وخاض به الفتنة خوض الجرأة فأتى على كثير من الأنفس والأموال ، واقتنى كثيرا من المال والذخيرة ، واستعان على غناه بالفلاحة وإثارة الحرب>> . نفس المصدر، ص 264.

[2] - كما ذكر ابن الخطيب أن هذا الثائر استعان ببعض أهل العلم والأدب أمثال ابن طفيل وابي الحكم هردوس. نفسه .

[3] - نفسه ؛ دندش: الأندلس نهاية المرابطين ، ص 93.

[4] - هو علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن ضحى بن عبد اللطيف بن الغريب بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن الغريب الهمذاني ، تولى غرناطة وكان من أهل العلم والفهم كريم النفس ، جزل العطاء، كثير البشاشة ، مليح الدعابة تفقه وتعلم بالمرية وكان كثير الأشعار. ابن الخطيب: الاحاطة، ج4، ص ص 83-84.

[5] - ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 212.

[6] - نفسه.

[7] - نفسه ؛ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية ، ص 155 ؛ هشام أبو رميلة : المرجع السابق، ص 77.

[8] - ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 212.

[9] - ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5 ، ص 223.

تعاون ابن هود مع ابن ضحى لقتال المرابطين وحصارهم أشهرا ولكن هذه الحروب المتقطعة اسفرت عن مقتل عديد الفقهاء [1] ثم توفي القاضي ابن ضحى فخلفه ابنه محمد الذي تعاون معه ابن هود على قتال المرابطين رفقة القاضي أبي جعفر زعيم ثورة مرسية الذي جاء بألفي فارس لقتال المرابطين في غرناطة [2]، لكن الهزيمة حاقت به وبجيوشه وقُتل [3] واستباح المرابطون مدينة غرناطة وعاد ابن هود إلى جيان.[4]

تولى قيادة الثورة في غرناطة بعد ذلك أبو بكر محمد بن أبي الحسن ابن ضحى وظل يقاتل المرابطين في القصبة لمدة ثمانية أيام لكن دون جدوى ، رغم الإمدادات التي ساندته والتي عبر عنها ابن الآبار بقوله :<< وأقام ثمانية أيام يغادي ويراوح بالقتال>>.[5] مما أدى بأهل غرناطة إلى التصالح مع المرابطين الذين كانوا بقيادة بدر بن ورقاء [6] وبذلك عادت غرناطة إلى حاظنة المرابطين.

2–ثورات القضاة في شرق الأندلس

أ–ثورة ابن عبد العزيز في بلنسية :

كان قاضي بلنسية عندما بدأت الأمور تسير نحو الاضطراب القاضي ابن عبد العزيز [7] وكان قد ولاه تاشفين بن علي في 24 ذي الحجة 538هـ/1143م.[1]

---

[1] – ومن بينهم الفقيه أبو جعفر بن عيسى والفقيه أبو الحسن بن ثابت والفقيه أبو جعفر بن عطية . نفسه.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 213.

[3] – ابن عبد الملك: الذيل و التكملة ، ج 5، ص 224 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء،ج 2، ص 213 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 317.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 213 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 317.

[5] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 214.

[6] – نفس المصدر، ص 215.

[7] – هو عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز أبو الحسن قاضي بلنسية ووالد قاضيها وأميرها أبي عبد الملك مروان. ابن الآبار: المعجم، ص 218.

يبدو أن الأمير تاشفين بن علي قد أمر بتنحية القاضي أبا محمد بن جحاف لأن المتغيرات الآنية حينها كانت تقتضي وجود قاض حازم وهذه الصفة لم تكن متوفرة في ابن جحاف [2] على رواية ابن الآبار الذي قال فيه : << كان وقورا حليما موطأ الأكناف كثير التؤدة واللين ، وربما نسب إلى الضعف لفرط تأنيه >>.[3] ويبدو أن هذه الصفات هي العلة في تنحيته واستبداله بقاض يكون على مستوى المتغيرات الطارئة.

بدأ القاضي ابن عبد العزيز بالتمكين لنفسه بين الناس مستغلا وضعيته التي أهلته لذلك ومستغلا تقهقر مكانة اللمتونيين هناك. فإتفق هذا القاضي مع ابن غانية والي بلنسية على التعاون وتناسي ما كان بينهما من تنافس [4] وتم الاجتماع في المسجد الجامع بالناس من طرف كل من ابن غانية والي بلنسية والقاضي ابن عبد العزيز [5]، وقد وصف ابن الآبار في الحلة ذلك بقوله : << وحضر الناس بالمسجد الجامع فقام فيهم مروان خطيبا يذكر بجهاد اللمتونيين للروم ونصرهم للجزيرة واستنقاذهم بلنسية من أيديهم >> [6] ، ويبدو من خلال النص الذي بين ايدينا أن القاضي ابن عبد العزيز جاهر بولائه للمرابطين قبل الانقلاب عليهم فيما بعد ، حيث لم تمض أيام معدودة حتى وصلت والي بلنسية شائعات مفادها انقلاب القاضي ابن عبد العزيز وتحريضه للناس.

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج 2، ص218 ، غير أن الاستاذة عصمت عبد اللطيف دندش رجحت أن يكون القاضي أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز تولى القضاء بعد جمادى الأولى سنة 538هـ/1143م لأن رسالة الأمير تاشفين المؤرخة في العشر الأول من ذات التاريخ تذكر أن محمد بن جحاف هو متولي القضاء ببلنسية. دندش: المرجع السابق، ص85.

[2] – هو أحمد بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمان بن جحاف المعافري أبو محمد قاضي بلنسية اشتهر باللين والحلم والوقار اجتمعت فيه المعرفة والأحكام والمشاركة في الأدب وبراعة الخط توفي سنة 547هـ/1152م. ابن الآبار: المعجم، ص ص 43-44.

[3] – نفس المصدر: ص 44.

[4] – أشار إلى هذا التنافس الباطن ابن الآبار بقوله : << فإجتمعا في الحين على منافسة كانت بينهما في الباطن واتفقا على الائتلاف وترك الخلاف >>. ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 218.

[5] – ابن الابار : الحلة السيراء ، ص 218 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 87 ؛ هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 82.

[6] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 218 ، ويواصل ابن الآبار في ذات الصفحة متكلما عن خطاب الرجلين بقوله : << ويحض على التمسك بدعوتهم والوفاء لهم ، ثم قام عبد الله بن محمد الوالي وتكلم بما حضره في هذا المعنى، وذكر الناس بما انتظم بينهم وبين عمه من الصحبة وانفصلوا >>.

غير أن ابن الخطيب ذكر أن أهل بلنسية ثاروا واجتمعوا إلى القاضي ابن عبد العزيز فإلتزم ببيعتهم [1] ، وعلى أية حال فقد شق القاضي ابن عبد العزيز عصا الطاعة للمرابطين ، حيث اضطر والي بلنسية ابن غانية أن يبعث بأهله وعياله وممتلكاته إلى شاطبة ليلة الأربعاء 18 رمضان 539هـ/1144م بينما أقام هو بولجة بلنسية [2] ، ونتيجة للتوتر السائد داخل أوساط القوى المرابطية التابعة لابن غانية سارع في العودة إلى شاطبة التي اتخذها مركزا للإغارة على بلنسية ، مما أدى بأهل هذه الأخيرة الشكوى إلى القاضي ابن عبد العزيز [3]، واقترحوا عليه قيادتهم لكنه أبى وقال لهم : << اختاروا من شيوخكم من تقدمونه >> [4] ، فإتفقوا على بعض اللمتونيين الباقين ببلنسية . وبعدها ترأس ابن عبد العزيز بلنسية وتمت له البيعة يوم الاثنين 3 شوال 539هـ/1144م.[5]

بدأ القاضي ابن عبد العزيز التخطيط لصد هجمات المرابطين على بلنسية والقادمة من جهة شاطبة فولى عبد الله بن عياض الثغر وما والاه واستدعى أجناد الثغر ثم طلب مساعدة أبي جعفر بن أبي جعفر قاضي مرسية حيث تعاونا على حصار شاطبة.[6]

تأكد ابن غانية من توافر القوات لمؤازرة القاضي ابن عبد العزيز ومن تشديد الحصار على شاطبة فأدرك عدم جدوى المكوث بها ، فخرج منها متوجها إلى المرية [7] وعلق على ذلك ابن الخطيب بقوله: << وخرج في طائفة قليلة من أجناد قومه وتعرف بذلك وأتبع أثره فنجا وحده وقصد

---

[1] – قارن بين ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 219 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 256.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 219؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 196.

[3] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 219 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 197.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 219.

[5] – نفسه.

[6] – ذكر ابن الآبار أن هناك نيةٌ مضمرة من القاضيين للظفر بشاطبة وعلق على ذلك بقوله : << فأقاما على حصار شاطبة متفقين في الظاهر، مختلفين في الباطن، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بهاـ>>. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص220.

[7] – ابن الخطيب: اعمال الأعلام ، ص 256 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 220 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 88 ؛ هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص 82.

الساحل>> [1] ، حيث التقى هناك بالقائد المرابطي أمير البحر محمد بن ميمون قائد الأسطول المرابطي[2] الذي نقله إلى جزيرة ميورقة [3] ليلحق بأبيه المولى عليها.[4] (المقصود به محمد بن علي).

بعد هروب ابن غانية تسلم القاضي ابن عبد العزيز شاطبة صلحا ثم استولى على مدينة لقنت [5] وما جاورها[6]، غير أن ابن عبد العزيز لم ينعم طويلا بهذه الانتصارات ، إذ سرعان ما انقلبت عليه الرعية وتمرد عليه الجند لقصوره عن جمع الجباية ودفع مرتباتهم، وفشل في تسيير المصالح العامة لقلة المال اللازم.[7]

بعدها أرسل جنود ابن عبد العزيز إلى ابن عياض في مرسية وطلبوا منه تولي أمور بلنسية وفي ذات الوقت حاصروا قصر الإمارة للقاضي ابن عبد العزيز الذي تمكن من الفرار وكان ذلك في يوم الثلاثاء 26 جمادى الأولى 540هـ/1145م [1] ، وقد وصف لنا ابن الخطيب هذا الفرار بقوله

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 256 ، واسترسل ابن الخطيب في ذكر تفاصيل الهروب في ذات الصفحة بقوله : << فذكروا أنه صانع صيادا للحوت ببعض آلته وركب جفنه فأوصله إلى أحواز المرية>> .

[2] – كان القائد محمد بن ميمون وفيا وخدوما للسلطات المرابطية منذ تعيينه ايام علي بن يوسف ، وحتى بعد مقتل تاشفين بن علي ، وحتى بعد كثرة الفتن والتمردات على المرابطين ظل على وفائه وعهده . م . م علي قنبر الياس : بنو ميمون قادة الاسطول المرابطي والموحدي (508 هـ / 599 هـ) ، مجلة كلية ابحاث التربية الاساية ، 2010 ، (د.م) ن، العدد 2 ، المجلد 10 ، ص ص 425 – 426 .

[3] – ميورقة جزيرة في البحر الزقاقي من قبلتها بجاية ومن الجوف برشلونة وهي القرب من جزيرة منورقة ، طولها من الشرق إلى الغرب سبعون ميلا وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلا فتحها المسلمون سنة تسعين ومأتين . الحميري: الروض المعطار، ص 567.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 220 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256.

[5] – لقنت من مدن الأندلس بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا وهي مدينة صغيرة عامرة بها سوق ومسجد عامر ، ومنها تؤخذ الحلفاء إلى سائر البلاد ، بها فواكه وغلات ولها قصبة منيعة في أعلى الجبل. الحمير: الروض المعطار، ص 511 ؛كان لاهلها دور كبير في اقامة دار لصناعة السفن المختلفة . خزعل ياسين مصطفي : الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الاندلسية – عصري الامارة والخلافة – ، مجلة التربية والعلم ، 2011 ، (د.م) ، العدد 1 ، المجلد 18 ، ص 65 .

[6] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256 .

[7] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2، ص 221 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256.

:<< فصابر ثم إلى الليل، وترامى من السور، فذهب لوجهه ، وتلاعبت به الأيام إلى أن توفي مشرفا بمراكش سنة 578هـ (الموافق لـ 1182م)>>.[2]

أما ابن الآبار الأندلس فقد فصَّل في هروبه نقلا عن ابن صاحب الصلاة بقوله : << فخرج راجلا متنكرا وتدلى من سور بلنسية ليلا واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المرية واجتمع بالقائد محمد إبن ميمون فقبض عليه وقيده وفاء لبني غانية >> [3] ، وقد تأزم الوضع في بلنسية وتفاقم الفلتان الأمني لدرجة أنهم طاردوا أنصار القاضي ابن عبد العزيز وتنبهوا دورهم.[4] وبعدها قدم جند بلنسية عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش صهر ابن عياض للرياسة وأسكنوه قصر بلنسية. بينما رجع ابن عياض إلى مرسية بعد أن رتب شؤون بلنسية [5] وبذلك انتهت ثورة ابن عبد العزيز.

ب–ثورة أبو جعفر في مرسية :

نشبت ثورة مرسية بقيادة القاضي أبو محمد بن الحاج اللورقي [6] الذي دعا إلى ابن حمدين ، غير أنه لم يلبث طويلا حتى اختار أهل مرسية القاضي الفقيه أبو جعفر محمد بن أبي جعفر في آخر

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 221 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 89 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 83.

[2] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 256.

[3] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 221 ؛ غير أن ابن الآبار ينقل لنا في الصفحة الموالية رواية أخرى عن ابن عبد العزيز حيث ذكر أنه لما غدر به الجنود فر إلى قلبيرة ثم عاد إلى بلنسية مستترا ودخل داره القديمة فسمع به الناس فأحرقت بعض دوره فخرج ثانية مستخفيا إلى مرسية واقتفى أثره يوسف بن هلال حتى عثر عليه ابن ميمون.

[4] – ومن بين هؤلاء ابن جبير صاحب الرحلة المعروفة حيث حملوه مقيدا إلى حصن مطرنيش المنيع ببلنسية وسجنوه حتى افتدى نفسه بـ 3000 دينار ونهبت له دفاتر وذخائر. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 224.

[5] – ابن الابار : الحلة السيراء ، ص 222 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 83 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 89 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ص 224.

[6] – هو عبد الرحمان بن جعفر بن ابراهيم بن أحمد المعافري، أبو محمد بن الحاج ويلقب بذي الوزارتين من أهل لورقة لكنه سكن مرسية ، برع في الأدب فكان بضاعته وصناعته واستدعي للكتابة في مراكش سنة 528هـ/1134م. ثم استعفي فأعفي ، آثر صحبته الفقراء زهدا في الدنيا، ولاه أهل مرسية شؤونهم ثم خلعوه . ابن الآبار: المعجم ، ص ص238-239.

شوال ، ليخلف مكان أبو محمد بن الحاج اللورقي [1] وكان أبو جعفر من البيوتات الكبيرة بمرسية، استقضى بها ثم تقلد رياستها [2] وقد دعا في بداية رآسته لمرسية لإبن حمدين الذي بدوره أرسل له القائد عبد الله بن فتوح الثغري واليا على مرسية فبدأ التعاون بين هذا القائد وبين القاضي أبو جعفر.[3]

بدأ القاضي أبو جعفر بتأليب الناس على حكم الملثمين بل وحشدهم لقتالهم وقد قال عن ذلك ابن الآبار : << فتخرج أبو جعفر في العامة إلى أوريولة [4] ومن بها من الملثمين قد لجأوا إلى قصبتها وتحصنوا في أهاليهم بها فهموا بالدفاع ثم أذعنوا ونزلوا على الأمان فعوجلوا بالغدر واستؤصلوا قتلا وتحريقا بالنار ومُثِّل بهم وأُنتهبت أموالهم >>.[5] ويبدوا أن القاضي أبو جعفر قد منحهم الأمان لكنهم بعد أن نزلوا من القصبة غُدر بهم وقضى عليهم.[6]

بعد هذا الانتصار الذي حققه القاضي أبو جعفر خلع دعوة القاضي ابن حمدين ودعا لنفسه ولقب نفسه بالأمير الناصر ولم يكتف عند هذا الحد بل انقلب على قائده عبد الله الثغري وأمر بالقبض عليه ، [7] وقد ذكر ابن عبد الملك صاحب كتاب الذيل والتكملة أن القاضي عاشر بن محمد عاشر الأنصاري قد خالف القاضي أبو جعفر في ثورته بعد أن عرض عليه مسايرته [8] بعد ذلك عين أبو جعفر على رأس القضاء أبو العباس بن الحلال.[9]

---

1 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 239 .

2 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258.

3 – ابن الآبار: المعجم، ص 239 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258.

4 – أوريولة حصن بالأندلس وهو من كور تدمير ومدينة أوريولة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم وملكهم ، لها قصبة في غاية الامتناع، بها بساتين وجنات وبها فواكه كثيرة تبعد عن مرسية ب 12 ميلا. الحميري: الروض المعطار، ص 67.

5 – ابن الآبار: المعجم، ص 239 .

6 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 239 .

7 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258 ؛ ابن الآبار: المعجم ، 239 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 229.

8 – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الخامس ، ص 101 .

9 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 229 ؛ دندش: المرجع السابق، ص 90 .

توجه القاضي أبو جعفر إلى حصار شاطبة معينا لإبن عبد العزيز في حصار الملثمين الممتنعين بقصبتها ، غير ان عامة الناس اغتنمت فرصة غياب القاضي أبو جعفر عن مرسية ليقوموا بالثورة وأفرجوا عن القائد عبد الله الثغري وصهريه وحرروهم من الاعتقال فتوجه الثغري إلى كونكة.[1]

لم يفلح أبو جعفر في الاستيلاء على شاطبة التي خرج لمحاصرة المرابطين بها بل استولى عليها ابن عبد العزيز، فعاد القاضي أبو جعفر إلى مرسية وذلك في صفر سنة 540هـ/1145م،[2] ثم توجه إلى غرناطة مغيثا لأهلها ولمعاونه ابن ضحى. فالتقى مع جيوش المرابطين التي تمكنت من قتله ومعظم جيشه بعد معارك دارت بينهما [3] ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك مفصلا فيه بقوله :<< ولما ثار ابن ضحى بغرناطة واستعصى عليه أمر الملثمين بقصبتها استصرخ بإبن أبي جعفر هذا ، ووعده بما أطمعه، فتحرك نحوه في عسكر وافر ينيف عن ألفي فارس، فيهم أعلام فقهاء الشرق وكتابهم وشعراؤهم، وكانت بينه وبين جيوش اللمتونيين المصهرين إليه وقيعة عظيمة بظاهر المدينة ، صدقت فيها عليه الهزيمة يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر ربيع الأول عام 540هـ (الموافق لـ 1146م)>>.[4]

بعد شيوع خبر مقتل القاضي أبو جعفر في مرسية أجمع أهلها على مبايعة أبو عبد الرحمان بن طاهر[5] ، الذي تربع على عرش الإمارة ودعا بادئ الأمر لسيف الدولة ابن هود ، غير انه فيما بعد دعا لنفسه وقدم أخاه أبو بكر علي الخليل، في هذا الوقت كان القاضي ابن حمدين قد وجه ابن أخيه ابن أم العماد بجيشه لكن أهل مرسية منعوه من الدخول فرجع خائبا [1] ، بعد ذلك أرسل القاضي

---

1 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2 ، ص 230.

2 – ابن الآبار: المعجم ، ص 240 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 230 .

3 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام ، ص 258 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 240 .

4 – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 258 ؛ غير أن ابن الآبار في الحلة السيراء اكتفى بالقول أن مصرع القاضي أبو جعفر كان في أول سنة 540هـ دون ذكر الشهر واليوم ، غير أنه اتفق مع ابن الخطيب في هول المعركة وقبح الهزيمة التي حاقت بجنوده . ابن الآبار: المعجمن ص 240.

5 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2 ، ص 230؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 222 ؛ هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص 84.

ابن حمدين بجيش آخر بقيادة ابن عمه المسمى بالفلفلي صحبة أبو محمد بن الحاج اللورقي وإبن سوار وبعض أعيان مرسية المقيمين خارجها لكن نفس المصير كان بانتظارهم.[2]

بدت الأوضاع في مرسية غير مستقرة وابن الطاهر يترقب ذلك ، ولم تمض أيام حتى أرسل بعض أهل مرسية لأبي محمد بن عبد الرحمان بن عياض قائد جند الثغر في بلنسية طالبين منه القدوم إليهم وتقلد رياستهم ، ولما جاء ابن عياض تلقاه والي اوريولة المسمى زعنون وملكه إياها ، وقد استقبل أهل مرسية ابن عياض وابن طاهر كان محسنا الظن بهم إلى أن دخل ابن عياض القصر الكبير لا يدفعه أحد وذلك في 10 جمادى الأولى 540هـ/1145م ، وبذلك تمت إزالة ابن طاهر الذي انتقل إلى الدار الصغرى ثم خاف على نفسه فإنتقل إلى داره، وعفا عنه ابن عياض لعلمه بضعفه ومعرفته بشهامته وحسن سيرته.[3]

بعد ذلك استدعى أهل بلنسية ابن عياض [4] لتولي أمور مدينتهم بعد فرارا ابن عبد العزيز وذلك أواخر جمادى الاولى سنة 540هـ/1145م فتوسع حكم ابن عياض واتسعت قاعدة سلطته وعلق على ذلك عبد الواحد المراكشي بقوله : << واتفق أهل بلنسية ومرسية وجميع شرق الأندلس على تقديم رجل من أعيان الجند اسمه عبد الرحمان بن عياض ، وكان عبد الرحمان هذا من صلحاء

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج2 ، ص 230 ؛ هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص 84.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 230 ؛ دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 92 ؛ هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص 84.

[3] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 231 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 222 ؛ هشام ابو رميلة: المرجع السابق، ص ص 84 .

[4] – هو أبو محمد بن عياض وقيل عبد الرحمان ، مجاهد في سبيل الله فارس الأندلس ، قيل أنه كان مجاب الدعوة سريع الدمعة رقيقا، كان النصارى يعدونه بمائة فارس ، اتفق أهل شرق الأندلس على رياسته. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 237 وما بعدها؛ كما وصفه ابن سعيد بقوله: كان من ابطال المسلمين غازيا للنصارى. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 250.

أمة محمد وخيارهم...وانتشر له من الهيبة في صدور النصارى ما ردهم عن البلاد ، وأقام ابن عياض هذا بشرق الأندلس يحفظ تلك البلاد ويذود عنها >>.[1]

دعا ابن عياض لإبن هود حيث كان يعلم في قرارة نفسه أن ابن هود تقف وراءه قوى النصارى ، كما اكتفى هذا الأخير بلقب الإمارة ومظاهرها وأسند قيادة شرق الأندلس إلى ابن عياض.[2]

دخل في طاعة ابن هود أصهار ابن عياض وهما عبد الله بن مردنيش ومحمد بن سعد بن مردنيش وبذلك صار حكم ابن هود يشمل كل المناطق الواقعة بين لورقة ونهر ايبرو، وفي هذه الأثناء هاجم النصارى مدينة شاطبة فقرر ابن هود مهاجمتهم وسار معه لأجل ذلك كل من ابن عياض وعبد الله بن مردنيش [3] ، فنشبت معركة بين الفريقين تعرف بموقعة اللج أو البسيط قرب مدينة جنجالة [4] وذلك في 20 شعبان 540هـ/1146م [5] كانت الهزيمة فيها قد حاقت بالقوات الإسلامية وقتل فيها عبد الله بن سعد بن مردنيش كما تم أسر سيف الدولة ابن هود الذي قتله بعض الجنود النصارى دون معرفة هويته.[6]

---

1 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 146-147.

2 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 231 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 147 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص 360.

3 – دندش: الأندلس نهاية المرابطين، ص 93 ؛ هشام ابو رميلة : المرجع السابق، ص 85 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 361 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق،ص 225.

4 – جنجالة حصن بالأندلس يقع شمال مرسية. الحميري: الروض المعطار: ص 174.

5 – كما رجح ابن الآبار أن تكون هذه المعركة في اليوم الموالي وهو السبت 21 شعبان 540هـ/1146. ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 252 ؛ إلا أن المؤرخ الألماني يوسف أشباخ اكتفى بتأكيد التاريخ الأول وهو 20 شعبان الموافق للجمعة. يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 225 ؛ وأيده في طرحه ذلك عبد الله عنان. عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 361.

6 – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2 ، ص ص 251-252 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 361 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 225.

أما ابن عياض فقد نجا وعاد إلى بلنسية وأعلن الدعوة لنفسه وعين محمد بن سعد بن مردنيش نائبا عنه ، واتفق مع عبد الله الثغري ليكون رسوله إلى قشتالة لعقد الصلح معها والتحالف ضد برشلونة ، غير أن عبد الله الثغري عاد مدعيا أن ألفونسو ريموندس ملك قشتالة قد أمَّره على مرسية ، واستطاع دخول المدينة بعض أصحابه الفاسدين والمشايعين له فنجح في مهمته وهرب ابن مردنيش في أوائل ذي الحجة 540هـ/1146م [1] حيث توجه إلى مدينة لقنت [2] ناجيا بنفسه.[3]

بعد ذلك سخط أهل مرسية على عبد الله الثغري وانتهز ابن عياض هذه الفرصة ليتحالف معهم واستمر القتال إلى أن انتهى بمقتل الثغري وهزيمته وذلك في 07 رجب من سنة 541هـ/1146م.[4]

استعاد ابن عياض مرسية واتسعت قاعدة حكمه لتشمل شرق الاندلس من بلنسية شمالا إلى أحواز قرطاجنة جنوبا أما أتباع عبد الله الثغري فقد سيطروا على المناطق الجبلية الواقعة بين قونكة واقليش وبياسة[5] ، وبدأ بالتصدي للقوى النصرانية وقد أبلى في ذلك بلاءً حسنا بإتفاق العديد من

---

[1] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 231 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 364 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 1 ، ص 226 ؛ دندش: الأندلس نهاية المرابطين، ص 93.

[2] – لقنت مدينة صغيرة وعامرة بالأندلس بها سوق ومسجد، كثيرة الفواكه، منها تصدر الحلفاء إلى سائر بلاد البحر ينها وبين دانية على الساحل سبعين ميلا. الحميري: الروض المعطار، ص 511.

[3] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 232 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ص 226.

[4] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 232 ؛ وقد ذكر يوسف أشباخ أن أهل مرسية انقلبوا على الثغري لتعاونه مع النصارى وحقدوا عليه رغم محاولة استمالتهم بالبذل والعطاء لإرضائهم إلا أنهم تعاونوا مع ابن عياض وتمكنوا من هزيمة الثغري وقتله. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص 226.

[5] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 364 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص 226.

المصادر.[1] وبعد انقضاء دولة المرابطين في الاندلس أصيب ابن عياض بسهم في إحدى حروبه مع نصارى قشتالة فإستشهد في يوم الجمعة 22 ربيع الأول 542هـ/1147م.[2]

---

[1] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20 ، ص 237 وما بعدها ؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب،ج 2، ص 250 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 147 .

[2] – الضبي: المصدر السابق، ص 44 ؛ ابن الابار: الحلة السيراء، ج 2، ص 232 ؛ غير أن عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب وابن سعيد المغربي ذكرو وفاة ابن عياض دون تحديد تاريخ ذلك. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 250 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 147.

الفصل الثالث : الفتن والتمردات الداخلية في دولة المرابطين .

اولا : الفتن والتمردات بقرطبة

1-تمرد قرطبة سنة 500هـ /1106م

2-ثورة قرطبة 514 هـ/1120م

3-انتفاضة قرطبة سنتي 525-526هـ/1130-1131م

4-ثورة العامة في قرطبة 529هـ/ 1134م

5-انتفاضة العامة في قرطبة ضد القاضي ابن رشد

ثانيا : الثورات والتمردات بغرناطة

1-تمرد والي غرناطة 500هـ/1106م

2-ثورة المعاهدين النصارى 519هـ/1125م

3-إخماد تمرد سكان غرناطة

ثالثا : الانتفاضات والتمردات بباقي أنحاء المغرب والأندلس

1-محاولة تمرد والي فاس 500هـ/1106م

2-انتفاضة اشبيلية 529هـ/1134م

3-انتفاضة ميورقة .



اولا : الفتن والتمردات بقرطبة

قرطبة من اهم حواضر الاندلس الاسلامية ، وقد ظلت تكتسي اهمية خاصة عبر تاريخها الطويل لدي كل الكيانات السياسية الاسلامية المتعاقبة في الاندلس ، وقد عرفت هذه المدينة مجموعة اضطرابات في العهد المرابطي ادت في الغالب الى ظهور فتن [1] ، نوجزها فيما يلي .

1-تمرد قرطبة سنة 500هـ /1106م :

كان أول تمرد [2] عرفته قرطبة في الأندلس في مستهل فترة حكم علي بن يوسف بن تاشفين وكان ذلك في 500هـ/1106م وكان ذلك من تبعات بيعة الحاكم الجديد ، فقد تلكّأ أبو عبد الله محمد بن الحاج عن بيعة علي بن يوسف امير المرابطين الجديد [3] ، وقد وصف ذلك ابن الآبار بقوله : << إلى أن رام القيام على علي بن يوسف بن تاشفين ووضع إمرته ، وتلكأ عن بيعته لأول ولايته سلطان أبيه، ومآلاه الملأ من أهل قرطبة، مشيختها وفقهائها وذلك سنة خمسمائة>>.[4]

ولما بعث علي بن يوسف إلى سائر الأمصار لأخذ البيعة من رعيته رفض أبو عبد الله محمد بن الحاج ذلك ، معلنا بذلك الخروج عنه وانظم إليه جمع من أهل قرطبة ، وبعض الفقهاء والأعيان من هذه المدينة وذلك سنة 500هـ/1106م.[5] وبذلك انشقت أول حواضر الأندلس عن طاعة أمير المرابطين الجديد .

---

[1] – من معاني الفتنة الميلان عن الحق ، وتعني كذلك ما يقع بين الناس من قتال ، وبذلك يقع الرب والاختلاف بين المسلمين اذا تحزبوا ، ابن منظور : المصدر السابق ، ص ص 3345 – 3346 . ولاحظنا في بحثنا هذا ان الفتن الواقعة في دولة المرابطين ادت الى الاقتتال والتفرقة .

[2] – تطلق كلمة متمرد على كل عزيز ممتنع ،كما تعني العتو والطغيان . ابن منظور : المصدر السابق ، ص ص4172 – 4173 . ومنه يتضح ان كل الخارجين عن فلك السلطة يدخلون في فلك هذا المعنى .

[3] – ابن الآبار: المعجم، ص 141 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق ، ج4 ، ص 49 ، هامش (1).

[4] – ابن الآبار: المعجم، ص ص 141-142.

[5] – نفس المصدر ، ص41 ؛ الهرفي: المرجع السابق،ص 77 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 7.

لكن مآل هذا التمرد كان الفشل ، إذ سرعان ما قبض علي بن يوسف على هذا الوالي وعزله عن الحكم [1] ، ويبدو من خلال المصادر أن هناك من كان يدعم هذا الوالي ومن بينهم ابن الخصال [2] الذي كان من أعز أصدقاء ابن الحاج [3] في الشدة والرخاء وبقي معه حتى وفاته .

ومن الثائرين الذين شاركوا إبن الحاج تمرده على دولة المرابطين أبو بكر بن المرخي[4] ، فقد نقل لنا الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان [5] بعض تفاصيل المواجهات العسكرية بمدينة قرطبة بعد عبور الجيوش المرابطية بقوله : << ولما رأى ابن الحاج من خلاف سنة تسع وتسعين (ويقصد 499هـ/1105م) ما أراد ، واتفق هو ومن واطاه على ما فسخته الأقدار. استشير في الخلع فما استساغه، وريع خيره (الحمى) فلم يكن فيمن راعه، وعرض على الحمام فما هابه ، ووالى في نقض ما أبرم جيآته وذهابه ، وسمح في ذلك بنفسه ، وقنع من غده بذكر أمسه ، فلما انجلت ظلماؤه... أعزى بالمطالبين اهتضامه وحيفه ، وسرى إليهم مكروهه...وأعلن لمن أسر أعزاؤه...فأخمل منهم أعلاما وأورث نفس الدين فيهم آلاما، وألبسهم ما شاء ذما من الناس وملاما، فدجت مطامع شموسهم، وخلت مواضع تدريسهم، فأصبحوا ملتحفين بالمهانة ، متشوفين إلى الإهانة ، يروعهم

---

[1] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ ابن الآبار: المعجم، ص 142 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 49.

[2] – هو محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن ابي الخصال الغافقي الإمام البليغ ، يكنى أبا عبد الله أصله من فرغليط من شقورة كان عريفا بالأدب واللغة والاتقان لصناعة الحديث والنسب والتاريخ والكتابة والنظم، ابن الخطيب: الاحاطة، ج 2 ، ص 388 وما بعدها ؛ كما قال عنه ابن سعيد المغربي أنه ذو الوزارتين وكاتب امير المسلمين علي بن يوسف وهو مذكور بأجل ذكر. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2 ، ص 66.

[3] - ابن الآبار: المعجم، ص 141.

[4] – هو أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين المشرف أي مروان بن عبد العزيز، ممن يعرفون ببني المرخي المعروفين بالفضل والنبل. ابن بسام : المصدر السابق، ج 2، ص 533 ؛ كان في أواخر عمره يجلس مع الناس لتدارس كتب الأدب إلى أن توفي سنة 536هـ/1141م وهو ابن السبعين سنة. ابن الآبار: المعجم، ص 143.

[5] – الفتح بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خريوش، ط 1، مكتبة المنار، الزرقاء(الأردن)، 1989، ص 611.

الرواح والغدو و << يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ >> [1] ويذعرهم طرق النوم بلا جفان...فقد فقدوا حبورا ، وعادت منازلهم قبورا>>.

بعد ذلك هرب ابن الحاج إلى خارج قرطبة [2] ولحق به أعوانه ، لكن أمير المرابطين قبض عليه ثم عفا عنه وفي ذلك يفصل ابن الآبار بقوله : << رضي علي بن يوسف على ابن الحاج وأخيه وقومه ومن عليه وصفح عنه >> [3] ، ومن طيبة أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين لم يكتف بالصفح عنه بل أكرمه وعينه واليا على مدينة فاس [4] ، ثم إلى سرقسطة ثم بلنسية [5] حتى استشهد

---

1 – سورة المنافقون ، الآية 4 .

2 – قرطبة هي قاعدة بلاد الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، بها أعلام العلماء وسادة الفضلاء تضم خمسة مدن متصلة ببعضها البعض، لا يفصل بين كل واحدة والأخرى سوى سور حاجز، في كل مدينة منها اسواق وحمامات وفنادق وسائر أنواع الصناعات وطولها من الشرق إلى الغرب ثلاثة أميال وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد، وهي على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس وبها الجامع المشهور بجامع قرطبة غاية في الجمال. الحميري: الروض المعطار، ص457 ؛ أما المقدسي فينقل لنا البعد بين قرطبة وبعض المدن الاندلسية قوله << وأما مسافات الأندلس فصح عندي أن من قرطبة إلى اشبيلية ثلاثة مراحل...ومن قرطبة إلى طليطلة ستة أيام ، ومنها إلى وادي الحجارة مرحلتان... ومنها إلى قورية اثني عشر مرحلة>> . المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي غوية، ط2 ، طبعة ليدن، 1906، ص 247 ؛ عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت، ص182 ؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 1983، ص 169 ؛ جودة هلال ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الاسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 31 ؛ وقد قدم ابن خلدون وصفا دقيقا عنها اثناء رحلته بقوله ((قرطبة وما ادراك ما هية ذات الارجاء العالية الكاسية والاطواد الراسخة الراسية والمباني المباهية والزهراء الزاهية والمحاسن غير المتناهية)) ابن خلدون : رحلة ابن خلدون ، عارضها باصولها وعلق على حواشيها : محمد بن تاويت الطنجي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص ص 164 – 165 .

3 ابن الآبار: المعجم، ص 142.

4 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4، ص 49 ؛ ابن الآبار: المعجم ، ص 142.

5 – بلنسية مدينة بالأندلس تقع إلى الشرق من قرطبة وهي برية وبحرية ذات اشجار وأنهار وتعرف باسم مدينة التراب ، تتصل بها عدة مدن أخرى، بينها وبين البحر فرسخ واحد ، استولى عليها الروم ثم ملكها الملثمون (اي المرابطون) ثم ملكها عبد المؤمن بن علي(الموحدون) وأهلها خير أهل الاندلس يعرفون باسم عرب الاندلس. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 490 ؛ مجهول: ذكر بلاد الاندلس، ص ص 73-74 ؛ ابن الدلائي: المصدر السابق، ص 17.

بالموضع المعروف بالبرت (الباب بالعربية) سنة 508هـ/1114م [1] غير أن ابن عذارى ذكر انه استشهد في السنة الموالية.[2]

وعلى أية حال فقد كان هذا التمرد قد ألحق الفوضى بقرطبة ، ويبدو من خلال وصف ابن خاقان أن هذه الفوضى كانت اشبه بوقائع حرب طاحنة أدت إلى فقدان الأمن وتلاشي الدعة والثقة في النفوس.[3]

2-ثورة قرطبة 514 هـ/1120م :

قامت هذه الثورة في مدينة قرطبة ضد حكم المرابطين وقد كان لها الأثر البالغ في زعزعة كيان دولة الملثمين ، ودليل ذلك جواز أمير المرابطين بنفسه لإخماد هذه الفتنة [4] ، وقد قدم لنا ابن عذارى وصفا لهذه الثورة بقوله : << نفد أمير المسلمين إلى البلاد الأندلسية بإحياء المجانيق والآلات الحربية ، فلما كمل منه المختص بغرناطة ، خرج لمشاهدة التجربة لها والرمي بها أجداي بن سير اللمتوني صاحب الأعنة ، فتزاحم هناك الجم الغفير، فرام الفسحة وأشار برسيخ كان في يده فأصاب صبيا في مقتله فقضى لوقته ، وانفض اللفيف وتهرجت البلدة ، فإسترضى ولي الدم بدفع الدية ، فسكنت الثورة ، وأمهل الله القاتل ثم أخذه ، ولما كمل ما أنشئ منها بقرطبة، وقد جاء عيد النحر، فخرج ثانية عامل البلدة لمشاهدة التجربة وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق بمجمع حضور

---

1 – ابن الابار : المعجم ، ص 142 .

2 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 61.

3 – ابن خاقان: المصدر السابق ، ص 611.

4 – مجهول : الحلل الموشية، ص 86 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 188 ؛ النويري : المصدر السابق، ج 24 ، ص 151 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص 78 ؛ انور محمود زناتي : دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال عصر المرابطين ، دورية كان التاريخية ، سبتمبر 2014 ، القاهرة ، العدد 25 ، ص 16 ؛ WALSIN ESTERHAZY : op , cit , p : 68 .

العيد ، وحضور كل ذاعر [1] وناعق، من كل حدب وشاهق فكثر التدافع والتزاحم ، ودهم الحشم فكثر بينهم التزاحم ، وأقبل لفيف الربض الغربي ، فإلتقى يأسهم على القصر ورام صاحبه المدافعة بحشمه وخدمه فغلبوا ، واقتحم القصر عليه وانتهب جميع ما فيه وخرج هو فارا بنفسه، وركب القاضي أبو الوليد بن رشد [2] في أعلام الفقهاء فردع العامة وقمع السفلة >>.[3] غير أن النويري صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب قدم لنا رواية أخرى عن هذه الثورة بقوله : << وفي سنة ثلاث عشر وخمسمائة وقيل أربع عشر (يقصد 514هـ/1120م) كانت فتنة عظيمة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهل قرطبة ، وسببها أنه كان قد استعمل عليها أبا بكر بن يحي بن داود ، فلما كان يوم عيد الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى إمرأة ومسكها فإستغاثت بالمسلمين فأعانوها فوقع ين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار إلى الليل وتفرقوا ، واجتمع الفقهاء والأعيان إلى ابي بكر وقالوا له : المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه ، وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد وأراد قتال أهل البلد ، فركب الفقهاء والأعيان والشباب وقاتلوه فهزموه وتحصن منهم بالقصر ، فحاصروه ونصبوا السلاليم وصعدوا إليه، فهرب من البلد بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم واخرجوهم من البلد على أقبح صورة>>.[4]

ويتفق مع هذه الرواية إبن الأثير حيث ينقل لنا تفاصيلها بقوله : << وفي هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين علي بن يوسف وبين أهل قرطبة ، وسببها أن

---

[1] – الذاعر أي ذا ذعر وخوف وربما القصد بها كذلك الرجل ذو العيوب. ابن منظور: المصدر السابق، ص ص 1502-1503.

[2] – هو الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه كان بصيرا بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم ألف كتبا عديدة منها البيان والتحصيل وكتاب المقدمات. توفي في 520هـ. القاضي عياض: الغنية– فهروس شيوخ القاضي عياض–؛ تحقيق : ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982، ص 54.

[3] – ورد هذا النص في مخطوطة القرويين لابن عذارى والتي أوردها عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 82. غير أننا تفقدنا المصدر ذاته الذي حققه احسان عباس دون وجود أثر للحديث عن هذه الثورة.

[4] – النويري: المصدر السابق، ج24، ص 151.

أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر بن يحي بن رواد ، فلما كان يوم الأضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى إمرأة فأمسكها فإستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل قرطبة فتنة عظيمة >>.[1]

كما أشارت مصادر أخرى إلى هذه الثورة دون التفصيل فيها حيث أشار إليها صاحب الحلل الموشية أثناء الحديث عن جواز أمير المرابطين علي بن يوسف لإخماد هذه الفتنة بقوله : << وذلك أن أهل قرطبة كان قدم عليها الأمير أبو يحي بن رواد ، فحدثت بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه ، وحدث بين أهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كبيرة ونهبوا دورهم وقصورهم>>.[2]

كما أشار إلى هذه الثورة القاضي عياض أثناء حديثه عن القاضي ابن رشد بقوله : << ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة أحدى عشر وخمسمائة، ثم استعفي منها سنة خمس عشرة إثر الهيج الكائن بها من العامة وأعفي >> [3] ، وأشار إليها ابن القطان في كتابه نظم الجمان بقوله : << اتصل بعلي بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على الملثمين وأخرجوهم وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفزيع وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم في السنة التي بعد هذه >> [4] ،كما أشار ابن أبي

---

[1] – غير أن ابن الاثير يزيد على ذلك أن حلول الظلام هو الذي جعل القتال يتوقف حيث يقول : << ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر فإجتمع إليه الفقهاء والأعيان فقالوا : المصلحة أن تقتل واحدا من العبيد الذي أثاروا الفتنة، فأنكر ذلك وغضب وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد، فركب الفقهاء والأعيان والشباب من أهل البلد وقاتلوه فهزموه، وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا إليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب، فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة>> . ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص ص 187-188.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص 86.

[3] – القاضي عياض: الغنية ، ص 54.

[4] ابن القطان: المصدر السابق، ص 78.

زرع الفاسي إلى هذه الثورة [1] لكن من خلال الحديث عن جواز أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأندلس للجهاد [2] .

وعلى أية حال يبدون أن سبب هذه الثورة هو أن أحد العبيد التابعين للأمير أبي بكر يحي بن رواد قد مد يده إلى أحد النساء ، وذلك يوم عيد الأضحى وأمسكها فاستغاثت بالمسلمين الذين لبوا النداء واشتبكوا مع العبيد في معركة عنيفة استمرت طوال النهار حتى أدركهم الليل الذي كان سبب تفرقهم.[3]

لكن رواية ابن عذارى تغفل هذه الحادثة وتذكر لنا سببا مغايرا كما أسلفناه وهو مقتل أحد الصبيان بالخطأ أثناء التزاحم الواقع ضمن العرض العسكري المرابطي ووقع الهرج وتم استرضاء ولي الدم بدفع دية له فسكنت الثورة ، وبعدها جاء عيد النحر فخرج والي قرطبة وهو أبو بكر يحي بن رواد فأقبلت الناس من كل جهة ووقع التزاحم وهجموا على قصر الوالي ونهبوه.[4]

غير أن الونشريسي صاحب المعيار المعرب نقلا عن ابن الصيرفي ينقل لنا تفاصيل أخرى عن سبب هذه الثورة بقوله : << لعل هذه المسألة التي أشار إليها العقيلي وابن الصيرفي حين عرفا بإبن رشد وغيره من العصريين [5] الذين معه حين افتوا أمير المسلمين بأشياء يقتضيها مذهب مالك واصحابه من أموال بني عامر وبني صمادح ، وخالفهم ابن حمدين وقال هذا البحث يقتضي ويؤدى إلى تضييع كثير من أموال الرعية والتعرض إليهم، فأدى الأمر إلى قيام العامة على ابن رشد ومن وافقه

---

[1] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 164. ويصف لنا ذلك في ذات الصفحة بقوله : << فجاز إلى الأندلس برسم الجهاد واصلاح احوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازه الثاني فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه إلى قرطبة فنزل بخارجها وأتاه بها وفد الأندلس للسلام عليه، فسألهم عن أحوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان عندهم من ذلك وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة، لأجل اشتكاء ابن رشد عليه>>.

[2] – ذكر ابن أبي زرع أن هذا الجواز الثاني وذلك سنة 513هـ/1119م بينما يجعل صاحب الحلل الموشية الجواز الثاني سنة 503هـ/1109م. قارن: مجهول : الحلل الموشية، ص 85 ؛ ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص 164.

[3] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص ص 188–189 ؛ النويري : المصدر السابق، ج24 ، ص 151.

[4] – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 82 .

[5] – المقصود بهم الفقهاء المعاصرين له .

في هذه الفتوى ، وصرفهم ابن حمدين عنهم وتعرض لهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، ثم بعد ذلك ظهرت براءتهم في خبر طويل >>.[1] غير أن ابن ابي زرع ذكر رواية أخرى لعزل إبن رشد تخالف ما جاء في المعيار حيث يقول : << وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة لأجل اشتكاء ابن رشد عليه ، لأنه اشتغل بتأليف البيان والتحصيل وولاه مكانه أبا القاسم بن حمدين>>.[2]

رغم اختلاف المصادر التاريخية على اسباب هذه الثورة التي هزت قرطبة إلا أنهم اتفقوا جميعا على زعزعتها لكيان دولة المرابطين في الاندلس واتفاقهم على أن عامة قرطبة قد ثارت على حكم المرابطين.[3] كما أن عامل الظرفية كان له الأثر البالغ في تفاقهم هذه الثورة حيث أن الاحتفال بعيد الأضحى المبارك أعطى فرصة لتجمع الناس وتجمهرهم.[4]

وقد وقع القتال العنيف بين سكان قرطبة واستمرت المعركة إلى نهاية النهار وبلغ ذلك أمير المدينة أبو بكر يحي بن رواد ، عندما شكل اهل المدينة وفدا من الفقهاء وأعيان البلدة وطالبوه بالقصاص من الرجل الذي فعل فعلته من أجل إخماد الفتنة وتهدئة الناس ووأد الثورة في مهدها ، إلا أن هذا الوالي أخذته العزة والأنفة ورفض هذا الاقتراح بل وتملكه الغضب [5] ، وعند الصباح جهز جنوده وأسلحته وعدته وأراد مقاتلة الثائرين الذين كانوا له بالمرصاد حيث تقدم الفقهاء والأعيان

---

[1] – الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء تحت اشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ج6، ص 98.

[2] –ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 164.

[3] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 188 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24 ، ص 151 ؛ ابن عذارى نقلا عن عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس، ص 82 ؛ القاضي عياض : الغنية ، ص 54 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 78.

[4] – ابن الاثير : المصدر السابق، ج9 ، ص 187 ؛ النويري: المصدر السابق ، ج24، ص 151 ؛ ابن عذارى نقلا عن عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس ، ص 82

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 188 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص 151.

والشباب ونظموا أنفسهم واشتبكوا مع قوات الوالي في معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة والي قرطبة أبو بكر يحي بن رواد.[1]

وقد لنا ابن عذارى وصفا دقيقا للاشتباكات بين الفريقين بقوله : << وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق بمجمع حضور العيد ، وحضور كل ذاعر وناعق من كل حدب وشاهق فكثر التدافع والتزاحم، ودهم الحشم فكثر بينهم التزاحم، وأقبل لفيف الربض الغربي فإلتقى بإسم على القصر>>.[2]

وبعد الهزيمة التي حاقت بوالي قرطبة تحصن في قصره فهاجمته عامة قرطبة وحاصروه ثم اقتحموه عليه بعد استعمالهم السلالم [3] ، ثم بدأت عمليات النهب والحرق تطال كل القصر بل وتعدت إلى أملاك المرابطين المتواجدين في قرطبة [4] ، أما أبو بكر يحي بن رواد فقد هرب من قصره بشق الأنفس خوفا من انتقام أهالي قرطبة.[5]

تسامع الناس بهذه الثورة وبلغت أخبارها إلى أمير المرابطين علي بن يوسف في مراكش فهاله الأمر، وقد ران الأمر في حاجة إلى حسم سريع قبل أن يتفاقم الفلتان الأمني بأهم حواضر الأندلس ، فأعد جيشا ضخما مكونا من الصنهاجيين والزناتيين والبربر وغيرهم وتوجه بقواته إلى الأندلس

---

1 ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 188 ؛ النويري : المصدر السابق، ج24، ص 151 ؛ ابن عذارى نقلا عن عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس ، ص 82 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 80 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 13.

2 – ابن عذارى نقلا عن عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص82.

3 – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9 ، ص 188 ؛ النويري : المصدر السابق ، ج24، ص 151.

4 – يبدو أن الثائرين من أهل قرطبة قد تمادوا في الإساءة إلى المرابطين وأملاكهم من خلال وصف كل من ابن الأثير والنويري << وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم وأخرجوهم من البلد على اقبح صورة >>. ابن الأثير : المصدر السابق، ج 9، ص 188 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص 151.

5 – ابن الاثير: المصدر السابق، ج9 ، ص 188 ؛ النويري : المصدر السابق، ج24 ، ص 151 ؛ ابن عذارى نقلا عن عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 82.

وكان هذا الجواز في عام 515هـ/1121م [1] ، وقد علق النويري على هذا الجواز بقوله : << واتصل الخبر بأمير المسلمين فأكبر ذلك واستعظمه ، وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم، وجاء إلى قرطبة في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصرها>>.[2]

أما صاحب الحلل الموشية فقد ذكر أن علي بن يوسف << جند الجنود وحشد صنهاجة وزناتة والمصامدة وأخلاط البربر وجاز إلى الأندلس في عسكر حفيل لم يجتمع مثله للمرابطين قبله>> [3] ، وهو وصف دقيق على ضخامة جيش المرابطين الذي ينم على عظم هذه الفتنة وتخوف ساسة المرابطين من تداعياتها.

وصلت قوات المرابطين وحاصرت قرطبة لتطويقها، فإستمات أهلها في الذود [4] عنها وفشل المرابطون في اقتحامها ، وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية صورة مفصلة عن استماتة أهل قرطبة في الدفاع عن أنفسهم ولجوئهم إلى استفتاء علمائهم على ذلك بقوله: << فغلقوا أبوابهم ودربوا مواضع من حاراتهم واستعدوا لقتاله، واستفتوا علماءهم فأفتوهم أنه متى عرض عليه الحق وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين وأهل قرطبة ، وأنه لم يكن بداءة منهم ، وإنما كان ذبا عن الحرم والدماء والأموال والبادئ أظلم، فإن تمادى على اتباع هواه، والميل مع أغراض المفسدين، وجب القتال على الحرم والدفاع عن الحوزة حتى يراجع الله به>>.[5]

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص 86 ؛ ابن الاثير: المصدر السابق، ج 9، ص 188 ؛ النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 151 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 84 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 80.

2 – النويري: المصدر السابق ، ج24 ، ص 151.

3 – مجهول: الحلل الموشية ، ص 86.

4 – وصف ابن الأثير هذه الاستماتة بقوله :<< فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمي دمه وحريمه وماله >>. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 188 ؛ أما النويري فقد علق على ذلك بقوله: << فقاتلهم أهلها قتال من يذب عن نفسه وماله وحريمه >>. النويري: المصدر السابق، ج24، ص 151.

5 – مجهول: الحلل الموشية ، ص 86. ويبدو أن ما زاد في استماتة أهل قرطبة في الدفاع عن مدينتهم هو نص الفتوى الذي منحهم الحق في ذلك.

مكثت قوات المرابطين طويلا وهي تحاصر قرطبة لكن دون جدوى فإنتقلت الكرة إلى الملعب الدبلوماسي التفاوضي بعد أن تأكد المرابطون من تفاني أهل قرطبة في الدفاع عنها ورأى أمير المرابطين شدة قتالهم [1] عن مدينتهم [2] ، فبدأت المراسلات بين الطرفين وتردد أعيان قرطبة ووجهائها على أمير المرابطين حتى وقع الاتفاق بينهم على إنهاء هذه الثورة وإنهاء الحصار المرابطي للمدينة شريطة أن يؤدي أهل قرطبة غرامة نظير ما نهبوه من أموال المرابطين أثناء الثورة [3] ، وبذلك انتهت هذه الفتنة في قرطبة وتم حقن دماء المسلمين

3-انتفاضة قرطبة سنتي 525-526هـ/1130-1131م :

إن المعلومات عن هذه الانتفاضة [4] شحيحة جدا إلا بعض الإشارات التي وردت في بعض المصادر فقد ذكر إبن القطان صاحب نظم الجمان إن سكان قرطبة قد رجموا القاضي ابن المناصف الذي فرض عليهم المعونة [5] رغم أن ابن المناصف هذا كان فقيه محدث مشهور [6] ، ووصفه ابن الآبار في المعجم بقوله : << محمد بن اصبغ بن محمد بن اصبغ الازدي أبو عبد الله

[1] – ابن الاثير: المصدر السابق ، ج8، ص 188 ؛ النويري : المصدر السابق، ج24، ص 151.

[2] – يبدو أن أمير المرابطين علي بن يوسف– في رأينا– لم يكن قاصدا اقتحام قرطبة وإلا لاقتحمها وذلك لهول عدد الجيوش التي رافقته . ومن غير المعقول ان تصمد مدينة صغيرة أمام هذا العدد الهائل من العساكر، وما يؤكد فكرتنا هذه هو ما أورده صاحب الحلل الموشية بأن أعيان قرطبة ذكروا علي بن يوسف بوصية أبيه بعدم الاساءة إلى أهل قرطبة وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم لذلك كانت شخصية علي بن يوسف المتزنة والمتسامحة هي الدافع لعدم اقتحام قرطبة والله أعلم .

[3] – مجهول : الحلل الموشية، ص 87 ؛ النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 151 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 188.

[4] - من الفعل نفض ، ونفض الشيئ أي زعزعه لازالة أي شيء عنه . ابن منظور : المصدر السابق ، ص4505. وبذلك تعني الانتفاضة بشكل عام الحراك الشعبي ضد السلطة الحاكمة غير ان الوسائل المستعملة في هذا العصيان تكون بسيطة .

[5] – ابن القطان: المصدر السابق ، ص 222.

[6] – الضبي: بغية الملتمس ، ص 61 ، وأورد اسمه كاملا بقوله في ذات الصفحة: هو محمد بن اصبغ بن محمد بن اصبغ الازدي القرطبي القاضي ابو عبد الله يعرف بإبن المناصف.

المعروف بإبن المناصف ، قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب صلاة الفريضة بجامعها الأعظم ، وخاتمة الأعيان النبهاء بحضرتها>>.[1]

وكانت ضريبة المعونة هذه ما جرت به العادة في الاندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، وقد ذكر ابن عذارى أن إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520هـ/1126م حيث صدر الأمر في تعتيب البلد وقلد ذلك من وقع الاتفاق عليه من قاضي القطر أبي القاسم بن ورد [2]، وهذا دليل على وجود هذه الضريبة المفروضة على العامة، غير أن القاضي إبن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه، بل وتعدى الأمر إلى رجمه [3]، لأن هذه الضريبة كانت في بعض الأحيان تترك لأهل البلد أنفسهم ، فيتكفل بالأمر كل حي به مسجد يختارون جماعة منهم ويقومون بترميم الجهات القريبة منهم دون تشغيب ولا تعتيب كعادة أهل قرطبة في ترميم أسوارهم.[4]

وربما يكون امتناع الناس عن دفع هذه الضريبة هي الخسارة الفادحة التي حاقت بهم جراء اشتعال النار في سوق الكتان وسوق الحرير حيث علق ابن القطان على ذلك بقوله : << ووقعت النار بسوق الكتانين واتصلت بسوق البز[5] ، فإحترقت أموال الناس>>.[6]

وعلى اختلاف الدوافع التي جعلت القاضي ابن المناصف يفرض هذه الغرامة فإن النتيجة كانت بينة ، وكان رفض السكان حاضرا بقوة إلى درجة الاحتجاج على ذلك وتعدى الأمر فيما بعد إلى رجم القاضي ابن المناصف.[1]

---

1 – ابن الآبار: المعجم، ص 138.

2 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 73.

3 – ابن القطان: المصدر السابق، ص 222، هامش 4.

4 – ابن عذارى: المضدر السابق، ج4، ص 74 ؛ دندش: الاندلس نهاية المرابطين، ص 227.

5 – البز: الثياب، وقيل نوع من الثياب، وقيل البز من الثياب أمتعته، وقيل هو متاع البيت من الثياب. ابن منظور: المصدر السابق، ص 274 ؛ ابن دريد : المصدر السابق ، ج1 ، ص 68 .

6 – ابن القطان: المصدر السابق، ص 222.

غير أن المصادر التاريخية اغفلت طريقة تعامل السلطة المرابطية مع هذا الاحتجاج الواقع سنة 525هـ/1130م حيث اكتفى ابن القطان إلى الإشارة إلى عزل هذا القاضي فيما بعد أي سنة 528هـ/1134م من طرف أمير المرابطين علي بن يوسف.[2]

في سنة 526هـ/1131م وقعت اضطرابات في قرطبة لكن هذه المرة كانت الظروف الطبيعية هي الدافع لذلك حيث ذكر ابن القطان أن الأندلس في هذه السنة (526هـ/1131م) << اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة وكثر الموتى وبلغ مد [3] القمح خمسة عشر دينارا>> [4] ويتضح من خلال قول ابن القطان أن الوباء والمجاعة كانا سببان في تزايد عدد الموتى في قرطبة وما زاد الأمر صعوبة هو أكل الجراد للمحاصيل في قرطبة.[5]

عمت الفوضى مدينة قرطبة مما أدى الوالي المرابطي ابن قنونة يلجأ إلى العنف والقتل للحد من هذه الفوضى حيث علق ابن القطان على ذلك بقوله : << وكثر الشر وابن قنونة الزرجاني [6] لا يفتر ولا يني عن قتل أهله >>.[7]

إن هذه التجاوزات الخطيرة من قبل الوالي ابن قنونة جعلت أمير المرابطين علي بن يوسف يقوم بعزله ويعين مكانه ابنه تاشفين ، ويتضح من خلال الرسالة التي بعثها علي بن يوسف إلى ابنه

---

[1] – نفسه ؛ العمراني: المرجع السابق، ص 21 .

[2] – ابن القطان: المصدر السابق ، ص 234.

[3] – المد ضرب من المكاييل وهو ربع صاع، وهو قد مد النبي صلى الله عليه وسلم. ابن منظور: المصدر السابق، ص 4158 ؛ وكانت زكاة رمضان تعطى بمد النبي صلى الله عليه وسلم وفي كفارة اليمين كذلك. ابو العباس أحمد العزفي السبتي: اثبات ماليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد ، تحقيق: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي ، 1999، ج1، ص 51.

[4] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 226.

[5] – نفس المصدر، ص 228 ؛ عبد الهادي البياض : الكوارث الطبيعية واثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق6-8هـ/12-14م) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2008 ، ص 21 .

[6] – أي المرابطي لأن من أسماء المرابطين هو الزراجنة كما شرحناه في الفصل الأول.

[7] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 226.

تاشفين أن السلطة المرابطية تريد إرساء العدل والشورى ومبادئ التسامح [1] واللين اتقاء لأي فتنة من أهل قرطبة في المستقبل.

4-ثورة العامة في قرطبة 529هـ/ 1134م :

في رجب من سنة 529هـ/1134م ثارت العامة في قرطبة على اليهود [2] ، ويظهر أن هذه الثورة العارمة ضدهم هي محصِّلة كرهٍ وضغينة لليهود الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا معول هدم وإفساد في كل بيئة يعيشون فيها ، فقد كانوا كعادتهم يعيشون في أحياء خاصة بهم ويحتكرون التجارة ويسعون للسلطة ويحاولون التخلص من كل من ينافسهم على ذلك [3] وينقل لنا ابن عذارى مثالا حيا على ذلك حيث لما قوي نفوذ موسى بن مفروج [4] في غرناطة وذاع صيته واشتهر أمره دس له أحد الأطباء اليهود سما فأرداه قتيلا وذلك عام 522هـ/1128م.[5]

لم تكن هذه الثورة ضد اليهود الأولى في الأندلس ، فقد تكاثر عددهم في مدينة غرناطة حتى صارت تعرف بإسم مدينة اليهود وصاروا يشغلون المناصب الحساسة وكانت في أيديهم معظم الثورة حتى صاروا يتدخلون في معظم شؤون الدولة.[6]

تذمر المسلمون من تغلغل اليهود في المناصب الحساسة ، وقد وقف أحد الشعراء المسلمين يعرف بأبي اسحاق الالبيري معبرا عما يدور في خاطر المسلمون من كره اليهود بل وانتقد أمير غرناطة

---

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 87 . ومن الوصايا التي جاءت في هذه الرسالة << وأول ما نوصيك به تقوى الله فإجعلها بردة شعارك وعقدة أضمارك، وعهدة ايرادك واصدارك، ثم اعتمد المعدلة في عباد الله، فإنما أنت واحد منهم وكلنا عبيد الله...والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال، وأنما يتميزون بالمساعي والاعمال>>.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 243.

[3] – الهرفي: المرجع السابق، ص ص 81-82.

[4] – كان مشهورا بالخط والأدب وله نفوذ في الحساب وكان مشهورا بالذكاء والهمة العالية. ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4 ، ص 76.

[5] – نفس المصدر، ج4، ص 77.

[6] – دوزي: ملوك الطوائف ، ص 41 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 82.

على إشراكه اليهود في الحكم وتقريبهم منه ودعا إلى الثورة على هذا الوضع بأسلوب شعري [1] وبعد أن ألقى قصيدته ثارت العامة ضد اليهود سنة 459هـ/1066م ونهبوا بيوتهم وقتلوا منهم ما يربوا عن 4000 وخلصوا المدينة من شرهم.[2]

كما أورد لنا ابن عذارى كره المسلمين لأحد الكتاب اليهود الذي كان يبغض الناس ويبغضونه.[3] ، إن كل هذه الأحداث تنم عن دسائس اليهود ومكرهم الذي جنى عليهم وجعل عامة المسلمين تتوجس منهم.

أما ثورة العامة على اليهود في هذه السنة أي 529هـ/1134م فقد ذكر إبن عذارى أنها جاءت كرد فعل على اغتيال أحد المسلمين بحي يهودي دون أن يحدد هوية القاتل [4] ، وهو نفس ما قال به ابن القطان الذي صرح بذلك قائلا : << وقتل يهودي مسلما فإستطال المسلمون على اليهود فنهبت أموالهم وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة >>. [5] ويتضح من خلال نص ابن القطان أن رد فعل المسلمين كان فوريا وحازما وهو نفس ما قال به ابن عذارى الذي أورد ذلك بقوله : <<

---

[1] ومما جاء في هذه القصيدة:

ألا قل لصنهاجة أجمعين ... يدور الزمان وأسد العرين

لقد ذل سيدكم ذلةً ... تقرها أعين الشـامتين

تخير كاتبه كافـرا ... ولو شاء كان من المؤمنين

فعز اليهود به وانتخبوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين

فكم مسلم راغب راهب ... لا رذل قرد من المشركين

وما كان ذلك من سعيهم ... ولكن منا يقوم المعين

فهلا اقتدى فيهم بالألى ... من القادة الخيرة المتقين

وأنزلهم حيث يستأهلون ... وردهم اسفل سافلين

دوزي : ملوك الطوائف، ص 164.

[2] – نفس المرجع ، ص ص 168-169.

[3] – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 77.

[4] – نفس المصدر، ج4، ص 93.

[5] – ابن القطان: الصدر السابق، ص 243.

وثارت العامة أيضا بقرطبة في هذه السنة (المقصود بها 529هـ/1134م) في رجب على اليهود- لعنهم الله- بسبب قتل وجد بين أظهرهم ، ففتحت منازلهم وانتهبت أموالهم وقتل نفر منهم >>.[1]

لكن ما هي الدوافع الحقيقية لهذا الفعل الإجرامي الذي أقدم عليه اليهود ، والذي ربما يرجع إلى الفراغ القضائي الذي عاشته قرطبة حيث تم قتل قاضي الجماعة أحمد بن خلف التجيبي وهو في المسجد [2] ، وقد ذكر إبن القطان ذلك صراحة حيث يقول : << وبقيت قرطبة أشهرا دون قاض، ثم وليها أبو جعفر حمدين بن حمدين >>.[3] فقد يكون هذا الفراغ القضائي سببا في هذا الفعل الإجرامي، أو ربما يكون سبب ذلك هو الظروف الاقتصادية الصعبة التي ضربت الأندلس والممثلة في المجاعة والوباء [4] والتي جعلت عامة الناس ميالة إلى العنف نتيجة هذه المشاكل.

بغض النظر عن مسببات هذه الثورة فقد أدت في النهاية إلى ثورة عامة قرطبة من الناس على اليهود وقتل العديد منهم ونهب اموالهم وممتلكاتهم وحرق دورهم.[5]

5-انتفاضة العامة في قرطبة ضد القاضي ابن رشد :

كانت دعوة الموحدين في بلاد المغرب قاب قوسين أو أدنى من الانتصار على دولة المرابطين وفي هذه الظروف ثارت عامة الناس على القاضي إبن رشد في قرطبة ، لكن المعلومات شحيحة جدا عن هذه الثورة إذ ينفرد بذكر تفاصيلها إبن الخطيب في كتابه أعمال الاعلام والذي يقول في شأنها

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93.

[2] - النباهي: المصدر السابق، ص 102 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 93 ؛ ابن شكوال : المصدر السابق، ج3، ص 845.

[3] - ابن القطان: المصدر السابق ، ص 243.

[4] - نفس المصدر: ص 226.

[5] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 93 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 243.

<< ثارت العامة بقرطبة واستطالت الأيدي لضعف قاضيها إذ ذاك أحمد بن رشد ، اضطر أبو جعفر بن حمدين إلى الخروج للناس لردع العامة وتسكين الثائرة >>.[1]

يبدون من خلال نص ابن الخطيب أن شخصية القاضي أحمد بن رشد (الإبن) كانت ضعيفة فهل فعلا كانت شخصية ابن رشد ضعيفة ؟ أم أن الأمر يتعلق بقضايا كانت خارج اختصاصاته ويعجز عن حلها كل من كان في منصبه ؟.

يصف لنا ابن سعيد المغربي القاضي ابن رشد بقوله : << أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر صاحب التصانيف الجليلة في الأصول والفروع والخلافيات...له كتاب سماه بالمتحصل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وتسمية مذاهبهم >>.[2]

بناءا على شهادة ابن سعيد المغربي بنفسه أو نقلا عن ابن بشكوال يتضح أن القاضي ابن رشد كان محببا لدى الناس.[3]

ويتضح من خلال رواية إبن الخطيب أن الثورة لما قامت على القاضي ابن رشد اضطر أبو جعفر بن حمدين إلى الخروج للناس لتسكين ثورتهم وتهدئة خواطرهم [4] ، حيث بادر بالتدخل فأسكت ثائرتها ، وبعد مدة من الوقت تم اعفاء ابن رشد من منصبه ، وقد ذكر ذلك النباهي صاحب المرقبة العليا دون الإشارة إلى سبب ذلك بقوله : << واستعفي ابن رشد فأعفي واعيد هو ثانية >> [5] ، وكان يقصد بذلك القاضي ابن حمدين ، وقد أخضعت مدينة قرطبة آنذاك إلى ما يشبه الحكم العسكري في وقتنا الحاضر ، حيث تعطلت فيها الاحكام ما يزيد على عام كامل ،

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 252.

[2] – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 162. ويواصل ابن سعيد قوله عن هذا القاضي في ذات الصفحة بأن له كتابا آخر بعنوان المقدمات وقد توفي سنة 563هـ/1167م ونقل لنا ابن سعيد في ذات الصفحة وصف ابن شكوال لهذا القاضي بقوله : << كناه ابن شكوال في الصلة بأبي القاسم ووصفه بالخير والعقل والفضل وأنه كان محببا للناس>>.

[3] – نفسه.

[4] ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 252.

[5] – النباهي : المصدر السابق، ص 103.

حيث علق على ذلك ابن الخطيب بقوله : << وفر ابن رشد مستعفيا عن القضاء وتعطلت الأحكام بقرطبة أزيد من سنة سخطا من الأمير على أهلها ثم أذن لهم في اختيار قاض فإتفقوا على إبن حمدين هذا سنة 536هـ(1142م) فإستمر على القضاء إلى سنة 539هـ (1145م) >>.[1] إن اختيار الناس بقرطبة للقاضي ابن حمدين مكان ابن رشد يجعل القاضي ابن حمدين موضع اتهام .[2]

ويبدو أن والي قرطبة أبو عمر اللمتوني لم يكن راضيا على هذا الاختيار لأن شخصية القاضي ابن حمدين كان لها ثقل اجتماعي كبير ومن المحتمل أن يثور على الدولة [3]، فقبل ذلك على مضض لاقتناعه بأن ذلك هو الحل الوحيد في هكذا ظروف ، لأن أهل قرطبة لن يقبلوا غيره. [4] ، وقد ذكر ابن الخطيب أن القاضي ابن رشد فر من منصبه تاركا قرطبة دونما خليفة له لأزيد من عام.[5]

وإذا كان هذا التمرد جسد لنا حالة من العصيان الشعبي من جهة وحالة من الفلتان الأمني من جهة اخرى ، إلا أنه يوحي لنا أن دولة المرابطين لا تزال لها اليد الطولى في الاندلس ولو بقدر أقل مما كانت عليه في وقت مضى ، وذلك من خلال تعيين القضاة أو عزلهم. رغم كل ما كانت تعانيه الدولة من مشاكل داخلية متمثلة في التمردات الداخلية أو الثورات الطامحة للإطاحة بهم كثورة الموحدين أو التصدي للقوى النصرانية في الأندلس التي طالما أرّقتها سلطة المرابطين المدافعة عن الإسلام والمسلمين في الاندلس.

---

[1] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

[2] – يقدر الاستاذ محمد العمراني أن الثورة في قرطبة لم تكن بريئة بل ساهم في تأطيرها القاضي ابن حمدين، فقد استغل ظروف استياء العامة من القاضي ابن رشد، وظهر بعد ذلك في صورة زعيم شعبي، وكشف في نفس الوقت لجميع فئات المجتمع القرطبي أن قرار عزله عن قضاء قرطبة لم يكن صائبا. محمد العمراني: المرجع السابق، ص29.

[3] – وتحقق ذلك فعلا إذ ما لبث أن أعلن ابن حمدين ثورته وراسل الفقهاء الآخرين طالبا منهم ذلك. ابن الآبار: المعجم، ص 293 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 212 ؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج1 ، ص 220.

[4] – الهرفي: المرجع السابق، ص 84.

[5] – ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص 253.

ثانيا : الثورات والتمردات بغرناطة

1-تمرد والي غرناطة 500هـ/1106م :

يصادف تاريخ 500هـ/1106م وفاة يوسف بن تاشفين ومجيء ابنه إلى سدة الحكم [1] الذي ثارت مدينة غرناطة في عهده لأول مرة [2]، وينفرد ابن الخطيب بذكر بعض التفاصيل عن هذه الثورة بقوله : << ولما ولي غرناطة سنة خمسمائة ثار بها وانبرى على قومه لأمر رابه فإنتبذ عنه قومه>>.[3]

غير أن رواية ابن الخطيب لم تفصل في أسباب هذه الثورة وظروفها ، لكنها تشير إلى أن والي غرناطة أبو بكر بن ابراهيم كان متوجسا من جماعة المرابطين لذلك قام بمعارضتهم.[4] لكن هل يمكن اعتبار هذه الثورة محاولة للاستقلال بمدينة غرناطة والنأي بها عن سلطان المرابطين ؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد معارضة للسلطة المرابطية نتيجة عدم توافق في الرؤى والأفكار؟

إن سيرة هذاالوالي أبو بكر بن ابراهيم [5] كما اشار إليها ابن الخطيب توحي لنا بسيرته الحسنة إذ قال فيه ابن الخطيب : << كان مثلا في الكرم وآية في الجود ، أنسى أجواد الإسلام والجاهلية إلى الغاية ، في الحياة والشجاعة والتبريز في ميدان الفضائل>>.[6]

---

[1] – اليافعي: المصدر السابق، ص 125 ؛ مجهول:الحلل الموشية، ص 84؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48 ، عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 57.

[2] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 407 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 31 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 75.

[3] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 407

[4] – وسياق النص دليل واضح على ذلك في قوله :<< ثار بها وانبرى على قومه لأمرٍ رابه >>. نفسه.

[5] – وينقل لنا ابن الخطيب نسبه بقوله : << هو أبو بكر بن باراهيم الأمير أبو يحي المسوفي الصحراوي من أمراء المرابطين صهر علي بن يوسف بن تاشفين زوج اخته وأبو ولده منها يحي المشهور بالكرم ...ولي غرناطة سنة خمسمائة ثم انتقل منها إلى سرقسطة عند خروج المستعين بن هود إلى روطة،فأقام بها مراسم الملك>>ابن الخطيب:الاحاطة،ج1،ص ص404-405.

[6] – نفس المصدر، ص 404.

غير أنه ربما من العوامل المساعدة على هذا الفلتان الأمني في الاندلس هو استغلال فترة انتقال الحكم من يوسف بن تاشفين إلى ابنه علي [1] ، فقد أشار ابن عذارى إلى ذلك صراحة بقوله : << وفي سنة ثمان وتسعين (498هـ/1104م) شاع الخبر بالأندلس بمرض الأمير يوسف واستيلاء الآلام عليه وخاض فيه أهل الدولة الذين يستنبطون الغوائل ويشعلون نيران الشقاق والنفاق ، واتصلت الأخبار بالطاغية اذفونش على غير صورتها وجلبت لديه في غير معرضها، وصور عنه أن بلاد المسلمين من الرجال قد خلت ومن الحماة وذوي النجدة قد تفرغت ، وظن أنه من هذا الحادث قد اضطربت الأمور، وانحل نظام التدبير>>.[2]

غير أن تعامل سلطة المرابطين مع هذا الوالي فيما بعد تجعلنا نستبعد أن يكون هذا الوالي هو من تسبب في هذا الشغب حيث تم تعيينه واليا على سرقسطة [3] من طرف أمير المرابطين.[4]

وعلى أية حال فقد كان مآل هذا التمرد إلى الفشل إذ لم يجد أبو بكر بن ابراهيم من مؤيدين له ، حيث كانت له رعيته بالمرصاد وأحبطوا ما أراد القيام به، بل وألقوا القبض عليه وسلموه إلى السلطات المرابطية في مراكش [5] ، حيث علق على ذلك ابن الخطيب بقوله : << وناصبوه الحرب حتى استنزلوه عنوة ، وقبضوا عليه ووجهوه إلى علي بن يوسف ، فآثر الإبقاء عليه وعفا عنه>>.[6]

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 44 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 32.

2 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 44.

3 - سرقسطة من قواعد الأندلس كبيرة المساحة آهلة بالسكان شوراعها واسعة، حسنة الديار والمساكن متصلة بالجنات والبساتين، لها سور حصين من الحجارة، وهي على ضفة نهر كبير يأتي من بلاد الروم وكانت تسمى بالمدينة البيضاء واسمها مشتق ما اسم قيصر الذي بناها. الحميري: الروض المعطار، ص 317 ؛ منفردة بالنسيج الخاص بها حتى يقال الثياب السرقسطية. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 213.

4 – ابن الخطيب: الاحاطة ، ج 1، ص 405 ؛ ويرجع الاستاذ سلامة محمد سلمان الهرفي أ نيكون الوالي المرابطي أبو بكر بن ابراهيم ربما هو من قام بهذه الحركة من أجل لفت الانتباه إليه وإثبات وجوده على أنه الأجدر بالقيادة وتولي المسؤولية في أكبر ولايات الأندلس. الهرفي: المرجع السابق، ص 76.

5 – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 407 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 31 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 75.

6 – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص ص 407-408.

ويتضح كذلك من خلال هذه الثورة طيبة أمير المرابطين علي بن يوسف [1] الذي عفا عنه وأكرمه بل وعينه واليا على مدينة سرقسطة بالأندلس [2] ، ورغم أن المصادر الإسلامية لم تتناول مدى تعامل سكان غرناطة مع هذا التمرد الحاصل إلا أنه يبدون أنهم عاشوا فترة من حالة اللا أمن في تلك الفترة ، مما أدى سلطات دولة المرابطين في مراكش إلى تعيين والي جديد وهو أبو الطاهر تميم من أجل إرساء الأمن والسلام في المدينة [3] ، حيث وصف ابن عذارى أحوال غرناطة عشية تولي أبو الطاهر تميم [4] سدة الحكم فيها سنة 501هـ/1107م بقوله :<< وفي سنة احدى وخمسمائة ورد الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بغرناطة واليا عليها فإطمأنت النفوس وهجدت العيون [5] بمملكته وظهر بها جمال دولته>>.[6]

إن اضطراب أهل غرناطة وشعورهم بالقلق لم ينته إلا مع تعيين الوالي الجديد أبو الطاهر تميم الذي أحسن التدبير فقضى على الفوضى وأرسى دعائم السلم والأمان ، لكن ذلك لم يكن إلا برهة من الزمن إذ سرعان ما عادت فترات من الشغب والتمرد إلى المدينة كما سنعرف فيما بعد.

---

[1] – أشارت كثير من مصادر التاريخ إلى تسامح علي بن يوسف وجنوحه للسلم والصفح ومشاورة الفقهاء في كل صغيرة وكبيرة. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص 124 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص 150 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 ؛ ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم ادول، ص 51 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة : ج 4، ص 59 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 99 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 84 ؛ ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 157.

[2] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 408.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 49 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 33.

[4] – أبو الطاهر تميم هو أخ علي بن يوسف والأكبر منه سنا. مجهول: الحلل الموشية، ص84.

[5] – يبدو من خلال وصف ابن عذارى أن غرناطة فعلا كانت تعيش حالة من الفلتان الأمني.

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 49.

2-ثورة المعاهدين النصارى 519هـ/1125م :

شكل الحدث الذي عرفته غرناطة وهو ثورة المعاهدين النصارى عام 519هـ/1125م إحدى أهم حلقات الفتن الداخلية التي زعزعت كيان دولة المرابطين وتتمثل في وجود أحد محاولات التمرد والاستقلال عن دولة اللمتونيين في مراكش.[1]

جاء الحديث عن هذه الأحداث ضمن المعلومات التي قدمها لنا ابن الخطيب عن النصارى المشتغلين بالمجال الفلاحي في غرناطة وضواحيها بالأندلس ، حيث انهم احترفوا النشاط الزراعي وعن ذلك يقول ابن الخطيب في الجزء المخصص للحديث المسلمين الساكنين مع النصارى المعاهدين << ولما استقر بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين بهذه الكورة وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين استمر سكناهم في غمار من الروم ، يعالجون فلاحة الأرض وعمران القرى>>.[2]

بعدما أصبح الأندلس تحت سلطة المرابطين أمر الأمير يوسف بن تاشفين بهدم هذه الكنيسة في غرناطة عام 492هـ/1098م.[3] وهذا ما خلف بعض الاستياء لدى النصارى وبذلك بدأت بذور الثورة تتخمر منذ عهد يوسف بن تاشفين.

غير أن إحساس النصارى بمدى أهمية التواجد العسكري المرابطي بالأندلس وكذا تعلق الأندلسيين بالاسرة المرابطية الحاكمة التي تبنت الجهاد عن الإسلام والمسلمين راية لها ، هوما جعل النصارى المعاهدين يجنحون للسلم والمهادنة والتزام الطاعة والخضوع قرابة الثلاثة عقود من الزمن .[1]

---

[1] – محمد العمراني: المرجع السابق، ص 34.

[2] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج 1، ص ص 106-107 ، كما أورد ابن الخيب في الصفحة 107 أنهم كانوا يتوفرون على أحدى الكنائس الغنية بثرواتها وذات بنيان متميز وعن ذلك يقول : << كنيسة مشهورة، اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم استركبه بعض امرائها ...فأصبحت فريدة في العمارة والحلية>>.

[3] – نفس المصدر، ج 1، ص 108 . وعن ذلك يقول ابن الخطيب مفصلا << خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة فصيرت للوقت قاعا وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها، قلت ومكانها اليوم مشهور وجدارها مائل ينبئ عن احكام واصالة وعلى بعضها مقبرة شهيرة>>.

عند اندلاع ثورة قرطبة سنتي 514 و 515هـ/1120 و 1121م [2] وكذا انشغال المرابطين بحركة المهدي بن تومرت ببلاد المغرب التي بدأت تتعاظم إثر مبايعته من قبل المصامدة وأهل السوس[3]، اغتنم النصارى الفرصة واتصلوا بممالك النصارى بالشمال طلبا للحماية حيث أرسلوا بعوثهم وسفراءهم إلى ابن رذمير من أجل الدفاع عنهم والقدوم بجيشه إلى غرناطة ومساعدته على احتلالها والتنعم بخيراتها وانتاجها الوفير وذلك سنة 519هـ/1125م.[4]

علق صاحب الحلل الموشية على ذلك بقوله :<< وفي هذه السنة ، سنة تسع عشرة وخمسمائة خرج الطاغية ابن رذمير إلى بلاد المسلمين في الاندلس ، فتحركت له ريح الظهور، وذلك أن النصارى المعاهدين بكورة غرناطة وغيرها خاطبوه من تلك الأقطار، وتوالت عليه كتبهم. وتواترت رسلهم ملحة في الاستعداد ، مطمعة بدخول غرناطة ، وأنه لما أبطأ عنهم وجهوا إليه سفرا يشتمل على اثني عشر ألفا من أسماء أنجاد مقاتلتهم ، واخبروه مع هذا أن من سموه هو ممن شهدت أعينهم لقرب مواضعهم ، وأن بالبعد منهم من يخفي أثره ويظهر عند وروده عليهم شخصه>>.[5]

أما ابن الخطيب فقد وصف لنا استغاثة النصارى المعاهدين بإبن رذمير بقوله : << وخاطبوا إبن رذمير من هذه الأقفار، وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم ، ملحة بالاستدعاء مطمعة في دخول غرناطة، فلما أبطأ عنهم وجهوا إليه زمام يشتمل على اثني عشر ألفا من أنجاد مقاتليهم ، لم يعدوا فيها شيخا ولا غرا >>.[6]

---

[1] – محمد العمراني: المرجع السابق، ص 35.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 78 ؛ مجهول: الحلل الموشية ، ص 86 ؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص 151 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 188.

[3] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 177 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 135 ؛ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص 35 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 110.

[4] – مجهول: الحلل الموشية، ص 91 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 109 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 69.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص 91.

[6] ابن الخطيب: الاحاطة، ج1 ، ص 109.

يبدوا أن النصارى المعاهدين قد استفزوا ابن رذمير من أجل استقدامه لغرناطة بوصفهم لها بأحسن الأوصاف وما تحتوي عليه من ثروات وخيرات [1] ، حتى تمكنوا من استعطافه وإذكاء فكرة الغزو عنده [2] ، وفي هذا السياق أورد ابن عذارى قوله عن ذلك : << واشخصوا بكتابهم وزمامهم كهولا منهم تكلموا بين يديه ملئ أفواههم ، ورموا على ذلك الغرض حتى عزم وجد في الحشد وانتخب من محتشده خمسة آلاف فارس وخمسة عشر ألف راجل >>.[3]

لم يتفطن حكام الدولة المرابطية إلى استعدادات النصارى وهذا دليل على أنها كانت تتم في السرية وان النصارى أضمروا كل ما يتعلق بهذا الاستعداد .

تحركت جيوش النصارى بقيادة ابن رذمير قاصدة غرناطة تريد غزوها واحتلالها [4] وكان أثناء حملته العسكرية يسترشد بالنصارى المعاهدين حيث قال عن ذلك صاحب الحلل الموشية : << وفي أثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين يكثرون سواده ويدلونه على الطريق وينبهون على المراشد التي تضر المسلمين وتنفعه>>.[5]

غير أن تكتم النصارى المعاهدين ما لبث أن افتضح أمره وصار تعاونهم مع ابن رذمير باديا للعيان ، وبات الامر مفضوحا على أنهم هم من استجلب قوات النصارى إلى غرناطة [6] وعن ذلك يقول إبن الخطيب نقلا عن ابن الصيرفي صاحب كتاب الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية : <<

---

[1] – علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله : << فإستثاروا طمعه ، وابتعثوا جشعه واستفزوه بأوصاف غرناطة ومالها من الفضائل على سائر البلاد، وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان، وكثرة المرافق من الحرير والكروم والزيتون وأنواع الفواكه وكثرة العيون والانهار ومنعة قصبتها ، وانطباع رعيتها ، وتأتي أهل حاضرتها، وأنها المباركة التي يملك بها غيرها، وانها سنام الأندلس عند الملوك في تواريخها، فرموا حتى اصابوا غرضهم >> مجهول : الحلل الموشية، ص 91.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 69 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 91 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة،ج1، ص 109.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 69 .

[4] – مجهول: الحلل الموشية، ص 93 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4، ص 71 ؛ ابن الخطيب: الاحاطة، ج 1، ص ص 109–110.

[5] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 91–92.

[6] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 110 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 93.

فإفتضح تدبيرهم بإجتلابه وهم اميرها بتثقيفهم فأعباهم ذلك وجعلوا يتسللون إلى محلته على كل طريق>>.[1] أما صاحب الحلل الموشية فوصف ذلك بقوله : << نزل يجيب النصارى المعاهدين بغرناطة في استدعائه (أي ابن رذمير)، فإفتضح تدبيرهم في اجتلابه>>.[2]

وقد أرسل المرابطون بجيوشهم إلى الأندلس لتدعيم قوات أبو الطاهر تميم ، وكانت جيوش المرابطين العابرة إلى غرناطة ضخمة لدرأ تحرشات النصارى [3] الذين استقدمهم المعاهدون من النصارى في غرناطة ، لكن هذا العدوان ما لبث أن انفض وارتد النصارى على أعقابهم.[4]

إثر هذه الحملة النصرانية الفاشلة والتي تورط فيها المعاهدون النصارى في غرناطة استدعى ابن رذمير زعيم هؤلاء المعاهدين النصارى ويعرف بإبن القلاس ووبخه على استدعائه ولامه على عدم تقدير العواقب [5]، غير ان ابن القلاس هذا أرجع اللوم على ابن رذمير متهما إياه بالتقاعس والتأخر حتى وصلت النجدات للمسلمين.[6]

بعدما انكشفت خيانة هؤلاء المعاهدين النصارى بغرناطة استاء المسلمون منهم أيما استياء فعبر القاضي أبو الوليد بن رشد البحر وجاز إلى مراكش ليوضح الأمور إلى أمير المرابطين علي بن يوسف ويبين له ما اقترفه هؤلاء المعاهدين من جريمة ، وما جنوه على المسلمين من استدعاء لإبن رذمير وما

---

[1] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 110.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص 93.

[3] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1 ، ص 110 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 93 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 70.

[4] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1 ، ص 110 ؛ مجهول : الحلل الموشية، ص 94 ، وعلق على ذلك في الصفحتين 94 و95 بقوله :<< فأقلع وقد ارتفع طمعه عن المدينة فرحل...وجيوش المسلمين في أذياله تكافحه في أثناء ذلك مناوشة، وظهورا عليه>>. ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 71.

[5] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 110 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 71.

[6] – ابن الخطيب : الاحاطة، ج 1، ص110، ووصف ابن عذارى ذلك بقوله : << وفي استدعائه ويلومه على تضمنه بما لا يفي به ولا يقدر عليه ، فأحتج له بتلومه وتباطؤه في اقباله حتى اقبلت الجيوش من الشرق والغرب والعدوة وقال له: قد أوبقتنا وأوقعتنا في الهلكة إلى المسلمين وساق نفسه إلى الخزي>>. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 71.

في ذلك من نقض للعهد والخروج عن الذمة، [1] وقد علق على ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله :<< ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم النصارى المعاهدين ما جلت عليه هذه القضية ، اخذهم الأرجاف ، وتوغرت لهم الصدور [2]، وتوجه إلى مكائدهم الحزم ، فإحتسب القاضي أبو الوليد بن رشد الأجر، وتجشم المجاز، ولحق بالأمير علي بن يوسف بن تاشفين بحضرة مراكش، فبين له الأمر بالأندلس، وما منيت به النصارى المعاهدين، وما جنوه عليها من استدعاء الروم، وما في ذلك من نقض العهد، والخروج عن الذمة>>.[3]

لقد كان رد السلطات المرابطية صارما مستندا إلى فتوى القاضي أبو الوليد بن رشد الذي أفتى بتغريبهم وإجلائهم عن دورهم وترحيلهم. [4] ، حيث وصف ذلك ابن الخطيب قائلا : << وافتى بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم وأخذ بقوله ، ونفذ ذلك بعهده وأزعج،[5] منهم إلى بر العدوة ، في رمضان من العام المذكور عدد جم ، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق ، وتفرقوا شذر مذر، واصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود>>.[6]

أما ابن عذارى فقد وصف مصيرهم المخزي بقوله : << فنفي منهم في رمضان عدد جم، أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق، ونسفتهم الأسفار، ونزل فيهم الوباء وفرقهم الله شذر مذر، وأحل بهم عاقبة مكرهم ، وأذاقهم وبال أمرهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله>>.[7]

---

[1] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص ص 113-114؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 97 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 72.

[2] – يبدو من خلال وصف صاحب الحلل الموشية أن عامة المسلمين قد استهجنوا هذه الخيانة بشدة لدرجة أن صدورهم ضاقت وغلهم زاد تجاه هؤلاء النصارى المعاهدين لما اقترفوه من جريمة ونقض للعهد.

[3] – مجهول: الحلل الموشية، ص 97 .

[4] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 114 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 73 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 97.

[5] – أي أنه تم الأخذ بهذه الفتوى الصادرة عن القاضي أبو الوليد بن رشد.

[6] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص 114.

[7] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 73.

إن ما قام به هؤلاء النصارى من نقض للعهود وخيانة للدولة هدم الثقة التي كانوا يتمتعون بها ، وجعلهم محط شك مستدام لدى المسلمين ولعل هذا ما لمسناه في أحد المسائل الواردة في المعيار للونشريسي والتي تعبر عن تخوف المسلمين من تواجد النصارى بالأندلس حيث جاء في هذه النازلة ما يلي :<< وها هنا مسألة تتعلق بالإملاء المحبسة على بيع النصارى وكتب بها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى الفقيه القاضي أبي القاسم أحمد بن محمد بن ورد وغيره من فقهاء الأندلس>> [1] وكان جواب الفقيه فيه توجس وخيفة من هؤلاء النصارى في الاندلس حيث أن من جملة ما ورد في فتواه قوله : << وأما إن كانت محاولة البيع بالأندلس لا هنالك [2] ، فليجتمع أولئك النصارى على وكيل واحد منهم يتولى لهم البيع بالأندلس، ولا يمكنوا من توكيل جماعة منهم على ذلك ، إذ في رجوع جماعة منهم إلى الأندلس ولو مرة من الزمان ما لا تؤمن غائلته[3]...وليصرحوا في توكيلهم لوكيلهم بذكر بيع العقار دون أن يتجزوا في العقار بذكر البيع فقط للاختلاف الذي في ذلك >>.[4]

إن هذا التواطؤ الحاصل من النصارى المعاهدين يبقى من أهم الفتن التي ضربت دولة المرابطين بل وضربت ثقة المسلمين بهم في الصميم.

3-إخماد تمرد سكان غرناطة :

بعد هذه المحاولة الانفصالية من النصارى المعاهدين عرفت مدينة غرناطة شكلا آخر من أشكال تعسف الولاة حيث أن والي غرناطة قام بحملة اعتقالية طالت فقهاء وعلماء من مدينة جيان [5] ، وقد علق ابن عذارى على ذلك بقوله : << وكان أبو عمر يناله استدعى فقهاء وعلماء من

---

[1] – الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص 56.

[2] – ويقصد إذا كان البيع بالأندلس وليس بالمغرب.

[3] – يبدو ان القاضي كان متوجسا من النصارى العائدين إلى الأندلس وخائفا منهم وغير واثق في تصرفاتهم وهذا خوفا مما قاموا به في مساعدة ابن رذمير سنة 519هـ/1125م.

[4] – الونشريسي : المعيار، ج8، ص 58.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 75 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 38.

أهل جيان فما حضروه أمر بسجنهم ظلما واعتداءا >>.[1] غير أن ابن عذارى لم يقدم لنا تفسيرا واضحا عن الأسباب التي أدت بهذا الوالي المسمى " أبو عمر يناله" إلى اعتقال هؤلاء العلماء والفقهاء ظلما وعدوانا على حد قوله.

غير أنه من الواضح أن العلاقة بين السلطة المرابطية في غرناطة بقيادة الوالي أبو عمر يناله وبين الرعية لم تكن في أحسن أحوالها بل شابها نوع من عدم الثقة ومن التعسف في استعمال السلطة [2]، فقد نقل لنا إبن عذارى جزءا من ذلك المشهد بقوله : << وكان هذا يناله [3] إذا عاقب الجاني اعتدى عليه وإذا أوتي بالبريء لم يسمع منه >> [4] وقد كانت الرعية تمقت أبو عمر يناله نظير ما أقدم عليه من إلزام الناس والتشديد عليهم في دفع الأموال لبناء أسوار المدينة وبذلك لمسنا نوعا آخر من أشكال تسلط هذا الحاكم على رعيته.[5]

كما يبدو – في رأينا– أن ما زاد نفور الناس من هذا الحاكم هو بغض الناس لكاتبه اليهودي الأصل الذي نقل لنا إبن عذارى كره الناس له ونفورهم منه بقوله : << وكان له كاتب يهودي الأعراق والاخلاق ، يبغض الناس ويبغضونه ، أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به، فبدأ بشؤمه [6] أميره يناله فجر إليه العزل وأورده السجن وأداه إلى الهلكة >>.[7]

---

1 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 75.

2 – نفس المصدر، ج4 ، ص 77 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 39.

3 – والمقصود به الوالي المرابطي على غرناطة أبو عمر يناله.

4 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 77.

5 – علق على ذلك ابن عذارى بقوله واصف تسلط الوالي الغرناطي << وتهي يناله فكان الناس يخافونه لضغطه وشدته، وكمل السور في أقرب وقت، وكان حاطب ليل، وبعض البنائين غثاء سيل، لاوفوا التأسيس ولا قوموا الترصيص>> ابن عذاري : المصدر السابق ،ج4 ، ص ص 73-74.

6 – يبدو أن هذا الكاتب اليهودي لوالي غرناطة قد جر الشؤم على نفسه ورئيسه وكل من اتصل به– على حد تعبير ابن عذارى– حتى أنه دارت عليه الدائرة فنُهبت داره وفر إلى أن هلك.

7 – ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص 77.

وعلى أية حال فقد وصلت أخبار اعتقال هؤلاء العلماء والفقهاء إلى مراكش عند أمير المرابطين علي بن يوسف ، الذي قضى بينهم وسمع من هؤلاء النخبة لينصفهم ويصدر أمرا بتبرئتهم ويطال السجن والي غرناطة أبو عمر يناله ، وقد قدم لنا ابن عذارى وصفا لذلك بقوله: << فلما وصل إلى حضرة أمير المسلمين علي بن يوسف أشار بذكره إليه معاهدة غرناطة فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره ، فأدلوا بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم>>.[1]

وبهذا استطاعت الدولة المرابطية إخماد التمرد في مهده ، حيث أصدرت أمرا باعتقال هذا الوالي ومحاولة تهدئة عامة الناس في غرناطة من خلال تخليصهم من شر هذا الوالي وكذا مصادرة أموال الكاتب اليهودي[2]، فقد كان مصير الوالي أبو عمر يناله الموت بالطاعون أما كاتبه اليهودي فقد كان مصيره الهلاك بعد أن داهمت العامة في غرناطة داره ونهبتها ففر إلى أن هلك.[3]

وعموما فقد كادت الامور أن تنفلت في عهد هذا الوالي الغرناطي ، إلا أن تعامل السلطات المرابطية الحازم معه خلق جوا من الثقة من جديد بين سكان غرناطة وبين سلطات المرابطين.

ثالثا : الانتفاضات والتمردات بباقي أنحاء المغرب والأندلس

1- تمرد والي فاس 500هـ/1106م :

حدثت أولى محاولات التمرد ببلاد المغرب عقب اعتلاء علي بن يوسف سدة الحكم عقب وفاة أبيه يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م ، وبعد أن أخذ علي بن يوسف البيعة لنفسه من قبل أخيه تميم وسائر أشياخ لمتونة وصنهاجة وكبار القادة [1] [4] ، كاتب علي بن يوسف كافة

---

[1] – نفسه.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 40.

[3] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 77.

[4] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 157 ؛ القلقشندي: المصدر السابق ، ج5، ص 258 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 48 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 84.

أنحاء الصحراء والمغرب والأندلس يبلغهم بإعتلائه عرش المرابطين خلفا لأبيه يوسف بن تاشفين فجاءته البيعة من جميع البلاد وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة في نفس الوقت.[2]

غير أن البيعة لم تأتي من مدينة فاس التي كان يحكمها إبن أخيه يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين ، وقد علق على ذلك ابن أبي زرع الفاسي بقوله : << فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه ، واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة ، فأتته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوقود للتعزية والتهنئة إلا مدينة فاس ، فإن ابن أخيه يحي بن أبي بكر بن أمير المسلمين يوسف كان أميرا عليها ، من قبل جده يوسف ، فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه ، عظم ذلك عليه ، وانف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة >>.[3]

وقد سار في هذا المنحى بعض أشياخ وأعيان مدينة فاس وساندته بعض الشخصيات البارزة في دولة المرابطين [4] ومن بين من سانده كذلك أبو عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني [5] الذي بادر إلى تأييد والي فاس الممتنع عن البيعة.[6]

ويُقدِّر الأستاذ سلامة محمد سلمان الهرفي أن رفض الأمير يحي بن ابي بكر لآداء البيعة لعمه علي بن يوسف راجع لإعتقاده بأنه الأولى بخلافة جده يوسف بن تاشفين لا سيما وأن والده أبا بكر شقيق علي بن يوسف الأكبر كان نائبا عن والده يوسف في المغرب أثناء جوازه إلى الأندلس [7] ،

---

1 – مجهول: الحلل الموشية، ص 84 ؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 258 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 57.

2 – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 158 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 59.

3 – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 158.

4 – نفسه ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 59 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 72.

5 – للاستزادة حول ترجمة حياته أنظر: النباهي: المصدر السابق، ص 102.

6 – عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 149.

7 – الهرفي: المرجع السابق، ص 72.

لكن هذا الطرح يبدو فيه نوع من المبالغة إذ لا تعدو أن تكون محاولة انفصالية بالإقليم دون الطمع في خلافة يوسف بن تاشفين.[1]

وصلت الأخبار إلى أمير المرابطين الجديد علي بن يوسف فجهز جيوشه وجمع قادته وتوجه بنفسه لإخماد هذا التمرد في مهده ، قبل أن تنتقل العدوى إلى بقية أمصار الدولة [2] ، خاصة وأن الدولة كانت في مواجهة مستديمة للنصارى في الاندلس.

نزلت قوات المرابطين عند مدينة مغيلة [3] ، ثم كتب أمير المرابطين علي بن يوسف كتابا إلى إبن أخيه يعاتبه على فعلته ويدعوه للدخول في طاعته ، كما كتب كتابا إلى أشياخ البلد يدعوهم فيه إلى بيعته ويهددهم ، فلما وصل الكتاب إلى يحي وقرأه جمع أهل البلد ثم طلب منهم الشورى في المقاومة وفك الحصار بالقتال إلا أنهم عارضوه الرأي.[4]

تأكد الأمير يحي بن أبي بكر أن قادته وأتباعه لن يسيروا في فلكه فإنقطع الرجاء لديه وخشي على نفسه وقرر الهروب والفرار من فاس ، وقد علق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : << فلما يئس منهم خرج فارا إلى مزدلي العامل على تلمسان>>.[5]

دخلت قوات المرابطين إلى مدينة فاس وقضت على التمرد الحاصل وبعدها فر يحي بن ابراهيم إلى مزدلي والي تلمسان ، الذي خرج مبايعا لأمير المرابطين الجديد علي بن يوسف والتقى مع يحي بن

---

[1] – ونقدم لذلك مبررات– في رأينا– حيث أن البيعة كانت قد عقدت من طرف يوسف بن تاشفين لولده علي قبل سنة 500هـ/1106م ولم تظهر بوادر العصيان من قبل هذا الأمير، زد على ذلك أن ما جرت عليه العادة هو تولي الابن للخلافة في مكان الأب خاصة في دولة المرابطين على تتم البيعة فيما بعد ، زد على ذلك طبيعة علي بن يوسف الميالة إلى المهادنة والسلام وحرصه على عدم الاساءة للآخرين أو ظلمه لهم ، جعلت هذا الوالي يمتنع على البيعة استسهالا للأمر، ودليل ذلك عدم اقدامه على هذا التمرد أيام يوسف بن تاشفين الذي اشتهر بالحزم والصرامة. والله أعلم.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 158 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 59.

[3] – مغيلة من المناطق المجاورة لمدينة فاس. ابن دحية: المصدر السابق، ص 124.

[4] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص ص 158–159 ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ص 59.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 159.

ابراهيم في وادي ملوية وهو فارٌّ إليه ، فلما أن بلغ مزدلي أمير المسلمين سلم عليه وبايعه ثم طلب منه العفو عن الامير المتمرد يحي بن أبي بكر فوافق علي بن يوسف على ذلك.[1]

وقد علق على ذلك ابن أبي زرع مفصلا فيه بقوله : << فلقيه مزدلي بوادي ملوية وهو مقبل بالبيعة لأمير المسلمين علي بن يوسف والسلام عليه ، فأعلمه بما كان من شانه فضمن له مزدلي من عمه العفو والصفح >>.[2]

توجهت قوات المرابطين إلى فاس حيث استقبل علي بن يوسف مزدلي بحفاوة [3] ثم دعا يحي بن ابراهيم إلى مجلسه وعفا عنه وأعطاه الأمان ، وخيَّره أن يلتحق بميورقة أو بلاد الصحراء [4] فاختار هذه الاخيرة وبعدها توجه إلى الحج ليعود بعدها إلى مراكش عاصمة المرابطين فشك علي بن يوسف في أمره وظل يراقب تحركاته ويبدوا انه شك في وجود محاولة تمرد أخرى فنفاه إلى الجزيرة الخضراء التي بقي بها إلى أن مات.[5]

وبنفي يحي بن ابراهيم إلى هذه الجزيرة يكون أمير المرابطين قد تأكد فعليا من نهاية هذا التمرد

.

[1] – نفسه ؛ عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، ص 59 ؛ الهرفي: المرجع السابق، ص 73.

[2] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 159.

[3] – وصف ذلك ابن ابي زرع بقوله :<< فرجع معه يحي حتى وصل إلى مدينة فاس، فدخل مزدلي إلى أمير المسلمين علي، ونزل يحي مختفيا بجومة وادي شدروع ، فلما دخل مزدلي وبايع أمير المسلمين وسلم عليه ورأى منه قبولا وإكراما عظيما، أعلمه بخير يحي وبما ضمن له العفو فاجابه إلى ذلك وعفا عنه وآمنه>>. نفسه.

[4] – يبدو أن أمير المرابطين علي بن يوسف مازال خائفا من توهج تمرد آخر في فاس ودليل ذلك أنه اختار المنفى البعيد لإبن أخيه يحي بن ابراهيم خشية قيامه بتمرد آخر.

[5] – ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 159.

2-انتفاضة اشبيلية 529هـ/1134م :

ظلت مدينة اشبيلية[1] بالاندلس درعا منيعا ضد النصارى وشاركت في عمليات الجهاد منذ عهد يوسف بن تاشفين وهو ما لم يترك الفرصة لتمرد قد يحصل من سكانها ضد سلطات المرابطين ، واستمرت في الدفاع عن حوزة الإسلام حتى في عهد علي بن يوسف [2] ، وربما يرجع ذلك إلى السياسة المرنة التي يتبعها الولاة ، عدا بعض الممارسات التسلطية التي تصدر من بعض الولاة أحيانا كما هو الشأن بالنسبة للوالي المرابطي على اشبيلية أبو حفص الذي عند وصوله لاشبيلية برسم تولي الإمارة خرج اهلها لاستقباله ومن بينهم أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر حيث تعسف في حقه وجره إلى السجن [3].

وعن ذلك يقول ابن عذارى :<< وترجّل صاحب المدينة خالصة إبن زهر فأخذ بيده مسلما عليه ، فلما أعلم به أمر عليه فألقيت عمامته في عنقه وجر إلى السجن فتقلقلت نفوس الحاشية واستشعروا الشر، وجلس الأمير أبو حفص عشية ذلك اليوم في رحبة القصر فإستحضر من حاشية إبن زهر رجلين متلبسين بامره ، فأمر بضرب أعناقهما ، وطيف برمحه على أسواق المدينة>>.[4]

---

1 – اشبيلية من مدن الأندلس القديمة واصل تسميتها من اشبالي ومعناها المدينة المنبسطة ويقال أن اشبانيا اسم خاص ببلد اشبيلية الذي كان يسكنه اشبان بن طيطش، وبإسمه سميت الأندلس اشبانيا (اسبانيا حاليا) واشبيلية مدينة كبيرة سكانها كثيرون وحالهم ميسور ومعظم تجارتهم الزيت، وهي حسنة المظهر عامرة بالحمامات والديارات. الحميري: الروض المعطار، ص ص58-59 ؛ وتبعد اشبيلية عن قرمونة بمرحلتين ويقول المقدسي بأن اشبيلية مضرب الأمثال في البعد. المقدسي: المصدر السابق، ص 248 ، ابن الدلائي: المصدر السابق، ص 95.

2 – من بين المعارك التي شارك فيها أهل اشبيلية على سبيل المثال تلك التي كانت ضد قلمورية وذلك سنة 511هـ/1117م. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 64 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 86.

3 – تم تعيين هذا الوالي أبي حفص عام 511هـ/1117م من قبل أمير المرابطين علي بن يوسف خلفا لأبي زكريا يحي. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 65.

4 – نفسه، يبدو من خلال النص أن هذا الوالي كان شديد البأس على رعيته وهو ما جعلهم يتوجسون منه خيفة. ويضيف ابن عذارى في ذات الصفحة أن عقاب هذا الوالي قد طال مزيدا من حاشية ابن زهر حيث يقول : << فتثقف البلد وتمهد وسكن الارجاف وفر المريب وجاء البريء ، وأقبل الأمير أبو حفص على تتبع هذه الحاشية وجعل غرضه الانتقام فيهم والتشريد بهم>>.

إلا أن الانتفاضة الواقعة عام 529هـ/1134م في اشبيلية تبقى أهم الانتفاضات الواقعة في هذه المدينة في عهد المرابطين فما أسبابها ومجرياتها ؟

يبدو أن صرامة القاضي ابن العربي [1] هي التي كانت وراء غليان أهل اشبيلية عندما ثاروا ضده لحزمه وصرامته ، حيث ذكر ابن عذارى ذلك بقوله : << وثارت السفلة أيضا باشبيلية على قاضيهم أبي بكر بن العربي وذلك أنه كان له في عقاب الجناة اختراعات مهلكات ومضحكات فإنتدب انفسا جمة صلبا وضربا وسيق إليه أحد الزمرة فأمر بضرب يديه وثقب شدقيه، فإنبطلت الحكمة عليه ، وعثر أعوانه على حامل خمر لم تنم عليه فباغته وتخفى بسؤاله...فطمس ذلك الرجل وابهم الأمر وقال عندي خادمة رومية...فإبتعتها وحملته لها ثم عثر علي هؤلاء ، فأطرق ابن العربي وقال : لعن الله بائعها ومبتاعها وعاصرها وحاملها...فأمر بلعنه وعرضه على الحامل ثم خلي سبيله، فإنطلق عليه اللعن في كل مكان ومن كل إنسان>>.[2]

---

[1] – هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد ابن العربي المعافري أبو بكر الاشبيلي، ولد في اشبيلية في شعبان 468 هـ / 1076 م رحل مع أبيه إلى المشرق اشتهر بمعرفته للأدب واللغات، كان من أهل التفنن في العلوم، صحب نخبة من العلماء والتقى بهم أمثال الغزالي والطرطوشي، تولى قضاء اشبيلية وكان من أهل الشدة والحق والقوة على الظالمين والرفق بالمساكين، تفرغ لنشر العلم بعد انصرافه من القضاء ، له كتاب بعنوان العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، اظافة الى مؤلفات اخرى عديدة واخرى في عداد المفقودة ، توفي ودفن بفاس عام 543هـ/1148م- . ابو بكر بن العربي المالكي : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ط 1 ، مكتبة السنة ، القاهرة ، 1405 هـ ، ص 13 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس- في ذكر حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج1، ص ص 260-261 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص ص 105-107 ؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1996، ص ص 376-378 ؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج 4، ص 296 ؛ راغب السرجاني : قصة الاندلس من الفتح الى السقوط ، ط 1 ، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2011 ، ج 2 ، ص ص 519 – 520 ؛ اما ابن قنفذ القسنطيني فقد اكتفي بالقول انه مات ودفن بمغيلة سنة 543 هـ / 1148 م . ابن قنفذ القسنطيني : انس الفقير وعز الحقير ، نشره وصححه : محمد الفاسي و ادولف فور ، مطبعة اكدال ، الرباط ،1965 ، ص 42 .

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 93-94. وقد ذكر ابن عذارى أن هذا الرجل لما حل عليه اللعن في كل مكان هجر البلد.

يتضح من خلال وصف ابن عذارى أن القاضي ابن العربي كان متشددا على الفسقة والمنحلين والجناة وهذا ما يتوافق مع وصف النباهي صاحب المرقبة العليا حيث يقول : <<كان من أهل السرابة في الحق والشدة والقوة على الظالمين والرفق بالمساكين>>.[1]

كما تميزت أحكامه ببعض الغرابة والتفرد حيث قال عن ذلك ابن فرحون: << واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ، وتؤثر عنه في قضائه أحكام غريبة>>.[2]

لم تشر كتب التراجم والسير إلى ثورة أهل اشبيلية عليه ، عدا ما لمسناه عند النباهي لما اورد لنا قول ابن الزبير في صلته عن ابن العربي : << فنفع الله لصرامته ، ونفوذ احكامه ، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله ، فأحسن الصبر على ذلك كله>>.[3]

وعلى أية حال يبدو أن صرامة هذا القاضي وقسوته على الفاسدين [4] والجناة جعلت الناس يثورون عليه ، غير ان المقري صاحب نفح الطيب يقدم لنا دافعا آخر لثورة أهل اشبيلية عليه بقوله :<< وما برح معظما إلى أن تولى خطة القضاء ، ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية إلى بنيان جهة منه ، ولم يكن فيها مال متوفر، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، وكان ذلك في عيد الأضحى، فأحضروها كارهين ، ثم اجتمعت العامة العمياء ، وثارت عليه ونهبوا داره>>.[5]

---

[1] – النباهي: المصدر السابق، ص 106.

[2] – ابن فرحون: المصدر السابق، ص 378.

[3] – النباهي: المصدر السابق، ص 106.

[4] – ابن فرحون: المصدر السابق، ص 378 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 261 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص 106 ؛ المقري: نفح الطيب ، ج2، ص 27 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4 ، ص 93.

[5] – المقري: نفح الطيب ، ج2 ، ص 27.

وبالنظر إلى الظروف العامة في اشبيلية قبيل هذه الانتفاضة نجد بعض الظروف المساهمة في العوز المالي الذي أدى بالقاضي إلى إلزام الناس بالمساهمة في بناء هذا السور ، فقد كان على دولة المرابطين آداء ضريبة تقدر بـ 12000 دينار سنويا لحاكم برشلونة[1] إثر الصلح الموقع معه [2] كما أن جيوش المرابطين كانت قد انتصرت على النصارى في معركة افراغة [3] عام 528هـ/1134م.[4] ، إضافة إلى ذلك كانت المحاصيل الزراعية قد تضررت نتيجة تسلط الجراد الذي قضى عليها عام 527هـ/1132م.[5]

يبدوا أن العوامل السابقة قد ساهمت في تأزم الوضع المالي لدولة المرابطين [6] وهو ما يفسر

إقدام القاضي ابن العربي على إلزام الناس في المشاركة في بناء سور اشبيلية [7] بعدما ألزمته السلطات المرابطية ببنائه وعن ذلك يقول إبن القطان : << وولي على قضاء اشبيلية أبا بكر بن العربي ، وشرع في بناء سور اشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف>>.[8]

---

[1] – برشلونة مدينة لروم وهلي على ساحل البحر ومرساها لا تدخله السفن إلا عن سابق معرفة، وله اربض وعليها سور منيع، وهي كثيرة الحنطة والحبوب والعسل واليهود بها يعدلون النصارى في عددهم. الحميري: الروض المعطار، ص ص86 –87.

[2] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 244.

[3] – افراغة مدينة إلى الغرب من مدينة لاردة بنحو 18 ميلا بها بساتين وأشجار متنوعة وهي مليئة بأشجار الزيتون بها حصن منيع ومباني حسنة الهيئة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 227 ؛ مجهول: ذكر بلاد الاندلس ، ص ص 71–72 ؛ الحميري: صفة جزيرة الاندلس، ص 24.

[4] – ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 287 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 235 ؛ الحميري: صفة جزيرة الاندلس، ص 24 ؛ يوسف اشباخ: المرجع السابق، ص 273.

[5] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 230.

[6] اثرت عديد الازمات التي مرت بها دولة المرابطين على البنية الديمغرافية للدولة مشكلة بذلك تحديا آخر للسلطة .تحدث عن هذا التأثير : الحسين بولقطيب : جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط ،2002 ، ص 44 وما بعدها .

[7] – المقري: نفح الطيب، ج2، ص 27 ؛ ابن القطان: المصدر السابق، ص 234 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 46 ؛ الهرفي : المرجع السابق، ص 87.

[8] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 234.

إن الضائقة المالية التي مست اشبيلية قد تكون ساهمت في إذكاء هذه الثورة في ظل عدم وصول أي مساعدات من دولة المرابطين التي كانت أصلا منشغلة في حروبها مع الموحدين الذين بدأت دعوتهم تتعاظم[1]، وقد استبق الثائرون في اشبيلية هذه الانتفاضة بالإساءة إلى سمعة القاضي ابن العربي والطعن فيه حيث فصل في ذلك النباهي بقوله : << ولكثرة حديثه وأخباره، وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيها بالكلام، وطعنوا في حديثه>> [2] ، وهو نفس ما ذهب إليه المقري نقلا عن القاضي عياض حيث اورد أن الناس قد طعنوا في حديثه .[3]

وعلى اية حال فقد قامت هذه الانتفاضة ضد القاضي ابن العربي غير أن المصادر لا تمدنا معلومات عن كيفية قيامها ، إلا أنها توحي إلى أن الفسقة هم من تزعموا هذه الانتفاضة فقد وصفهم إبن عذاري بالسفلة [4] تارة وبالفساق والأشرار تارة أخرى.[5] حيث هاجموه ونهبوا

امواله وكتبه[6] ، ليتم إعفاؤه من القضاء فيما بعد ويتفرغ لنشر العلم إلى أن وافته المنية.[7]

إن صرامة القاضي في تطبيق الأحكام على الأشرار والفسقة ليس بالسبب الكافي للثورة عليه فقد نقل لنا ابن القطان مثالا حيا على ذلك حينما ذكر أن أحد قضاة فاس كان صارما حيث يقول :<< وولي قضاء فاس في هذا العام (529هـ/1134م) عبد الحق بن عبد الله بن معيشة فأراق

---

[1] – الهرفي: المرجع السابق، ص 87. ونحن نؤيد الاستاذ سلامة محمد سلمان الهرفي فيما ذهب إليه حيث أن الظروف الاجتماعية القاسية عادة ما تخلق نوعا من الغضب لدى العامة وتجعلهم ميالين للانتفاضة والثورة.

[2] – النباهي: المصدر السابق، ص 106.

[3] – المقري: نفح الطيب، ج2، ص 30.

[4] – ابن عذارى: المصدر السابق، ص 93.

[5] – نفس المصدر، ص 94.

[6] – النباهي: المصدر السابق، ص 106 ؛ المقري: نفح الطيب ، ج 2 ، ص 30 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4 ، ص 94.

[7] – المقري: نفح الطيب، ج2 ، ص 30 ؛ النباهي: المصدر السابق، ص 106 ؛ ابن القاضي: المصدر السابق، ص 261 ؛ ابن فرحون : المصدر السابق، ص 378 ؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج4 ، ص 297.

الخمر وكسر الدنان وتشدد على أهلها >> [1] ، وهو نفس ما قال به ابن عذارى حيث أشار إلى أن هذا القاضي تشدد على الناس [2] لكن أهل فاس لم يثوروا عليه.

3–انتفاضة ميورقة :

من بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء دراسة هذه الانتفاضة التي طالت إحدى الجزائر الشرقية للاندلس هي قلة الإشارات المصدرية لهذه الانتفاضة غير أنها تبقى أهم صور العصيان الشعبي الذي واجهته دولة المرابطين في عدة أمصار من أقطارها الواسعة الامتداد .

تعتبر جزيرة ميورقة [3] من أهم جزر البليار وقد كان دخول النصارى إليها عام 508هـ/1114م ثم استفتحها المرابطون في عهد علي بن يوسف [4] وعن ذلك يقول ابن عذارى مفصلا فيه : << كان دخول النصارى ميورقة على ناصر الدولة مبشر الصقلبي مولى إبن مجاهد في سنة ثمان وخمسمائة ثم استفتحها المرابطون ودخلها وانودين بن سير من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فبقي بها ثلاثة أشهر ثم وليها من بعده أبو بكر بن تكرطات، ثم وليها من بعده يابور بن محمد فقامت عليه الرعية وقتلوه ، ثم وليها أبو بكر بن علي بن ورقا فمات بها ، ثم وليها محمد بن غانية المسوفي حتى مات مقتولا >>.[5]

---

[1] – ابن القطان: المصدر السابق ، ص 248.

[2] – ابن عذارى: المصدر السابق ، ج1، ص 312.

[3] – ميورقة جزيرة في البحر الزقاقي فتحها المسلمون سنة 290هـ/903م وملكوها إلى أن تغلب عليها العدو الرشلوني وخربها عام 508هـ/1114م ، ثم اختلفت عليها ولاة ابن تاشفين. الحميري: الروض المعطار، ص 567 ؛ وكان قبل ذلك فتحها المسلمون قد قصدوها واتخذوها مع جزر البليار الأخرى مركزا وقاعدة لفتح جزيرة سردينية. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3 ، ص 155 ، وقد ذكر ابن خلدون أنها فتحت عام 290هـ . ابن خلدون: العبر، ج4 ، ص 210.

[4] – الحميري: الروض المعطار ، ص 567 ؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج 5 (قسم الموحدين)، ص 239 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف، ص ص 212–213.

[5] – ابن عذارى: المصدر السابق، ج5، قسم الموحدين، ص 239.

غير أن ابن خلدون ينقل لنا الرواية على الشكل التالي : << ولم يزل يردد الغزو إلى أرض العدو إلى أن جمع طاغية برشلونة الجموع ونازله بميورقة عشرة أشهر، ثم افتتحها واستباحها سنة من ولايته ، وكان بعث بالصريخ إلى علي بن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافهم الأسطول بالمدد إلا بعد استيلاء العدو، فلما وصل الاسطول دفعوا العدو عنها، وولي علي بن يوسف من قبله أنور بن أبي بكر اللمتوني فعسف بهم وأرادهم علي بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر فثاروا به وصفدوه ، وبعثوا إلى علي بن يوسف فردهم إلى ولاية محمد بن علي من قرطبة، كان واليا عليها فوصل إلى ميورقة فصفد انور وبعث به إلى مراكش>>.[1]

من خلال تفحص الروايتين نجد اتفاق كل من ابن عذارى وابن خلدون على حدوث الثورة لكن دون تحديد إطارها الزماني لكنهما يتفقان على أن الثورة وقعت أيام علي بن يوسف، [2] غير أن المفارقة أنهما يختلفان على الإسم فإبن عذارى يقول أن الرعية ثارت على الوالي يابور بن محمد [3] وابن خلدون يقول أن الرعية بميورقة ثارت على الوالي أنور بن أبي بكر اللمتوني.[4]

كما أن مصير الوالي المرابطي على ميورقة ظل محل خلاف بين الروايتين التي تشير إحداهما إلى قتله بينما تشير الأخرى إلى تكبيله وإرساله إلى مراكش.[5]

وقد ذكر الأستاذ محمود علي مكي أن من يكون قد أساء إلى أهل ميورقة هو والي يدعى إبن السداد حيث ثاروا عليه وقتلوه حيث يقول عن ذلك : << وأن ابن السداد قد أساء الحكومة

---

1 – ابن خلدون: العبر، ج4، ص 212.

2 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج5 ، ص 239 ؛ ابن خلدون: العبر ،ج4 ، ص 212.

3 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج5 ، ص 239.

4 – ابن خلدون: العبر، ج4 ، ص 212.

5 – قارن ابن عذارى: المصدر السابق ، ج5، ص 239 ؛ ابن خلدون: العبر، ج4 ، ص 212.

وأوحش أهل الجزيرة وروعهم، حتى أن أمير المسلمين لم ير بأسا في أن يلقبه في هذه الرسالة بالسفيه المعتوه وأن يطالب عامله الجديد بأن يزيل الأثر السيء الذي خلفه في نفوس الرعية>>.[1]

غير أن الأستاذ محمود علي مكي يستدرك بالقول أنه لا يستبعد أن يكون الوالي ابن السداد هو نفسه وأنور بن أبي بكر اللمتوني [2] الذي ثارت عليه الرعية في ميورقة.[3]

وعموما فإن من أهم أسباب هذه الثورة على الوالي هو تعسف الوالي الذي طالبهم ببناء مدينة جديدة مما يؤرق كاهل السكان بضريبة إضافية [4] ، حيث أنهم صاروا في وضعية اقتصادية صعبة من جراء الهجوم النصراني البرشلوني الذي استباحها [5] ، وقد علق ابن القطان على فضاعة الهجوم بقوله:<< وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة، وقتلهم من فيها ، وسبيهم أهلها، واحتوائهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد>>.[6]

كما قد يكون نوعية الأسلوب العنيف في طلب هذا الوالي هو ما أثار حفيظة السكان خاصة وانهم اعتادوا على العدالة ، فقد وصف ابن سعيد المغربي حاكم ميورقة مبشر ناصر الدولة حاكم ميورقة بقوله :<< فدام بها ملكه ، وأحسن التدبير ، وقصده الفضلاء ، منهم ابن اللبانة، وله فيها

---

[1] – محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، 1960، مدريد، المجلدان 7و8 ، ص 162.

[2] – يورده ابن خلدون بإسم انور بن أبي بكر. ابن خلدون: العبر، ج4 ، ص 212.

[3] – محمود علي مكي: المرجع السابق، مج 7 و 8 ، ص ص 162-163.

[4] – ابن خلدون : العبر، ج4، ص 212 ؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، مج 7 و 8 ، ص 161 ؛ محمد العمراني: المرجع السابق، ص 52.

[5] – ابن خلدون: العبر، ج4 ، ص 212 ؛ ابن القطان: المصدر السابق ، ص 75 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص 567.

[6] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 75 ؛ أما الحميري فقد علق على ذلك بقوله : << تغلب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة ثمان وخمسمائة ... ودخل المدينة فلم يجد سوى العيال والاطفال والشيخ الفاني، فلحسابهم أحالوا السيف عليهم، فلما قضى وطره من هذه الجزيرة أسرع الرجوع إلى بلاده >> الحمير: الروض المعطار، ص 567.

أمداح كثيرة ، ولم يخلع الملثمون منها >>.[1] كما قد يكون اعتياد أهل ميورقة على حياة الرفاه والعيش جعلهم يرفضون تغيير مستوى معيشتهم في مدينة جديدة لم يعتادوا عليها.[2]

وعموما فتسلط الحاكم هو ما اثار حفيظة السكان بشكل عام ودعاهم إلى الثورة عليه ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها علي بن يوسف واصفا فيها الوالي ابن السداد بالسفيه المعتوه وبأنه ساهم في ترويع أهل جزيرة ميورقة.[3]

كما أن بعض ما جاء في الرسالة يوحي بأن الأوضاع لم تكن بالجيدة في عهد هذا الوالي حيث كتب علي بن يوسف ناصحا الوالي الجديد بقوله : << رأينا – والله الموفق للصواب- أن نوليك جميع ما كان يتولاه...بميورقة حرسها الله... وغرضنا كان أن نولي عليها من يصلح من أعيان الرجال ، فإنها بلد كبيرة تحتاج إلى من يسوق أمرها ، ويحوط اهلها...وأخلص في النصح لهم والرفق بهم... واكد في إيثار العدل فيهم وسلوك طريق الحق...وسكن بلين الكلمة [4] وحسن النصفة أحوالهم ، وارفع بحزمك وعزمك في ضبط البلد أوجالهم ، واسع بحسن سياستك في استرجاع من خرج من جيرانهم>>.[5]

وعلى أية حال فقد ثار سكان ميورقة ضد الوالي المرابطي بها وكان مصيره القتل على رواية ابن عذارى [6] أو الاعتقال على رواية ابن خلدون [7] وتم تعيين والي جديد من قبل سلطات المرابطين في مراكش من أجل تهدئة الخواطر.[1]

---

[1] – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2 ، ص 467.

[2] – محمد العمراني: المرجع السابق، ص 53 .

[3] – محمود علي مكي: المرجع السابق، مج 7 و8 ، ص 186.

[4] – يبدو أن أمير المرابطين علي بن يوسف كان حريضا على استعمال اسلوب اللين والمهادنة والحرص على الإنصاف اتقاء ثورة أهل ميورقة مرة أخرى .

[5] – محمود علي مكي: المرجع السابق، مج 7 و8 ، ص 185 .

[6] – ابن عذارى: المصدر السابق ، ج5 ، ص 239.

[7] – ابن خلدون: العبر ، ج4، ص 212.

أما عن تاريخ هذه الثورة بالتحديد فإنه يصعب ضبط تاريخ معين إلا أنه يبدو أنها وقعت في سنة 509هـ/1115م أو بعدها بقليل أي بعد فتح المرابطين لهذه الجزيرة.

فقد ذكر المؤرخون أنها تعرضت للاحتلال البرشلوني في سنة 508هـ/1114م [2] وتم فتحها من قبل الجيوش المرابطية في السنة الموالية أي 509هـ/1115م [3] أما الرسالة التي بعث بها أمير المرابطين علي بن يوسف والتي نصح فيها الوالي الجديد ويقدم له وصايا فقد كانت مؤرخة في ربيع الأول سنة 510هـ/1116م. [4] وهو ما يجعلنا نضع هذه الانتفاضة بين سنتي 509هـ/1115م و 510هـ/1116م على الأرجح.

1 – ومما يدل على ذلك صراحة هو ما ورد في الرسالة التي بعث بها علي بن يوسف ناصحا الوالي الجديد بقوله : << وبوصولك إليهم يستقيم أمرهم ويذهب ذعرهم>> . محمود علي مكي: المرجع السابق، مج 7 و8 ، ص 186.

2 – ابن القطان: المصدر السابق، ص 75 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ج 5، ص 239 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص 567 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف، ص 213.

3 – محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 161 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف ، ص 213 ؛ غير أن ابن القطان يجعل غزوها من قبل البرشلونيين وفتحها من طرف المرابطين في نفس السنة وهي 508هـ/1114م. ابن القطان: المصدر السابق، ص 75.

4 – محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 185.


خاتمة

لكل بداية نهاية ...ولكل نهاية بداية أخرى ... تلك سنة الله ...فالنهاية استنتاجات لاجتهادات بدناها ، والبداية تساؤل جديد ينتظر استئناف بحث ودراسة .

من خلال معايشتنا للنصوص التاريخية واستنطاق مكنوناتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر أحيانا بعقلية الرأي والرأي الآخر أُتيحت لنا فرصة الولوج إلى الكثير من الحقائق التي توصلنا إليها ، من تلك الحقائق أن دولة المرابطين كانت حركة دعوية مجددة لما دهى المغرب من انحرافات سياسية ودينية كادت تعصف بعقيدة جزء ليس باليسير من ساكنة المغرب ، ولعل ذلك ما جعل بعض المؤرخين يصف أولئك المنحرفين بالكفار والمجوس بناء على إتباعهم نبي خاص بهم وإخراج كثير من العبادات عن أُطرها الصحيحة ، لذلك كانت الحركة الجهادية التي قادها الفقيه ابن ياسين بمثابة إعادة ترتيب للبيت المغربي في شقه العقدي وتوحيد رايته في الشق السياسي ، وبذلك دانت قبائل المغرب والصحراء طوعا أو كرها للدعوة السنية الناشئة ذات التوجه المالكي .

إن حركة المرابطة التي أسس لها الفقيه ابن ياسين في بلاد الصحراء كانت بمثابة الوقود الذي طالما أوقد شعلة الجهاد في تلك المناطق بل واستمر ت تلك الشعلة وهاجةً حتى رسمت بحروف من ذهب انتصارات دولة المرابطين في بلاد الأندلس ضد النصارى فيما بعد ، ولعل تلك الشروط القاسية والمناهج المتبعة في تكوين النشىء والتي كانت ذات طابع روحي محض ، خلقت ثلة من المجاهدين الذين كان همهم الوحيد نشر تعاليم الإسلام الصحيحة بعيدا عن أي طموح سياسي ، لذلك ما فتئ عدد المنظمين لحركة المرابطة يتزايد وتتسع معه دائرة الشروط المفروضة على جيوش الوافدين وهو ما جعل فرص الانضمام إليهم تتضاءل لدى كثير منهم .

كانت سلطة الفقيه توازي السلطة السياسي بل وأحيانا تتعداها من حيث تتبعها لقراراتها وفتاويها ، فقد لمسنا مدى الاحترام الذي حضي به كثير من الفقهاء في دولة

المرابطين وهو ما جعل بعض المؤرخين يقول عن بعض أمراء المرابطين انه كان لا يصدر أمرا في مملكته دون الرجوع إلى الفقهاء ، ذلك ما جعل استقلال القضاء وانفصال سلطة الفقيه عن سلطة السياسي تُؤتي أكلها أحيانا من حيث تطبيق الشريعة وتفاني أمراء المرابطين في الذود عن حرمة الإسلام في الأندلس ، لكنه جعل السلطة الدينية تنافس السلطة السياسية وتدخل معها في صراع احياناً ، وتخلق لها سلطة مناوئة في أحيان أخرى ، ذلك أن بعضا من الفقهاء في هذا الجو النظيف لم يجدوا من الثورة بدا فثاروا وألبوا الرعية على السلطة الحاكمة ليتسبب ذلك في فلتان امني جنى على السلطة والرعية .

إن التوسعات التي أحرزها يوسف بن تاشفين في بلاد المغرب من جراء الحروب التي خاضها جعلت قوته الناشئة تتعاظم ، وهو ما جعل المسلمين في الضفة الأخرى (الأندلس) يطلبون المدد ويستجدون المساعدة بغية التخلص من وثبة النصارى الذين صارت لهم اليد الطولى على كثير من ارض الإسلام بالأندلس المسلمة واهلكوا الحرث والنسل ، وبذلك جازت القوات المرابطين إلى العدوة الأندلسية واضعةً حداً لغطرسة النصارى هناك وضاربة مثالا يحتذي به في نجدة المسلم لأخيه المسلم على مر التاريخ ، وتعدت الطموحات المرابطية إغاثة أهل الأندلس إلى ضم الأرض إلى سلطانهم ، متجاوزة بذلك حقبة طويلة من أسوأ حقب التشتت والتآمر الذي شهدته الأندلس في ما يعرف بعصر ملوك الطوائف .

شكلت شخصية على بن يوسف وابنه تاشفين مثالا يُحتذى به في الذود عن حمى الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ، إذ لبث هذان القائدان وقتا ليس باليسير في التصدي للنصارى الاندلسين والوقوف في وجههم وإفشال مخططاتهم العدوانية ، وهو ما جعل القوة المرابطية تساهم في فرملة حركة الاسترداد التي بدأت تتعاظم حينها ، وسجلت انتصارات رائعة تاركة بذلك أُمثولة في أن الجيوش الإسلامية أقوى واقدر على خصمها متى صح من قادتها وجنودها العزمُ والنية في إعلاء كلمة الحق . حتى وان تراجعت أحيانا فهي لن تُطفئ جذوة جهادها .

لقد شكلت ثورة الموحدين حجر عثرة أمام المرابطين وشوكة في حلقهم، إذ دخل الموحدون منذ أيام المهدي بن تومرت في معارك لا تنتهي مع المرابطين ، واستمر هذا الصراع أيام عبد المؤمن ، خالقةً بذلك جبهة أخرى للدولة المرابطية التي كانت منشغلة أصلا بجهاد النصارى من جهة وفي إطفاء الفتن التى اشتعل لهيبها هنا وهناك في العدوتين من جهة أخرى ، لكن ما نسجله هو انه لولا تسامح علي بن يوسف مع مهدي الموحدين في بداية حلقات هذا الصراع ما كانت ثورة الموحدين تصل إلى ما وصلت إليه ، وهو ما جعل احد الفقهاء يشير على أمير المرابطين بسجن ابن تومرت قائلا له اجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك طبلا ، وكأن ذلك الفقيه استشعر خطر المهدي الذي باتت نواياه بائنةً بينونةً كبرى ، ليس فقط في ضرب استقرار الدولة وإنما في القضاء عليها مستغلا بذلك طيبة أمير المرابطين من جهة وسذاجة كثير من أتباعه ومحدودية مستواهم ليعصف بملك المرابطين ويقضي الله امرأ كان مفعولا .

شكلت سلطة بعض الفقهاء سيفا مسلطا على رقبة السلطة المرابطية ، إذ أن كثير من الثورات التي قامت في بلاد الأندلس أو المغرب هي تحت قيادة أناس لهم باع طويل في العلم والدين وعلى قدر ليس باليسير من التفقه ، ذلك ما شكل تحديا آخر لسلطة الفقيه على سلطة السياسي ، فقد اطر ثورة المريدين أو ثورات الفقهاء بالأندلس أناسٌ شهد لهم مؤرخوا عصرهم بقدر كبير في الفقه والعلم ومع ذلك أعلنوا الثورة على دولة المرابطين ، بل واتخذت ثورات بعضهم منحى آخر باستجداء المعونة من أعداء الإسلام على بني جلدتهم وعقيدتهم كما فعل ابن حسون حينما استقدم بعض المرتزقة النصارى للدفاع عنه أو كما فعل ابن حمدين لما طلب العون من النصارى القشتاليين .

إن المتتبع للثورات والتمردات الواقعة في العدوة الأندلسية يستشف بعض القصور المسجل من بعض مسئولي دولة المرابطين ويضع جزءا من المسؤولية على عاتقهم ، ولكنه في نفس الوقت يكشف لنا النقاب على بعض النوايا المبيتة للانفصال أو حب الزعامة ، كما

يكشف لنا أحيانا عن حقيقة أن الشعوب لن تسكت طويلا عن تجاوزات السلطة ، إذ أن مؤشر الصبر يتوقف عن درجة ما لينفجر الوضع مخلفا فلتانا امنيا يجر الويلات على السلطة والرعية ، كما أن بعض تلك الثورات والتمردات تعطينا دروسا نستخلصها لحاضرنا ومستقبلنا مفادها أن الثورات هي الفعل الوحيد الذي يقع ضد رغبة الحاكم ورغما عنه وبلا إذن منه ، وان ليس لأي حاكم مهما بلغت سلطتة القدرة على إسكات صوت الثائرين عليه . كما أن تلك الثورات عبرت عن رفض قاطع لأي ظلم مهما كان نوعه تاركة أمثولة في أن الشعوب أقوى واقدر متى صح من العزم .

لكل نهاية بداية ، والبداية في هذا المقام تجعلنا نطرح تساؤلات جديدة أو نشير إلى نقاط لا تزال لم تنل حقها من الدراسة أو ندل على بعض مواطن اللبس الذي يحتاج من المؤرخين أهل الاختصاص إماطة اللثام عليه ، ومن النقاط التي لا تزال تحتاج إلى فحص وإثراء هي تسليط الضوء على المجهودات التي بذلها أبو بكر بن عمر في جهاده لقبائل السودان ، إذ تبقى هذه الحقبة من تاريخ دولة الملثمين غير بينة المعالم بما يكفي لرسم تصور كامل عن مجهودات المرابطين في نشر الإسلام في هكذا مناطق ، ويتأتى ذلك بفحص وتمحيص دقيق للمخطوطات غير المحققة ، أو البحث عن مادة مصدرية جديدة لم تتكشف بعد إلى الباحثين قد تزيل كثيرا من الغموض وترخى الستار عن حقائق جديدة .

أثناء تطرقنا إلى عدة معارك دارت بين النصارى والمرابطين تضاربت الأرقام واختلفت الأوصاف وراح كل مؤرخ يصف المشهد بما توافرات له مصادر سبقته أو نقل عن أناس حضروا الوقائع أو كان شاهدا عليها ، غير أن الباحث الحقيقي والموضوعي هو الذي يعالج الأمور بإنصاف بعيدا عن أي تحيز ، واعتمادا على ما حصل عليه من وثائق تاريخية ، وبما أن المصادر النصرانية لم تطلها أيدينا فان الوصول إلى درجة أعلى وأدق من الحقيقة يبقى منقوصا ، ولا يكتمل ذلك إلا بالتنقيب عن تلك المصادر النصرانية والبحث عنها من اجل مقارنتها مع المصادر العربية خدمة للحقيقة التاريخية .

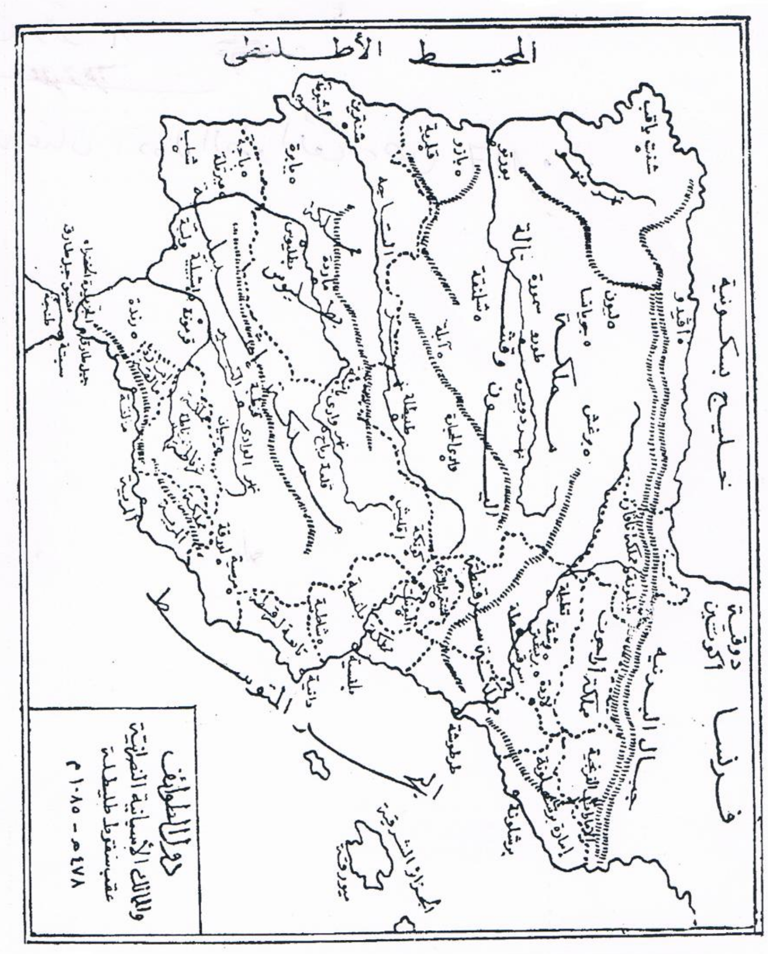
إن كثيرا من الانتفاضات والتمردات التي تطرقنا لها في دراستنا هذه تبقى مبتورة فمنها من لم تُعرف حيثياته ومنها من لم تُعرف طريقة تعاطي السلطات المرابطية معه ، ومنها من يكتنفه الغموض فيما تعلق بمسببات الهيجان الشعبي . إن إماطة اللثام عن تلك الحقائق يبقى مرهونا بالتنقيب عن مخطوطات عربية وأجنبية في مختلف أرجاء الأندلس والمغرب وجنوب الصحراء ، خدمة لحقل التاريخ المغربي والأندلسي على السواء .

الملاحق

ملحق رقم 01

دول الطوائف والممالك النصرانية

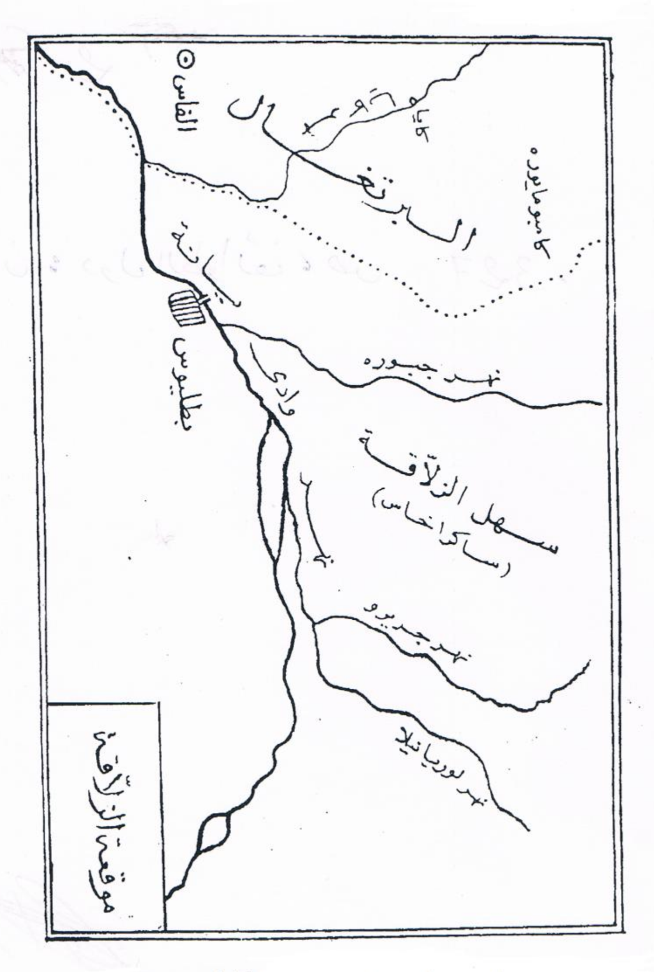
عقب سقوط طليطلة 478 هـ / 1085 م



عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص 117 .

ملحق رقم 02

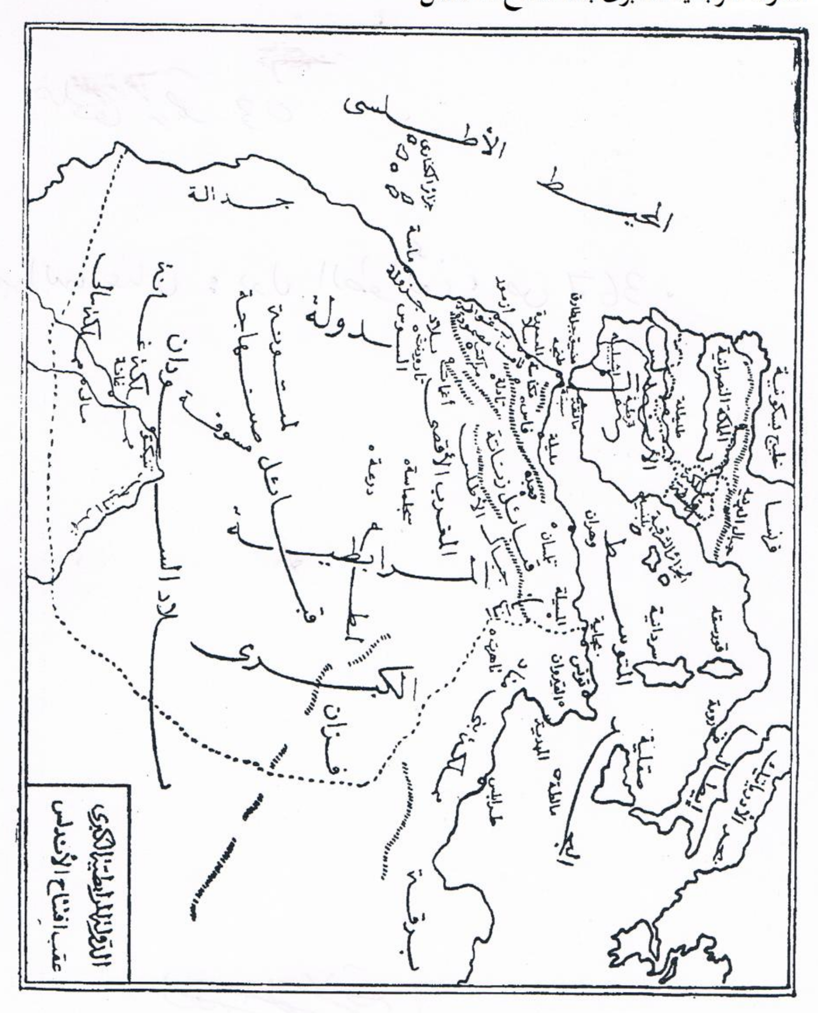
وقعة الزلاقة في الاندلس 479 هـ / 1068 م



حمدي عبد المنعم : المرجع السابق ، ص 443

ملحق رقم 03

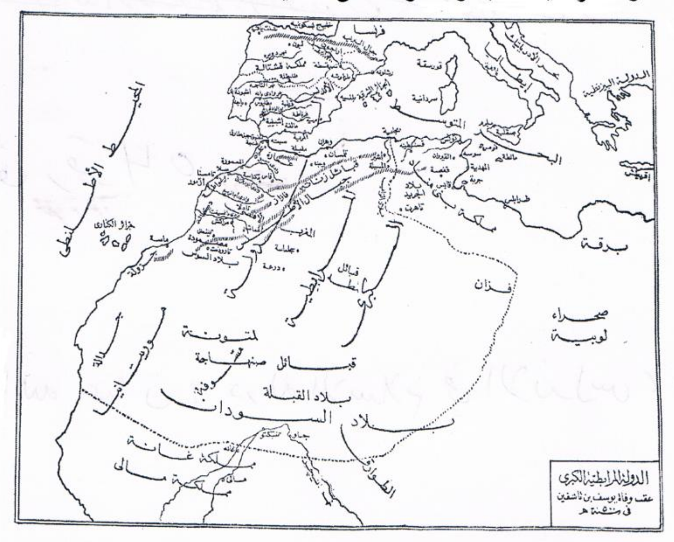
الدولة المرابطية الكبرى بعد افتتاح الاندلس



عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص 367 .

ملحق رقم 04

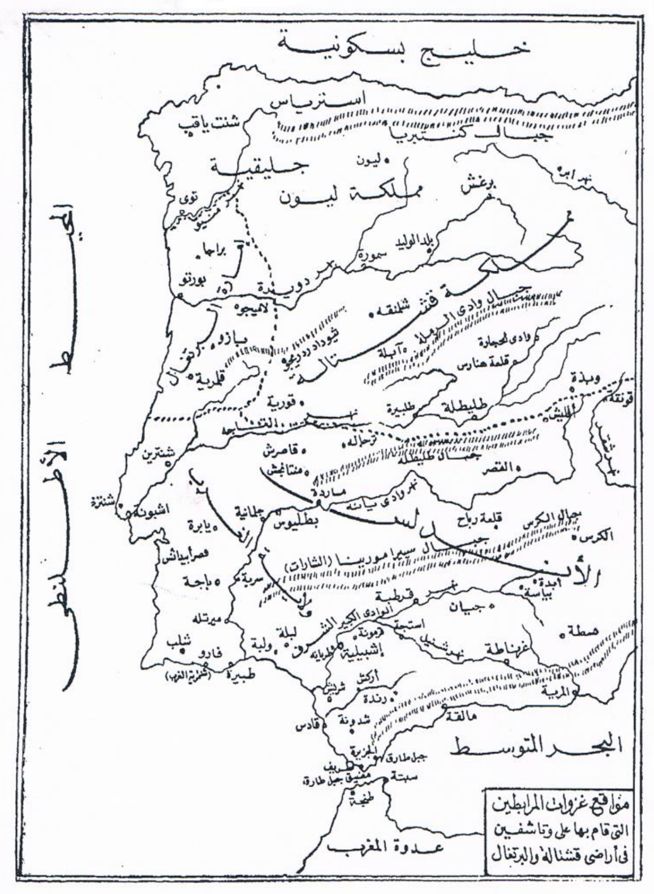
دولة المرابطين عقب وفاة يوسف بن تاشفين 500 هـ



عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص 24 .

ملحق رقم 05

مواقع غزوات علي وتاشفين في اراضي قشتالة والبرتغال

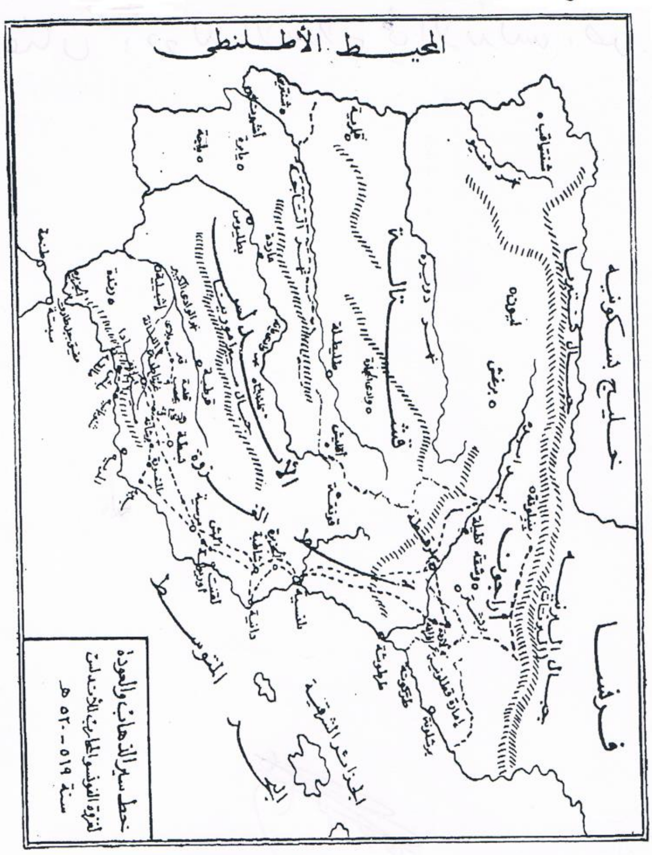


عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص 137 .

ملحق رقم 06

خط سير غزوة الفونسو المحارب في الاندلس

ذهاباً واياباً

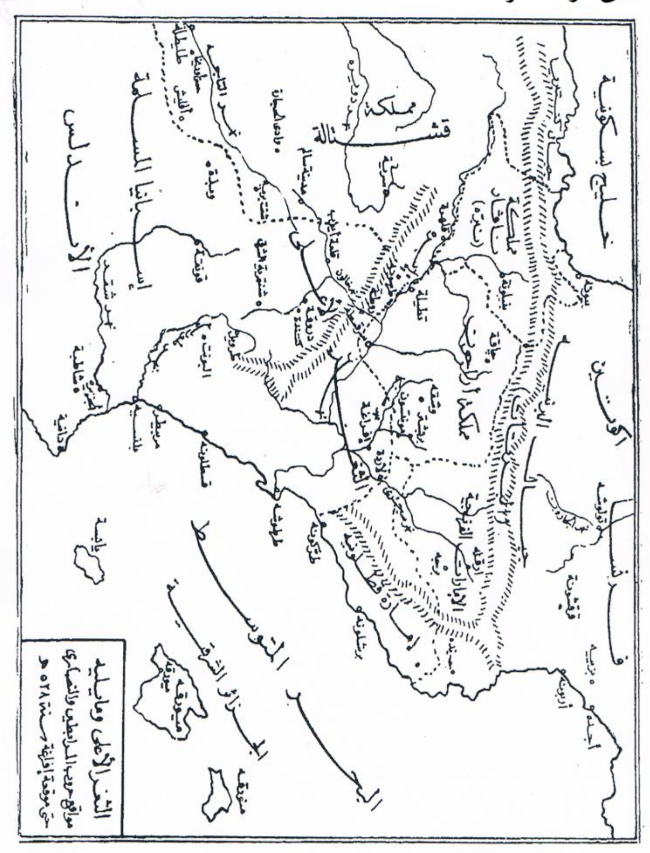


عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص 109 .

ملحق رقم 07

مواقع حروب المرابطين والنصارى في الاندلس

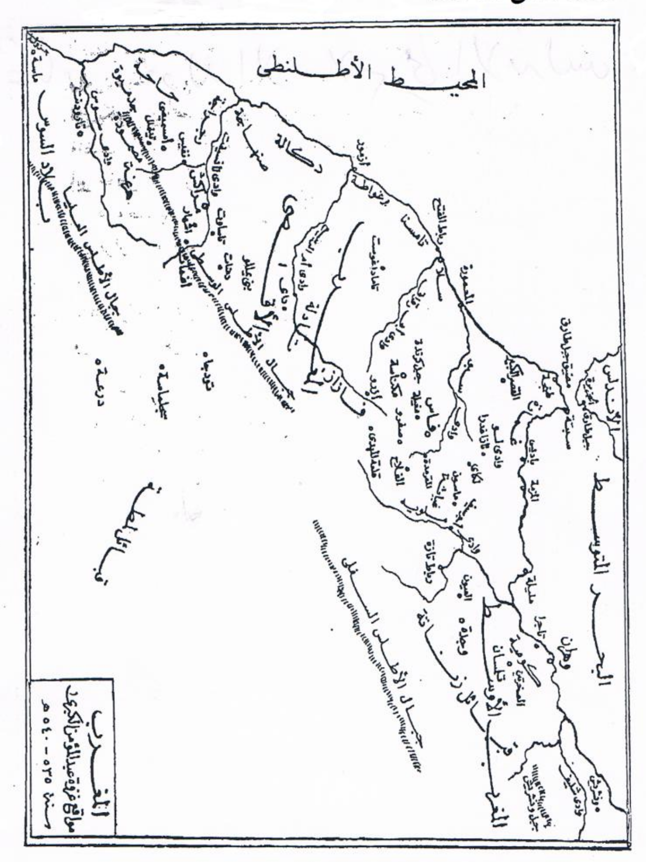
حتى موقعة افراغة سنة 528 هـ



حمدي عبد المنعم : المرجع السابق ، ص 444 .

ملحق رقم 08

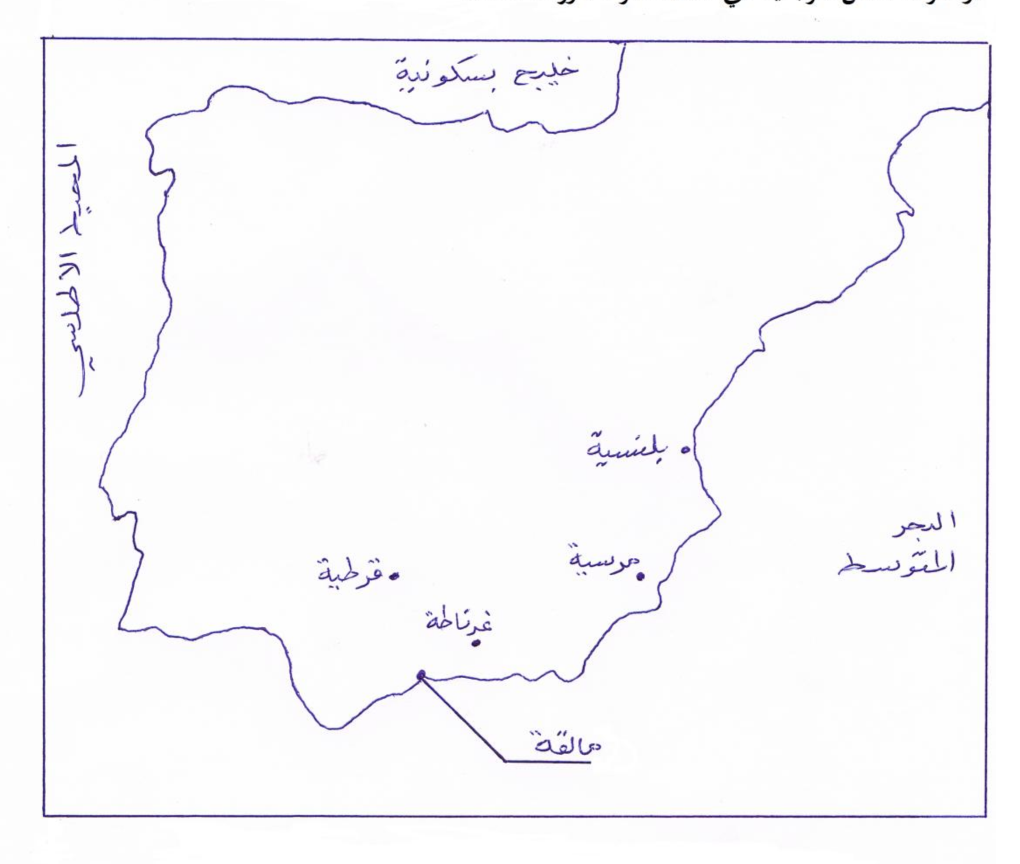
غزوات عبد المؤمن الكبرى ضد المرابطين بين سنتي 535 هـ الى 540 هـ



عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ص 239 .

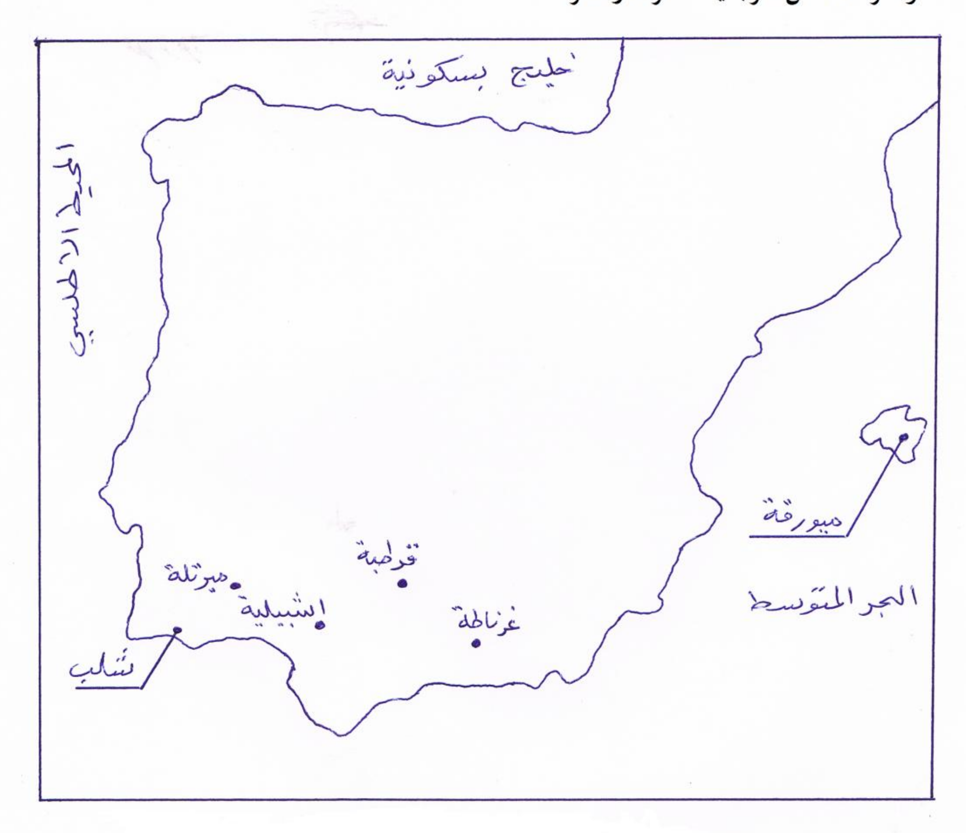
ملحق رقم 09

حواضر الاندلس المرابطية التي كانت مسرحاً لثورات القضاة



ملحق رقم 10

حواضر الاندلس المرابطية المتمردة والثائرة



ملحق رقم 11

رسالة من المعتمد بن عباد إلى الفونسو السادس[1]

كان القائد النصراني الفونسو السادس قد بعث برسالة إلى المعتمد بن عباد ولما وصلت إلى المعتمد جاوب عنه بخطه من نظمه ونثره بما نصه :

الذي تأباه الكرام ودينـنـا	لك ما ندين به من البأساء
سمناك سلما ما أردت وبعد ذا	نغزوك في الإصباح والإمساء
الله أعلى من صليبك فادرع	لكتيبة حطمتك في الهيجاء
سوداء غابت شمسها في غيمها	فجرت مدامعها بفيض دماء
ما بيننا إلا النزال و فتنة	قدحت زناد الصبر في الغماء
فلقد من إذا لقيت أسنـة	زرقا ترى بالوجنة الوجناء

وأبيات كثيرة أخرى[2]

وبعد ذلك : "من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو بن عباد إلى الطاغية الباغية اذفنش بن شانجة الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله دعواه ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد :

---

[1] – تبين هذه الرسالة عزم المعتمد بن عباد على توعد الفونسو السادس بالحرب الضروس ، وتوحي إليه بان زمن الذل والخنوع لدى المعتمد قد صار من الماضي ، وتوحي كذلك على ندم المعتمد على طول الغفلة التي أصابته جراء مهادنته للنصارى .

[2] – لكن لم يوردها صاحب الحلل بل اكتفى بالأبيات السالفة الذكر.

فانه أول ما نبدأ به من دعواه انه ((ذو الملتين)) والمسلمون أحق بهذا الاسم لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد وعظيم الاستعداد ومجبي الملكة ، لا تملكه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم ، وإنما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك ، واغفل عن النظر السديد جميل مباديك فركبنا مركب عجز نسخه الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة ، قلت في أثنائها ليس ولا تستحى أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وأنا لنعجب من استعمالك برأى لم تحكم إنحاؤه ، ولا حسن انتحاؤه ، وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار ، واغتررت بنفسك أسوا الاغترار ، إما تعلم أنا في العدد والعديد والنظر السديد ، ولدينا من كماة الفرسان وجيل الإنسان ، وحماة الشجعان ، يوم يلتقى الجمعان رجال تدرعوا الصبر ، وكرهوا الكبر ، تسيل نفوسهم على حد الشفار وتناعهم الهام (طائر يخرج من رأس الميت في ظن العرب) ، في القفار يديرون رحى المنون بحركات العزائم ، ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم ، قد اعدوا لك ولقومك جلادا ، رتبه الاتفاق وشفارا حدادا ،شحذها الأصفاق ، وقد يأتي المحبوب من المكروه [1] والندم من عجلة الشروه نبهت من غفلة طال زمانها ، وأيقظت من نومة تجدد أمانها ومتى كانت لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة ، أو وقفة متساعدة إلا ذل تعلم مقداره ، وتتحق مثاره والذي جرأك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ)) [2] ظنوا المعاقل تعقل والدول لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسالمة ما اوجب القعود عن نصرتهم ، وتدبير أمرهم ونسال الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم من ترك الحزم وإسلامهم لأعاديهم والحمد الله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما الموت دونه وبالله نستعين عليك ولا نستبطئ في

---

[1] – في ذلك إشارة إلى قول الله تعالى ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) سورة البقرة ، آية 216.

[2] – سورة الحشر ، آية 14 .

مسيرتنا اليك والله دينه الكريم ((وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) [1] والسلام على من علم الحق فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه" .

مجهول : الحلل الموشية ، ص ص 39-41.

---

[1] - سورة التوبة ، آية 32 ؛ سورة الصف ، آية 8 ؛ سورة غافر ، آية 14 .

الملحق رقم 12

رسالة يوسف بن تاشفين إلى بلاد العدوة عقب الانتصار في موقعة الزلاقة [1].

"أما بعد حمد الله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فان العدو الطاغية لعنه الله لم قربنا من حماه وتواقفنا بإزائه ، لقناه الدعوة وخيرنا بين الإسلام والجزية والحرب فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك ، واضمر اللعين خلاف ما شرطناه وعلمنا أنهم أهل خدع ونقض العهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب المذكور بان العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ، يرى انه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين فانتدبت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتعشته قبل أن يتعشاها ، وتغذته قبل أن يتغذاها ، وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ، ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش لمتونة نحو الفنش[2] فلما أبصر النصارى رايتنا المشتهرة ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة المظفرة ، وغشيتهم بروق الصفاح واظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارى بطاغيتهم الفنش وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنية صادقة خالصة وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب

---

[1] – هذه رسالة بعث بها يوسف بن تاشفين إلى بلاد العدوة في المغرب بعد معركة الزلاقة في الأندلس ، مبشرا بما أصابه من نصر عظيم على النصارى بقيادة الفونسو السادس ، وتبين هذه الرسالة مدى ثبات المسلمين في جهاد الكفار ، كما تبين مدى الخسائر التي حاقت بالنصارى ، ضف إلى ذلك أن هذه الرسالة تحدد تاريخ المعركة بدقة .

[2] –يقصد الفونسو السادس .

ووكفت ديم السيوف ورماح بالطعن و الضرب ، وطاحت المهج واقبل سيل الدماء في هوج ، ونزل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولى الفنش مطعونا في احد ركبتيه طعنة افقدنه أحدا ساقيه ، في خمسمائة فارس من مائة و ثمانين ألف فارس ، ومائتي ألف راجل قادهم الله إلى المصارع والحتف العاجل ، وتخلص لعنه الله إلى جبل هنالك ونظر النهب والنيران في محلته من كل جانب ، وهو من أعلى الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فاخذ يدعو بالثبور والويل ويرجو النجاة من ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد تبت في وسط مراكبه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة منصور الجهاد مرفوع الأعداد ، يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد وقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بناءها و تستلم ذخائرها وأسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهابها ، وألفنش ينظر إليها نظر المغشي عليه ، ويعض غيظا وأسفا على أنامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتنابع الفرار عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس و الغار ،وتراجعوا حذرا من العار ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم معتمد ابن عباد ، فأتى إلى أمير المسلمين وهو مهيض الجناح ، مريض عناء وجراح ، فهنأه بالفتح الجميل ، و الصنع الجليل ، وتسلل ألفنش تحت الظلام فارا لا يهدأ ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل طليطلة إلا في مائة فارس ، والحمد له على ذلك كثيرا ، وكانت هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة موافق الثالث والعشرين لشهر أكتوبر العجمي "

ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ص 150 – 151 .

الملحق رقم 13

نص فتوى الإمام الغزالي الموجهة للإمام ابن عربي عن حول حكم الشرع في ملوك الطوائف.[1]

"إن يوسف كان على حق في إظهار شعار الإمامة للخليفة المستظهر ، وان هذا هو الواجب على كل ملك ، استولى على قطر من أقطار المسلمين وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية ، وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمرد واستعصى ، فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يردّه بالسيف ، وان يقاتل الفئة المتمردة على طاعته ، لا سيما وقد استنجدوا بالنصارى [2] ، وهم أعداء الله في مقاتلة المسلمين وهم أولياء الله ، وان يستمر في قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الأمير العادل ، المتمسك بطاعة الخلافة العباسية ، ومتى تركوا المخالفة وجب الكف عنهم ، وذلك عن المسلمين منهم دون النصارى ، وأما ما يظفر به من أموالهم فمردود عليهم وعلى ورثتهم , وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في قتال مهدورة لا ضمان فيها , وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة , المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة , وحكم الباغي على نائب الإمام , فانه وان تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوائق المانعة , من وصول المنشور بالتقليد فهو نائب بحكم قرينة الحال ، اذ يجب على إمام المصر أن يأذن لكل مسلم عادل , استولى على قطر من أقطار الأرض أن يخطب له , وينادي بشعاره , ويحمل الخلق على عدله والنصفة ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف في الرضا بذلك والإذن فيه وان

[1] – هذا نص الفتوى الذي بعث به الإمام الغزالي إلى الإمام ابن عربي يؤكد فيه أن يوسف بن تاشفين محق في إظهار الولاء للدولة العباسية ، وان ملوك الطوائف صار واجبا عليهم الدخول في طاعة يوسف بن تاشفين وان اقتضى الأمر ردهم بقوة السيف .

[2] – كان استقواء بعض ملوك الطوائف على بعضهم بالنصارى من المبررات التي استند إليها الإمام الغزالي– فيم يبدو– ، لذلك صار على يوسف بن تاشفين ردهم إلى جادة الصواب .

توقف في كتبه المنشور فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإيصالها المعاذير ، وأما الإذن والرضى بعد ما ظهر حال الأمير في العدل والسياسة [1] وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين فلا رخصة في تركه ، وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهورا لا يشك فيه وان لم يكن عن إيصال الكتب وإنشائه عائق وكانت هذه الفتنة لا تنطفي إلا بان يصل إليهم صريح الإذن والتقليد بمنشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك فان الإمام الحق عاقلة الإسلام ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة وإلا يسعى في إطفائها بكل ممكن " .

عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ص ص 42 -43 .

[1] - يبدو أن يوسف بن تاشفين قد ذاع صيته شرقا وغربا بأنه الملك العادل السائس المجاهد .

ملحق رقم 14

جدول لمجموع الرسائل الموحدية (حسب التسلسل الزمني)

الصادرة عن المهدي بن تومرت إلى دولة المرابطين و أتباعه من الموحدين[1].

رسائل م . ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
-	كتاب أخبار المهدي ن ، بروفنسال ص (1– 8)	–	المهدي	عامة الموحدين	–	تعاليم عامة عن المهدي إلى عامة الموحدين	«... وهذا الوعيد العظيم والعذاب الأليم »	– العلامة [...] تفيد الترجيح – من كتاب المهدي سليمان الحضري
-	نفس المصدر (8– 10)	–	المهدي	جماعة الموحدين	–	الحض على جهاد المجسمين الكفرة الملثمين	(بعد البسملة والتصلية) « إلى جماعة الموحدين وفقهم الله لما يحبه ويرضاه سلام ... »	يلحق بها كلام للخليفة عبد المؤمن يعلق به على رسالة المهدي ص 10
1 (م ج.)	الحلل الموشية ص 111 ومخطوط خ ع	–	المهدي	المرابطون	–	تحذير وإنذار للمرابطين	« إلى القوم الذين استزلهم الشيطان »	لعلها أول رسالة إليهم حسب ملاحظة صاحب مخطوط خ ع

[1] بعض هذه الرسائل موجهة للمرابطين تحذر وتتوعد المرابطين وتصف أميرهم علي بن يوسف بالظالم ،كما يدعو بعضها مختلف القبائل للدخول في طاعة الموحدين وقطع الدعوة للمرابطين ، وتوضح بعض الرسائل الأخرى مدى تأليب وتحريض المهدي لأتباعه لقتال المرابطين الذين احل دماءهم وأموالهم واعتبر قتالهم جهادا .

-	أخبار المهدي ، ص 11	-	المهدي	الأمير علي بن يوسف المرابطي	-	اتهام المرابطين بالظلم وبان دماءهم وأموالهم حلال	(بعد البسملة والتصلية) « من القائم بدين الله العامل بسنة رسول الله ... إلى المغرور بدنياه...»	
-	نفس المصدر ص 11 - 12	-	المهدي	جماعة الملثمين الزراكنة بالسوس	-	تهديد لأهل سوس وجيرانهم كزولة لكست ولمطة وأهل القبلة كافة	(بعد البسملة والتصلية) « من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي ... إلى الفئة الباغية ... »	
-	نفس المصدر ص 13	-	المهدي	إحدى القبائل الموحدية	-	لعلها تتعلق « بالتمييز » أي تمييز الفاسد من المصلح	(بعد البسملة والتصلية) « من محمد بن عبد الله (...) »	تأتي بعدها رسالة « الفصول » وهي نفسها رقم 6 م ٠ ج
2(م ج.)	اعز ما يطلب خ ع	-	المهدي	جماعة الموحدين	-	حث كزولة على التخلي عن دعوة المرابطين وتذكيرهم برسالة المهدي (م ج / 2)	(بعد البسملة والتصلية) « سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فانا نحمد... »	أوراق المخطوط سيئة الترتيب

رسائل الإمام المهدي والخليفة عبد المؤمن ، نشر : احمد عزاوي ضمن رسائل موحدية ، ص ص 236-237.

الملحق رقم 15

رسالة سير إلى علي بن يوسف اثر فتح شنترين [1]

"أدام الله أمر أمير المسلمين و ناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين خافقة بنصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الأقاليم أقلامه ، من داخل مدينة شنترين وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ويمن نقيبتك على المسلمين .

والحمد لله رب العالمين حمدا يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ويسبق الألحاظ الطامحة أدناه لا يرد وجهه نكوص ، ولا يحدُّ كنهه تخصيصٌ ولا يحزره بقبض ولا ببسط مثال ولا تخمين ، ولا تحصره بخط ولا بعقد شمالٌ ولا يمين ، ولا يسعه أمد يحويه ولا يقطعه ابد يستوفيه ولا يجمعه عدد يحصيه إذا سبقت هواديه لحقت تواليه.

وعلى محمد عبده وأمين وحيه الصادع بأمره ونهيه ، نظام الأمة وإمام الأئمة سرَّ آدم من بنيه ، وفخر العالم ومن فيه– صلاة تامة نقضيها ، وتحية عامة نؤديها ترفضُّ ارفضاض الزهر من كُمامه وتنفضُّ انفضاض المسك من ختامه ، فلقد صدع بتوحيده وجمع على وعده ووعيده وأوضح الحق وجلاه ، ونصح الخلق وهداه إلا من حقت عليه كلمة العذاب وسبقت له الشقوة في أم الكتاب.

واظهر العزيز– عزت أسماؤه وجلت كبرياؤه– دينه على جميع الأديان على رغم من صلبان ووقم (أي التسكين والقهر) من الأوثان وأنجز لنا– تعالى– وعده ونصرنا معه– صلى الله عليه وسلم– وبعده وجمع في هذه الجزيرة شمل الإسلام بعد انصرامه وانبتاته وقطع غيل الإشراك

[1] – تبين هذه الرسالة مجريات فتح قلعة شنترين من لدن القوات المرابطية وتصف وصفا دقيق تفاصيل الفتح .

بعد انتصابه وثباته ، وانزل الذين كفروا من أهل الكتاب بأيدينا من صياصيهم نأخذ بأقدامهم ونواصيهم [1] .

وكانت قلعة شنترين– أدام الله أمر المسلمين– من أحصن المعاقل للمشركين واثبت المعاقل على المسلمين فلم نزل بسعيك الذي اقتفيناه وهدديك الذي اكتفيناه نخضد شوكتها وننحت أثلتها (أي أصلها) ، ونتناولها عَلَلاً بعد نهل ونطاولها عجلا في مهل ، نخرف الحين بعد حين سَراةَ رجالها ، ونتطرف المرة بعد المرة حماة أبطالها ونخوض غمار كفاحهم وبحار صفاحهم إلى بسط أشباحهم وقبض أرواحهم ونهدي للقنا وصدورها رؤوسهم ، والى لظى سعيرها نفوسهم وننقلهم من الشفار اليمانية الى النار الحامية ونرفع بالجد والتشمير حجاب كيدهم الغامض ونضعضع باستخارة القديم القدير هضاب أيدهم (الايد هو القوة) الهائض . ولما رأينا القلعة الشريفة المناسب في القلاع المنيفة المناصب على البقاع قد استشرى داؤها واعيا دوائها استخرنا [2] الله تعالى على صمدها وضرعنا إليه في تسهيل قصدها وسألناه ألا يكلنا إلى نفوسنا ، وان كانت في صيانة ديانته مبذولة ، وعلى المكروه والمحبوب في ذاته محمولة ، فقصدنا إليها وهجمنا هجوم الردى عليها في وقت انسدت فيه أبواب السبل وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحِيَل والدهر قد كشر عن أنيابه العُصل (اي القوية) ، وقام من الوحول والسيول على اثبت رجل فنزلنا بساحة القوم فساء صباحهم ذلك اليوم فلم نزل نُصاولهم مصاولة المحتسب المؤتجر ، ونطاولهم مطاولة المرتقب لأمر الله المنتظر ، ونشن غارات على جميع الجهات ، فترِدُ جيوشنا عليهم خفافا وتصدر إلينا ثقالا فتملا صدور الأعداء أوجالا ،

---

[1] – يبدو من خلال الرسالة ان النصر كان كبيرا والهزيمة على النصارى كانت مذلة .

[2] – يظهر لنا مدى تدين القائد سير الذي فتح القلعة من خلال استخارته لله في أموره وتوكله عليه وهذا ما لمسناه لدى القادة المرابطين في فتوحاتهم .

وأيدي الأولياء أموالا [1] وأمرنا بإقامة سوق سبيهم وأموالهم على مرأى ومسمع من نسائهم ورجالهم فازدادت ريحهم بذلك ركودا ونارهم خمودا.

ولما ضمهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيهم بتفريق أمواجه البوار ، وأحاط بهم البلاء واستشاط عليهم بغضب الجبار القضاء ، ولم يكن ليل بأسائهم سحرٌ يتأمل ، ولا لورد ضَّرائهم صدرُ يُؤمَّل ، اختاروا الدنية على المنية ، ورضوا بالاستسلام للعبودية ، وإسلام الأهل والذرية ، والسلامة من مدارج الكفن وموالج الجنن (القبر) ، ولو بجُريعة الذقن ، وكان القتل كما قدمنا قد أتى على صيد أعيانهم وصناديد فرسانهم ، فلم تبق إلا شرذمة قليلة وعصبة ذليلة ، لا تضر حياتهم موحدا ، ولا تسرُّ نجاتهم ملحدا ، نقلناهم من يمين المنون إلى شمال الهون ، ومن اليم الحصار إلى لئيم الإسار ، وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم بعد أن قدَّموا من الخضوع صدقة بين يدي نجواهم ، ووهبنا أولاهم لأخراهم ، وجعلنا العفو عنهم تطريقا لسواهم ، ممن يتقيَّل صنيعهم إذا نحن غدا بإذن الله حاصرناهم.

وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها واستولينا على أقطارها ، أرحب المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلدا في السنين ، لا يريمها الخصب ولا يتخطاها ، ولا يرومها الجدب ولا يتعاطاها ، فروعها فوق الثريا شامخة ، وعروقها تحت الثرى راسخة تباهي بأزهارها نجوم السَّماء ، وتناجي بأسرارها أذن الجوزا ، مواقع القطار في سواها مغبرة مزبدة ، وهي زاهرة ترف انداؤها ، ومطالع الأنوار في حشاها مقشعرة مسودة ، وهي ناظرة تشف أضواؤها ، وكانت في الزمن الغابر أعيت على عظيم القياصر ، فنازلها بأكثر من القطر عددا ، وحاولها بأوفر من البحر مددا ، فأبت على طاعته كل الإباء ، واستعصت على استطاعته اشد الاستعصاء ومردت مرود مارد على الزباء [2] ، فأمكننا الله تعالى من ذروتها ، وانزل ركابها لنا عن صهوتها" .

---

[1] - يبدو أن الغنائم التي استحوذ عليها المسلمون كانت كبيرة وهو ما زاد النصارى أسى وخيبة .

[2] - يتضح من خلال الرسالة أن قلعة شنترين كانت عصية بمنعتها وحصانتها .

المصدر : عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص ص 116-118 .

ملحق رقم 16

رسالة قاضي سرقسطة إلى الأمير أبي الطاهر تميم لما حاصرها ابن ردمير[1]

.

« من ملتزمي طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله وجماعة سرقسطة ... كتابنا أيدك الله بتقواه ووفقك الله ... بمجاهدة عداه ... فنحن في كرب عظيم ، وجهد اليم ، قد حل العزا والخطب ، وأظلنا الهلاك والعطب ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه إلى الله ... وياللاسلام ، لقد انتهك حماه ...ويا ويلاه على مسجد جامعها المكرم ، وقد كان مأنوسا بتلاوة القرآن العظيم ،تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها ، ويأملون أن يدنسوه بقبيح آثامها ، ويعمروه بعبادة أصنامها ، ويتخذوه مطاعن لخنازيرها ومواطن لخماراتها ومواخيرها ، ثم ياحسرتاه على نسوة مكنونات عذارى ، يعدن في أوثاق الأسارى ، وعلى رجال أضحوا حيارى ، بل هم سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن الكرب الذي دهمهم شديد ، والضر الذي مسهم عظيم جهيد ... فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور ... فإلى الله بك المشتكا ، ثم إلى رسوله المصطفى ، ثم إلى ولي عهده أمير المسلمين المرتضى ، حين ابتعثك بأجناده ، وأمدك بالجم الغفير من أعداده ، نادبا لك ، إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده ، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته ، والمتحملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة في جنب

[1] تبين هذه الوثيقة مدى تطاول النصارى على مقدسات المسلمين حيث ساءت أحوالهم بعد سقوط إحدى أهم قلاع الإسلام في الأندلس ألا وهي سرقسطة سنة 512هـ/1118م حينها أرسل قاضي سرقسطة بهذه الرسالة لدولة المرابطين للاستنجاد بهم وطلب مساعدتهم لدحر جيوش الكفر .

موالاته ومشايعته ، من امة قد نهكهم الم الجوع ، وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع ، قد برح بهم الحصار ، وقعدت عن نصرتهم الأنصار ، فترى الأطفال بل الرجال جوعا يجرون ، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ، ويتمنون مقدمك بل يتضرعون ، حتى كأنك قلت اخسئوا فيها ولا تكلمون ، وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه ، على مقربة من هذه الحضرة ، ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة ، بتلك العساكر التي اقر العيون بهاؤها ، وسر النفوس زهاؤها فسرعان ما انثنيت وما انتهيت ... خائبا عن اللقاء ، ناكصا على عقبيك عن الأعداء ، فما أوليتنا عناء بل زدتنا بلاء وعلى الداء داء ، بل أدواء ، وتناهت بنا الحال جهدا والتواء ، بل أذللت الإسلام والمسلمين ، واجترأت فضيحة الدنيا والدين ، فيا لله ويا للإسلام ، لقد اهتضم حرمه وحماه اشد الاهتضام ، إذا أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام ، ونكصت عن لقاء عدوه وهو في فئة قليلة ، ولمة رذيلة ، وطائفة كليلة ، يستنصر بالصلبان ، والأصنام ، وانتم تستنصرون بشعار الإسلام ، وكلمة الله هي العليا ويده الطولا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ... أتحسبون يا معشر المرابطين ، وإخواننا في ذات الله المؤمنين ، إن سبق على سرقسطة القدر ، بما يتوقع منه المكروه والحذر ، إنكم تبلغون بعدها ريقا ، وتجدون في سائر بلاد الأندلس عصمها الله ، مسلكا من النجاة أو طريقا ، كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفرارا ، وليخرجنكم منها دارا فدارا ، فسرقسطة حرسها الله ، هي السد الذي إن فتق ، فتقت بعده أسداد ، والبلد الذي إن استبيح لأعداء الله ، استبيحت له أقطار وبلاد ، فالآن أيها الأمير الأجل ، هذه أبواب الجنة قد فتحت ، وأعلام الفتح قد طلعت ، فالمنية ولا الدنية ، والنار ولا العار ، فأين النفوس الأبية ، وأين الأنفة والحمية ، وأين الهمم المرابطية ، فلتقدح عن زنادها بانتضاء حدها ، وامتضاء جدها واجتهادها ، وملاقاة أعداء الله وجهادها ، فان حزب الله هم الغالبون ، وقد ضمن تعالى لمن

يجاهد في سبيله أن ينصره ، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره ، فما هذا أيها الأمير الأجل ، ألا ترغب في رضوانه ، واشترا جنانه ، بمقارعة حزب شيطانه ، والدفاع عن أهل إيمانه ، فاستعن بالله على عدوه وحربه ، واعمد ببصيرة في ذات الله إلى إخوان الشيطان وحزبه ... ولن يسعك عند الله ولا عند مؤمن ، عذر في التأخر ...ونحن مؤمنون ، بل موقنون إجابتك إلى نصرتنا ، وإعدادك إلى الدفاع عن حضرتنا ، وانك لا تتأخر عن تلبية ندائنا ... فاقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة ، عصمها الله ، ليخرج الجميع عنها ، ويبرأ إلى العدو وقمه الله منها ، ولا تتأخر كيفما كان طرفة عين ، فالأمر أضيق ، والحال أزهق ، فعد بنا عن المطل والتسويف ، فبل وقوع المكروه والخوف ، وإلا انتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا ، والمسئولون عن صبيتنا وأطفالنا ، لإحجامكم عن أعدائنا ، وتثبطكم عن إجابة ندائنا ، وهذه حال نعيذك أيها الأمير عنها ، فإنها تحملك العار ما لم تحمله أحدا ، وتورثك وجميع المرابطين الخزي أبدا ، فالله الله اتقوه ، وأيدوا دينه وانصروه ، فقد تعين عليكم جهاد الكفار ، والذب عن الحرم والديار...ومهما تأخرتم عن نصرتنا ، فالله ولي الثار لنا منكم ، ورب الانتقام ، وقد بريتم بإسلامنا للأعداء ، من نصر الإسلام ، وعند الله لنا لطف خفي ، ومن رحمته ينزل الصنع الخفي ، ويغنينا الله عنكم ، وهو الغني الحميد ، ومن محتملي كتابنا هذا ، وهم ثقاتنا تقف من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب ، ولا استوعبه الإطناب بمنه ، وله أتم الطول في الإصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » .

عبد الله عنان : دولة الإسلام بالأندلس ، ص .ص 538 – 541 .

ملحق رقم 17

رسالة أمير المرابطين علي بن يوسف إلى الأمير أبو محمد بن أبي بكر اثر هزيمة القلاعة 523هـ/1129م[1].

«كتابنا وفق الله رأيك وحسن هديك ، ولا أمال عن الهدى والرشد سعيك ، من حضرة مراكش حرسها الله في السابع من شعبان المكرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وقبله وافى كتابك تذكر فيه الميلة التي كانت للعدو – دمره الله – عليك في اليوم الذي واجهتموه فيه ، بعد أن كان لكم صدره وأتيح لكم نصره ، فأواخر الأمور أبدا أوكد واهم ، والعواقب هي التي تحمد أو تذم ، وإذا حسنت خواتم الأعمال فالصنع أبهى وأتم ، وان لسان العذر بتلك الحال لقصير ، وان الله على ذلك المشهد المضيع لمطلع بصير ، توافقتم مع عدوكم ، وانتم أوفر منه عدة وأكثر جمعا ، وأحرى أن تكونوا اشد على حريمكم منعا ، وأقوى دونه دفعا ، فثبت وزللتم ، وجد ونكلتم ، وشد عقد عزيمته وحللتم ، وكنتم في تلك الواقعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد ، وقد كانت نصبة توليكم بين يديه بشيعة هائلة ، ودعامتكم لولا انثناؤه عنكم مائلة ، فشغله عنكم من غررتموه من الرجل الذي أسلمتموه للقتل ، وقررتم ، ونصبتموهم دريئة للرماح ، ثم طردتم ، ولولا مكان من أوردتموه من المسلمين ولم تصدروه ، وخذلتموه من المجاهدين ولم تنصروه ، لانكشف دون ذلك الرماح جنتكم ووقاؤكم ، وأصيبت بها ظهوركم وأقفاؤكم ، عاقبكم الله بما انتم أهله ، فانتم أشجع الناس أقفاء وظهورا وأجبنهم وجوها ونحورا ،

[1] تؤكد لنا هذه الوثيقة مرة أخرى مدى غيرة علي بن يوسف على الإسلام والمسلمين ويتضح ذلك من خلال مدي حصرته على انهزام المسلمين في موقعة القلاعة 523هـ / 1129 م ، وتأنيبه للقائمين على جيوش الإسلام في هذه المعركة .

ليس بكم من تدفع به كريهة ، ولا عندكم في الرشد روية ولا بديهة ، فمتى وأي وقت تفلحون ؟ ولأي شيء بعد ذلك تصلحون ؟ ونحمد الله عز وجهه كثيرا ، فقد دفع بفضله الأهم الأكبر ، وأجرى بأكثر السلامة القدر ، فاكشفوا بعد أغطية أبصاركم وقصر واحل اغترارکم والبسوا منه جنة حذاركم ، واعلموا أن وراء مجازاتنا إياكم جزاء توفونه ويوما عصيبا تلقونه ، فكونوا بعد هذه الهنأة لداعي الرشد بين مطيع وسامع ، ومن كلمة الاتفاق والتآلف على أمر جامع فإنكم لو خلصت عيوبكم حسنت سريرتكم ، واطمأنت على التقوى قلوبكم ، لظهر أمركم وعلا حدكم ، ولما ذهبت ريحكم ولا اخل جدكم ، فتوخوا في سبيل الله وطاعته اخلص النيات واصدق العزمات ، واثبتوا أحسن الثبات ، وكونوا من الحذر والتقوى على مثل ليلة البيات ، وقد ذكر أن للعدو دمره الله مددا يأتيه من خلفه ، والله يقطع به ، فلتضعوا على مالكه عيونا تكلأ ، ولتكن آذانكم مصيخة لما يطرأ ، فان كان له مدد كما ذكر قطعتم به السبيل دون لحاقه ، وأقمتم الحزم على ساقه ، والله تعالى يفتح لكم فيهم الأبواب ، ويأخذ بأزمتكم إلى الصواب ، انه الحميد المجيد ، لا اله غيره ».

حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص .ص 51 – 52 .

ملحق رقم 18

بعض رسائل ابن عربي إلى الحكم بن برجان [16]

رسالة 01

الفقيه الفاضل أبو الحكم كبيري أدام الله توفيقه معظم حقه البر به احمد بن محمد ، من لو وجد سبيلا لأتخذ في ذالك الكنف مقيلا ، وان قرب عملا لما صنيعه أملا ، ولأمر ما أقام الباري سبحانه صحيح النية في كل الجهات صحيح العمل ، ولله الحمد والشكر على كل النعم باطنا وظاهرا عني وعن كل شيء بالحال وبكل شيء وأعوذ بالله من نعمة في طيها مكر ونعم المعاذ من كل مكروه.

رسالة 02

الله ولي الشيخ الفاضل الإمام أبي الحكم وحافظه من البرية وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قد كان من أملي قرب الدار وكر المزار فمنعت الأقدار [17] ولا أدري أفي طيها الأعذار أم الأوزار والرب يعلم ما يفعل ويعفو عن كثير.

---

[16] – هذه رسائل متبادلة بين بعض أقطاب المريدين وهي موجهة من ابن العريف إلى ابن برجان ، والتي توحي على مدى الاحترام المتبادل بينهما ، وفي بعضها الآخر توحي إلى أن الأقدار فرقتهما وصار اللقاء صعبا ، وهو ربما ما يوحي إلى التضييق المرابطي على أقطاب حركة المريدين في المرحلة السرية من الثورة والله اعلم .

[17] – من مضمون الرسالة يبدو أن التواصل كان صعبا بين زعماء حركة المريدين ، لذلك اضطروا إلى المراسلات ، وهذا – في رأينا– يشير إلى كثر الرقابة من لدن سلطات المرابطين على أقطاب هذا الحركة كما أسلفنا في تفصيل هذه المرحلة في بحثنا .

شكايتي التي شكوتها إلى الشيخ الإمام قديما بحالها وأعجب شيء فيها أني عرفت الداء والدواء منذ أربعين سنة أو نحوها فما توانيت ولا تداويت فالأحوال في الظواهر مجتمعة والأعذار في الحقيقة منقطعة .

فأرغب أن أخلو من بال الشيخ ودعائه في التوبة صالحة صادقة وفراغ لإقامة فرض شافع نافع . فتح الله لي مبَرَّتَك ونفعني بمعرفتك ومحبتك برحمته.

رسالة 03

الله ولي الفقيه الإمام أبي الحكم شيخي وكبيري ، ورحمة الله وبركاته عليه ، من المقتبس منه المتطلع إلى ما لديه عبد الله الضعيف أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات لله وسلامه على محمد رسوله ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيري بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك ، واجعله لمعالم طهارات النفوس زماما ، ولأعلام الهدايات إماما وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه ونهايتها إليه.

كان من همي أن يصل كتاب الشيخ واحدي نظرا ، ومتقدمي تسليما ومعتبرا ، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها وتورثها الحياء من مولاها فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه وإعلامه بالمحبة والمودة لي.

وكل ذلك من أثار ما سألته جل اسمه فيه ولم يكن عينه فاني كنت آمل إشارة من إشاراته علمي أو عملية ، ولقد أشكل علي إشكالا باب من قبول البيان تفصيلا وإجمالا : كيف يداوي السكران أو يداوى وسكره غالبه ، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه؟.

اللهم إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه وجود لا قدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور.

اللهم سترك لطافح السكر من حب الدنيا ، ميت الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى ، ليس له سواك رب يتولاه ، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملاه وغلبه هواه.

فإذا أزعجه إليك ما عندك من الجود ، أزعجه عنك ما عنده من قبيح الوجود فارحم وتجاوز عما تعلم ، وافتح قلوبا قاسية بمفاتيح العناية فتحا ننظر به إليك ونستحي منك.

وأنت يا إمامي بحرمة الشيب اذكرني إذا رقدت عند من له رقدت احبك الذي أحببتني له.

والسلام ومعاد مكرر عليك ورحمة الله و بركاته.

ابن العريف :مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ص ص 108-110 .

البيليوغرافيا :

* القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم) .

* الحديث النبوي الشريف .

01 - المصادر العربية :

* ابن الأبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي(ت 658 هـ 1260 م) :

1-**الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، الجزء الأول .

2-**أعتاب الكتاب** ، تحقيق : صالح الأشتر ، ط 1 ، منشورات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1961 .

3-**درر السمط في خبر السبط** ، تحقيق : عبد السلام الهراس و سعيد احمد أعراب ، (نشر ضمن مجلة الموسم) ، مجلة الموسم ، 1992 ، (د.م) ، العدد 13.

4-**المقتضب من كتاب تحفة القادم** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، المكتبة الأميرية ، القاهرة ، 1957 .

5-**التكملة لكتاب الصلة** ، نشرة ابن أبي شنب ، مطبعة فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1919 .

6-**المعجم في أصحاب القاضي الصدفي** ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط 1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 .

* ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت 630 هـ/ 1233 م):

7-**الكامل في التاريخ** ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، الأجزاء 8 ، 9 .

* ابن الأحمر ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري (ت 810 هـ/ 1407 م) :

8-**بيوتات فاس** ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972 .

* الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني السبتي (ت 560 هـ/ 1165م) :

9-**المغرب وارض السودان ومصر والأندلس** – مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – ، طبعة ليدن ، 1866 .

*الادفوي ، الإمام كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب المصري (ت 748 هـ/ 1347م) :

10-**الموفي بمعرفة التصوف والصوفي** ، تحقيق : محمد عيسى صالحية ، ط 1 ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، 1988 .

* الأزدي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت 613 هـ / 1216 م) :

11-**أخبار الدول المنقطعة** ، تحقيق : عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، ط 1 ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1999 ، الجزء 2 .

*الالوسي ، شهاب الدين السيد محمود :

12-**روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ج 10 .

*البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت 256 هـ / 870 م)

13-**صحيح البخاري** ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط 1 ، دار طوق النجاة ، د . م ، 1422 هـ ، ج 1 .

*ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف (ت 463 هـ /1070م)

14-**جامع بيان العلم وفضله** ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، 1994 ، ج 1 .

* البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت 429 هـ/ 1028 م):

15-**الفرق بين الفرق** ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا، القاهرة ، د . ت .

* البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ /1094 م) :
16–المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت .
* ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني (ت 542 هـ / 1148 م) :
17–الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1997 ، المجلد 2 .
* ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي(ت 578 هـ/1182 م):
18–الصلة ، **تحقيق** : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1990 . ج 3 .
*أبو بكر بن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي (ت 543 هـ / 1148م) :
19–العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ط 1 ، مكتبة السنة ، القاهرة ، 1405 هـ
* ابن بلكين ، الأمير عبد الله بن بلكين الزيري ،(كان حياً سنة 483 هـ / 1090 م) :
20–مذكرات الأمير عبد الله – المسماة كتاب التبيان – ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .
* البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 555 هـ / 1160 م) :
21–أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 .
22–المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 .
*التادلي ، احمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الشعبي الهروي (ت 1013 هـ /1604م) :

23-**كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى** ، تحقيقي : علي الجاوي ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1996 ،

* التادلي ، أبو يعقوب يوسف بن يحي (ت 628 هـ . / 1230 م) :

24-**التشوف إلى رجال التصوف** ، تحقيق : احمد التوفيق ، ط 2 ، منشورات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1997 .

* ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، (ت 874 هـ / 1469 م) :

25-**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تحقيق : محمد شمس الدين ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، الجزء 5 .

* التنبكتي ، أبو العباس احمد بابا بن احمد الصنهاجي الماسي (ت 1036 هـ / 1627 م) :

26-**نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط 1 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989 ، الجزء 1 ، 2 .

* ابن تومرت ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي السوسي (ت 524 هـ / 1130 م) :

27-**اعز ما يطلب** ، تحقيق : عبد الغني أبو العزم ، مؤسسة الغني للنشر ، الرباط ، 1997 .

*التيطلي ، بن يامين بن يونة النباري الأندلسي (رحلته بين سنتي 561 – 569 هـ / 1165 – 1173 م) :

28-**رحلة بنيامين التيطلي** ، ترجمة وتعليق : عزرا حداد ، دراسة وتقديم : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط 1 ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2002 .

*ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1327م):

29-**منهاج السنة النبوية** ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط 1 ، د.ن ، د.م ، 1986 ، ج1 .

30-**مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية** ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم و ابنه محمد ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، 1415هـ ، مجلد 11 .

* الجزنائي ، أبو الحسن علي الفاسي (كان حياً 766 هـ / 1365 م) :

31–جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط 3 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2008 .

* ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد(ت 597 هـ/1200 م) :

32–المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، الجزء 5 .

*الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت 393 هـ/1003م) :

33–الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية – ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990 ، مجلد 5.

*أبو حامد الغرناطي ، عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الأندلسي (ت 565هـ/1169م) :

34–تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ط 1 ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، المغرب الأقصى ، 1993 .

* ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد الفارسي القرطبي (ت 456 هـ / 1064 م) :

35–جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 .

36–الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمان عميرة ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 ، ج 5 .

*الحكيم ، أبو الحسن علي بن يوسف (القرن 8 هـ) :

37–الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق : حسين مؤنس ، منشور ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد السادس ، العددان 1 و 2 ، مدريد ، 1958 .

* الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ/1229 م):

38–معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، الأجزاء 2 ، 3 ، 5 .

* الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 727 هـ / 1327 م) :

39-الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1957 .

40-صفة جزيرة الأندلس – منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار – ، تحقيقي : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار الجيل : بيروت ، 1988 .

* ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت 380 هـ 990 م) :

41-صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 .

* ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي(ت529 هـ / 1135 م) :

42-مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملمح أهل الأندلس ، تحقيق : محمد علي شوابكة ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983 .

43-قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق : حسين يوسف خريوش ، ط 1 ، مكتبة المنار ، الزرقاء – الأردن – ، 1989 .

* ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 913 م):

44-المسالك والممالك ، تحقيق : دي غوية ، طبعة ليدن ، 1889 .

* الخشني ، أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني ثم القرطبي(ت364 هـ/975 م):

45-قضاة قرطبة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 .

* ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي(ت 776هـ / 1375 م) :

46-أعمال الأعلام - فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 .

47-الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، ط 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977 ، الجزآن 1 ، 4 .

48-خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2003 .

49-رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس ، 1898 .

50-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 .

51-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، تحقيق : السعدية فاغية ، مطبعة الجديدة ، الدار البيضاء (المغرب الاقصى) ، 1989 ، ج 3 .

* ابن خفاجة ، أبو إسحاق إبراهيم (ت 533 هـ / 1138 م) :

52-ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : عبد الله سنده ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2006 .

* ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي(ت 808 هـ / 1405 م):

53-تاريخ ابن خلدون - المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - ، تحقيق : خليل شحادة و سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، الجزء 4 - 6.

54-رحلة ابن خلدون ، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها : محمد بن تاويت الطنجي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 .

55-مزيل الملام عن حكام الأنام – رسالة ابن خلدون للقضاة – ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم احمد ، ط 1 ، دار الوطن ، الرياض ، 1417 هـ

56-المقدمة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، ط 1 ، دار يعرب ، دمشق ، 2004 .

* ابن خلكان ، أبو العباس احمد بن محمد، البرمكي(ت 681 هـ/ 1282) :

57-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، الأجزاء 3 ، 4، 5 ، 7.

* الخوارزمي ، أبو بكر جمال الدين (ت 232 هـ / 846 م) :

58-السلطان وأسرار الوزارة ، تحقيق : السحاب احمد الطحان ، ط 1 ، دار الكلمة ، مصر ، 2001 .

* الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد القيرواني (ت 699 هـ 1299 م):

59-معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1978 ، الجزء 3 .

* ابن دحية ، ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633 هـ / 1235 م) :

60-**المطرب من أشعار أهل المغرب** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري وآخرون ، دار العلم ، بيروت ، د . ت .

*ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/ 933م) :

61-**كتاب جمهرة اللغة** ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ،ط 1 ، دار العلم للملايين ،بيروت، 1987 ، ج 1 ،ج 2 .

* ابن الدلائي ، احمد بن عمر بن انس العذري (ت 478 هـ / 1085 م) :

62-**نصوص عن الأندلس** - من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك - ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية مدريد ، د.ت.

* الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت 713 هـ / 1313 م) :

63-**كنز الدرر وجامع الغرر** – قسم الفاطميين المسمى : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية - ، تحقيق : صلاح المنجد ، منشورات المعهد الألماني للآثار ، القاهرة ، 1961 .

64-**كنز الدرر وجامع الغرر** – قسم الأيوبيين المسمى : الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب - ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، منشورات المعهد الألماني للآثار ، القاهرة ، 1972 .

* ابن أبي دينار ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (كان حياً سنة 1092 هـ / 1681 م) :

65-**المؤنس في أخبار افريقية** وتونس ، طبعة تونس ،1869 .

* الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد التركماني الدمشقي(ت748 هـ/1348م) :

66-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993 ، الجزء 6 .

67-**دول الإسلام** ، تحقيق : حسن إسماعيل مروة ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1999 ، الجزء 1 .

68-**العبر في خبر من غبر** ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، 1960 ، ج4 .

69-سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنئوط و محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، الجزء 19 ، 20 .

70-رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق : موسى بن سليمان الدويش ، ط 1 ، إصدارات وزارة الإعلام السعودية ، المدينة المنورة ، 1410 هـ .

71-رسائل مرابطية ، نشر : سعيد احمد أعراب ، مجلة دعوة الحق ، 1985 ، الرباط ، العدد 245 .

* الرشاطي ، أبو محمد (ت 542 هـ / 1147 م) و الاشبيلي ، ابن الخراط (ت 581 هـ / 1186 م) :

72-الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق : ايميليو مولينا و خاثينتو بوسك بيلا ، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي - ، مدريد ، 1990 .

*ابن زاكور ، محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي(ت 1120هـ/ 1708 م):

73-نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2011

*الزجالي ، أبو يحي عبيد الله بن احمد القرطبي (ت 694 هـ/ 1294م) :

74-أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق : محمد بن شريفة ، مطبعة محمد الخامس ، فاس ، 1975 ، ج2 .

* ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(كان حياً سنة726هـ/ 1326م):

75-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 .

* الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حياً سنة 894 هـ / 1489 م) :

76-تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 .

*ابن زكريا ، أبو الحسن احمد بن فارس (ت395هـ/1005م) :

77- **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (د.م) ، 1979 ، ج1 ، ج2 ، ج 3.

*الزهري : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن 6 هـ)

78- **كتاب الجعرافية** ، تحقيق : محمد الحاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد،د.ت .

*السبتي ، أبو العباس احمد العزفي (ت 633 هـ) :

79- **إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد** ، تحقيق : محمد الشريف ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1999 ، ج 1 .

* ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت685 هـ/1286م) :

80- **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ط 1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970 .

81- **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995 ، الجزء 1 - 2 .

82- **كتاب بسط الأرض في الطول والعرض** ، تحقيق : خوان قرنيط خينيس ، مطبعة كريماديس ، تيطوان (المغرب الأقصى) ، 1958 .

*ابن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز (ت 660 هـ / 1262م) :

83- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز** ، تحقيق : احمد عبد الرحيم السايح و توفيق علي وهبة ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2009 .

* السلسلة الأندلسية - مجموعة فتاوى علماء غرناطة - :

84- **فتاوى قاضي الجماعة أبو القاسم بن سراج الأندلسي** (المتوفى 848 هـ /1444 م) ، تحقيق : محمد أبو الأجفان ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، 2000 .

*السملالي ، العباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم المراكشي

85- **الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام** ، عبد الوهاب بن منصور ، ط 3 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993 ،الجزآن 3 و 10 .

*الشعراني ، أبو المواهب عبد الوهاب (ت 973هـ/1565م) :

86-الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تحقيق : طه عبد الباقي سرور و السيد محمد عيد الشافعي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1988 ، ج 1 .

* الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 584 هـ / 1153 م) :

87-الملل والنحل ، تحقيق : أمير علي مهنا و علي حسن فاعور ، ط 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1993 .

*الصاحب ، كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن احمد بن ادريس الطالقاني الاصبهاني (ت385هـ / 995م) :

88-المحيط في اللغة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مؤسسة عالم الكتاب ، (د.م) ، (د.ت) ، ج 3 ، ج 4 .

* ابن صاحب الصلاة ، أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي(ت594 هـ/1198م) :

89-تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، ط 3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 .

*ابن صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن احمد (ت 462 هـ / 1070م) :

90-طبقات الأمم ، نشر: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1912 .

*ابن الصباح الأندلسي ، الحاج عبد الله (ت ق 9 هـ / ق 15 م):

91-الرحلة الحجازية – المسماة نسبة الإخبار وتذكرة الأخيار– ، تحقيق : جمعة شيخة ، منشورة ضمن مجلة دراسات أندلسية ، 2011 ، تونس ، العددان 45-46 (عدد خاص) .

* الصفدي ، أبو الصفا خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1363 م) :

92-الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط و تركي مصطفى ، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000 ، الجزء 29 .

*ابن أبي الصلت ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (ت 528 هـ / 1134 م) :

93-الرسالة المصرية ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1951 .

* الضبي ، احمد بن يحي بن احمد بن عميرة (ت 599 هـ / 1202 م) :

94-بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 .

* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م) :

95-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، الجزء 7 .

* الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري (ت 520 هـ / 1126 م) :

96-سراج لملوك ، طبعة القاهرة ، 1872 .

*ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م):

97-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

*العبدري ، محمد بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود (ت 720 هـ/ 1320 م) :

98-الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، بونة ، الجزائر ، 2008 .

* ابن عذاري ، أبوالعباس احمد بن محمد المراكشي(كان حياً سنة712هـ/ 1312م):

99-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

أ – الأجزاء الثلاثة الأولى ، تحقيق : ليفي بروفنسال و ج. كولان ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 .

ب – الجزء الرابع (قسم المرابطين) ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 .

ج – الجزء الخامس (قسم الموحدين) ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 .

* أبو العرب ، محمد بن احمد التميمي القيرواني (ت 333 هـ / 945 م) :

100-طبقات علماء افريقية ، تحقيق : محمد بن أبي شنب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 .

*ابن عربي ، محي الدين أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي المرسي ، ت بعد 638 هـ/1240 م :

101-رسائل ابن عربي - شرح مبتدأ الطوفان و رسائل أخرى - ، تحقيق : قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، ط 1 ، أبو ظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، 1998 .

102-شجون المسجون وفنون المفتون ، تحقيق : علي إبراهيم كردي ، ط 2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005 .

103-شرح كتاب خلع النعلين ، دراسة وتحقيق : محمد الامراني ، ط 1 ، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش ، 2013 .

*ابن العريف ، أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، أبو العباس (536 هـ / 1141 م) :

104-مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، تحقيق : عصمت عبد اللطيف دندش ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 .

105-كتاب النفائس ومحاسن المجالس ، أخرجه وقدم له : نهاد خياطة ، (نشر ضمن مجلة المورد) ، مجلة المورد ، 1980 ،(د.م) ، العدد الرابع ، المجلد 9 .

* ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد الصالحي (ت1089 هـ/ 1678 م) :

106-شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986 ، الجزء 6 .

* ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت 580 هـ / 1184 م) :

107-الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، ط 1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1999 .

*ابن عياض ، أبو عبد الله محمد (ت 575 هـ / 1179 م):

108-التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق : محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ، (د.م) ، (د.ت) .

* عياض ، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ / 1149 م) :

109-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ضبط وتصحيح : محمد سالم هشام ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، الجزء 2 .

110-**الغنية – فهرست شيوخ القاضي عياض** - ، تحقيق : ماهر زهير جرار ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي : بيروت ، 1982 .

* ابن غازي ، أبو عبد الله محمد بن احمد الكتامي المكناسي (ت 919 هـ / 1513 م) :

111-**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، الرباط ، 1952 .

*ابن غالب الأندلسي ، محمد بن أيوب (ت 767هـ/ 1365م) :

112-**فرحة الأنفس** (**قطعة منه**) ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، منشورة ضمن مجلة معهد المخطوطات ، 1955 ، د.م ، العدد 2 ، المجلد 1 .

* الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505 هـ / 1112 م) :

113-**إحياء علوم الدين** ، تحقيق : السحاب احمد الطحان و عبد الله المنشاوي ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 1996 ، الجزء 1 .

*الفازازي ، أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد (ت 627 هـ / 1230 م) :

114-**آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي – نصوص أدبية من القرن السابع الهجري جمعها بعض تلاميذه في حياته** – ، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط 1 ، دار قتيبة ، بيروت ، 1991 .

* الفاسي ، عبد القادر بن علي بن يوسف (ت 1091 هـ / 1679 م) :

115-**رسالتان في الإمامة العظمى** ، تحقيق : هشام بن محمد حيجر الحسني ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 .

* الفاسي ، عبد الكبير بن المجدوب (ت 1295 هـ / 1878 م) و الخطيب القسنطيني ، احمد بن حسن (ت 809 هـ / 1406 م) :

116-**تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين** ، تحقيق : محمد حجي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، الجزء 1 .

* ابن فرحون ، أبو الوفا إبراهيم بن علي اليعمري المدني(ت 799 هـ / 1397م) :

117-**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996 .

*القاشاني ، عبد الرزاق (ت 736 هـ / 1335 م) :

118-لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط 1 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1995 ، ج 1 ، ص 510 .

*ابن القاضي ، ابو العباس احمد بن محمد المكناسي (ت 1025 هـ / 1615م) :

119-جذوة الاقتباس – في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس – دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973 . ج 1 .

*ابن قسي ، ابو القاسم احمد بن الحسين (ت 546 هـ / 1151 م) :

120-كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين ، تحقيق : محمد الامراني ، ط 1 ، مطبعة IMBH ، آسفي (المغرب) ، 1997 .

* ابن القطان ، أبو محمد حسن بن علي الكتامي(كان حياً سنة 628 هـ/ 1231م):

121-نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 .

*ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي الدمشقي(ت 555هـ / 1160 م) :

122-تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، ط 1 ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1983 .

* القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي الفزازي المصري (ت 821 هـ / 1476 م) :

123-صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1915 ، الجزء 5 .

124-قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1982 .

* ابن قنفذ ، أبو العباس احمد بن حسن القسنطيني (ت 809 هـ / 1406 م) :

125-كتاب الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، ط 4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983.

126-انس الفقير وعز الحقير ، نشره وصححه : محمد الفاسي و أدولف فور ، مطبعة اكدال ، الرباط ، 1965 .

* ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر القوطي (ت 367 هـ / 977 م) :

127-**تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 .

*القيرواني ، أبو فارس عبد العزيز محمد (ت 750 هـ/ 1349 م) :

128-**الفتوى المالكية في أفعال الصوفية** ، تحقيق : ابو احمد علي الكندي المرر ، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع ، ابو ظبي ، 2009 .

*ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751 هـ/ 1350 م) :

129-**المنار المنيف في الصحيح والضعيف** ، تحقيق : يحي بن عبد الله الثمالي ، ط 1 ، دار علم الفوائد ، مكة المكرمة ، 1428 هـ .

* **كتاب دواوين الإنشاء الموحدية** (ق 6 – 7 هـ / 12 – 13 م) ، رسائل الإمام المهدي والخليفة عبد المؤمن ، نشرها احمد عزاوي ضمن :

130-**رسائل موحدية** - مجموعة جديدة – ، تحقيق : احمد عزاوي ، ط 1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1995 .

* ابن كثير ، أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت 774 هـ / 1372م) :

131-**البداية والنهاية** - ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم - ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، 2005 ، الجزء 8 .

*ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك بن محمد التوزري (ق 6 هـ / 12 م)

132-**الاكتفاء في اخبار الخلفاء** ، تحقيق : صالح بن عبد الله الغامدي ، ط 1 ، اصدارات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 1429 هـ / 2008 م ، ج 2 .

*الكلاباذي ، ابو بكر محمد بن إسحاق (ت 380 هـ / 989 م) :

133-**التعرف لمذهب اهل التصوف** ، تحقيق : ارثرجون اريري ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994 .

* مجهول (كان حياً سنة 587 هـ / 1191 م) :

134-الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، ط 2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 .

* مجهول (كان حياً سنة 783 هـ / 1381 م) :

135-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدر البيضاء ، 1979 .

* مجهول :

136-ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق : لويس مولينا ، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1983 .

* مجهول (كان حياً سنة 712 هـ / 1312 م) :

137-مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط 1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 .

*المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346 هـ / 956 م) :

138-مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تقديم : محمد السويدي ،إصدارات وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر ، 2007 ، ج 1.

* المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت 387 هـ / 997 م) :

139-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق : دي غويه ، ط 2 ، طبعة ليدن ، 1906 .

* المقري ، أبو العباس احمد بن محمد القرشي التلمساني(ت1041 هـ/ 1632م) :

140-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988 ، الجزء 1 – 2 – 3 .

*المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1442م) :

141-درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق : محمود الجليلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2002 ، مج 1.

*المكناسي ، الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين الخزرجي (توفي حوالي 1324 هـ / 1906 م) :

142-التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب ، تقديم وتصحيح : محمد المنوني ، ط 1 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1994 .

*الملزوزي ، عبد العزيز بن عبد الواحد (ت 697 هـ / 1297 م) :

143-نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1963 .

*ابن عبد الملك ، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م) :

144-الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 ، السفرين الخامس و السادس .

*ابن مليح ، أبو عبد الله محمد بن احمد القيسي (1042 هـ / 1632 م) :

145-انس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والاعارب ، تحقيق : محمد الفاسي ، إصدارات وزارة الثقافة والتعليم الأصلي ، المملكة المغربية ، 1968 .

* ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ / 1311 م) :

146-لسان العرب ، تحقيق : عبد الله عبد الكبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة ،د.ت .

*النباهي ، ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (كان حياً سنة 792هـ/1332م) :

147-تاريخ قضاة الأندلس – المعروف بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، ط 5 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 .

*النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد (ت 300 هـ / 912 م) و القمي ، سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري (ت 301 هـ/ 913 م) :

148-فرق الشيعة ، تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، ط 1 ، دار الرشد ، القاهرة ، 1992 .

* النويري ، أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (ت 733 هـ / 1333م) :

149-نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، الاجزاء 6 ، 23 ، 24 .

*الهنتاتي ، أبو العباس احمد الشماع (ت 833 هـ / 1429 م) :

150-مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام – في رد القول بإباحة اغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ما شرع الله من الحدود والإحكام – ، تحقيق : عبد الخالق احمدون ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 2003 .

* عبد الواحد المراكشي ، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647 هـ / 1249 م) :

151-المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 .

*ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت 861 هـ / 1457 م) :

152-خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : أنور محمد زناتي ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008 .

*الونشريسي ، ابو العباس احمد بن يحي التلمساني (ت 914 هـ) :

153-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ، خرجه مجموعة من الفقهاء تحت اشراف محمد حجي ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 . الجزآن 6 ، 8 .

* اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد اليمني المكي (768 هـ / 1367 م) :

154-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 ، الجزء 4 .

02 - المراجع العربية

أ- كتب مطبوعة :

155-بن إبراهيم ، محمد : **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى** – خلال عصري المرابطين والموحدين – ، ط 1 ، دار أصداء المجتمع ، القصيم ، 1998 .

156-احمد طه ، جمال : **مدين فاس في عصري المرابطين والموحدين** (448 هـ / 1056 م - 668 هـ / 1269 م) ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2001 .

157-ادهم علي: المعتمد بن عباد ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، القاهرة ،د .ت .

158-ارسلان ، شكيب : **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، ط 1 ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1936 ، الجزء 1.

159-البركة ، محمد : **فقه النوازل على المذهب المالكي – فتاوى ابي عمران الفاسي –** ، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2010 .

160-البستاني ، بطرس : **معارك العرب في الأندلس** ، دار مارون عبود ، د . م ، 1987 .

161-بلغيث ، محمد الأمين : **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، ط 1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007 .

162- ـــــــــــــــــ . : **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي** ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 .

163- ـــــــــــــــــ . : **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي** ، ط 1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 2007 .

164-بوتشيش ، إبراهيم القادري : **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

165- ـــــــــــــــــ : **المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع ، الذهنيات ، الأولياء** - ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1993 .

166- ـــــــــــــــــ : **إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط** ، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل ، المغرب ، 1997 .

167-بولطيف ، لخضر : **الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي** ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2005 .

168- ـــــــــــــــــ . : **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي** ، ط 1 ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، بيروت ، 2009 .

169-بولقطيب ، الحسين : **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط ، 2002 .

170-بونابي ، الطاهر : **التصوف في الجزائر** خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 ميلاديين ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ، 2004 .

171-البياض ، عبد الهادي : **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-14م)** ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 2008 .

172-ابن بية ، محمد محمود عبد الله : **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2000 .

173-التازي ، عبد الهادي : **التاريخ الدبلوماسي للمغرب** – من أقدم العصر إلى اليوم – ، مطابع فضالة ، المحمدية ، 1986 ، الجزء 5 .

174-ابن تاوديت ، محمد : **تاريخ سبتة** ، ط 1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء (المملكة المغربية) ، 1982 .

175-الترغي ، عبد الله المرابط : **فهارس علماء المغرب – منذ النشأة الى القرن الثاني عشر للهجرة –** ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تيطوان ، 1999 .

176-التليدي ، عبد الله : **المطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب** ، مطابع الشمال ، طنجة ، 1980 .

177-الجوير ، محمد بن احمد بن علي : **جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية** ،ط 1 ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، 2003 .

178-الحجوي ، أبو عبد الله محمد بن الحسن الفاسي : **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** ، اعتنى به : هيثم خليفة طعمي ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 ، الجزء 1 .

179-الحسني الإدريسي ، محمد بن مولانا السيد علي السنوسي الخطابي : **الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية** ، مطبعة الشباب ، مصر ، 1349 هـ .

180-الحجي ، عبد الرحمان علي : **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ، ط 2 ، دار القلم ، دمشق ، 1981 .

181-حسن ، حسن علي : **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس** – عصر المرابطين والموحدين – ، ط 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 .

182-حمام ، محمد : **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى** ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1970 .

183-عبد الحميد ، سعد زغلول : **تاريخ المغرب العربي** ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1990 ، الجزء 3 .

184-حومد ، اسعد : **محنة العرب في الأندلس** ، ط 2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1988 .

185-خليفة ، حامد محمد : **يوسف بن تاشفين – موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين** – ، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، 2003 .

186-أبو خليل ، شوقي : **الزلاقة – بقيادة يوسف بن تاشفين** – ، دار الفكر ، دمشق ، 1993 .

187-أبو خليل ، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين : **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى –خلال عصري المرابطين والموحدين 483–640 هـ/ 1090–1242 م**– ، ط 1 ، دار أصداء المجتمع ، القصيم (السعودية) ، 1998 .

188-دندش ، عصمت عبد اللطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** – عصر الطوائف الثاني – ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 .

189- ــــــــــــــــ : **دور المرابطين في نشر السلام في غرب إفريقيا** (430هـ - 515 هـ / 1038 م – 1121 م) ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 .

190-ابو رميلة ، هشام : **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، ط 1 ، دار الفرقان ، عمان ، 1984 .

191-الزركلي خير الدين : **الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** – ، ط 15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002 ، ج 8 .

192-زغروت ، فتحي : **الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين** ،
ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2005 .
193-أبو زهرة ، محمد : **تاريخ المذاهب الإسلامية** – في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية – ، دار الفكر العربي ، القاهرة د . ت .
194-سالم ،عبد العزيز : **المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، الجزء 2 .
195- ــــــــــــ . : **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت .
196- ــــــــــــ . : **تاريخ مدينة المرية الإسلامية** – قاعدة أسطول الأندلس – ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1984 .
197-سالم ، عبد العزيز واحمد مختار العبادي : **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969 .
198-السبحاني ، جعفر : **المذاهب الإسلامية** ، ط 2 ، دار الولاء ، بيروت ، 2005 .
199-السرجاني ، راغب : **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط** ، ط 1 ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2011 ، الجزء الثاني .
200-السيد ، محمود : **تاريخ دولة المرابطين والموحدين** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2007 .
201- السلاوي ، أبو العباس احمد بن خالد الناصري(ت 1315 هـ/1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1994 ، الجزء 1 - 2 .
202-سيسالم ، عصام سالم : **جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار –** ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984 .
203-الصلابي ، محمد : **دولة المرابطين** ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007 .
204- ــــــــــــ : **دولة الموحدين** ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007 .

205- ــــــــــــــ : **فقه التمكين عند دولة المرابطين** ، ط 1 ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2006 .

206- ــــــــــــــ : **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين** ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، 2003 .

207-الطمار ، محمد بن عمرو : **تلمسان عبر العصور** – دورها في سياسة وحضارة الجزائر – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

208-الطمار ، محمد : **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 .

209-العبادي ، احمد مختار : **صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، ط 1 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000 .

210-عبيدات ، داوود : **الموحدون في الأندلس** ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، 2006 .

211-العروي ، عبد الله : **مجمل تاريخ المغرب** ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000 ، ج 2 .

212-عنان ، محمد عبد الله : **دولة الإسلام في الأندلس** – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990 .

213- ــــــــــــــ :**دولة الإسلام في الأندلس** – العصر الثاني ملوك الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي– ، ط 4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997.

214-العمراني ، محمد : **حواضر الأندلس بين الانتفاضة والثورة خلال العهد المرابطي – في القرن 6 هـ / 12 م** – ، دار ابي رقراق ، الرباط ، 2006 .

215-بن عميرة ، محمد : **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

216-الفقي ، عبد الرؤوف : **تاريخ المغرب والأندلس** ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990 .

217- فكري ، احمد : **قرطبة في العصر الإسلامي** – تاريخ وحضارة - ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1983 .

218-القبلي ، محمد : **تاريخ المغرب – تحيين وتركيب –** ، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ، الرباط ، 2011 .

219-القرضاوي ، يوسف : **الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه** ، ط 4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1994 .

220-الكبيسي ، خليل إبراهيم : **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس –** في عصر الإمارة و الخلافة - ، ط 1 ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 2004 .

221-الكتاني ، الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصالحين بفاس** ، تحقيق : عبد الله الكامل الكتاني وآخرون ، ط 1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء (المملكة المغربية) ، 2004 ، ج 1 .

222-كحيلة ، أبو ادهم : **القطوف الدواني في التاريخ الاسباني** ، ط 1 ، primera edition ، القاهرة ، 1998 .

223-كنون ، عبد الله : **مشاهير رجال المغرب** ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2010 ، الجزء الثالث .

224-عبد اللاوي ، موسى : **الحضارة الإسلامية وآثارها على المدنية الغربية** ، دار العلوم للنشر ، عنابة ، 2008 .

225-عزام ، عبد الوهاب: **المعتمد بن عباد** ، دار كلمات للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2013 .

226-محمد حسين ، حمدي عبد المنعم : **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين** ، دار المعرفة الجامعية ، الازاريطية ، 1997 .

227-محمود ، حسن احمد : **قيام دولة المرابطين** – صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى - ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت .

228-مجموعة مؤلفين : **التاريخ الأندلسي من خلال النصوص** ، ط 1 ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، 1991 .

229-مجموعة مؤلفين : **الجزائر في التاريخ** – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

230- مخلوف ، أبو الفضل محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ .

231-مصطفى ، شاكر : **الأندلس في التاريخ** ، دار الاشبيلية ، سوريا ، 2002 .

232-المغراوي ، محمد : **الموحدون وأزمات المجتمع** ، ط 1 ، مؤسسة جذور للنشر ، الرباط ، 2006 .

233-موسى ، عز الدين عمر احمد : **الموحدون في الغرب الإسلامي** - تنظيماتهم ونظمهم - ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1991 .

234-مؤنس ، حسين : **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس** ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000 .

235- ــــــــــــ . : **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين** ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 1992 .

236- ــــــــــــ . : **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين** ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2000 .

237- ــــــــــــ . : **شيوخ العصر في الأندلس** ، ط 2 ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1997 .

238- ــــــــــــ . : **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الرشاد ، القاهرة ، 2004 .

239- النجار ، عبد الحميد : **المهدي بن تومرت** ، ط 1 ، دارا لغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 .

240- ــــــــــــ . : **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت** ، إصدارات المعهد العالم للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، 1995 .

241-النحوي ، الخليل : **بلاد شنقيط – المنارة والرباط –** ، إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1987 .

242-نصر الله ، سعدون عباس : **دولة المرابطين في المغرب والأندلس** – عهد يوسف بن تاشفين – ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 .

243-نويهض ، عادل : **معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** – ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980 .

244-الهرفي ،سلامة محمد سليمان : **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين – دراسة سياسية وحضارية** – ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د.ت .

245-هلال ، جودت و محمد ، محمود صبح : **قرطبة في التاريخ الإسلامي** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986 .

246-الورثيلاني ، الحسين بن محمد السعيد (ت 1193هـ/1779م):**الرحلة الورثيلانية – الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** - ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008 ، المجلد 2 .

ب – الموسوعات ودوائر المعارف :

247-بدوي ، احمد زكي: **معجم المصطلحات السياسية والدولية** ، تقديم : سعد الفطاطري ، ط 1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 .

248-ج . س . كولان : **دائرة المعارف الإسلامية** ، ترجمة : إبراهيم خورشيد وآخرون ، ط 1 ، القاهرة ، 1980 ، المجلد 2 ، مادة أندلس .

249-سانو ، قطب مصطفى : **معجم مصطلحات أصول الفقه** ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، 2000 .

250- سعيفان ، احمد : **قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية** ، ط 1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 2004 .

251-صابان ، سهيل : **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، مطبوعات الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000 .

252-الطيب ، محمد سليمان : **موسوعة القبائل العربية** ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1997 ، المجلد 1 .

253-العفيفي ، عبد الحكيم : **موسوعة 1000 مدينة إسلامية** ، ط 1 ، دار أوراق شرقية ، بيروت ، 2000 .

254-مجموعة مؤلفين : **معلمة المغرب** ، مطابع سلا ، سلا (المملكة المغربية) ، 1998 ، الجزء العاشر .

255-مؤنس ، حسين : **موسوعة تاريخ الأندلس** ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996 ، الجزء 2 .

256-لعجم ، رفيق : **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1999 .

257-وجدي ، محمد فريد : **دائرة معارف القرن العشرون** ، بيروت ، د . ت ، المجلد 4 ، مادة مرابطون .

ج – المجلات :

258-الامراني ، محمد : ثورة المريدين – ابن قسي ملامح من حياته السياسية والصوفية- ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، 1995 ، مراكش ، العدد 12 .

259-مصطفى بنسباع : الجانب الاديولوجي لثورة المريدين ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، 1995 ، مراكش ، العدد 12 .

260-حسن ، ساجد مخلف: المعتمد بن عباد – حياته ودوره في معركة الزلاقة – ، **مجلة سر من رأى** ، 2008 ، (د.م) ، العدد 11 ، المجلد 4 .

261-خيطان ، عبد الكريم: المهدوية والعصمة وأثرها على خلفاء الموحدين – دراسة نقدية – ، **مجلة جامعة كربلاء العلمية** ، 2007 ، كربلاء ، العدد الأول .

262-دندش ، عصمت عبد اللطيف : عودة ابن تاشفين للمغرب بعد الزلاقة ، **مجلة دعوة الحق** ، 1987 ، الرباط ، العدد 262 .

263-عبد الرحيم ، رائد : صورة الأمير يوسف بن تاشفين في أدب الرسائل في عهدي الطوائف والمرابطين ، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)** ، 2007 ، (د . م) ، العدد 1 ، المجلد 21.

264-زناتي ، أنور محمود : دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال عصر المرابطين ، **دورية كان التاريخية** ، سبتمبر 2014 (د.م) ، العدد 25 .

265-السامرائي ، عبد الحميد حسين احمد : مدرسة المرية الصوفية بين الواقع والخيال (503 – 546 هـ) ، **مجلة سر من رأى** ، 2008 ، (د.م) ، العدد 10 ، المجلد 4 .

266-شاكي ، عبد العزيز : ثورة الموحدين في العهد المرابطي ، **مجلة وقائع تاريخية** – مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب – ، 2012 ، القاهرة ، عدد يوليو ، ص 197 .

267- ــــــــــــــــ : ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين ، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية** ، 2013 ، الجزائر ، عدد 20 .

268- ــــــــــــــــ : معركة اقليش – صفحة مشرقة من تاريخ المسلمين في الأندلس – ، **دورية كان التاريخية** ، 2012 ، عدد 16 .

269-شبلي ، عمر رابح : دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري ، **مجلة الجامعة الإسلامية** (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، 2008 ، (د.م) ، العدد 2 ، المجلد 16 .

270-عبيدات ، عدنان محمود : أدب الرسائل في مملكة بلنسية في القرن الخامس الهجري ، **مجلة التراث العربي** ، 2009 ، دمشق ، العدد 115 .

271-طاهر ، علي هادي : التعليم عند إخوان الصفا والغزالي – دراسة مقارنة – ، **مجلة دراسات البصرة** ، 2002 ، البصرة ، العدد الأول .

272-مصطفي ، خزعل ياسين : الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية – عصري الإمارة والخلافة – ، **مجلة التربية والعلم** ، 2011 ، (د.م) ، العدد 1 ، المجلد 18 .

273-مصطفى ، صلاح عبد الهادي : إسهام المرابطين في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي والسودان الغربي – خلال القرن 5 هـ/ 11 م – ، **مجلة المؤرخ العربي** ، 1987 ، (د.م) ، العدد 31 .

274-مكي ، علي محمود : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية** ، 1960 ، مدريد ، المجلد 7 – 8 .

275-مؤنس ، حسين : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين ، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية** ، 1954 ، مدريد ، العددان 1 – 2 .

276-نوري ، دريد عبد القادر: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء – دراسة في خطوات الانتشار والأسباب والوسائل – ، **مجلة كلية العلوم الإسلامية** ، 2007 ، الموصل ، العدد الأول ، المجلد الأول .

277-الياس ، م . م علي قنبر : بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508 هـ / 599 هـ) ، **مجلة كلية أبحاث التربية الأساسية** ، 2010 ، (د.م) ن، العدد 2 ، المجلد 10 .

278-اليسوعي ، بولس نويا : رسائل ابن العريف إلى أصحاب ثورة المريدين في الأندلس ، **مجلة الأبحاث** (تصدر عن مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط بالجامعة الأمريكية في بيروت) ، 1978 – 1979 ، بيروت ، العدد 26 .

د - الأطاريح الجامعية :

279-بلغيث ، محمد الأمين : **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1423 – 1424 هـ / 2002 – 2003 م .

280-التهامي ، إبراهيم علي : **أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية** - من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 5 هـ - ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، قسم العقيدة ،كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1412 هـ .

281-الجندي ، علي محمود عبد اللطيف : **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين** ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ والحضارة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1425 هـ / 2004 م.

282-بن الذيب ، عيسى : **المغرب والأندلس في عصر المرابطين** – دراسة اجتماعية واقتصادية 480 – 540 هـ / 1056 – 1145 م - ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م .

283-السلمي ، إبراهيم : **العدوة الأندلسية** – منذ عصر ملوك الطوائف الى سقوطها في ايدي الاسبان 422 – 867 هـ / 1030 – 1462 - ، رسالة مقدمة انيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1430 هـ ، ص 136 .

284-عبد الصمد ، توفيق مزاري : **الجهاد البحري في عهدي المرابطين والموحدين** ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية – تخصص تاريخ وحضارة - ، قسم اللغة والحضارة الإسلامية –كلية العلوم الإسلامية - ، جامعة الجزائر ، 1428 – 1429 هـ / 2007 – 2008 م .

285-المشهداني ، علياء : **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب**– حتى منتصف القرن 6 هـ / 12 م - ، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية التربية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي ، مجلس كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2003 .

03 – المراجع الأجنبية

أ – المراجع المعربة :

286-أشباخ ، يوسف : **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، جزآن .

287-بروفنسال ، ليفي : **حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت .

288-بروكلمان ، كارل : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د . ت .

289-بورويبة ، رشيد : **ابن تومرت** ، ترجمة : عبد الحميد حاجيات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

290-دوزي ، رينهرت : **المسلمون في الأندلس** ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، 03 أجزاء .

291- ــــــــــــــــ . : **ملوك الطوائف** ، ترجمة : كامل كيلاني ، ط 1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1933 .

292-ستانلي لين بول : **قصة العرب في اسبانيا** ، ترجمة : علي الجارم ، ط 1 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014 .

الكتاب ، الدار البيضاء ، 1994 ، الجزء 1 – 2 .

293-عفيفي ، أبو العلا : **الفلسفة الصوفية عند محي الدين بن عربي** ، ترجمة : 292-

294-مصطفى لبيب عبد الغني ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2009 .

295-فلهوزن ، يوليوس : **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام** – الخوارج و الشيعة – ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958 .

296-كربخال ، مرمول : **إفريقيا** ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984 ، 03 أجزاء .

297-لويس ، ارشيبالد :**القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط (500هـ/1100م)** ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

298-مارسيه ، جورج : **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى** ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الإسكندرية ، 1991 .

299-ماك كيب ، جوزيف : **مدينة الأندلس في اسبانيا** ، ترجمة : محمد تقي الدين الهلالي ، ط 2 ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1985 .

300-هوبكنز ، ج.ف.ب : **النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى** ، تعريب : أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1980 .

301-وات ، مونتغمري : **في تاريخ اسبانيا الإسلامية** ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998 .

ب - المراجع الأجنبية في لغتها الاصلية :

302 - ABITBOL , MICHEL **: HISTOIRE DU MAROC** , PERRIN , France , 2009 .

303 - ALTAMIRA, DON RAFAEL**: histoire d'espagne** , librairie armand colin , paris , 1931.

304 - BERGE , MARC **: les arabes** – histoire et civilisation des arabes et du monde musulman des origines à la chute du royaume de grenade - , éditions lidis , paris , 1983 .

305-BOUROUIBA RACHID **: abd al-mu'min (flambeau des almohades)** , 2 édition , sned , 1982 .

306 - BRIGNON , JEAN ET LES AUTRES **: histoire du maroc** , libriarie nationale , Casablanca , 1967 .

307-COISSAC DE CHAVREBIERE **: histoire du maroc** , dar al amane , rabat , 2012 .

308 - CONRAD , PHILPPE**: histoire de la roconquista** , 2 édition , presses universitaires de france , paris , 1999.

309-CROUZET , HENRI **: géographie historique et politique de l'europe –depuis la domination romaine jusqu'aux traités de 1815-**, imprimerie P.bégat , place de la mairie ,1857 .

310 - DESPOIS , JEAN **: l'afrique de nord** – l' afrique blanche - , presses universitaires de france , paris , 1964 , tom . 1 .

311 - DHINA , AMAR **: cites musulmans d' orient et d'occident** , entreprise nationale du liver , alger , 1986 .

312 - DHINA , ATALLAH **: les etats de l'occident musulman** aux 13 , 14 et 15 siècles , office des publications universitaires , alger , 1984 .

313-ESTERHAZY , WALSIN : **domination turque dans l'ancienne régence d'alger** , librairie de charles cosselin , paris , 1840 .

314-FAGNAN . E **: extraits inédits relatifs au maghreb** , jules carbonel imprimeur libraire-eriteur , alger , 1924 , p 182 .

315-FAURE-BIGUET . G **: histoire l'afrique septentrionale sous la domination musulmane** , éditeur militaire , paris , s.d .

316-GEORGES , HARDY **: le maroc** , dar al aman ,2013.3

317-GELEY LÉON **: l'Espagne des goths et des arabes** , leopold cerf editeur , paris , 1882

318-HAMET ISMAEL **: histoire du maghreb** , editions ernest leroux , paris , 1923.

319- IHADDADEN, ZAHIR **: l'histoire décolonisée du** ؛ **magreb – lalgerie de 1510 à 1962 -** , éditions dahlab ,alger , 2013 .

320-ISMAEL HAMET : **histoire du maghreb** , editions ernest leroux , paris , 1923.

321 - JULIEN , CHARLES-ANDRÉ **: histoire de l'afrique du nord** –de la conquête arabe à 1830 **-** , 2 édition , imprimerie grou – radenez , paris , 1978.

322 - KADDACHE , MAHFOUD **: l'algerie medievale** , société nationale d'édition et de diffusion , alger , 1982 .

323 - LAROUI , ABDALLAH **: l'hstoire du maghreb un essai de synthèse** , librairie François maspero , paris , 1970 .

324-LE CHATELIER . A : **les musulmans français du nord de l'afrique** , librairie armand colin , paris , 1906 .

325-LE CHATELIER . A **: l'islam dans l'afrique occidentale** , g.steinheil éditeur , paris , 1899 .

326 - LÉVI – PROVENÇAL , ÉVARISTE **: islam d'occident** , librairie orientale et   amiricaine , paris , 1948 .

327-LIETENANT-COLONEL MANGIN: **la force noire** , librairie hachette , paris , 1910 .

328-PARISOT , VAL **: petit histoire d'Espagne** , libraire de l'université roval de France , paris , 1840 , p: 42 .

329-PARISOT , VAL **: petite histoire de Portugal** , libraire de l'université royale de France , paris , 1841

330-RENARD, LUGIEN **: histoire d'Espagne**, furne ؛ libraire éditeur , paris , 1855 .

331- ROPERT ET CORNEVIN MARIANNE **: histiore de l'afrique** – des origines à la deuxième guerre mondiale - , petite bibliothèque payot , paris , s.d

332-WEIBEL , ERNEST : **occident – Maghreb 13 siècles d'histoire** , ellipses édition , paris , 2010.

ث –المجلات باللغة الفرنسية :

333-BEL ALFRED : documents récents sur l'histoire des almohades **, revue africaine** , 1930 , Alger , volume 71.

334-LAGARDERE . V : la révolte des muridun , **revue de l'occident musulman et de la méditerranée** , 1983 , Aix-en-Provence , numéro 35.

335-LÉON GODARED : les évêques de Maroc **, revue africain** , 1857 , Alger , volume 2.

336-REDJAL A MBAREK : les barghwata (origine de leur nom) **, revue de l'occident musulman et de la méditerranée** , 1983 , Aix-en-Provence , numéro 35.

ث – دوائر المعارف باللغة الأجنبية :

337-C.E.BOSWORTH ET LES AUTRES **: encyclopédie de l'islam** , imprimé aux Pays-Bas ,leiden,1986 , tom 5.

338-DIDOT,FIRMIN FRÉRE: **encyclopédie moderne – dictionnaire abrégé-** ,libraires de l'institut de France , paris , s.d .

339-L'ENCYCLOPÉDIE COLONIALE ET MARITIME , sous la direction d'eugène guerneir et G. frment-guieysse , éditions de l'empire français , paris , 1948 .

340- - LÉVI – PROVENÇAL , ÉVARISTE ET LES AUTRES : **encyclopédie de l'islam** , paris , 1960 ,tom .1 ,article : ALI BEN YUCUF .

341-E.L**ÉVI-PROVENSAL AND OTHER : the encyclopaedia of Islam , leiden , e.j.brill , 1986 , vol 11 .**

ج – الملتقيات والمؤتمرات :

342-BASSET HENRI **: ibn toumert chef d'tat** , actes du congres international d'histoire des religions , paris , octobre 1923 , t2 .



الفهارس



1 - فهرس الأعلام

- أ -

- ب -





– س –

– ش –

– ص –

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -



– ن –

– هـ –

– و –

– ي –



2 - فهرس الأماكن والمواضع

- أ -







- د -

- ز -

- س -



– ش –

– ط –

– غ –



– ف –

– ق –



- ك -

- ل -

- م -

– ن –

– هـ –

– و –

- ي -

3 - فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

- أ -

- ب -

- ج -







- ن -

- هـ -



فهرس الموضوعات



